



جزء
معين التاريخ
لاهل التاريخ

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

النظير الاقطاعية

في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

تأليف

الدكتور ابراهيم علي طرخان

استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب

جامعة القاهرة بالخرطوم

رفع Ahmed Rizq

الناشر

دار الكتاب العربية للطباعة والنشر

القاهرة

1968 - 1968

جزء
مَعِينُ التَّارِيخِ
لأهل التَّارِيخِ

اهداءات ٢٠٠١

الاستاذة/ دلال راشد

الاستاذة
الاستاذة

النُّظْمُ الْأَقْطَاعِيَّةُ

فَالشَّرْقَ الْأَوْسَطَ فِي الْعَصُورِ الْوُشَيْطِيَّةِ

المكتبة العربية

تصدُّرُها

وَرَأَى النَّهْكَ سَاقَةً

المرتبة المصنفة المائة والثانية والنشر

بإشراف كبرى

الجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة



النظير الاقطاعية

في الشرق الأوسط في العصور الوسطى

تأليف

الدكتور إبراهيم علي طرخان

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب
جامعة القاهرة بالخرطوم

الناشر

ماد الكاتيب العربية للطباعة والنشر

القاهرة

١٣٨٨ - ١٩٦٨

جزوب
مَعِينِ التَّارِخِ
لِأَهْلِ التَّارِخِ

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة

التنظيم الإقطاعي مرحلة من مراحل التطور العام في تاريخ الدول الملكية السالفة ، منذ العصور الوسطى في الشرق والغرب . وتختلف أصول التنظيم الإقطاعي وجذوره وأطواره باختلاف البلاد والأزمنة والخصائص الجغرافية والبشرية ، فهو يرجع في غرب أوروبا عموماً إلى أزمنة الفرنجة الكارولنجيين وحوادث الفتح الإسلامية والنورمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط والبحار الشمالية ، كما يرجع إلى ما طرأ على المجتمع الأوروبي الغربي وأهله من تغييرات واسعة ناجمة عن تلك الحوادث .

ويستطيع الباحث أن يتنقل بين مختلف الدول الأوروبية في العصور الوسطى ليتعرف على بدايات التنظيم الإقطاعي بكل منها ، فهو يرجع في إنجلترا مثلاً إلى عصر الفتح النورماني أي إلى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي . وهو يرجع في روسيا إلى أيام المغول والقيصرية الروسية الأولى ، أي إلى أواسط القرن الثالث عشر الميلادي ، وهكذا .

ومنشأ التنظيم الإقطاعي في مختلف البلاد مجتمع زراعي إقليمي طبقى ، وهو مادرج عليه المجتمع الأوروبي الغربي في العصور الوسطى كلها ، من حياة زراعية اكتفائية وإقليمية جغرافية محدودة المعالم والتضاريس ، وطبقية حربية أركانها الملوك والنبلاء والفرسان ورجال الدين . وفي تلك العصور الوسطى نشأت الدولة الإسلامية الأولى في شبه الجزيرة العربية في مجتمع عربي معتمد في أساسه على التجارة ، لا الزراعة ، دون أن يستند ذلك المجتمع إلى شيء من الأركان الإقطاعية التي تقدمت الإشارة إليها بصدد غرب أوروبا . ومن

الدليل على صحة ذلك القول خلو السور القرآنية جميعاً من أية إشارة إلى الإقطاع أو التنظيم الإقطاعي من قريب أو بعيد ، والقرآن الكريم كما هو معروف سجل وصنى لأحوال العرب قبل الإسلام ودستور للدولة الإسلامية وأهلها إلى يوم يعثون .

غير أن تنظيماً إقطاعية مختلفة قامت مبعثرة في مختلف الأقاليم التي شملها الفتح الإسلامي ، وظلت الحال على ذلك المتوال المبعثر حتى كانت أيام بني بويه والسلاجقة والزنكيين والأيوبيين والمماليك من بعدهم ، إذ غلبت الناحية الحربية على كل من تلك الدول المتتابعة في الطرق الأوسط . فعمدت إلى تعميم التنظيم الإقطاعي وتطبيقه على المجتمع وتسخير له لسياستها ، وظهرت من أجل ذلك مؤلفات ودساتير جديدة ، ومنها سياسة نامه للوزير نظام الملك السلجوقي ، وصبح الأعشى الذي كتبه أحمد القلقشندي ، وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري والتحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ليحيى بن الجيعان .

ويتضح من خلال هذه الإشارات الراكضة العابرة لماذا وكيف اختار مؤلف هذا الكتاب الحديد في ميدانه أن يتوفر في الكتابة هنا على عصر التنظيم الإقطاعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، إذ استطاع بهذا الاختيار المحدد أن يتعمق في البحث والاستقصاء وأن يخرج من هذه التجربة العلمية بصورة كاملة للإقطاع والإقطاعية في مصر والشام زمن سلاطين الأيوبيين والمماليك . وكل ذلك في أسلوب تاريخي تفصيلي حافل بمعلومات جديدة ليست بحاجة إلى تزجيها أو التنويه بأهميتها العلمية للقارئ العربي في مختلف البلاد في الشرق الأوسط الحديث .

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة في { ٢٧ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ
28 من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م

مدخل

الشرق الأوسط ومدلوله وأهميته - تحديد العصور الوسطى -

الدول السائدة في الشرق الأوسط خلال تلك العصور

خصائص النظم الاقتصادية بهذه البقعة في تلك الحقبة .

الشرق الأوسط مصطلح حديث ، تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية ، ويشمل بلاد الجزيرة العربية كلها ، بما فيها من دول مستقلة ودول ناقصة الاستقلال ، والعراق وإيران وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والسودان وتركيا وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وكذلك أثيوبيا وأرتريا والصومال ، وقبرص وكريت ومالطة واليونان . ثم استبعدت تركيا ، وأما أفغانستان ، وغربي باكستان فضمنا أحيانا إلى الشرق الأوسط ، غير أن اتصالهما الأقوى والأقرب قائم بقلب آسيا والقارة الهندية .

ويغنى هذا المصطلح ، ما كان يعرف من قبل باسم : « الشرق الأدنى » قبل الحرب العالمية الأولى ، واستثنيت شبه جزيرة البلقان من الشرق الأدنى بسبب الحركات القومية التي ملأتها خلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، ومن ثم صار يشار إلى بلاد البلقان باسم « أوروبا الجنوبية الشرقية » ، وخلال تدهور الإمبراطورية العثمانية ، واستغرق ذلك نحو قرن ونصف ، عرفت جميع المسائل والمشروعات التي قامت بين العثمانيين والدول الأوروبية المتنافسة على اقتسامها ، باسم « مسائل الشرق الأدنى » .

كذلك يغنى مصطلح الشرق الأوسط ، ما عرف باسم بلاد الليفانت Levant ، وهي التي تشمل عالم البحر المتوسط الشرق ، وتعني هذه الكلمة كما تعني كلمة الأناضول Anatolia بلاد الشمس المشرقة .

ولقد أطلقت جامعة كولومبيا المصطلحين معاً ، على هذه المنطقة ، فأشارت إليها باسم « الشرق الأدنى والأوسط » وعنت بها . أفغانستان وإيران وتركيا واليونان والبلاد العربية كلها حتى المحيط الأطلسي ، ثم أطلقت هذه التسمية على المعهد الذي أنشأته للعناية بالدراسات الشرقية .

Near and Middle East Institute

وفي عام ١٩٤٨ م ، تكونت لجنة فرعية في الأمم المتحدة لتحديد بلاد الشرق الأوسط فأنتهت أعمالها في يونيو من نفس العام ، وحددت بلاد الشرق الأوسط بأنها : دول الجامعة العربية كلها ، ومعها أنبوتيا وتركيا واليونان وإيران وأفغانستان .

الخلاصة أن وصف هذه المنطقة أو بعضها ، بالشرق الأوسط تارة ، وبالشرق الأدنى تارة أخرى ، مصطلح سياسي أكثر منه جغرافي ، وإن جاءت هذه التسميات أصلاً بالنسبة لموقع هذه البقعة من الدول الأوربية المطلّة على ساحل الأطلسي وغربي البحر المتوسط ، مثل بريطانيا وهولندا وفرنسا والبرتغال وإسبانيا والجمهورية الإيطالية التجارية ، ذوات العلاقات المتنوعة مع هذه البلاد ، وتمتاز هذه المنطقة بأنها نقطة التقاء رئيسية بين القارات الثلاث : آسيا وإفريقية وأوروبا ، وهي ذات أهمية قصوى من الناحية الجغرافية والاستراتيجية ومن أجل ذلك قيل : « لقد هزم نابليون بوناپرت أمام جغرافية الشرق الأوسط » . ثم هي مركز نشأة الخليقة وموطن الإشعاع الروحي ومهد الحضارات منذ أقدم العصور . وهناك أكثر من عامل ربط بين أجزائها من ناحية الموقع وسهولة الاتصال وتقارب المناخ ، باستثناء بعض الأجزاء المنطرفة ، ولهذا أثره الكبير في وحدة أو تشابه الإنتاج والنشاط البشري ، ثم الارتباط الروحي ، وعماده الدين الإسلامي الغالب ، وهناك رباط للغة العربية فضلاً عن الوحدة التاريخية .

●
والمقصود بالعصور الوسطى تلك الحقبة الممتدة من القرن الخامس الميلادي تقريباً إلى مطلع القرن السادس عشر ، وإن كانت هذه العصور ،

تقسم في التاريخ الأوربي العام إلى مرحلتين : الأولى : فجر العصور الوسطى أو العصور المظلمة وتبدأ من أواخر القرن الخامس الميلادي ، عقب سقوط روما على يد البرابرة الجرمان وغيرهم ، والثانية من القرن العاشر أو مطلع القرن الحادي عشر تقريباً إلى نهاية القرن الخامس عشر .

والثابت أن الحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى عامة ، كانت أحسن من حضارة أوروبا المعاصرة لها ، بل كانت مورداً أصيلاً ومنبعاً أساسياً لما قام في أوروبا من حضارات خلال تلك القرون ، والعناصر الشرقية عامة ، والعربية الإسلامية بصفة خاصة ، واضحة كل الوضوح في الحضارة الغربية على اختلاف مظاهرها .

يقول بعض المنصفين من كتاب الغرب ، أمثال لوبيون :

« كان فضل العرب في الغرب عظيماً ، وإلهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا » .

ويقول دوزي :

« تاه الناس في دجاجير الجهل ، بينما سطع النور من جانب الأمة الإسلامية من علوم وفلسفة وآداب وصناعة » وهكذا ...



أما الدول التي سادت في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، فأولها الدولة الإسلامية ، منذ قيام الحكومة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة عام واحد من الهجرة (٦٢٢ م) ، وذلك على أثر هجرة الرسول (ص) إليها ، ثم ما تفرع عن هذه الدولة الكبرى ، حين ضعفت السلطة المركزية خلال العصر العباسي ، واستبد بها الموالى من القرس والديالمة والترك . فقامت دويلات وانفصلت عن جسم الدولة العباسية ، وإن اعترفت إسمياً بالسيادة العليا للخليفة العباسي ، منها : الدولة السامانية والدولة الغزنوية ودولة بني بويه بالمشرق الإسلامي، ثم دولة السلاجقة في أغلب بلاد الشرق الأوسط .

والدولة الطولونية والدولة الإخشيدية في مصر وما حولها ، والدولة الفاطمية في المغرب أولاً ثم في مصر وما حولها أخيراً ، وقد نافس الفاطميون سلطان الخلافة العباسية وحاولوا القضاء عليه ثم ما تفرع عن الدولة السلجوقية مثل الدولة الزنكية أو النورية والدولة الأيوبية ، وما تفرع عن الأخيرة ، وهي دولة المماليك .

وخلال العصور الوسطى ، قامت دويلات صليبية في بعض بلاد الشرق الأوسط ، ولكنها لم تثبت جنوراً أو تعمر طويلاً ، فقد قامت عام ١٠٩٩ م وانتهت أواخر القرن الثالث عشر ، وجاء أول معول لها على يد الدولة الزنكية ، وجاء المعول الأخير لاقتلاعها على يد سلاطين مصر من الأيوبيين والمماليك ، بل تعقب المماليك بقايا الصليبيين في مياه البحر المتوسط ، للقضاء عليهم وعلى الفكرة الصليبية نفسها .

كذلك ساد المغول بعض الوقت في بعض بلاد الشرق الأوسط ، خلال تلك العصور .



وتناول البحث في هذا الكتاب ، ما قام من صور إقطاعية في قلب بلاد الشرق الأوسط خلال تلك العصور .

فلقد شهدت هذه البلاد صورة من صور النظم الإقطاعية ، وهي وإن اختلفت عن الإقطاع الأوروبي المعروف ، في أبرز مظاهره ، إلا أنها لم تخل من السوء الذي هو سمة المجتمعات الإقطاعية الجامدة ، في الشرق والغرب على السواء .

جاءت هذه التنظيمات ، نتيجة للضعف الذي ألم بالخلافة العباسية في بغداد يوم استبد بها الموالي من غير العرب ، بحيث لم يعد للخليفة العباسي من السلطة إلا اسمها ، أو كما عبر بعض المعاصرين : « لم يبق له سوى السرير والمثبر والسكة والنغم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفود . . . » .

ومن قبل رفض عمر بن الخطاب إقطاع أرض السواد (العراق) ، واستطاب نفوس الغانمين ، علاجاً لما قد يتطور إليه المجتمع الإسلامي من ازدياد السكان وتجنباً لما يؤديه التقسيم والإقطاع من بلدر بنور الفرقة والتنافس والانتقام ، فضلاً عن وجود طبقيّة ، ومما قاله بهذا الصدد : « أعرف إن قسمته أن تنفاسدوا بينكم في المياه » .

وكذلك رفض علي بن أبي طالب وقال : « لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض ، لتقسمت السواد بينكم » . وحذر على الأثر النخعي واليه على مصر سنة ٣٦هـ = ٦٥٦م ، من الإقطاع ، وذلك في كتاب بعث به إليه :

« إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بتقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطن لأحد من حامتك وحاشيتك قطيعة » .

وما قبل عن إقطاعات عثمان بأرض السواد ، كان ذلك ، كما يقول المساوردي :

« إقطاع إجارة لا إقطاع تملك » .

والحديد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، أن المستبدين بشئون الخلافة العباسية أقطعوا وأساءوا التصرف ، ليس فقط في إقطاع البلاد والقرى ، ولكن أيضاً في إقطاع حقوق بيت مال المسلمين ، لأنصارهم وحواشيهم .

فعل ذلك بنو بويه ، ومن بعدهم السلاجقة الذين رأوا أن يحلوا الإقطاعات محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش ، وهذا ما بدأه « نظام الملك » (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) وزير السلطان ملكشاه السلجوقي ٤٦٥ - ٤٨٥هـ = ١٠٧٢ - ١٠٩٢م ونقلته عنه الدولة النورية ثم الدولة الأيوبية ، وبلغ الذروة في دولة المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ = ١٢٥٠ - ١٥١٧م) .

يقول المقرئى (ت ٨١٤٥ = ١٤٤١ م) : « وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا ، فإن أراضي مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده » .

ووجود الإقطاعات ، لم يحل دون وجود الملك الحر والأوقاف . ومنشأ الملك الحر ، عن طريق الشراء من بيت المال ، فكان للسلطان والأمراء والأجناد وبعض أفراد الشعب أملاك حرة خاصة ، وهذا هو القسم الخامس الذى ورد فى تقسيم المقرئى وابن إياس لأراضي مصر « ملك يباع ويشترى ويورث ويوهب ، لكونه اشترى من بيت المال » ، وعرفت أملاك السلطان الحرة ، وهذه غير إقطاعه الذى يحوزه بوصفه سلطاناً ، باسم « الأملاك الشريفة » أو الأملاك الشريفة السلطانية .

ومع ذلك ، تعرض الملك الحر للإقطاع فى بعض الأحيان ، مهما كان صاحبه ، وكذلك تعرضت الأوقاف الإسلامية والذمية للحل والإقطاع ، بل إن جميع موارد الدولة الأخرى ، مثل الخزينة والزكاة والمعادن ، تعرضت للإقطاع .

يقول القلقشندى ، معبراً عن فساد الحال فى زمانه ، بأن الأمور قد خرجت « عن القواعد الشرعية ، وصارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين والخزينة وزكاة المواشى والمعادن والعشر وغير ذلك ، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها ، وعمت بذلك البلوى ، والله المستعان فى الأمور كلها » .

من أجل ذلك ، يمكن أن توصف دولة المماليك ، بأنها الدولة الإقطاعية الكبرى ، التى قامت بالشرق الأوسط فى العصور الوسطى . ومع ذلك ، لم يكن للمقطع فيها سوى حق الاستغلال أو الارتفاق ، وحتى إذا ورث البندى أباه ، فإنه لا يرث غير هذا الحق ، ولا يملك الرقبة . ويقول السبكي (ت ٨٧٧ = ١٣٦٩ م) : « الإقطاعات المعروفة فى هذا الزمن ، إنما هى إقطاعات إرفاق » .

فكان حائر الإقطاع ، ينقل عن إقطاعه إلى آخر بأمر السلطان ، وقلما ثبت الإقطاع في يد صاحبه ، وقد ينقص ، وقد يزل صاحب الإقطاع فيصير « بطلا » ، ويصادر ، وتوقع « الحوطة » على « موجوده » ، بل يحدث في كثير من الأحيان ، خلال عصر المماليك ، أن يحل مقطع في إقطاع غيره ، وفي داره وأثائه ، وأحياناً يتزوج من زوجته . أما المماليك أو الأجناد التابعون للمقطع السابق ، فيضافون إلى السلطان ، تحت اسم « المماليك السبية » ، لتصبح إحدى فرق « المماليك السلطانية » . ومع ذلك فقد اقتصرت استغلال الإقطاع بكثير من أعمال الظلم والفساد وقامى الفلاحون شر ما يقاسى إنسان مستعبد وعبد مستنل . يقول المقرئى : « ويسمى المزارع المقيم بالبلد ، فلاحاً قرارياً ، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية ، إلا أنه لا يرجو قط أن يساع ، ولا أن يعنى ، فهو قن ما بين ومن ولد له كذلك » .

وإذا هرب الفلاح فراراً من الظلم والقهر ، أعيد قسراً ، بقول السبكي : « وجرت عادة الشام ، بأن من ينزح من دون ثلاث سنين ، يلزم ويعاد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد الفلاحة ، والحال في غير الشام ، أشد منه فيها ومن قبائحهم يقولون : « هذا شرع الديوان » .

وفي مثل هذه الأحوال ، وجدت الأشياء والتظائر ، بما وقع في الإقطاع الأوربي المعاصر ، وزاد من شدة وطأة هذا النظام ، أن طبقة المقطعين الرئيسية ، وهم المماليك وأنصارهم ، كانوا أجناب عن مصر ، وهم أرقاء في الأصل ، جاءوا من جنسيات مختلفة عن طرق شتى ، أهمها أسواق النخاسة والأسر في الحروب والإهداء ، وهؤلاء قللة بالنسبة للمواطنين - استأثرت بالسلطة ، وظلت منفصلة عن الأمة طوال حكمهم ، وهذا هو سر الكراهية العنصرية والكراهية الطبقية التي ملأت قلوب المواطنين ، ومن الخصائص الجوهرية للنظام الإقطاعي في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، منذ عم على أيدي السلاجقة ، أن الخدمة الحربية الإقطاعية ، لم تقيد بتقدم من الفرسان ، يقدمه التابع المقطع لولى الأمر ، أو بمدة محدودة يقضيها مع فرسانه المجهزين في حروب السلطان .

ويشبه هذا الوضع ، ما وجد في إنجلترا النورمانية الإقطاعية ، على أثر الفتح النورماني لها على يد وليام النورماني (١٠٦٦ م) ؛ حقيقة كان عدد الفرسان الذي يقدمه السيد الإقطاعي من البارونات أو الأساقفة للملك ، في الإقطاع الغربي ، محدداً بأرقام تتراوح بين ١٠ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ١٠٠ فارس ، إلا أن هذا التحديد كان نظرياً . فقد كان لوليام الفاتح النورماني ، ولأبنائه من بعده الحق الكامل في التعبئة العامة ، بشكل يختلف عما هو سائد في بقية أجزاء القارة الأوروبية .

ومع العلم بأن التحديد في عدد الفرسان ، في الإقطاع الشرق ، نضج في الدولتين الأيوبية والملوكية ، فللمراجع تقتصر على القول بأن عمل المقطع ، الحضور بالعسكر الجملة ، للانضواء تحت لواء السلطان السلجوقي في حروبه كأملي المؤمن والعناد على نفقاتهم الخاصة من إقطاعاتهم ، وكان بالعراق وحده نحو أربعين سيداً قطاعياً ينتسب القليل منهم إلى الأسر العربية . ومعنى هذا أنه لم تكن هناك مدة محددة للخدمة الحربية في الشرق كما كان معروفاً في الغرب الإقطاعي بصفة عامة وإنجلترا بصفة خاصة ، فكان للسلطان السلجوقي ، والخليفة العباسي بجانبه أن يندب كل جيوش الولايات والإمارات في أي وقت عند حدوث الخطر المفاجئ ، فمثلاً حدث أن ندب السلطان بركياروق السلجوقي في سنة ٥٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) الأمراء بعساكرهم للخروج لحرب الصليبيين ، فتجهز الأمراء ومنهم سيف الدولة صدقة صاحب الحلة ، وبعث بمقدماته إلى الأنبار ، كما ندب السلطان محمد السلجوقي في سنة ٥٥٠٤ هـ (١١١٠ م) بعض أولئك الحكام . وفرق بين هذا النظام على سواه ، وبين ما وقع بالشرق الأوسط في العصور التالية ، منذ الفتح العثماني ، من تملك أراضي الدولة بشمن اسمي ، أو بغير ثمن ، كما هو في «الأوسيات» ، وما أقرن بها من أعمال السخرة ، وذلك لفريق من الحامة أو الخاصة أو البطانة .

وكما جاء أول معول لهدم الإقطاعية في أوروبا على يد الثورة الفرنسية في يولية سنة ١٧٨٩ م ، جاء المعول الأول والأخير لاقتلاع جذور الإقطاعية من قلب الشرق الأوسط ، على يد الثورة المصرية العربية في يولية عام ١٩٥٢ م .

أما بعد : -

فلا يفوتني هنا ، أن أتقدم بأصدق الشكر ، لأستاذي الحليل الدكتور محمد مصطفى زيادة ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها سابقاً ، مد الله في عمره ، على ما بذل من عون صادق خلال عملي في هذا البحث .

كما لا يفوتني كذلك ، أن أشكر الأساتذة الأفاضل الذينعاونوني في بعض جوانب هذا البحث، وعلى رأس هؤلاء أستاذي المؤرخ المرحوم محمد شفيق غربال (ت في نوفمبر ١٩٦١) ومم الدكتور حسن إبراهيم مدير جامعة أسيوط سابقاً ، والدكتور جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الإسكندرية وعميد كلية الآداب بها ، والدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة سابقاً ومدير معهد مدريد الإسلامي حالياً ، والمرحوم الدكتور زكي محمد حسن عميد الآداب السابق بجامعة القاهرة ، والمرحوم الدكتور إبراهيم سلامة عميد الآداب بجامعة القاهرة .

ومن الأجانب الدكتور جورج كوبلاند Cooplاند أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ليغربول سابقاً والأستاذ الزائر بآداب القاهرة (عام ١٩٤٨) ، والأستاذ المستشرق جاستون فييت G. Wiet مدير متحف الفن الإسلامي بالقاهرة سابقاً .

وأرجو أن أسد بهذا الكتاب فراغاً في المكتبة العربية ، والله ولي التوفيق .

القاهرة في { ٢٤ من رمضان سنة ١٣٨٧ هـ - إبراهيم علي طرخان
٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م

الاقطاع في بلاد الشرق الأوسط

جزوب
مَعِينِ التَّارِيحِ
لأهل التَّارِيحِ

جزوب
مَعِينِ التَّارِخِ
لأهل التَّارِخِ

الدولة البويحية والإقطاع الحربي - السلاجقة والإقطاع الحربي -
مقارنة بين نظام الملك والملك ولهاام الفاتح - التوزيع الإقطاعي
الحربي بين أمراء الجيش السلجوقي - إقطاع قسبة الدولة آق سنقر .
التوزيع الإقطاعي بين أبناء الأسرة السلجوقية المالكة - الدولة
الزنكية والإقطاع الحربي - إقطاعات نجم الدين وأسد الدين في
الدولة الزنكية - الدولة الأيوبية والإقطاع الحربي - توزيع أراضي
مصر لأول مرة ، إقطاعات بين السلطان وأمراء وأجناده - بعض
إقطاعات أمراء البيت الأيوبي - بعض إقطاعات الأمراء
والأجناد - خلع صلاح الدين والتوزيع الإقطاعي الحربي -
الصالح نجم الدين أيوب وإنشاء فرقة المماليك البحرية الصالحية -
الدويلات الصليبية بالشام والإقطاع الأوربي - ملجى سريران
الإقطاع في بلاد الشرق الأوسط .

مرحلة من مراحل التطور في تاريخ النظم ، شهدها الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، تلك هي ظاهرة إحلال الإقطاع محل العطاء أو الرواتب لرجال الجيش .

يقول أحمد بن علي المقرئ :

« واعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن تجبي أموال الخراج ثم تفرق في الأمراء والعمال والأجناد ، على قدر رتبهم ، وبحسب مقاديرهم ، وكان يقال لذلك ، في صدر الإسلام « العطاء » (١) ، وما زال الأمر على ذلك إلى أن كانت دولة العجم ، تغير هذا الرسم ، وفرقت الأراضي إقطاعات على الجند . وأول من عرف أنه فرق الإقطاعات ، الملك أبو علي الحسن بن علي ابن العباس وزير البرشلان (ألب أرسلان) بن داود بن ميكال بن سلجوق ، ثم وزر (أبو علي) لابنه ملكشاه ، وذلك أن مملكته اتسعت ، فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل ، على قدر طاقته (٢) . »

والملاحظ :

أولاً - أن « نظام الملك » الفارسي الأصل ، والذي وزر لألب أرسلان (٤٥٧-٤٦٥ = ١٠٦٥-١٠٧٢ م) ولابنه ملكشاه من بعده (٤٦٥-٤٨٥ = ١٠٧٢-١٠٩٢ م) ، وهما من الأتراك الغز ، لم يكن المبتكر لهذا النظام ، وإن كان هو الذي عممه ؛ فقد سبقه إليه بنو جلندة من البويهيين ، الذين استبدوا بالخلافة العباسية في

بغداد ما أُرْبِي على قرن من الزمان (٣٢٠-٤٤٧ هـ = ٩٣٢ -
١٠٥٥ م) .

ثانياً - إن بني بويه قد أساموا التصرف في حكومتهم حتى خربوا البلاد ،
مما حدا بنظام الملك أن يعالج الأمر ، كما ترامى له ، وقد شهد نظام
الملك هذا النظام وعرفه عند بني بويه .

ثالثاً - أن دولة السلاجقة ، الثابتة في تربة الخلافة العباسية ، قد اتسعت
اتساعاً عظيماً ، فامتد نفوذها من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى قلب
آسيا الصغرى غرباً ومن أعالي الفرات شمالاً إلى اليمن جنوباً ،
وهذه هي ذروة النفوذ السلجوقي ، التي وصلت إليها دولتهم
زمن ملكشاه (٢) .

رابعاً - أن هذه الإقطاعات لم تكن تملكاً وإنما كانت استغلالاً ، بمعنى لم
يملك المقطع حق الرقبة ، بل له حق الاستغلال أو الارتفاق ،
وحتى إذا ورث الخندي أباه ، فإنه لا يرث إلا حق الاستغلال ،
وهذا هو وجه الخلاف الكبير بين الإقطاع في الشرق ونظيره
في الغرب .

خامساً- تضمن الإقطاع في الشرق الأوسط معنى الحكم والولاية .

سادساً- لم يكن هذا النظام الذي أوجده البويهيون وعممه السلاجقة ،
النظام الإقطاعي الوحيد المعروف في جميع بلاد الشرق الأوسط في
تلك العصور ، فقد وجد بجانبه إقطاع غربي انتقل مع الصليبيين من
أوروبا إلى الدويلات الصليبية بالشرق الأوسط .

سابعاً - مع اختلاف النظامين في الخصائص الجوهرية ، هناك أوجه شبه
كثيرة بينهما في التفاصيل ، وعلى الأخص في مجال استغلال
الإقطاع ، وما حاق بالفلاحين من ظلم ، كما أن بعض مظاهر
الإقطاع الغربي ، وهو ما عبر عنه النويري « بالأراضي المقصولة »
أي التابعة « للفصل » ، وهو التابع Vassal في المصطلح الإقطاعي

الغربي ، ظلت هذه باسمها وطريقة استغلالها بعد انتقالها من أيدي الصليبيين (٤) .

ثامناً - انتقل هذا النظام عن السلاجقة إلى الدولة الزنكية فالدولة الأيوبية ثم إلى دولة المماليك ، وهي الدولة الإقطاعية الكبرى ، التي قامت في الشرق الأوسط خلال تلك العصور .

لقد بلغ من شدة ضعف الخلافة العباسية وتسلط بني بويه(٥) ، أن أحد سلاطين بني بويه، وهو معز الدولة أبو الحسين أحمد، اعتقل الخليفة العباسي المستكفي (٣٣٣ - ٨٣٣٤ = ٩٤٦ م) في داره وضيقة، عليه ، حتى خلع نفسه ، وولى بدلته ، الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٨٣٦٣ = ٩٤٦ - ٩٧٤ م) ، وتسلم معز الدولة البويهي وجنوده من الديلم وغيرهم أعمال العراق ولاية وإقطاعاً ، وأقطع قاداته وأصحابه من أهل عصبته وخواصه وأترাকে جميع ما امتدت إليه يده : من ضياع الخلافة ، « وضياع المستزين » ، وزاد على ذلك حتى أقطع أنصاره حقوق بيت المال في ضياع الرعية(٦) . ومن الضياع التي أقطعها ، ضياع أبي جعفر محمد بن يحيى بن شير زاد ، وكان يخدم عند معز الدولة ، لكنه تغير عليه وصادره(٧) .

وقد أهمل الكثير من هؤلاء الأنصار المقطعين ، في عمارة ما أقطعوا ، وصار من السهل على هؤلاء ، أن يخربوا إقطاعاتهم ويردوها ، فيعتاضوا عنها من حيث يختارون(٨) . وازداد الأمر سوءاً حين اعتمد المقطعون على وكلائهم في إدارة إقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات(٩) . وفي زمن بختيار بن معز الدولة ، انفقت كلمة الأتراك وغللمان الحجر في عام ٨٣٥٦ = ٩٦٧ م ، ألا يعارض كل فريق صاحبه في « طلب الحظ لنفسه » فاضطر بختيار إلى أن يضمن لهم جميع ما تمسوه ، وأجبر وزراءه على الاحتيال للمال وجمعه « من أين كان وكيف كان »(١٠) ، كما أن العلاء ابن الحسن ، أحد وزراء صمصام الدولة بن بختيار ، وقد عاد إلى الوزارة عام ٨٣٨٢ = ٩٩٢ م ، وقلبه مغم غيظاً وحنقاً ، بسبب ما لحقه وأهله على

يد السلطان البيهسي : « أهلك دولته بإقطاع الإقطاعات وإيجاب الزيادات وتمزيق الأموال وتسليم الأعمال (١١) » .



وهكذا أدى سوء تصرف بنى يويه وأعوانهم إلى خراب البلاد ، فضلاً عن إقصاء السكان العرب عن بلادهم تدريجياً (١٢) ، وكثرة الفتن والاضطرابات ، وهذا ما حدا بأصحاب السلطة الجديدة في بغداد إلى إعادة النظر في النظم القائمة ، وعلاجها على النحو الذى بدأ لهم .

ولهذا ، علل البندارى مؤرخ السلاجقة ، ما قام به نظام الملك ، بقوله : رأى نظام الملك أن « الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع — أى إيراد أودخل — لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد إقطاعات وجعلها لهم حاصلًا وارتفاعاً ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها . . . (١٣) » .

وربما كان للخطر الخارجى أثره ، فى اتخاذ السلاجقة هذه الخطوة ، فإن العداوة المزمع مع الدولة البيزنطية لم ينته بعد ، وكانت هذه الدولة حديثة العهد بالهزيمة الساحقة التى أنزلها بها ألب أرسلان فى وقعة ملاذكرد (مازنكرت) عام ١٠٧١ م ، حيث وقع الإمبراطور البيزنطى أيوجين Eugenius أسيراً .

وتوالت استغاثات بيزنطية بالغرب المسيحى ، فاستجده الإمبراطور ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨) بالبابا جريجورى السابع ، كما وصلت استغاثات الإمبراطور الكسيوس كومنين (Alexius) فى عام ١٠٨٧ ، ثم ١٠٨٨ م إلى سادة الإقطاع فى أوروبا أمثال بالدوين كونت فلاندرز ، ثم إلى البابا أربان الثانى .

على أن « نظام الملك » ، لم يرد أن يكون نظامه الحديد صورة لما شهده فى العهد البيهسي ، بل أراد منه أن يحقق الأغراض التى من أجلها أقامه ، وربما أدرك يبعده خطورة هذا النظام على السلطة المركزية ، وعلى أحوال الأمن ، فاتخذ إجراءً وقائياً ، بأن فرق إقطاع الهندى الواحد فى بلاد

مختلفة ، ولم يجعله حملة واحدة في بلد واحد ، حتى لا يقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطراً على كيان الدولة .

يقول الفتح بن علي البنداري : « وربما قرر - أي نظام الملك - لواحد من الخند ألف دينار في السنة ، فوجه نصفه على بلد من الروم - أي في الأملاك السلجوقية بآسيا الصغرى - ونصفه على وجه في أقصى خراسان ، وصاحب القرار راض (١٤) » .

وحدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البنداري : « عندما عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالات الخدمات للحضرة ، والوصول بالساكر الحمة . . . » (١٥) .

ولظاهرة تفرقة الإقطاع الواحد في جهات متباعدة شبيه في أوروبا المعاصرة ، إذ أن الوقت الذي عمم فيه الإقطاع الحربي بالشرق الأوسط ، يقابل عصر الفتح التورماني لإنجلترا وإدخال النظام الإقطاعي فيها ، متقولا من نورمانديا بفرنسا ، أو تدعيم النظام الإقطاعي القائم فعلا في بلاد الأنجلو سكسون .

وجد وليام الفاتح التورماني ، أن المجتمع الأنجلو سكسوني يشبه المجتمع الفرنسي من بعض الوجوه ، فسهل عليه أن يقيم الإقطاع الحربي أو يدعمه ، وأن يقيم نظام الدائرة Manor ، فثلا جدمطبة من النبلاء عليها التزامات حربية نحو الملكية الأنجلو سكسونية الدائلة ، كالدماغ عن البلاد وحفظ الأمن ، والتزامات إدارية مثل جمع الضرائب ونحوها ، ولهم سلطة قضائية في محاكم المقاطعات (١٦) .

على أن أول ما عنى به وليام الفاتح ، هو تنظيم القوة الحربية وعلاج الحالة المالية ، ليستطيع المحافظة على الأمن والنظام ، وليضمن في الوقت نفسه تمكين لأسرته في حكم البلاد ، فبدأ بتوزيع الأراضي على أتباعه ، على أساس الخدمة الحربية الإقطاعية ، وذلك على النسق الذي مارسه في دوقية نورمانديا بفرنسا (١٧) ، وإن تميز هذا النظام بطابع خاص عبر المانش (١٨) . احتاط « وليام التورماني » ، احتياطاً يشبه ما فعله « نظام الملك » ،

فلم يمكن أتباعه من حيازة إقطاعات واسعة مرتبطة ببعضها ، حتى يمكن أن يقال إنها انعدمت تقريباً في التوزيع الإقطاعي الحربي النورماني ، بعد أن رثوليام البلاد وأصدر كتاب الروك Domesday Book . وإذا وجدت آحاد من هذا النوع المندمج في بعضه ، فلإنها بلغت من الندرة بحيث لم يعتد بها ، وكانت في الواقع نتيجة أنهما من إقطاعات أحد السادة الإقطاعيين الأنجلوسكسون ، ثم حازها التابع النورماني الحديد كما هي ، ولكن القاعدة العامة في توزيع وليام ، هي بعثرة الإقطاع الواحد في جهات متباعدة ، وربما لم يكن هذا ابتداءً من وليام النورماني ، وإن كان هو صاحب الفضل في تنظيمه وتوجيهه لخدمته التاج ، إذ المعروف في العصور الوسطى بغرب أوروبا الإلحاق في هذا التوزيع المبعثر ، كما هو القاعدة العامة لئلا كل مقطع نصيبه من الأراضي الحليدة والريضة على السواء ، ووجدت محاولات كثيرة من جانب الأمراء والنبلاء الأقيواء خلال تلك العصور ، في سبيل ضم أجزاء إقطاعاتهم إلى بعضها البعض (١٩) .

ولكى يضمن وليام الفاتح ولاء الأتباع بعد هذا التوزيع ، دعا جميع الزراع الأحرار سواء أكانوا من مرتبة الفرسان أو غيرها ، من الإنجليز أو النورمان ، لمؤتمر عام عقد في مدينة سوسلبروري عام ١٠٨٦ م Moot of Salisbury وأخذ عليهم موثقاً يقسم أنفسهم أن يكونوا مخلصين له مستعدين للدفاع عنه ضد كل الغزاة (٢٠) ، لذا كان له بمقتضى هذا التنظيم والتدعيم أن يتدب كل الجيش الإقطاعي في أية مناسبة يراها ضرورية ، واستغل في ذلك ما كان معروفاً لدى الأنجلوسكسون من نظام التعبئة العامة fyrd ، وفي ذلك يوجد شبه بينه وبين ما ألفه فريق من الأمراء أو ملوك الإسلام — على حد قول صاحب النجوم (٢١) — وهم كبار الأمراء المقطعين ، مثل شرف الدين مودود صاحب الموصل وقطب الدين سكان بن أرتق صاحب ديار بكر اللذين دعاهما السلطان محمد الساجوق عام ٥٠٤ هـ = ١١١٠ م للحرب الصابيين كما دعا آق سقر البرسقي صاحب همذان ، ولشدة ولاء الأخير وأهمية الجهاد لدفع العدو ، وصل وهو يعاني المرض (٢٢) .

والمعروف أن القوة العاملة تحت كنف السلطان السلجوقي، كانت تعرف باسم «المسكر» على حين أطلقت كلمة «الهند» أو «الخنود» على القوات المحلية في الإقطاعات^(٢٢) وهذا يشبه تقسيم الخنود في دولة الموحدين بمراكش إلى «جموع» وهم المرتزقة المقيمون بمراكش لا يرحلونها و «العموم» وهم الكاتنون ببلادهم ولا يحضرون إلى مراكش إلا في التغيير العام^(٢٤).

ومن أمثلة التوزيع الإقطاعي الحربي عند السلاجقة، إقطاع الأمير إيتاخ في مازندران، زمن السلطان ألب أرسلان عام ٥٤٥٨ = ١٠٦٦م^(٢٥)، والإقطاع الكبير الذي ظفر به محمد بن محمد بن قريش العقيلي، من السلطان ملكشاه عام ٥٤٦٩ = ١٠٧٦م، وكان يشمل الموصل وحران والرجة وأعمالها وسروج والرقه والخابور، وبجانب هذا الإقطاع الضخم زوجه السلطان ملكشاه من أخته خاتون زليخة، فتسلم ابن قريش جميع هذه الأعمال ماعدا حران التي امتنع مقاطعها محمد بن المشاطر عن تسليمها إلا بناء على أمر السلطان^(٢٦)، وأقطع ملكشاه كذلك سالم بن مالك العقيلي، وهو من أسرة العقيلي السابقة، قلعة جعبر، بعد أن أخذ منه دمشق وحلب^(٢٧)، وهذه من الأسر العربية الكبيرة التي حازت الإقطاع الحربي في العصر السلجوقي^(٢٨)، ومن الأمراء التركمان الذين أقطعهم ملكشاه في سنة ٥٤٧٧ = ١٠٨٤م الأمير يوزان، وإقطاعه الرها وحران وقلعة حلب بعد أن فتحها في السنة نفسها^(٢٩)، وبلغت عبءة إقطاع الأمير أحمدبيل بن إبراهيم بن وهوزان الروادي الكردي في المراغة^(٣٠) ٤٠٠,٠٠٠ دينار في السنة، وكان يركب في خمسة آلاف فارس^(٣١)، وأقر ملكشاه على بن المقلد بن نصر بن منقذ الكتاني العربي على شيزر، وبعد وفاته في سنة ٥٤٧٩ = ١٠٨٦م انتقلت لابنه نصر فسلم إلى ملكشاه اللاذقية وقامية وكفر طاب ودخل في طاعته، فأمره عليها والياً ومقطعاً، ومن عماليك السلطان ملكشاه الأمير قاعاز الأرجواني الذي أقطعته الكوفة^(٣٢)، وشمل إقطاع ياغي سيان أنطاكية وظل بها حتى زحف عليها الصليبيون في الحملة الأولى^(٣٣)، ومن كبار الأمراء وأعيان القادة آق سنقر الملقب بقسيم الدولة

أبو عماد الدين زنكي ، كان من أصحاب السلطان ركن الدين ملكشاه ، وقد تربى معه فجمعه من « أعيان أمرائه وأخص أوليائه » حتى كان يتقيه مثل « نظام الملك » ، ولذلك أشار على السلطان بأن يوليه حلب وأعمالها والياً ومقطعاً ليعده عن السلطان، وفي الوقت نفسه يتخذ عنده بدأ بذلك ، فأقطعه السلطان ملكشاه قلعة حلب وأعمالها وحماه ومنيج واللاذقية وبامعها ، وظلت هذه الإقطاعات بيده ، واحترمه ملوك السلاجقة لولائه وجهاده معهم (٢٤) حتى قتل سنة ٥٤٨٧ - (٢٥) ١٠٩٤ م . ومن الأمراء الذين حازوا الإقطاعات في عهد السلطان محمد السلجوق الأمير جاولي ، إذ أقطعه السلطان في سنة ٥٥١ - ١١٠٨ م الموصل وأعمالها وما كان بيد الأمير جكرمش ، فلما توجه الجاولي لتسلم الإقطاع اضطر إلى حرب جكرمش حتى انتصر عليه ، غير أن أهل الموصل رغبوا عن الجاولي وراسلوا قليج أرسلان بن سليمان السلجوق صاحب الروم فجاء وتسلم الموصل وألجأه الجاولي إلى الحرب ثم عاد الجاولي وهزم قليج أرسلان ودخل الموصل ، ولكن صدوف أهلها عنه حل السلطان محمد على أن يقطعه جهة أخرى فأقطعه فارس وأقطع الموصل لآق ستر البرسقي (٢٦) ثم استرد السلطان محمد الموصل من البرسقي عام ٥٥٩ = ١١١٥ م وأقطعه الأمير جبوس بك وظل البرسقي في إقطاعه بالمراغة حتى استرد الموصل ثانية في عهد السلطان محمود في عام ٥١٥ = ١١٢١ م (٢٧) .

وربما كان إقطاع قسم الدولة آق ستر أبي عماد الدين زنكي ، أهم هذه الإقطاعات لأن زنكي ترسم خطوات أبيه وصار أقوى الإقطاعيين في عصره حتى امتدت دولته الإقطاعية من حلب إلى الموصل ، ذلك أن عماد الدين زنكي حاز لنفسه الإقطاعات بالإضافة إلى ما أخذ عن أبيه ، فاتصل بالأمير شرف الدولة مودود صاحب إقطاع الموصل منذ عهد السلطان محمد بن ملكشاه (٢٨) وصار أتابكاً له ، ثم حصل على إقطاع واسط في سنة ٥١٦ = ١١٢٢ م وصارت شحنجية البصرة (٢٩) إقطاعاً له سنة ٥١٦ = ١١٢٢ م ، ثم انحاز

إلى جانب الخليفة المسترشد العباسي والبرسقي (٤٠) ضد الأمير ديبس بن صدقة الأسيدي صاحب الحلة ، فانهزم ديبس وهرب إلى الملك طغرل ابن السلطان محمد ، ولما نهبت العرب البصرة سنة ٥١٧هـ = ١١٢٣م أرسل السلطان محمود السلجوقي الأتابك زنكي إليها وأقطعها إياها فضلا عن شحنجيتها ، ثم أضيفت إليه شحنجية بغداد والعراق مضافاً إلى ما بيده من الإقطاع ، ويرجع إستان شحنجية بغداد والعراق لزنكي إلى أن السلطان محمود السلجوقي خشي الخليفة المسترشد بعد أن وضحت له قوته في الحرب التي نشبت بينهما سنة ٥٢١هـ = ١١٢٧م فرأى أن يستد هذين المنصبين إلى من يعطمن إليهما من الأمراء الإقطاعيين المخلصين للسلاجقة ، فكان زنكي خير من يؤمن معه من الخليفة (٤١) . ولما توفى البرسقي صاحب إقطاع الموصل سنة ٥٢٠هـ = ١١٢٦م رأى السلطان محمود أن يقطعها إلى زنكي دون غيره لمكانته وشجاعته ، وكتب له منشوراً بها في سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٨ / ١١٢٩م (٤٢) ، ثم أضيفت إليه الجزيرة العليا ، ومنحه السلطان محمود لقب «أتابك» وأرسل الخليفة إليه «العهد والعقد» كما جرت التقاليد (٤٣) ، وتأسست بذلك الأسرة الأتابكية بالموصل .

ومن التوزيع الإقطاعي ما كان اقتساماً للبلاد بين أمراء البيت السلجوقي ، ومثال ذلك قيام ألب أرسلان بعد أخذ العهد لابنه ملكشاه سنة ٤٥٨هـ — ١٠٦٥م بإقطاع آسيا الصغرى لابن عمه سليمان بن قلمش بن إسرائيل بن سلجوقي ، (٤٤) وبلغ لأخيه سليمان بن داود بن جفري بك ، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغون ومرو لابنه أرسلان شاه ، وصغانيان وطخارستان لأخيه إلياس ، وولاية بقشور ونواحها لمسعود بن أرتاش ، وولاية اسفراز لمودود بن أرتاش ، وهما من أقارب السلطان (٤٥) ، وكل ذلك بين أعضاء البيت السلجوقي بعد موافقتهم على تولية ملكشاه بعد أبيه ألب أرسلان . وفعل ملكشاه مثل ذلك من حيث التوزيع بين أهله وذوي قرابته حتى لا يثروا عليه ، فأقطع سنة ٤٧٠هـ = ١٠٧٧م أخاه تاج الدولة تنش في بلاد الشام : دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية وبيت المقدس ، فضلاً عما يفتح تنش من البلاد ،

فزحف تتش إلى الشام واستولى على بلاده كلها بعد أن هزم أتسر
التركاني (٤٦) ، ثم استولى على فلسطين (٤٧) التي أقطعها بنوره للأمير
أرتق بك بن أكسب التركاني (٤٨) .

وعلى أثر وفاة ملكشاه سنة ١٤٨٥م = ١٠٩٢م انقسم أبناؤه البلاد فأخذ بكياروق
أوبيك ياروق - بمعنى البك اللامع - بلاد الري وخوستان وطبرستان
وفارس وديار بكر والحزيرة والحرمين ، وأخذ محمد بن ملكشاه ، وهو الذي
تولى السلطنة بعد أبيه في بغداد بلاد العراق جميعه إلا تكريت البطائح ، (٤٩)
كما أخذ أرمينية وأصبهان وأران وأذربيجان ، والخطبة له في أذربيجان ، وأخذ
سنجر من خراسان إلى ماوراء النهر (٥٠) . وبعد وفاة السلطان محمد سنة ٥١١م =
١١١٧م وتولية ابنه محمود السلطنة من بعده في بغداد ، نازعه عمه سنجر
شاه وحاربه وهزمه سنة ٥١٢م = ١١١٨م ، فعاد محمود إلى عمه بغير عهد
فأكرمه وأقطعته من البلاد من حد خراسان إلى الداروم بجنوب فلسطين ،
وشملت مملكته همدان وأصبهان والجليل جميعه وكرمان وفارس وخوستان
والعراق وأذربيجان وأرمينية وديار بكر وبلاد الموصل والحزيرة وديار مصر
وديار ريبة والشام وبلاد الروم التي بيد قليج أرسلان (٥١) ، وقد رأى ابن
الأثير منشوره بذلك (٥٢) ، وشمل إقطاع الملك طغرل بن السلطان محمد بلاد
ساوه وآوه ، وزنجان ، وأتابكه شركير ، ويقال : إن السلطان محمود منح
طغرل ثلاثين ألف دينار وودعه بإقطاع كبير (٥٣) .

ولقد انتقل النظام الإقطاعي الحربي كاملاً إلى الدول التي نبتت وتفرعت
في أحضان السلاجقة ، ثم ورثهم من بعد ، وهذه الدول هي : الدولة الزنكية
والدولة الأيوبية ثم دولة المماليك . والدولة السلجوقية نفسها أخذت هذا
النظام عن معاصريهم وأسلافهم في حكم العراق وغيره ، من بني بويه .
يقول ابن تغرى بردى :

«أنشأ بنو بويه بني سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بني أرتق وآق سنقر
جد بني زنكي ، ثم أنشأ بنو زنكي بني أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ

بنوأيوب الماليك ودولة الترك . . . فانظر إلى أمر الدنيا وكيف كل طائفة
نعمة طائفة ونشوها إلى يومنا هذا (٥٤) ، أي إلى أيام ابن تغرى بردى في القرن
الخامس عشر الميلادي .

ومن أمثلة كبار الأمراء الذين حازوا الإقطاعات الحربية زمن الدولة
الزنكية ، نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، فقد أقطعهما عماد الدين
زنكي في عام ٥٥٣٣ = ١١٣٨م إقطاعاً «سنيّاً» في شهر زور ، بشمال العراق ،
وأفرد أسد الدين بإقطاع الموزر ، وبذلك صار هذان الفارسان من أجناده .
والملاحظ أن نجم الدين وأخاه أسد الدين ، كانا قد انصلا بخدمة زنكي
على أثر رحيلهما من تكريت (٥٥) وسار نور الدين بن زنكي على سنة أبيهما أساتذته
السلاجقة في منح الإقطاعات الحربية ، من ذلك أن نور الدين بعد استيلائه على
دمشق سنة ٥٤٩ هـ (٥٦) = ١١٥٤ م ، عوض صاحبها مجير الدين ، من سلالة
طلعتكن ، بإقطاعه عدة ضياع بأعمال حمص ، كما أقطع شهاب الدين على
ابن مالك العقيلي ، إقطاعاً كبيراً شمل سروج والملاحه والباب وبزاغة (٥٧)
قرب حلب ، وعلق ابن الأثير على هذا الإقطاع بقوله : «وهذا إقطاع عظيم
جداً» (٥٨) . والملاحظ أن هذا الإقطاع كان تعويضاً عن قلعة جعبر التي
كانت بيد ابن مالك العقيلي عن آبائه منذ عهد ملكشاه .

ثم إن نجم الدين وأخاه أسد الدين ظفرا بالإقطاعات الوفيرة نظير
خدمتهما لنور الدين من بعد أبيه ، ولاسيما خلال استيلائه على دمشق ،
وشمل إقطاع أسد الدين حمص والرحبة . ومن أمراء نور الدين الذين أقطعوا ،
الأمير حسان المنبجي صاحب إقطاع منبج (٥٩) ، وقد نقله نور الدين عام ٥٦٣
١١٦٧م إلى الرها واليأ ومقطعاً ، فظل حسان بالرها حتى أخذها صلاح الدين
من يد أبنائه في سنة ٥٧٢ هـ = ١١٧٦م (٦٠) ، وكذلك أقطع نور الدين رضيعه
مجد الدين أبا بكر بن الداية ، وكان إقطاعه حلب وحمص وقلعة جعبر (٦١) ،
ثم أقرها نور الدين في يد أخيه علي بن الداية بعد وفاته سنة ٥٦٥ = ١١٦٩م ،
وأقطع نور الدين كذلك فخر الدين مسعود بن الزعفراني حمص وحمه وقلعة

بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة (٦٢) ، كما أقطع أمراء العراق الإقطاعات لحفظ طريق الحجاج بين الشام والحجاز ، ولمثل هذا الهدف أقطع أمير مكة إقطاعاً وافراً (٦٣) .

ومن الأمراء الذين أفرهم نور الدين على ما بأيديهم ، بنوبخت القحطاني ، ويعرفون بأمراء بني الغرب ، نسبة لملكهم على قسم كبير من غربي لبنان ، وكانت إقطاعاتهم بغير مناشير قبل عام ٥٤٢٠ = ١٠٢٩ م لا يعرفون دركا . ولا متاغرة ولا عدة جند ولم يحرم عليهم عبدة لإقطاع ولا غيره ، ثم في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند (٦٤) ... ومعنى ذلك أنهم بقوا حتى أواخر السيادة الفاطمية بالشام ، حتى أفرهم نور الدين بعد أن جعل عليهم عدة من الجند وكتب لهم منشوراً بتاريخ ٧ من رجب سنة ٥٦٠ (١١٧٠ م) بين فيه جهات إقطاعاتهم ، وحدد فيه عدد الفرسان الذين يتقدمون بهم وقت المهمات الشريفة . ويلاحظ أن تحديد العدد بأربعين فارساً ليس إلا لبيان العدد الأدنى الذي ينبغي للمقطع أن يتقدم به ، بدليل قوله في المنشور « والعدة أربعون فارساً وما أمكنه » ، وبدل هذا التحديد من ناحية أخرى على مرتبة الإمارة التي نالها المقطع (٦٥) ؛ وفي أواخر أيام نور الدين ، حصل جمال الدين حجي على منشور بإضافة بلدة أخرى إلى إقطاعه على أن تكون الإضافة باسم ثمانية نفر من بني الغرب ، وذلك بتاريخ أواخر رمضان سنة ٥٦٠ (١١٦٩ م) (٦٦) .

هناك أسر إقطاعية غير آل تنوخ في لبنان في عهده الإقطاعي ، وقد بقيت هذه الأسر حتى الفتح العثماني فأقرت على إقطاعاتها كما أتى عليها بعض نفوذها (٦٧) .

وطبيعي أن تسير الدولة الأيوبية في التوزيع الإقطاعي الحربي ، على سنن أسانئذتها من السلاجقة وآل زنكي . وقد بدأ صلاح الدين الأيوبي هذا التوزيع فعلاً ، منذ صار نائباً لنور الدين بعد وفاة العاضد الفاطمي عام ٥٦٧ = ١١٧١ م ، وقبل أن يستقل بالبلاد ، بل بدأت عملية التوزيع على العساكر منذ وزارة أسد الدين شيركوه للخليفة العاضد الفاطمي (٦٨) .

حدث عندما بعث نور الدين إلى صلاح الدين في عام ٥٦٩ = ١١٧٣ م

بطلب إليه موافاته بحساب الإيرادات التي حصلها في مصر ، أن اضطر صلاح الدين إلى إطلاع سفير نور الدين على «جرائد الأجناد بمبالغ لإقطاعهم وتعيين جامكياتهم» (٧٠) ورواتب نفقاتهم ، وذلك على قول أبي شامة (٧٠) ، ثم قال للسفير ، بعد أن زوده بهدية ، : «ولا يضبط هذا الإقليم العظيم — أي مصر — إلا بالمال الكثير ، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماءها ، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة ، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسحون بأن ينقص من ارتفاعها» (٧١) .

ويذكر القاضي الفاضل في متجددات عام ٥٧٧هـ = ١١٨١ م . واستمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الإقطاعات ومعرفة غيرها ، والنقص منها والزيادة فيها ، وإثبات الخروم وزيادة المشكور إلى أن استقرت العدة على ٦٤٨.٠٠٠ فارس ، منهم أمراء مائة وأحد عشر أميراً طواشياً : ٦٩٧٦ أميراً ، وقر غلاميه ١٥٥٣ غلاماً . والمستقر لهم جميعاً من المال : ٣٦٠٠.٠٧٥ ديناراً ، وذلك خارج عن المحلولين من الأجناد الموسمين بالحوالة على العشر ، وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة ، وعن الكتابين والمصريين والفقهاء والقضاة والصوفية ، وعمما يجري بالدينار ، ولا يقصر مجموعه عن ألف ألف دينار ...» (٧٢) .

ولأول مرة في تاريخ مصر ، توزع البلاد إقطاعات بين السلطان وجنوده منذ قيام الدولة الأيوبية فيها ، يقول المقرئ :

«واعلم أنه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولافيها قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد ، إقطاعات ، بمعنى ما عليه الحال اليوم ، — أي زمن المقرئ في القرن الخامس عشر الميلادي — وإنما كانت البلاد تضمن بقبالات» (٧٣) معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم ...» (٧٤) . وفي موضع آخر يقول :

«وأما منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا ، فإن أراضي مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده» (٧٥) .
وليس معنى هذا أن جميع الأراضي كانت تقطع ، فهناك أراضي الأوقاف على أعمال البر والمنشآت الخيرية ، وهناك الملك الحر ، ولكن

المقرري عم الإقطاع في الأراضي كلها ، لأن الأراضي غير الإقطاعية لم تكن شيئاً مذكوراً بالقياس إلى الأرض المقطعة .

يقول القلقشندي :

وكانت الأرزاق في عهد الأيوبيين تجرى على نوعين : الإقطاعات ، وتجري في مصر على الأمراء والهند ، وعمامة إقطاعاتهم بلاد وأرض ، يستغلها مقطعها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات ، وهو القليل ، ويختلف حال أربابها . ورزق أرباب الأقاليم (٧٦) . وحررت العادة ، أن يقدر دخل البلاد ، وعلى أساس هذا التقدير أو التخمين - في لغة العصر - ، توزع البلاد إقطاعات بين السلطان وأمرائه وأجناده ، وهذه عبء الوجهين البحري والقبلي حسب روك صلاح الدين عام ٨٥٧٢ = ١١٧٦ م :

الوجه البحري

اسم الجهة	مقدار العبوة بالأرقام	بالتينار الإقطاعي بالمسروف
ضواحي نهر الإسكندرية ..	٨٠٠ ر ٠٣٨	ثمانمائة ألف وثمانية وثلاثون ديناراً
نهر رشيد ..	٢٠٠٠	ألفان
البحيرة ..	١١٥ ر ٦٧٥	مائة ألف وخمسة عشر ألفاً وسبعمائة وخمسة وسبعين .
حوف رمسيس ..	٩٢ ر ٤٠٣	اثنان وتسعون ألفاً وأربعمائة وثلاثة .
المزاحمة (أ) وجزيرة بن نصر ..	١١٢ ر ٦٤٦	مائة ألف واثنا عشر ألفاً وسبعمائة وستة وأربعون
(ب) جزيرة قويسنا ..	١٣٠ ر ٥٩٢	مائة ألف وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وتسعون
الغربية ..	٦٧٤ ر ٦٠٥	سبعمائة ألف وأربعة وسبعون ألفاً وسبعمائة وخمسة
السنودية ..	١٤٥ ر ٠٧٤	مائة ألف وخمسة وأربعون ألفاً وأربعة وسبعون
المنوفية ..	١٤٨ ر ٣٤٧	مائة ألف وثمانية وأربعون ألفاً وثلاثمائة وسبعة وأربعون

الوجه القبلي

بالدينار الإقطاعي بالحروف	مقدار العبرة بالأرقام	اسم الجهة
مائة ألف وثلاثة وخمسون ألفاً ومائتان وأربعة	١٥٣٢٠٤	الجزيرة
ستون ألفاً وأربعمائة وستون	٦٠٤٦٠	البحيرية
ثلاثمائة ألف واثنان وخمسون ألفاً ومائة وأربعة وثلاثون	٣٥٢٦٣٤	البيضية
خسة وعشرون ألفاً	٢٥٠٠٠	الواحات المتاخمة والخارجة (وواح البهنا)
تسعة وخمسون ألفاً وسبعمائة وثمانية وعشرون	٥٩٧٢٨	الأطفيحية
مائة ألف واثنان وخمسون ألفاً ومائة وأربعة وثلاثون	١٥٢٦٣٤	القبورية
مائة ألف وسبعة وأربعون ألفاً وسبعمائة واثنان وثلاثون	١٤٧٧٣٢	الأشوليين
اثنان وسبعون ألفاً وخمسمائة وأربعة	٧٢٥٠٤	السيوطية خارجاً عن منقلاط ومنقلاط
مائة ألف وثمانية ألف وثمانمائة والثنا عشر	١٠٨٨١٢	الأخيمية
ثلاثمائة ألف واثنان وستون ألفاً وخمسمائة	٣٦٢٥٠٠	القوصية
خسة وعشرون ألف	٢٥٠٠٠	نفر أسوان

ولاشك في أن التقدير كان يتغير من سنة إلى أخرى ، تبعاً لما يصيب البلاد من نقص المحصول لانخفاض النيل أو طغيانه ، أو للإهمال وأشباهه من العوامل التي تؤدي إلى نقص المحاصيل أو زيادتها ، لذلك كانت العبرة دائمة التغير . ويتبع هذا التغير، تغيير في عبدة إقطاع كل طائفة من حين إلى آخر ، فمثلاً استقرت العبرة في سنة ١٥٨٥ = ١١٨٩ م على هذا النحو :

الديوان العسالى	ديناراً
الأمرء والأجناد المرسوم بإبقائهم فى إقطاعاتهم								
بالأعمال المذكورة (سابقاً) :	ديناراً
ديوان السور المبارك والأشراف :	ديناراً
العربان	ديناراً
القضاة والشيوخ	ديناراً
الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتنبس وغيرهم	ديناراً

وبمعنى آخر، تدل هذه الأرقام على المبالغ المخصصة للأبواب المعينة ، ولذلك يفردها الأرباب من منابع لإيراد ما يكتفى للحصول على هذه المبالغ . والمقصود بالديوان العالى خزانة السلطان ويعبر عنها أحياناً بالديوان السلطانى ، ويجيء دخلها من الحقوق الديوانية أو المعاملات السلطانية وهذا غير ديوان الخاص الملكى أو ديوان الخاص السلطانى ، الذى يشرف على الإقطاع السلطانى ، فمثلاً كان متحصل ديوان الخاص الملكى الناصرى (الناصر صلاح الدين) فى سنة ٥٥٨٧ = ١١٩١ بالدينار المصرية ٣٥٤ر٤٥٤ ديناراً ونصف وثلث وثمان (٧٧) .

ويلاحظ أن هذه المبالغ المقدرة تختلف عما يتحصل فعلاً فقد يزيد المتحصل وقد ينقص ، فمثلاً زاد ارتفاع الديوان السلطانى فى سنة ٥٥٨٧ - ١١٩١م عن ارتفاعه فى سنة ٥٥٨٦ = ١١٩٠م بمبلغ : ١٢ر٤٤٥ ديناراً ، والذى انعقد عليه ارتفاع هذا الديوان فى ٥٥٨٨ = ١١٩٢م : ٣٠٥٤ر٠٤٤ ديناراً ، كما أن مبلغ ما انسق من البواقي لتلك السنة (٥٥٨٨ = ١١٩٢م) : ٣١ر٦٢٢ ديناراً (٧٨) .

على هذا النحو كانت مصر توزع إقطاعياً بين السلطان وجنوده ، فى العهد الأيوبي ، وبجانب إقطاع السلطان أو الخاص السلطانى ، نجد إقطاعات بقية أفراد البيت الأيوبي ثم إقطاعات الأمرء والأجناد . وقد أقطع صلاح الدين أباه نجم الدين أيوب الإسكندرية ودمياط

والحجيرة (٧٩) حين حضر إلى مصر سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م واستقر فيها ، وأقطع أخاه شمس الدولة توران شاه : قوص وعيذاب وكان ذلك على أثر انتصاره على ثورة العيد (٨٠) ، وكانت عبرة هذا الإقطاع : مائتي ألف دينار سنة ٥٦٥هـ = ١١٦٩م ، منها عبرة قوص وحدها مائة ألف دينار في السنة (٨١) . وسير صلاح الدين إلى هذه البلاد قبل إقطاعها لأخيه ، الأمير « أرسلان بن دغشمش » لجباية خراجها ، فلما صارت إقطاعاً أرسل تورانشاه وكيلا من قبله هو شمس الخلافة محمد بن مختار (٨٢) .

ثم إن صلاح الدين أطلق يد أخيه تورانشاه في إقطاع مايفتح من البلاد لمن يشاء من أمرائه وخواصه ، ولذلك لما فتح تورانشاه النوبة في عام ٥٦٨هـ ١١٧٢م وعاد إلى قوص مركزاً لإقطاعه ، أقطع إبراهيم الكردي أحد أمرائه قلعة أبريم ، وأنفذ معه جماعة من الأكراد البطالين لمعاونته (٨٣) ، غير أنه يبدو أن شمس الدولة تورانشاه لم يقتنع بما له من الإقطاع في مصر ، وربما كان عدم اقتناعه هذا من بين الأسباب الكثيرة التي جعلته يقترح على صلاح الدين فتح اليمن بدليل أن أكثر بلاد اليمن صار إقطاعاً له بعد فتحها (٨٤) ، كذلك طلب توران شاه من أخيه صلاح الدين في عام ٥٧٤هـ = ١١٧٨م أن يقطعه بعلبك ، فأرسل السلطان إلى صاحبها شمس الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن المقدم ، لينزل عنها لتورنشاه ، فأبى ، فاضطر صلاح الدين لخاربه حتى أجبره على النزول عنها وتسلمها . ولكن تورانشاه نزل عن بعلبك في العام التالي وطلب الإسكندرية عوضاً عنها ، فقبل صلاح الدين وأقطع بعلبك لعزيز الدين فخرشاه ابن شاهنشاه بن أيوب (٨٥) ، وهذا وكان حصن رعبان من بين إقطاعات تورانشاه الواسعة (٨٦) . وفي عام ٥٨٢هـ = ١١٨٦م أقطع صلاح الدين دمشق لابنه الأفضل (٨٧) ، كما أقطع أخاه مظفر الدين أربل ، وأضاف إليها شهر زور وأعمالها ، ثم أقطع ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب حران والرها في نفس السنة بعد أن أخذها من مظفر الدين ، وأضاف إلى إقطاع تقي الدين كذلك سميساط

وميفارقين وحماه المعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبله واللاذقية وبلاطنس وجبل جور، بجميع أعمالها فضلاً عن كضرطاب وبكراس وعدة بلاد أخرى من حاة إلى ديار بكر، كما أقطعته في مصر القيوم وأعمالها مع القبايات وبوش (٨٨)، وأمره أن يقطع البلاد للجند ويعود معهم ليقوى بهم في الجهاد ضد الصليبيين. توجه تقي الدين في صفر عام ٥٨٧هـ = ١١٩١ م وعبر القرات ليتسلم إقطاعاته وينظمها، فأصلح البلاد ولكنه كان كثير الطمع، فاستولى على بعض البلاد المجاورة، غير أنه توفي في ذلك العام، فأقطع صلاح الدين ابن المتوفى، وهو الملك المنصور محمد، جزءاً من إقطاع أبيه، وهو حاة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم (٨٩).

أما إقطاع العادل أخى صلاح الدين فكان كبيراً، إذ شمل حلب والكرك والشوبك والبلقاء، ولكن صلاح الدين استرد حلب من العادل في ٥٨٢هـ = ١١٨٦ م وعرضه عنها حران والرها وميفارقين، ليخرجه من الشام، وذلك لرغبة السلطان في إقطاع أبنائه البلاد الهامة والحصون، ومن أدلة ما حدث في صفر من ذلك العام، حين مرض صلاح الدين وهو على حصار الموصل فأوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد، فلما عوفى قال له سليمان ابن جنيد، وكان من أصغىء صلاح الدين: «بأى رأى كنت تظن أن وصيتك تنفذ؟ كأنك كنت خارجاً إلى الصيد ثم تعود فلا تخالفونك، أما تستحي أن يكون الطير أهدى منك إلى المصلحة؟ قال صلاح الدين: وكيف ذلك؟ - (وهو يضحك) - قال: إذا أراد الطائر أن يعمل عشاءً لفراخه قصد أعلى الشجر ليحمى فراخه، وأنت سلمت الحصون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض، هذه حلب وهى أم البلاد، بيد أخيك العادل، وحماه بيد ابن أخيك تقي الدين وحمص بيد ابن عمك أسد الدين، وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرجهم متى شاء، وابنك الآخر مع أخيك في خيمته يفعل به ما أراد». استحسّن صلاح الدين هذا الرأى، وطلب إليه أن يكتم الخبر. وهذا هو السبب في استرجاع حلب من العادل وإعطائها إلى الملك

الظاهر بن صلاح الدين وتوزيع الشام إقطاعات بين أولاده . والظاهر أن علم الدين سليمان بن جندر كان حائفاً على العادل حين كانت له حلب ، لأنه لم ينصفه وقدم عليه غيره^(٩٠) ، بل إن صلاح الدين - لهذا السبب كذلك - طلب إلى العادل في عام ٥٨٧ هـ = ١١٩١ م أن ينزل عن كل إقطاعاته بالشام ما عدا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ، وكذلك عن نصف خاصه بمصر وعرضه عن ذلك بإقطاعه البلاد الشرقية وهي منطقة الجزيرة ودجلة ، وقرر عليه في كل سنة ستة آلاف أو عشرة آلاف غرارة (الغرارة = ١٢ كيلوا)^(٩١) تحمل من الصات والبلقاء إلى القدس ، ولما استقر ذلك ، سار العادل إلى البلاد الشرقية ، لتقرير أمورها، وعاد إلى خدمة السلطان ، وذلك في آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة ٥٨٨ هـ = ١١٩٢ م^(٩٢) .

وبلغت غلة إقطاع العادل بمصر فقط سبعمائة ألف دينار في كل سنة^(٩٣) ، وللعادل نسخة «توقيع»^(٩٤) بإقطاعه بالديار المصرية وبلاد الشام وبلاد الجزيرة وديار بكر ، كتب سنة ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م^(٩٥) . ويلاحظ في هذا التوقيع ذكر الصلة الأخوية بين الملك العادل وأخيه السلطان صلاح الدين ، ثم الإشادة بفضل السلطان في منحه هذا الإقطاع مع التنويه بأن الإقطاع منحة شخصية من ولي الأمر جزاء خدمات المقطوع وشجاعته في الحروب ، ثم يذكر التوقيع مواضع الإقطاع ، ويوصى بأهمية العدل والإحسان وتقوى الولاية ، وعدم تناول الرشوة ، والكياسة في إدارة الإقطاع وسمارته وحفظ الأمن وسياسة الحوار وحكماً ، ثم ينته التوقيع بتعيين العادل مقدماً للفرسان .

أما القاهر محمد بن شيركوه ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وموضع خشيته ، لادعائه أنه أحق بالملك من صلاح الدين ، فأقطعه السلطان حصصاً وتدمر والرحبة وسلمية ، ولما توفي القاهر محمد هذا في سنة ٥٨١ هـ = ١١٨٥ م ، أبقى صلاح الدين إقطاعه على ولده ومسمى جده أسد الدين شيركوه ، وخلع عليه وكتب له منشوراً بذلك^(٩٦) ، كذلك أبقى صلاح

الدين بعلبك بيد الأعمد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (٩٦) ،
كما أبقى حماه بيد شهاب الدين الحارثي خال صلاح الدين (٩٧) .

ومن الأمراء اللذين حازوا الإقطاعات في عصر صلاح الدين ، سيف
الدين علي بن أحمد الهكاري المشطوب (٩٨) ، وكان إقطاعه نابلس وأعمالها ،
فلما مات سيف الدين هنا سنة ٥٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) منح السلطان ابنه
عماد الدين أحمد وأميرين معه ثلثي نابلس بعد أن أُرصد ثلثها على مصالح
مدينة القدس وتشيد أسوارها (٩٩) ، وأقطع صلاح الدين الأمير حسام الدين
أبا الهيجاء السمين مقدم الأكراد الأَسدية نصيبين بعد فتحها سنة ٥٧٨ هـ
(١١٨٢ م) (١٠٠) والأمير بلدر الدين دلدرد بن بهاء الدين باروق ، تل باشر ،
والأمير سابق الدين عثمان بن الداية ، شيرز وأبا قبيس ، والأمير ناصر الدين
ابن كورس ، صهيون وحصن برزية ، والأمير عز الدين (١٠١) أسامة كوكب
عجلون ، والأمير عز الدين إبراهيم بن شمس الدين المقدم ، بغراس وكفر
طاب وقامية . وقد ظل هؤلاء الأمراء على إقطاعاتهم حتى وفاة صلاح الدين .
كذلك أقر صلاح الدين حجى بن كرامة أمير الغرب على إقطاعه ، مكافأة
له من أجل « خدمته وقيامه على الأعداء » (١٠٢) أيام فتح بيروت
سنة ١١٨٧ م .

ثم إن صلاح الدين كان يستفيد من كل قوة تخدم دولته ، ولذلك
ضم إليه الأمراء الذين خضعوا له وساعدوه في فتوحه وأقطعهم ، كما أقر كثيراً
من الأمراء النورية على ما بأيديهم من إقطاعات وزادهم إقطاعات جديدة
لانحيازهم إلى جانبه منذ سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ومساعدتهم له في فتوحه
زمن توحيد الحجة الإسلامية ضد الصليبيين . ومن هؤلاء الأمير علم الدين
سليمان بن جندر وهو من « مشايخ الدولتين » النورية والصلاحية ، بحلب ،
فأقطع صلاح الدين حصن دربساك بعد فتحها في ذلك العام ، وزاده عليها
بلدة إعرز في عام ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) (١٠٣) ولما فتح صلاح الدين عينتاب
سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) ، بتسليم صاحبها الشيخ إسماعيل الذي كان خازناً

لنورالدين ، أقره السلطان عليها فبقى « في خدمة السلطان من جملة أمرائه(١٠٤) ، وأقطع صلاح الدين آمد من ديار بكر للأمير نورالدين محمد بن كرد أرسلان الأرتقي صاحب حصن كيفا مكافأة له على نجده في فتح أنطاكية في نفس ذلك العام(١٠٥) ، كما أقطع الرها إلى الأمير مظفر الدين كوكبوري بن قطب الدين بن بنال بن حسان المنبجى من الأمراء النورية(١٠٦) .

بل إن من سلالة البيت الزنكى نفسه من خضع لصلاح الدين فأقرهم على إقطاعهم ، وهذا شبيه بالإلحاق ، مثل ذلك مثل جميع الأمثلة من الإقطاعات التي أقر صلاح الدين أصحابها عليها ، ومنهم : الأمير عماد الدين زنكى ابن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب سنجار(١٠٧) ، الذى أقره صلاح الدين على ما بيده حين خضع له سنة ٥٧١هـ - ١١٧٥م ثم أخوه عز الدين مسعود الذى أقره صلاح الدين على الموصل ، وكذلك أقر معز الدين سنجر شاه بن غازى على الجزيرة(١٠٨) ، وجميع هؤلاء الأمراء ساعدوا صلاح الدين في فتوحه بالعسكر والصلاح(١٠٩) .

واستعان صلاح الدين وخلفاؤه من بعده كذلك ، بعبان مصر ، وأهها جذام وعلبة(١١٠) فأقطعهم الإقطاعات نظير المحافظة على الأمن والاشتراك معه في الجهاد ، وجاءت غالبية إقطاعاتهم بالبلاد المصرية الشرقية ، فكانت إقطاعات جذام هريبط وتل بسطة ونوب(١١١) وغيرها . وأما إقطاعات علبة فكانت في مناتير جذام ، ومن جذام « هدبا سويد » الذى أقطع فاقوس ، ثم إن صلاح الدين أمر جماعة من جذام منهم : أبو راشد بن حيش ودحية ونابت ، ولم تزل الإمرة في نجم وبنيه(١١٢) حتى أيام المقرئى .

وجاءت إقطاعات الحيادة ، ولد حيدرة بن معروف ؛ في البرامون(١١٣) ومن أمرهم صلاح الدين من الحيادة معبد بن منازل ، أما إقطاعات الشواكرة - ولد شاكر بن راشد - ففى سنبارة(١٠٤) بنى خصيب ، كما

أن بنى خليفة وحسن من بنى عبيد ؛ أقطعوا موضعاً يعرف بالأحرار قرب هريبط ، وأقطع مهياح بن علوان كفر برشوط^(١١٥) ، ووجدت إقطاعات بنى رديني في تل محمد^(١١٦) ، ومن بنى رديني المعروفين ؛ أولاد جاش بن عمران . ومن الأعراب الذين اشتهر أمرهم أواخر الدولة الأيوبية نبي أبو عشم من ولد مالك ، فقد ارتفع ذكره زمن الصالح نجم الدين أيوب وفي أوائل عهد المماليك زمن أيك ، حتى اقتنى في إقطاعه كثيراً من المماليك الأتراك^(١١٧) .

لم يكن من بأس لدى صلاح الدين أن يعطى إقطاعاً لعدوه متى أمن شره ، وذلك حقناً للدماء المسلمين ، فقد حدث على أثر وقعة حطين ٥٨٥ هـ = ١١٨٩ م أن استسلم صاحب « حصن شقيف أرنون » وهو قلعة حصينة في كهف من الجبل قرب باتياس^(١١٨) ، وطلب إليه أن يقطع مسكناً بدمشق لأنه لا يستطيع بعد استسلامه أن يساكن الفرنجة ، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك^(١١٩) . كما أنه كان من بين الشروط التي قبلها صلاح الدين من الصليبيين أن يقطع فرسان الداوية والاستبارية بعض البلاد والقرى ، وكل هذا حسماً للزراع وحقناً للدماء مؤقلاً^(١٢٠) .

وقد سار خلفاء صلاح الدين^(١٢١) في مصر والشام على سنته ، فصارت مصر بجميع أعمالها للعزيز عثمان وأتابكه ، وصارت دمشق والشطوط البحرية وبيت المقدس والناصرية وباتياس وسوريا الغربية للملك الأفضل على ؛ كما صارت حلب وبقية سوريا ومن ضمنها حران وتل باشرو وعزاز ومنبج للملك الظاهر غازي ، ومن هؤلاء الثلاثة تكونت ثلاث دول كبيرة ؛ أما بقية أفراد الأسرة ويلقبون « بالمشاركة » أي أمراء المشرق بما فهم الظاهر غازي ؛ فهم : الملك العادل سيف الدين أبو بكر وإقطاعه : الكرك والشويك والبلاد الشرقية وكذلك الجزيرة والرها وسميساط والرقه وقلعة جعبر وديار بكر وميفارقين ، وهي البلاد التي كان صلاح الدين أعطها له في حياته ، ثم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر ، وإقطاعه

حماه وسلمية ومنبج وقلعة نجم ، ثم الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب وإقطاعه بعلبك ، ثم شيركوه بن شادى فى حصص والرحبة وتدمر ، والملك خضر بن صلاح الدين فى بصرى على أن يكون فى خدمة أخيه الملك الأفضل ، وابن الملك ظهير الدين بن سيف الإسلام طغتكين أخى صلاح الدين ، والبيرة وبعض أعمالها للملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين (١٢٢٢) ؛ وظل بعض الحصون والبلاد بيد أمراء الدولة كما كانوا أيام صلاح الدين (١٢٢٢) . وقد سار أولئك جميعاً سيرة صلاح الدين فى التوزيع الإقطاعى الحربى ، ولم يكن لديهم ما يحول دون منح الإقطاع ولو للأمير مغامر أجنبي عن البلاد ، طراً على البلاد الدولة ، وطلب الدخول فى خدمتها مادام يؤدى الخدمة الحربية ، وهناك نسخة «توقيع» للأمير من هذا النوع ، ليس فيها ما يبدل إلا على أهمية الجهاد الحربى ، وسرعة استجابة أولى الأمر فى مصر والشام للانتفاع بكل من عساه يخدم الدولة ، فضلاً عن تشجيعهم لنزوى المواهب الحربية بزيادة الإقطاع إذا حسن بلاؤهم فى الحرب (١٢٢٤) .

ومن الإقطاعات التى منحها العزيز عثمان بن صلاح الدين ، نابلس ، منحها للأمير فارس الدين ميمون القصرى وذلك عام ٥٩١هـ = ١١٩٤م وحدد له عدد الفرسان الذين ينبغي أن يتقدم به لحرب الصليبيين عند الضرورة بسبعمئة فارس ، وفارس الدين هذا من أمراء الظاهر غازى بن صلاح الدين ، وله من الإقطاعات صيدا قبل أن يحصل على نابلس (١٢٥) . وبعد استيلاء العزيز عثمان على دمشق من أخيه الأفضل ٥٩٣هـ = ١١٩٦م؛ أقطعها لعمه العادل (١٢٦) .

وأقر الأفضل على بن صلاح الدين أمراء الغرب على ما يابدهم ، نظراً لحاجته إلى عونهم فى صراعه ضد أخيه العزيز عثمان ، إذ رد على كتاب ورد إليه من حجبى (جمال الدين حجبى بن كرامة) الداخلى فى طاعته ، وحثه فى هذا الرد على الجهاد ، ووافق على إقطاعه الغرب جميعه ، وتاريخ هذا الرد ١٦ رمضان ٥٩٣هـ = ١١٩٦م (١٢٧) ؛ ويتضح من هذا أن أمراء الغرب

تبع دائماً لمن غلب ، احتفاظاً بما لديهم من البلاد والإمرة ، ولا فرق عندهم بين ملك إسلامي يعلو أو صليبي يظهر أو مغول يتحكم ، فالهمم كله طلب السلامة وإثارة العافية (١٢٨) . ولذلك ، خضعوا للصليبيين ، ولهم منشور من صاحب صيدا القرنجي ٥٦٥٤-١٢٥٦م (١٢٩) ؛ كما أنه لما تغلب التتار على الشام واضطربت أمور البلاد ، توجه جمال الدين من أمراء الغرب إلى دمشق حيث يقم كاتباً نائب هولاء بالشام ، فاجتمع به ، وأظهر خضوعه للتتار فكتبوا له منشوراً ، بإقراره على ما بيده ، وأبرز ما فيه أنه صدر بعلامة هولاء فوق البسلة «مالك بسيطة الأرض هولاء» وكان هذا شأنهم دائماً في كل عهد . (١٣١)

واسنادى العادل أبو بكر ، أخو صلاح الدين ، الإقطاع الحربي ، وسيلة للرشوة لجلب الأنصار ، خلال النزاع الذي دب بين أبناء صلاح الدين ، إذ كانت الأسدية في مصر ، في ١١٩٣ م قد حقت على العزيز عثمان لتقدمه المماليك الصلاحية عليهم ، فراسلهم العادل ووعدهم بالأموال والإقطاعات (١٣٢) ، ثم إنه رتب أمور الإقطاعات خلال أتانيته للعزيز بمصر فغير الإقطاعات ووفر الارتفاعات وعمال الأعمال وذلك في سنة ٥٩٢ هـ = ١١٩٥ م (١٣٣) ؛ كما لم يفته ، حين انفرد بالأمر بمصر والشام ، على غرار صلاح الدين ؛ أن يقطع أبناءه دون غيرهم ، فأقطع ابنه الملك الأشرف موسى بلاد مارين سنة ٦٠٢ هـ - ١٢٠٥ م ؛ وكان صاحبها ناصر الدين أرتق (١٣٤) وأقطع ابنه الكامل أعمال الشرقية التي كانت له أيام أخيه صلاح الدين وجعله ولي عهده وحلف له الأمراء ، كما أقطع ابنه الملك المعظم عيسى قلعة صرخند (١٣٥) وكانت بيد الأمير ابن قراجا من مقدس المماليك الصلاحية حتى ٦٠١ هـ - ١٢٠٤ م ، فعرضه عنها مالا وإقطاعاً (١٣٦) .

ثم إن أبناء العادل سواء في حياة والدهم أو بعده ، كانوا يوزعون أنصبتهم إقطاعات على أمراءهم ، فوزع المعظم بن العادل في حياة أبيه البلاد الشامية على مماليكه ، حتى إنه عندما توجه العادل لقتال الصليبيين ؛ بعد تقص

عهدهم ٥٦١٤ - ١٢١٧م ؛ أنب ابنه وقال : بمن أقاتل ؟ أقطعت الشام
ماليكك وتركت أولاد الناس (١٣٧) .

ولما كانت القاعدة في ذلك العصر الإقطاعي هي توزيع الملك أنصبة
بين أبناء الأسرة إقطاعات ، كالإرث ، كما فعل صلاح الدين ومن قبله
السلجقة وآل زنكي ، فإن العادل سار على هذه القاعدة وقسم البلاد بين
بنيه قبل وفاته : الكامل في مصر والمعظم في الشام والعزير عمّان في باتياس
والحافظ أرسلان في قلعة جعبر والصالح إسماعيل في بصرى ، لكنه تمكن
بعد ذلك من الاستيلاء على دمشق ، كذلك اختص الملك الأشرف موسى
بالبلاد الشرقية (أي شرق الشام) والأوحد أيوب في خلاط ، وهذه صارت
للأشرف بعد ذلك : فأقطعها أخاه شهاب الدين غازي صاحب ميفارقين
وأضاف إليها جميع أعمال أرمينية ومدينة حاني في ٥٦١٨ - ١٢٢١م (١٣٨) .

ولما جاء الملك الصالح نجم الدين أيوب ، أقر أمراء الغرب على
إقطاعاتهم ، فكتب في سنة ٥٦٤٤ = ١٢٤٦م إلى الأمير نجم الدين محمد بن
حجى كتاباً يمدح فيه طاعته وحسن خدمته ويأمره أن يبق على عادته القديمة
مع زيادة المال المرتب له ولمن معه ، وبأن يستجلب للخدمة كل من يقدر
عليه ؛ ويخبره أنه آت إلى البلاد ويأمره باستقباله بمن معه ، وكتب الملك الصالح
كذلك سنة ٥٦٤٧ = ١٢٤٩م بخطه وتوقيعاً باسم الأمير زين الدين بن علي
من أمراء الغرب مضمونه : « أنه يجرى له من الإقطاع في الناحية الغربية
والجنوبية من جبل بيروت : القماطية ومزارعها ، شلال ومزرعتها ،
ومن الجنوبية : بنائر بكاملها وكفر عمية ومزرعتها ؛ وذلك جزاء لخدمته ،
وتشجيعاً له على الاستمرار في المحافظة على الثغور المنسوب إليها ، ومن الغرب :
بصور ومزارعها ، مجسديا والدوير ، ثلث عرمون ومزارعها كينفون
ومزرعتها وغيرها . وأن يجرى على ما بيده من الأملاك المستمرة عليه وعلى
والده من قبله (١٣٩) » .

الأيوبيون في مصر (١)

- ١ - الملك الناصر صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب
(٥٦٤-٥٨٩ هـ / ١١٦٩-١١٩٣ م)
- ٢ - الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين (٥٨٩-٥٩٥ هـ / ١١٩٣-١١٩٨ م)
- ٣ - الملك المنصور ناصر الدين محمد (٥٩٥-٥٩٦ هـ / ١١٩٨-١١٩٩ م)
- ٤ - الملك العادل سيف الدين أبو بكر أحمد بن أيوب
(٥٩٦-٦١٥ هـ / ١١٩٨-١٢١٨ م)
- ٥ - الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن العادل
(٦١٥-٦٣٥ هـ / ١٢١٨-١٢٣٨ م)
- ٦ - الملك العادل الثاني (٦٣٥-٦٣٧ هـ / ١٢٣٨-١٢٤٠ م)
- ٧ - الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧ هـ / ١٢٤٠-١٢٤٩ م)
- ٨ - الملك المعظم تورانشاه بن الصالح (٦٤٧-٦٤٨ هـ / ١٢٤٩-١٢٥٠ م)
- ٩ - الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن يوسف بن محمد (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)

(١) هناك فروع أخرى للأيوبيين حكمت في دمشق وحلب وميتقارطين وسنجار واليمن وبعلبك وحمص والكرك وحماه وحسن كيفا وآد وبانياس وسبيبة وبصرى. والواضح أن الدولة الأيوبية سارت على سنة السلاجقة في تقسيم الدولة كالأرث بين الأبناء ، مع وجود سلطان أكبر هو سلطان مصر .

(راجع : زامبارو ج ١ عن ١٥٠ - ١٥٥ ، مفرج للسكريوب ج ١ ، ج ٢ -
نشر الشبال - الروعيتين في أخبار المولتين - النجوم الزاهرة ج ٦ ، ج ٧)

وفي أواخر الدولة الأيوبية ، أنشأ الملك الصالح فرقة المماليك البحرية حين تفرق الأكراد عنه ولم يبق معه سوى مماليكه ، فأكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره ، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وقطع أعجازهم وأعطى مماليكه الأمريات فصاروا بطانته والمحيطين بدلهيزه ، وبني لهم القلعة بجزيرة الروضة سنة ٥٦٣٨ = ١٢٤٠م وأسكنهم بها (١١٠) وسماهم البحرية (١١١) إما لأن معظمهم جاء من البلاد البحرية أو الشمالية (١١٢) وإما لأنهم أقاموا بجزيرة الروضة ببحر النيل كما كان يطلق عليه . وبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب خلال الحرب الصليبية بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا (١١٢) ، قامت شجرة الدر بتدبير الملك حتى يحضر ابنه المعظم ، وقام بجانبها الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ، وكان من كبار دولة الصالح ، فاقطع البلاد بمناشير للأمراء والأجناد (١١٤) .

هذا هو نظام الإقطاع الحربي الذي عمته الدولة السلجوقية التركية ، منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، وأخذته عنها الدول التي سادت في الشرق الأوسط خلال العصور الوسطى .

على أن هذا النظام ، لم يكن النظام الإقطاعي الوحيد الذي وجد في تلك الفترة ، بل وجد بجانبه نظام إقطاعي آخر ، انتقل من أوروبا إلى الدويلات الصليبية التي قامت بالشام .

جاء الصليبيون إلى الشرق الأوسط أواخر القرن الحادي عشر ، واستولوا على بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وأستأوا الإمارات الصليبية أو الدويلات اللاتينية في قلب هذه البلاد . وتتكون هذه الإمارات من مملكة القدس الصليبية تتبعها ثلاث إمارات هي : الرها وأنطاكية وطرابلس (١٤٥) .

قام التنظيم في الدويلات الصليبية ، على أساس النظام الإقطاعي الغربي الذي كان سائداً في أوروبا في ذلك الوقت ، ولما كان سادة الإقطاع الأوربي من الأمراء والملوك والمغامرين ، هم الذين قاموا بهذه الحرب ، كان من من الطبيعي أن يقيموا النظام الذي عرفوه ونشأوا فيه ، والذي لم يكن هناك غيره .

اتخذ الصليبيون الأوائل قاعدة في التوزيع الإقطاعي ، ويتضمن هذا التوزيع معنى اقتسام الغنيمة ، فجعلوا للقادمين الأولين ، أى لأنفسهم ، الحق الكامل في كل حصن أو بلد أو إقليم يضعون أيديهم عليه (١٤٦) . وانتقل النظام الإقطاعي الغربي كاملاً إلى الشرق ، ولكنه اختلف عن بعض خصائصه الغربية ، نزولاً على الوضع القائم بالشرق الأوسط. فثلاً نجد أن الخدمة الحربية الإقطاعية في أوروبا كانت مقررة نظرياً بأربعين يوماً ، بخدمتها التابع عند سيدهم مع أتباعه المسلحين ، ولكن هذه المدة لم تحدد في الشرق ، نظراً لقيام التحدي المستمر من جانب المسلمين المحيطين بالصليبيين . ونظمت الحقوق والالتزامات المتبادلة بين السيد وتابعه ، على النحو المعروف في غرب أوروبا (١٤٧) .

وجد الإقطاع الحربي كذلك عند بعض الدول الإسلامية التي سادت في شمال إفريقيا ، وما يتصل به من بلاد الأندلس ؛ وقد عاصرت هذه الدول السلاجقة ، كما عاصرت ورثتهم في هذا النظام . من ذلك ما كان لجيوش المرابطين من إقطاعات حربية ، وقد توسعوا في هذا النظام على أثر فتحهم الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين عام ٥٤٤٨ هـ - ١٠٥٦ م .

وفي مراكش على عهد بني مرين (٦١٠ - ٥٨٧٦ هـ = ١٢١٣ - ١٤٧١ م) المعاصرين للأيوبيين والمماليك ، كان للأشياخ الكبار من الخند الإقطاعات الحاربية عليهم ، لكل واحد منهم ٢٠ مثقالاً من الذهب يأخذها من قبائل وقرى وضياع ، ومعنى الإقطاع هنا العطاء أو الراتب ، وكذلك كان لكل واحد من هؤلاء المخصصات من الحبوب من القمح والشعير ونحوها ، مما يقدر بنحو ٢٠ ألف مسق ، وفضلاً عن ذلك ، لكل منهم في رأس كل سنة وحصان بسرجه وبلحامة وسيف ورمح محليان ، وبقجة قماش وجوخ ، وللأشياخ الصغار من الإقطاع والإحسان نصف مال الكبار (١٤٨) .

هوامش الفصل الأول

(١) بلغ صلاء الجندي الراجل في مصر الأموي ١٠٠ درهم في الشهر ، وفي المهدي العباسي ، غفص الخليفة أبو عبد الله السفاح هذا الراتب إلى ٨٠ درهماً ، وجعل راتب الفارس ضعف راتب الراجل . وهو ما اعتلقت رواتب الجنود باختلاف المواقع التي يسكرون فيها ، ففلا قرر الخليفة المأمون لرجالة العراق ٢٠ درهماً في الشهر لواحد منهم ، ولفارس ٤٠ درهماً ، على حين كان راتب الراجل في دمشق ٤٠ درهماً في الشهر وراتب الفارس مائة درهم (سيد أمير علي ص ٣٧٥) .

(٢) عطلت ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) انظر ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٥ .

(٤) انظر مايل

(٥) ينسب اليرمويون إلى جدتهم أم شجاع بويه ، وهو من فقهاء العامة من الفرس ، غير أن أبنائه الثلاثة علي والحسن وأحمد ، اشتغلوا أجناداً عند بعض حكام العمى الذين استقلوا ببعض الولايات الخاصة للخلافة العباسية ، وغلوا على ذلك حتى قوى أمرهم ، فأصبح علي بن بويه حاكماً على بلاد الكرج من قبل المنقلب عليها وهو مراد وبيج القليس ، ثم أشهر أمره واستول على جزء من بلاد فارس ، إلى أن اتهمت بلسكته ، فكتب إلى الخليفة اراضي العباسي بالولاية والمقاطعة على فارس . كما أن أخاه أحمد ، وهو الملقب بمنز البغلة ، أصبح صاحب الأمر والتي في الخلافة العباسية في بغداد عام ٨٣٤ - ٩٤٦ م (راجع الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٤٤ ' ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٤٥ ' ٢٤٦ ، السلوك ج ١ ص ٢٦ ' ٢٧ ؛ ابن خلدون ج ٣ ص ٣٩٥ - ٣٩٦) .

(٦) تجارب الأمم ج ٥ ص ٣٥٢ ' ٣٥٤ ، ج ٦ ص ٩٦ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٦ ، ج ٤ ص ٤٣٥ .

(٧) عرف ابن شهرزاد بالشراء لجمال وجهه من أي باب ، ويقال إنه ضمن الخصوصية في بغداد لحمدى القس بمبلغ ٢٥ ألف دينار في كل شهر ، وسلط الجنيد على العامة وتفرغ للأذى (انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٠ - ٢٨٦) .

(٨) تجارب الأمم ج ٦ ص ٧٩ .

(٩) تجارب الأمم ج ٦ ص ٩٨ .

(١٠) تجارب الأمم ج ٦ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٩٨ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، ج ٤ ص ٤٣٥ .

(١١) ذيل تجارب الأمم ص ٢٤٧ ، ٢٢٣ - ٢٢٨ .

- (١٢) سيد أمير علي ص ٢٧٤ .
- (١٣) دولة آل سلجوق ص ٥٥ .
- (١٤) دولة آل سلجوق ص ٥٥ - ٥٦ .
- (١٥) دولة آل سلجوق ص ٥٥ - ٥٦ .
- (١٦) Dutaillis Feudal Monarchy in France & England, pp. 36-51
- (١٧) Stenton: The First Century of English Feudalism pp. 7-00
- (١٨) Dutaillis, Op. cit. p. 60
- (١٩) Sisrot an Op. Cit. 02-03
- (٢٠) Dutaillis, Op. Cit. 66. 66-70
- (٢١) ابن قنبري بردى : ج ٥ ص ١٦١ ، ٢٠١ .
- (٢٢) المصدر السابق .
- (٢٣) Samaulah, The Destine of the Seljukid Empire. p. 80
- (٢٤) راجع المعجب ص ١٩١ - ١٩٢ .
- (٢٥) المعجب ص ١٩٣ .
- (٢٦) ابن خلطون ج ٤ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٢٧) ابن خلطون ج ٣ ص ٤٧٦ زج ٤ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٢٨) بنوعقيل أمير قرقيش بن بدران أمير العرب ابن الفلك أبو المال العقيل توفي سنة ٥٤٥١ - ١٠٦١ م ، وكان إبراهيم بن قرقيش مقطع الموصل حين توفي ملكشاه في سنة ٥٤٨٥ - ١٠٩٢ م وعرج إبراهيم هاربة تنش حين طبع في السلطة وقتل في هذه الحرب مع أعيان بني قرقيش ، أما مسلم بن قرقيش بن بدران أبو النكارم شرف الدولة فقد شمل إقطاعه الموصل والجزيرة وحلب في دمشق سنة ٤٧٥ هـ - ١٠٨٢ م وقتل في حرب بينه وبين سليمان بن قنطش سنة ٥٤٧٧ هـ ، أعلنت هذه الأسرة لسلطين السلاجقة حتى إن علي بن مسلم بن قرقيش ساعد بركياروق في نزاعه مع عمه تنش ، كما كان له جهاد مشكور في حرب الصليبيين .
- (نجوم ج ٥ ص ٧٠ حاشية ٤ : ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩) (الروضتين ج ٢٥ ، ١٢٥ .
- (٢٩) الأمير بوزان أمير ترکان خدم السلاجقة وأخلص لسلطان ملكشاه وساعد تنش في دفع جيوش الفاطميين بقيادة بدر الجمالي وكان مقتله على يد تنش سنة ٥٤٨٧ - ١٠٩٤ م فانضم ماليه إلى تركيا روق حين نازعه تنش على السلطنة ورماه أحد ماليه بوزان بسهم فقتله في سنة ٥٤٨٨ - ١٠٩٥ م (الروضتين ص ٣٥ ، نجوم ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٣) .
- (٣٠) مرافقة أشهر بلاد أذربيجان وكانت تدعى « الفراز هرور فمسكر فيها مروان بن محمد حين ولايته لأرمينية وأذربيجان ، وكانت دراهم تصرخ فيها فجمعوا يقولون : ابنوا قرية المرافقة

فعلت الناس القرية وقالوا : مراغة (نجوم ج ٣ ص ٨٤ حاشية ٣ عن مسير ياقوت) .

(٢١) نجوم ج ٥ ص ٢٠٨ .

(٢٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٩٤ ، نجوم ج ٥ ص ٣٣٢ .

(٢٣) الروضتين ص ٢٦ ، نجوم ج ٥ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، مفرج الكروبي (نشر الشهاب)

١٥ ص ١٩ .

(٢٤) اكتسب قسم الفولة احترام السلاجقة وساعدتهم وفتح باسمهم قامية من ابن ملاحب التابع لغامطين سنة ٥٤٨٤ وحين حاصرتهش طرابلس، توقف قسم الفولة احتراماً للشور ملكشاه إذ أظهره صاحبها ابن عامر ... (الروضتين ص ٢٧ ، نجوم ج ٥ ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، انظر مابلي ، ابن الأثير ج ١٠ ص ٧٥) .

(٢٥) الروضتين ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢٦) انظر مابلي .

(٢٧) أبو الفداء ص ١٤٢٩ ، نجوم ج ٥ ص ١٨٨ .

(٢٨) الروضتين ص ٢٦ ، ٢٩ .

(٢٩) وظيفة الشحنة أوالشحنة هي رياضة الشرطة (راجع السلوك ج ١ ص ٣٥ حاشية ١

ص ٤٠ حاشية ٥ و ص ٩٧٩ حاشية ٣ ، وانظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية بالملاحق) .

(٤٠) آق سقر البرس أحمدبلي صاحب همدان و آذربيجان .

(٤١) على أثر الصلح مع المسترشد، اعتبر السلطان محمود السليجوق أمراءه وأعيان دولته،

فلم ير فيهم من يقوم بمنصب الشحنة غيراً من زنكي، وصدق أمراءه على هذا الترشح وقالوا
« لا يصلح لذك وإعادة ناموس العراق ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر ليرحم الله من
زنكي » فأسند إليه الولاية مضافاً إليه ما بيده من الإقطاع . وذلك في ربيع الآخر سنة ٥٢١ هـ -
١١٢٧ م (الروضتين ص ٢٩) .

(٤٢) الروضتين ص ٢٩ ، ٣٠ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٥٠٠ .

(٤٣) فتح في سنة ٥٣٤ هـ - ١١٣٩ م بملك واستولى على شهرزور وأماغا وما مجاورها

من البلاد والجبال وكانت بيد آل مهارش ، وفي سنة ٥٣٩ هـ - ١١٤٤ م استولى على إمارة الرها
الصلبية بأعمال القررات ، وفي سنة ٥٣٩ هـ ، أخذ المرأة وكفر طاب وقلمة جبير ، وكان مقتل
زنكي خلال فتح هذا الحصن الأخير بعد استيلائه على إمارة الرها الصلبية (الروضتين ص ٣٣ ، ٤٢ ،
النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ج ٦ ص ٥) .

(٤٤) استقل سليمان بإقطاعه وتوسع في فتوحه ، وحارب تثنى فقتل سنة ٥٤٧٩ هـ وخلفه

ابنه قليج أرسلان الذي اتصل بنعمة ملكشاه وفتح باسمه معظم البلاد الروم مثل ملطية وقيسارية
والقصرى وقونية وسيواس ، فلقوه بها ملكشاه ، ثم أسانف إليه ميافارقين ، وخلال النزاع بينه
وبين جاولي طوك ملكشاه ، رأى الهزيمة ، فألقى بنفسه في نهر فغرق سنة ٥٤٩٨ هـ (نجوم ج ٥ ص
١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ سيد أمير على ص ٢٨٦) .

(٤٥) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٩٠ .

(٤٦) أئمز بن اروق مقدم الأتراك خوارزمي الأصل ومن أمراء السلطان ملكشاه ، فتح الرملة وبيت المقدس وضابق دمشق وأعرب الشام جمه في سنة ٥٤٦٣ - ١٠٧٠م ثم استولى على دمشق سنة ٥٤٦٨ - ١٠٧٥م وعطب فيها المكتبة العباسي ، فلما جاء تثنش حاربه واستولى على الشام (نجوم ج٥ ص ٥٨٧ ، ١٠ ، ٢٠١ ، ١٥ ، ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥) .

(٤٧) بعد استيلاء تثنش على فلسطين كانت معظم بلاد الشام تابعة للقاطنين فقد قام بدر الجمال وزير المستنصر الفاطمي لصدده (نجوم ج٥ ص ١٢٨ ، ابن خلدون ج٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ابن الأثير ج ١٠ ص ٤١) .

(٤٨) أرتق بك جد الملوك الأرتقية ، وكان له جهاد مشكور ضد القرامطة وأخذ بلادهم سنة ٥١٧٠ - ١٠٧٧م كما ورد في كتاب له إلى الخليفة المقتدى العباسي ومات بالقدس وخلفه ولدها سقمان (سنة ٥٥٠٤ - ١١١٠م) ، وأبلفازي (٥٥١٦ - ١١٢٢م) وهما أول ملوك الأرتقية ظهوراً ، وظل الإقطاع بأيديهم حتى استولى الأفضل بن بدر الجمال على فلسطين ٤٨٩ - ٥٤٩٠ - ١٠٩٦م ثم الصليبيون سنة ٥٤٩٣ - ١٠٩٩م .

النجوم ج٥ ص ١٠٦ حاشية ١ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٥٩ .

(٤٩) كانت تكريت البطائع بينه وبين أخيه بركياء روق .

(٥٠) ابن خلدون ج٣ ص ٤٩٠ ، ٤٩١ ، نجوم ج٥ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٥١) قنقج أرسلان كان بأرمينية ، وهو ابن مسعود بن محمد بن ملكشاه ، وتوفي سنة

٥٥٥١ - ١١٥٦م (نجوم ج٥ ص ٣٠٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢) .

(٥٢) الروضتين ص ٢٨ ، نجوم ج٥ ص ٢١٦ ، ٢١٨ .

(٥٣) ابن خلدون ج٣ ص ٤٩٦ ، جبهة الأخبار - خطوط ورقة ٥ .

(٥٤) النجوم الزاهرة ج٥ ص ٢٧٩ .

(٥٥) جد الأيوبيين هو شاذي من بلدة دوين بالمعجم وهو من الأكراد الروادية جاء معه ولده: نجم الدين وأسد الدين . والتحق الولدان بقمعة يبروز الخادم (أبو الحسن مجاهد الدين خادم السلطان مسعود السلجوقي الرزي ، صاحب فسطحية العراق من البصرة: إذ المرسل إلى أصفهان وكانت تكريت إقطاعاً له ، فجعل أيوب دزدار قلعياً أي حافظاً لها ، وعمل أثر أنهما زككي أمام الخليفة المسترشد سنة ٥٥٢٦ - ١١٣١م خدمه أيوب بأن أقام له المعابر فوق دجلة وبالغ في إكرامه فحفظ له زككي هذا الصنيع ، ثم خرج أيوب من تكريت على أثر وقوع نشابة في مملوك يبروز قتله من غير قصد واستحق نجم الدين من سيده ، فخرج معه أخوه أسد الدين وتوجهها إلى الموصل حيث أحسن إليهما زككي . (الروضتين ص ٩٥ - ٩٦ ، ١٢٩ - ١٣٠ وما بعدها ٢١٠ ، شفاء القلوب ورقة ابن شاذي ص ٢٦٠ ، نجوم ج٥ ص ٢٧٧ ، ٣٦٧ ، ج٦ ص ٤١٠ ، ٦٠٠ فرج الكروي ج١ ص ٣ - ٦) .

(٥٦) اصطحن نور الدين الخيلة في الاستيلاء على دمشق حقناً لدماء المسلمين بأن كره صاحبها

آبى في أمراته فكان يقطع الأمير ثائرة ويقبض عليه ثائرة حتى خلت دمشق من الأمراء وحفظت عجز
عن مقاومة نور الدين حين أرسل إليه أسد الدين شيركوه بمساعدة أخيه نجم الدين أيوب للاستيلاء
عليها . وقد ول صلاح الدين شحنة دمشق عام ٥٦٠ هـ ، لما برز فيه من صفات البروغ والكفافة
(نجم ج ٥ ص ٢٧٧ ، ٣١١١ ، ٣٦٧ ، ٦٤ ص ٥ ، ٥٧١ مفرج الكروب ورقم ٤ ، ابن
شداد ص ٢٦٠ ، الروشدين ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٩ ، ٢١٠) .

(٥٧) زيارة قرية من أعمال حلب وفيها عيون ومياه جارية وأسواق (معجم البلدان) .

(٥٨) الروشدين ص ١٥٢ ، نجوم ج ٥ ص ٢٧٩ و ٣٨١ .

(٥٩) تسلّم حسان النجيب مدينة تل باشر كذلك سنة ٥٥٣ - ١١٥٨ حين أرسل أهلها

يستغيثون بنور الدين فأرسل إليهم حسان فقتلها وحسبها باسم أسناده .

(٦٠) أعطها صلاح الدين من يتال ، أسره ثم أطلقه ، فتوجه إلى الموصل حيث أطلقه سيف

الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ، مدينة الرقة ، ودخل بعض أبناء أسرة

حسان في خدمة صلاح الدين (الروشدين ص ٩٧ ، ابن شداد ص ٢٧٢ ، ٢٨٠) .

(٦١) البهجات التي يتكرر ذكرها في الإقطاع مثل قلعة جبير والرعا وغيرها ، يدل على

منقلبتها من مقطع إلى آخر لأي سبب من أسباب الانتقال (انظر ما يلي) .

(٦٢) كان فخر الدين ابن الزعفراني سيء السيرة فلم يستطع المقام بمحصر أو حماه بعد

وفاة نور الدين ، وسقطت هذه البلاد جميعها في يد صلاح الدين حين زحف على دمشق بعد وفاة

نور الدين ٥٧٥ - ١١٧٤ . (أبو الفداء ص ٤٠ ، ٤٥) .

(٦٣) يلاحظ تكرار إقطاع البلد الواحد لأكثر من مقطع ، وهو يدل على انتقال المقطع

من جهة إلى أخرى ، وهنا الإقطاع يتضمن معنى الولاية والحكم .

(الروشدين ص ٥ ، الذهب المسبوك ورقة ٧٦ ، ابن شداد ص ٢٧٠ ، انظر الفصل الثامن) .

(٦٤) تاريخ بيروت ص ٩٠ وما بعدها ، أخبار الأعيان ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

(٦٥) بنو العرب عرب قحطانية تملكوا في غرب لبنان ، ما عرف باسم بلاد الشف

وأملأهم منذ جدهم بجمّ الأول شئبة بمحاضر شرعية ، وظلت هذه المحاضر حتى القرن التاسع

الهجري ، وخضع كل أمير يظهر سلطانه ، وبذا تمكنوا من المحافظة على أملاكهم ، وأول

مشهور كتب لهم كان لبيد بن علي عام ٥٤٥٢ - ١٠٤٧ م من قبل ظهور الدين طنتكين أتاك

دمشق من قبل السلاجقة ، ثم مشهور من قبل السلطان مجير الدين آيبي من سلاطة طنتكين بدمشق سنة

١١٤٧ م إلى الأمير بجمّ بأن يبيح على رسومه المستمرة في الصياح المنسوبة إليه في العرب باسم

والله واسمه ويتناول الأموال الأميرية ويصرفها على الخدمة ... (تاريخ بيروت ص ٩٠ - ٩٤ ،

أخبار الأعيان ص ٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٦٦) نص المشهور باللاحق (تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٤٩ ، أخبار الأعيان)

(٦٧) كذات هذه العشرات من العرب وغير العرب ، قد زلت على سواحل الشام في زمان مختلفة ، تصد

المرابطة ضد غزوات البيزنطيين والصليبيين البرية والبحرية ، وكان أشهرها حدة الفتح العُمَلي :
آل من وآل عساف وآل سيفا وآل تنوخ . وقد توزعت الحكم في لبنان . . (انظر : : بينهم :
الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ص ٤٤ وما بعدها) .

(٦٨) ابن خلّون ج٤ ص ٧٩

(٦٩) الجاسكيات أو الجوامك هي الرواتب عامة ، وكانت تفتق الممالك السلطانية عبارة
عن جوامك وعليق وكسوة وغير ذلك (السلوك ج١ ص ٥٢ ، حاشية ١ ، صحح الأمشي ج١٣ ص ٤٥٧)

(٧٠) الروضتين ص ٢١٩

(٧١) السلوك ج١ ص ٥٢

(٧١) السلوك ج١ ص ٥٢

(٧٢) خنط ج١ ص ١٣٩ - ١٤٠

(٧٣) قبائل وقبالات ، بضع قبالة ، وهي الأرض يتقبلها أصحابها ، أي يضمونها بمبلغ
من المال يؤديه عنها في كل سنة ، ولكل نوع من الأراضي طبيعة أي غريبة خاصة تناسب حاله .
(نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٨ ، انظر ما يلي)

(٧٤) خنط ج١ ص ١٣٨

(٧٥) خنط ج١ ص ١٥٦

(٧٦) صحح الأمشي ج٤ ص ٥٠

(٧٧) خنط ج٢ ص ١٤١

(٧٨) خنط ج٢ ص ١٤٠ - ١٤١

(٧٩) أسكن صلاح الدين أباة قصر القلوة أحد قصور الفاطميين على الخليج ، وكان صلاح
الدين تسلمها مع القصور والرباع الفاطمية وباع ما في هذه القصور ، وملكها أمراءه ، وضرب
الأشواح على ما كان للخلفاء وأبناءهم من الدور ، وأقطع خواصه منها وباع بعضها ، وقسم
القصور بين أسرته ، (ابن شداد ص ٢٦١)

(٨٠) الأشهار الشية ص ١٤٢ .

(٨١) شفاء القلوب ورقة : ١٢ .

(٨٢) الروضتين ص ١٨٤ ، الذهب المسبوك ورقة ٧٦ .

(٨٣) الروضتين : ص ٢٠٩ ، طرخان : العلاقات المصرية النوبية في العصور الوسطى
(بحث تحت الطبع) .

(٨٤) كان لتورانشاه باليمن فاليان هما عز الدين عبّان الزنجبيل ومركزه عدن ، ورحطان بن
كامل بن منقذ الكنتاني من بيت صاحب شيزر ويقع في زبيد ، وكانا يحملان إليه الأموال ،
ولقب تورانشاه بسيف الإسلام وتوفي في عام ٥٧٦هـ - ١١٨٠م (ابن شداد ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ،
السلوك ج٢ ص ٥٣ ، النجوم الزاهرة ج٦ ص ١١) .

- (٨٥) ذيل ابن شداد ص ٢٧٧ .
- (٨٦) نفسه ص ٢٧٦ .
- (٨٧) نفسه ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- (٨٨) الثبايات بالنسبة الحالية ومركزها مقالة ويوش في بين سوييف (السلوك ج١ ص ٥٨٢ .
حاشية ١) .
- (٨٩) شفاء القلوب ورقة ٤٦ ، السلوك ج٢ ص ٨٢ ، ذيل ابن شداد ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ،
٣٠٠-٣٠١ ، النجوم الزاهرة ج٦ ص ١١٣ ، ابن الأثير ص ٤٠-٤١ مجموعة .
- (٩٠) النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٠ - ٣١ .
- (٩١) تاريخ بيروت ص ٨٠ حاشية ، انظر المكايل باللاحق .
- (٩٢) شفاء القلوب ورقة - ٦٤ ، ذيل ابن شداد ص ٢٧٢ - ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ -
٣٠٣ السلوك ج١ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٩١ .
- (٩٣) السلوك ج١ ص ٨١ - ٨٢ .
- (٩٤) نسخة التوقيع بالتفصيل في اللاحق .
- (٩٥) شفاء القلوب ورقة - ١١ ، ذيل ابن شداد ص ٣١١ ، نجوم ج٦ ص ٩٩ - ١٠٠ .
- (٩٦) ذيل ابن شداد ص ٣١١ .
- (٩٧) ذيل ابن شداد ص ٢٧٥ .
- (٩٨) المشطوب من الأمراء النورية، وبه كان صاحب القلاع الحكارية (قرية قريبة
من الموصل يسكنها أفراد يقال لهم الحكارية) دخل مع أسد الدين شيركوه مصر في المرات الثلاث
وقد غلب - مع من غلب - الوزارة لنفسه والتقدم على المسكر على أروفاة أسد الدين، كما طمع
من هم في منزله من الأمراء النورية أمثال عين العولة الباروق وقطب الدين خسرو بن تليل وابن
أسي أبي الهيجاء الهدباني صاحب أربيل ، وبه سلطة صلاح الدين، أقام المشطوب بالشام حتى توفي
بالقدس سنة ٥٥٨٨ (١١٩٢ م) - (الروستين ٥٢ ، ذيل ابن شداد ص ٣٠٤ - ٣٠٥) ،
(نجوم ج٦ ص ١٦ ، ١٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ١١٧ ، ١١٩)
- (٩٩) وردها غلب. عند الدين بن المشطوب من ذلك ، فخرج في فتنة فيما بعد أيام الكامل
لعزله وتخليك أخيه القائل إبراهيم ، وذلك في سنة ٥٦١٥ (١٢١٨ م) (سلوك ج١ ص ١٩٦ ،
الفتح القسي ص ٣٠٣) .
- (١٠٠) انضم أبو الهيجاء السمين إلى العادل في نزاعه مع العزيز على أثر عزله عن ولاية
القدس في سنة ٥٥٨٩ (١١٩٣ م) ثم دخل بغداد في سنة ٥٥٩٣ (١١٩٦ م) وصار من جملة
أمراء الخليفة الناصر (٥٥٧٥ - ٥٦٢٢ - ١١٨٠ - ١٢٢٥ م) وتوفي بالشام سنة ٥٥٩٤ -
١١٩٧ م (ذيل ابن شداد ص ٢٨١ ، نجوم ج٦ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٥) .
- (١٠١) ذيل ابن شداد ص ٣١١ .
- (١٠٢) أخبار الأعيان ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

- (١٠٣) ذيل ابن شداد ص ٢٧٢ ، ٢٨٢ ، نجوم ج ٦ ص ٣٠ - ٣١ ، ٤١ ، ٤١٣ .
 (١٠٤) ذيل بن شداد ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
 (١٠٥) ذيل ابن شداد ص ٢٨٠ ، نجوم ج ٦ ص ٩٤ ، أبو القدا ص ٥٢ .
 (١٠٦) ذيل بن شداد ص ٢٨٠ .
 (١٠٧) أبو القدا ص ٥٢ ، انظر ما سبقه *
 (١٠٨) الفتح القس ص ٩٦ ، ١٢٠ . . .

(١٠٩) ساعد مسعود بتفتح النقط الأبيض والرماع والتراس للسلطان في سنة ٥٥٨٥م - ١١٨٩م وأرسل ابنة بالساكر - من توجه من « الأكاير » في سنة ٥٥٨٦م - ١١٩٠م وجهز عماد الدين ابنه قطب الدين بجد لم يكن السلطان بحاجة إليه في ذلك الوقت ، فلما رده السلطان أسف برفه كتاب الشهر الذي عاد به قطب الدين من السلطان . . . وقد خرج بعض أولئك الأبناء من السلاطة الزنكية حل أبناء صلاح الدين بعد وفاته في سنة ٥٥٨٩م - ١١٩٣م مثل عز الدين أتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وأخيه عماد الدين بتعيين ، فجاءهم الملك الأفضل مع أفراد بيته وأعاد الأمن إلى البلاد (الفتح القس صفحات : ٩٦ ، ٩٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٦ - ١٨٨ ، ٣٣٢ - ٣٣٤) .

(١١٠) المعروف أن العرب الذين جاؤوا إلى مصر مع الفتح العربي الإسلامي ، قد انقرض أغلبهم ، ومن القبائل الباقية : بنو سب من جذام ، وهؤلاء اختلطوا بالعربين وحازوا الأراضي ، وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراء ، غير أنهم كثيرو الفتن والفساد وتمتد مساكن هؤلاء من ميت غمر إلى زفتى وإليم ينسب الوزير القاطمى شاور بن مجير السعدي ، وعندما قدم أسد الدين شيركوه إلى مصر ، كانت القبائل العربية المشهورة بمصر في ذلك الوقت : جعفر وطلحة وويل وجهينة وجذام وشيبان وعطوة وحنيفة وغزوم . وفي سبيلات الدولة القاطمية عدة آلاف من العربان ، والملاحظ أن جذام من قدماء عربان مصر ، فقد جاؤوا مع عمرو بن العاص ، ولهم عدة إقطاعات . (الأعراب - سطوط - ورقة ٨٧ - ٩٠) .

(١١١) نوب : لعلها المعروفة زمن الماليك باسم نوب ومنية شراب البعظ بالأعمال الشرقية . لا توجد بلدة بهذا الاسم في الوقت الحاضر . (التنحفة السنية ص ٤٥) ، الدليل الجغرافي لصلحة المساحة (١) .

(١١٢) التعريف ص ٧٧ .

(١١٣) البرامون : لم تزل موجودة ومعروفة بهذا الاسم وهي قائمة لمركز المنصورة بالقاهرة وعرفت في عصر الماليك باسم البرامولين بنسب الإقليم الذي كان يطلق عليه وقتئذ (الأعمال القهيلية والمرتاحية) ، (الدليل الجغرافي - التنحفة السنية ص ٤٦) .

(١١٤) سفارة : تعرف حاليا باسم سفارة مركز بيلا بالقرية . وعرفت في العصر الملوكي باسم سفارة (الدليل الجغرافي - التنحفة ص ٨٠) .

(١١٥) برشوط : عرفت بهذا الاسم في العصر المملوكي بأعمال البحيرة وكان للبريان جا إقطاعا ، ولا توجد بلدة بهذا الاسم حاليا (الدليل الجغرافي - النسخة السنية ص١٢٣) .
(١١٦) قل محمد : يتبع حاليا مركز ههيا بالشرقية بعد أن كان تابعا لمركز كفر صقر ، وعرف بهذا الاسم في العصر المملوكي (الدليل الجغرافي - النسخة السنية ص٢٨) قاموس جغرافي لقطر المصري أصدرته إدارة التعداد التابعة لنظارة المالية (١٨٩٩م) .

(١١٧) الأهراب ورقة ٩٠ .
(١١٨) النجوم الزاهرة ج٦ ص٤٢ حاشية ٣ .
(١١٩) النجوم الزاهرة ج٦ ص٤٢ - ٤٣ .
(١٢٠) الأخبار السنية ص ٢٨٠ .
(١٢١) توفى صلاح الدين بدمشق في ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ (١١٩٣م) وخلف سبعة عشر ولداً وبناتاً صغيرة . (ذيل شفاة ص٣٠٨ وما بعدها - نجوم ج٦ ص٦٢) .
(١٢٢) الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص٣٥٠ - ٣٥١ .
(١٢٣) الفتح القس ص٢٢٦ - ٣٢٢ ، ذيل ابن شفاة ص ٣٠٨ - ٣١١ ، النجوم الزاهرة ج٦ ص٦٢ - ٦٣ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ابن الأثير ص٧٥ - ٧٧ .
(١٢٤) انظر الملاحق .
(١٢٥) النجوم الزاهرة ج٦ ص١٣٧ - ٢١٩ ، السلوك ج١ ص١٢١ .
(١٢٦) السلوك ج١ ص ١٣٦ .
(١٢٧) النجوم الزاهرة ج٦ ص١٢٠ ، ١٢٦ ، تاريخ بيروت ص٥٢ - ٥٣ ، أخبار

الأعيان ص٢٢٦ .
(١٢٨) لم يتم أمراء القرب بالشاكل المبيعة هم كالمطر الصلوي ، والمطر المنقوي ، ثم النزاع بين الأمراء ، إلا بقدر ما يحقق لهم فائتهم ، فتلا نجد جمال الدين حسبي بن نجم الدين محمد ابن جمال الدين حسبي بن كرامة ، يستقر على إقطاعات أبيه المنشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن صلاح الدين وكان ملكاً على حلب ودعا أهل دمشق لولاية مدينتهم سنة ٨٦٤٨ - ١٢٥٠م ، ثم جدد له المنشور في سنة ١٢٥٦م بمجهات متفرقة ، منها : حمون ، عين دراقيل ، طردلا ، عين كسور ، رامطون وقدرون ، مرتنون ، السياحية ، سرخور والقوير وغيرها (أخبار الأعيان ص٢٢٧) .

(١٢٩) تاريخ بيروت ص٥٧ - ٥٨ ، انظر الملاحق .
(١٣٠) تاريخ بيروت ص٥٦ - ٥٧ ، انظر الملاحق .
(١٣١) ويتضح مدى تقلب هؤلاء الأمراء بين التناوب والمغلوب أو حتى بين من قد صاه ينقلب ويتنصر ومن قد يتكسر أو يحزم ، حين استعد السلطان قطز لصد التتار في عين جالوت (٨٦٥٨ - ١٢٦٠م) ، من هذا الانقسام الذي انقسم إليه أمراء القرب، فقد انضم زين الدين صالح إل المسكر المصري ، ثم حاول الاتصال بكتيبتنا نائب هولاءكو بالشام كما فعل جمال الدين حسبي ، ولكنه رأى اعتماد قطز لسحق التتار ، فرأى الاثنان أن يبيئ أحدهما مع التتر في حين ينضم الآخر إل المسكر المصري ، فكان زين الدين بجانب قطز ، وجمال الدين بجانب هولاءكو ، وهذا لا يكون أي من التنصر من الفريقين كان أحدهما معه ، فيسه خلة رفيقه وعلة بلاده ، قصداً بذلك إصلاح

أغاليه، ولهم مثاير من الممالك (تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٩٠ وحواشياتها ثم ص ٣٣٧ وما بعدها
أخبار الأعيان ص ٢٢٧ ، انظر الملاحق . . عن أحوال آل تنوخ ونهايتهم في النصف الأول من
القرن السابع عشر الميلادي خلال العصر المملوكي، وانظر بينهم الحلقة المفقودة في تاريخ العرب
ص ٤٧ - ٤٧) .

(١٣٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٤ ز ١٢٩ ز ١٣١ ز ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤

(١٣٣) سلوك ج ١ ص ١٢٩ .

(١٣٤) نجوم ج ٦ ص ١٨٩ .

(١٣٥) سلوك ج ١ ص ١٥٢ .

(١٣٦) النجوم ج ٦ ص ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٧ ، ١١٢ .

(١٣٧) شفاء القلوب ورقة ٦٢ .

(١٣٨) شفاء القلوب ورقة ١٠٨ ، كامل التواريخ ص ١٦٢ - ١٦٥ ،

النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٣ - ١٧٢ .

(١٣٩) أخبار الأعيان ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(١٤٠) كانت مساحة القلعة ٦٠ فدانا تقريباً عرفت باسم قلعة الجزيرة أو قلعة الصالحية

أو قلعة جزيرة القساط أو قلعة المقياس ، وأسس هؤلاء الممالك القولة المملوكية بمصر والشام .

(سلوك ج ١ ص ٣٦٨ - ٤٣٦ ، ٦٣٣ ، النجوم ج ٦ ص ٣٢٠ ، حاشية ٣ - ٣٣١ ، ٣٧٤ ،

٣٧٦ حاشية - ١) .

(١٤١) سلوك ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(١٤٢) الدكتور زيادة : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ الممالك (مجلة كلية الآداب ص ٤

ج ١ مايو ١٩٣٦ ص ٧١ - ٧٤) .

(١٤٣) انظر زيادة : حلة لويس التاسع على مصر وجزيرته في المنصورة ص ١١٦

وما بعدها ، ص ١٦٥ وما يليها .

(١٤٤) السرك ج ١ ص ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(١٤٥) انظر في أخبار الحروب الصليبية : Runciman : A. Hist. of The Cru-

-sades Vols, I, II, III; Richard, J. Le Royaume Latin de Jerusalem; Baldwin,

M. (Ed.) : The First Hundred Years (A Hist. of The Crusades, Vol. 1).

(١٤٦) باركر (الترجمة العربية) للدكتور الهاز ص ٦٥ - ٧٢ .

(١٤٧) انظر وراجع لنظام الإقطاعي الفري عامة : (المراجع الأجنبية حاشية ١٤٥) .

(١٤٨) انظر : المنجب ص ٣٣ - ٤٠ ، ابن الأثير ج ٩ ص ١٢ - ١٣ ، فتح الطيب

ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٩ ، ج ٤ ص ٦٦ ، حل ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

الفصل الثاني

السلطين الممايكه والابقطع

الأرض السلطان وجنوده - أقسام الأراضي - القاعدة
العامة في التوزيع الإقطاعي - الأسباب العامة في التوزيع الإقطاعي :
تدبير السلطان - عرض الجيش - الحاجة إلى المسال وحل بعض
الأوقاف الإسلامية والتنمية وإقطاعها - اتساع رقعة الأرض - إقطاع
التملك - الأسباب الثانوية في التوزيع الإقطاعي - تقدم لاجئ
سياسي - هوية السلطان وشرعه - المراعي والمدائن وإقطاعها -
إقطاع المكوس - إقطاع الهدية والضيافة والزكاة - الجزية وإقطاعها .

حزب
مَعِينِ التَّارِخِ
لأهل التَّارِخِ

يعتبر عصر السلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧م) ، العصر الذى اكتملت فيه التنظيم الإقطاعية الحربية فى الشرق الأوسط ، فقد نشأ المماليك فى هذا النظام زمن الأيوبيين وأقاموا دولتهم الإقطاعية الكبرى على أنقاض دولة أساتذتهم من الأيوبيين^(١) .

واعتبرت الأرض ملكاً للسلطان وجنوده ، وهو الاعتبار الذى وضع زمن السلاجقة . يقول نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى : وأرض المملكة وسكانها ملك للسلطان^(٢) وذكر المقرئى وابن إياس ، أن أرض مصر زمن المماليك ، كانت تنقسم إلى سبعة أقسام ، هى :

- ١ - قسم مجرى فى ديوان السلطان ، وهو ثلاثة أقسام :
 - (أ) منه ما يجرى فى ديوان الوزارة .
 - (ب) ما يجرى فى ديوان الخاص .
 - (ج) ما يجرى فى الديوان المفرد .
- ٢ - قسم أقطعه السلطان للأمرء والجنود .
- ٣ - قسم جعل وقفاً على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى البر وعلى ذرارى وافقى تلك الأرض وعقائهم .
- ٤ - أرض الأحباس ، وتجرى أرضها بأيدى قوام يأكلونها ، إما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع ، وإما يكون لهم ، فى مقابل عمل .
- ٥ - ملك يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال .
- ٦ - قسم لا يزرع للعجز عن زراعته ، فترعاه المواشى أو ينبت فيه الحطب ونحوه .

٧ - قسم لا يشمل ماء النيل ، فهو قفر ، ولا يزال كذلك ، ومنه ما كان عامراً ثم خرب (٢) .

ومع وضوح اقتصار الإقطاع على القسم الثاني ، في هذا التقسيم ، إلا أن جميع الأقسام الأخرى رغم تسمياتها المختلفة ، تعرضت للتوزيع الإقطاعي في أوقات مختلفة . فثلا القسم الأول ، ويشمل البلاد والإيرادات المخصصة للنفقة على الدواوين السلطانية ، هذه تسمى إقطاعات ، فديوان الخالص هو المشرف على الخالص الشريف وهو الإقطاع السلطاني ، وهناك ما عرف باسم إقطاعات الديوان المقرود وهكذا .

يقول القلقشندي : كانت البلاد يحملها جارية في الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الخند ، إلا النزر اليسير مما يجري في وقف ملوك مصر على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها ، مما لا يعتد به لقلته (٤) .

والقاعدة العامة في التوزيع الإقطاعي ، وحدتها «القيراط» ، إذ كان خراج مصر يقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، توزع أجزاؤها على القرى توزيعاً متناسباً مع طاقتها ، وتعرضت مقادير الخراج سواء في مجموعها الكلي أم في الأجزاء الموزعة على القرى ، لكثير من التعديل (٥) .

وفي عصر المعاليك ، اختص السلطان بأربعة قراريط «للكلف والرواتب وغيرها» ، على حين أفرد عشرة قراريط للأسراء والإطلاقات أي المنح والزيادات : أما العشرة الباقية فهي للتوزيع بين الأجناد (٦) . وطبقت وحدة القيراط كذلك على جزئيات الخراج المقرر على بعض القرى ، فثلا : بلدة ديبج بالشرقية ومساحتها ٢٨٦ فداناً ، كان المقرر عليها ٨٠٠ دينار ، لديوان الذخيرة قيراطان والباقي للربان (٧) .

والأراضي المقطعة ثلاث درجات من حيث الري والحصوبة ووفرة الإنتاج ، اختص السلطان وكبار أمراءه ، على قدر منازلهم ، بأجود هذه الأراضي ؛

فمنهم من اجتمع له نحو العشرة بلاد منها ، ويسمى التلقشندى هذا النوع من الأراضي (البلاد الغنية الكثيرة المتحصل) (٨) ، أما المتوسطة المحودة ، فتقطع للممالك السلطانية ، سواء انفرد الواحد منهم بجهة خاصة أو اشترك مع غيره . وبلى ذلك أرض الدرجة الثالثة ، وهذه تقطع لأجناد الحلقة والهربان والتركمان (من أرباب الإدراك وملزى خيل البريد وغيرهم) (٩) .

على أن الإقطاعات لم تقتصر على مختلف أنواع الأراضي بل تعدتها إلى جميع موارد الدولة ، ومصداق ذلك قول التلقشندى (المعاصر للممالك) « صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال ، من خراج الأراضي والحزبية وزكاة المواشي والمعادن والعشر وغير ذلك ، ثم تفاحش الأمر وزاد ، حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها» (١٠) .

ظل الإقطاع في عصر المماليك شاملاً لهذه الموارد المختلفة ، حتى مسح الناصر محمد بن قلاوون البلاد أو «راكها» (١١) في المصطلح ، وأبطل عدة مكوس وقصر الإقطاع على الأراضي والبلاد (١٢) . على أن ذلك لم يستمر من بعده ، ومن هذه أقطع السلطان ، وهو رأس الإدارة الإقطاعية ، لنفسه ولأعوانه الأراضي الواسعة أو المدن بخراجها ولواحقها ، مثال ذلك أقطع السلطان أيبك التركاني في سنة ٦٥١هـ - ١٢٥٣م الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحى . ثغر الإسكندرية بناء على طلبه ، وكتب له بذلك منشوراً وهذا بالإضافة إلى ما بيده من إقطاع كبير (١٣) . والأمير أبديغدى العزيزى دمياط زيادة على إقطاعه ، وارتفاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار (١٤) . وأقطع السلطان قطز الأمير بيبرس في سنة ٦٥٧هـ = ١٢٥٨م قلوب وأعمالها وذلك قبيل رحيله إلى حرب التتر (١٥) .

على أن هناك أسباباً عامة للتوزيع الإقطاعي ، أهمها عند قيام سلطان جديد ، فيعمل على تدعيم عرشه حتى ولو اقتضى ذلك مجاملة سلفه المعزول ، سيما وأن تغير السلطان يقترن في معظم الأحوال بكثير من إحداث القرن والمنافسة ، فلا بد لولى الأمر الجديد من إجراء حركة توزيع ومناقلات ،

أو زيادة أو عزل، بمعنى مانعته اليوم باسم « حركات التطهير للإدارة الحكومية » والقباس هنا مع الفارق دائما في التاريخ، وربما لجأ السلطان إلى عرض الجيش في الوقت الذي يختاره لإبعاد العاجزين عن العمل والمشكوك في ولائه ومكافأة العاملين .

كذلك عند حاجة السلطان إلى المال لإعداد الجيوش وقت الحرب أو استجابة لرغبته في الانتقام من بعض منافسيه ، وفي مثل هذه الحالات ، وقع الاعتداء على الأوقاف الإسلامية والذممة بالحل والإقطاع .

وإذا اتسعت رقعة الأراضي بالفتح الخارجي أو بالإصلاح والعمارة للأراضي البور ، وزع السلطان هذه الأراضي الجديدة لإقطاعات ، ومن هذا التوزيع ما كان تملكاً ، وبجانب هذه الأسباب العامة ، هناك أسباب ثانوية خاصة لهذا التوزيع ، مثل قنوم طارئ لاجئ من أصحاب السلطة والمكانة في بلده ، ويعبر عن هؤلاء في لغة العصر باسم « الوافدية » أي الوافدين من الخارج ، وهم اللاجئون السياسيون في المصطلح الدولي الحديث ، واقتضت التقاليد توفير الحياة الملائمة لهؤلاء من باب الشهامة والنخوة ، فضلا عن الأخوة بين أصحاب السلطة. وإقطاعهم هو الوسيلة المألوفة يومئذ ، وربما أعجب السلطان بهدية قدمت إليه ولا سيما إذا وافقت الهدية هوى في نفسه ، فإنه يمنح الإقطاعات نظيرها ، ومن عوامل توزيع الإقطاعات كذلك، شره السلطان إلى الحصول على المال ، فيمنح الإقطاعات نظير مبالغ من المال ، وهي أقرب ما تكون إلى بيع الإقطاعات .

تلك هي الأحوال التي وقع فيها التوزيع الإقطاعي في عصر المماليك ، ومن أمثلتها ما حدث سنة ٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ م حين انشق الأمراء على خلع السعيد بن بيارس من السلطنة وتعيين أخيه سلامش بدله ، إذ أقطع الأمراء السلطان المخلوع بلاد الكرك والشوبك وأعمالها^(١٦) وحين نزل الناصر محمد عن السلطنة سنة ٧٠٨ هـ - ١٣٠٨ م وتولاها بيارس الجاشنكير ، كتب

الحاشية للناصر تقليداً (١٧) بالكرك ، ومشوراً (١٨) بما عين له من الإقطاعات ،
وهي إقطاعات مائة فارس (١٩) .

أما السلطان الحديد ، كائناً من كان ، فيقوم عادة بإجراء توزيع
ومناقلات بين أمرائه ليدعم مركزه ، وليضمن ولاء من حوله ، ولا سيما
الذين أعانوه وأخلصوا له ، ومن ناحية أخرى ليبعد عنه من يخشى بأسهم ،
ومثال ذلك بيبرس البندقدارى بعد توليته السلطنة على أثر مقتل السلطان قطز
سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م ، فإنه أبعده سنجر بن عبد الله الصيرفي وهو من
أسيان الأمراء بمصر ، ومن يخشى جانبه ، فأعرجه إلى دمشق ليأمن عائلته ،
وأقطعه بها ، « خبزاً ، جيداً ، فأقام فيها حتى مات سنة ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م (٢٠) »
وأخذ كتبها ، الذي تولى السلطنة بعد عزل الناصر في سنة ٦٩٤ هـ -
١٢٩٤ م ، يقرب « خدائشيه » وينعم عليهم بتقادم الألواف وبالإقطاعات
السنية (٢١) ، ولما تولى السلطان شعبان العرش سنة ٧٦٤ هـ - ١٣٦٢ م ، خلع
على الأمراء وفرق الإقطاعات على طائفة من المماليك ، وجعل منهم أمراء
طبلخاناه وأمراء عشرات ، كما أنفق على العسكر (٢٢) ، وكذلك فعل الملك
المنصور محمد حفيد الناصر محمد بن قلاوون عند توليته العرش سنة ٧٧٢ هـ -
١٣٧٠ م ، إذ أفرج عن المسجونين من الأمراء ومنهم : طاز الناصري نائب
حلب ، وأقمر عبد الغنى وقطلوبغا المنصوري وغيرهم ، فحضرُوا وصعدوا
إليه بالقلعة حيث خلع عليهم ورفعهم إلى « تقادم الألواف » كما وزع عليهم
الإقطاعات (٢٣) ، ثم إن السلطان علي بن شعبان ، أنعم في سنة ٨٧٨ هـ -
١٣٦٧ م على الأمير طشتمر الحمدلي الشهير باللفاف وجعله أمير مائة بعد
أن كان أمير عشرة وعينه « أتايكا للعسكر » أى قائداً عاماً ، وعبر ابن إياس
عن هذه الطفرة بقوله : « فبقي أتايك العساكر في يوم واحد » ورفع السلطان
على بن شعبان في هذه المناسبة كثيراً من الأمراء إلى أمريات طبلخاناه مثل : -
تمريغا البدوي وعلي بن اقتمر عبد الغنى ، وأمريات عشرات مثل : اقبغا
السيني يلبغا وسودون العثاني وغيرهما ، ومما أخذ على السلطان

برقوق^(٢٤) (٧٨٤-٨٠١هـ - ١٣٨٢ - ١٣٩٨ م) في مثل هذا الصدد ، إعطاؤه إمرة مائة فارس وتقدمة ألف لقريبه الأمير قجماس وهو غنمي^(٢٥) لا يحسن التلفظ بالشهادتين ، حتى أن موظفي ديوانه كانوا يدخلون عليه (فيجدون الفقيه يعلمه الشهادة وقراءة الفاتحة وهو كالتيس بين يدي الفقيه^(٢٦)) ، وبدأ السلطان قايتباي سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧م * بتفريق الأقاطيع * على الجند وكان أكثرهم أبنالية ، وأمر جماعة كثيرة حتى رضوا^(٢٧) * وحين تولى ابنه محمد السلطنة في سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م فرق جملة أقاطيع * كانت في اللخيرة من أيام أبيه ، وكانت نحواً من ألف إقطاع ، على الماليك جميعاً ما بين أقطايع ورزق وغير ذلك^(٢٨) * وبلغ حرص السلطان جان بلاط على مكافأة الموالين له قبل فوات الأوان ، أنه كتب سنة ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠م وثائق الإقطاع بغير أسماء ووزعها على عساكره ، وذلك حين خرج طومان باي عليه بالشام وأعلن نفسه سلطاناً بدمشق ثم قدم غاربه بمصر ، وتحققت مخاوف جان بلاط بخلعه في تلك السنة^(٢٩) .

ومن الوسائل العامة العادية الكثيرة الوقوع في عصر الماليك ، في التوزيع الإقطاعي ؛ ما هو معروف بعبارة « عرض الجند » ، يلجأ أولو الأمر لهذه الوسيلة لقطع العاجز والمشكوك في ولائه من أصحاب الإقطاعات أو « الأخبار » ، واستخدام غيرهم فضلاً عن توفير بعض الإقطاعات للخزائن .

في سنة ٨٧٤١ - ١٣٤٠ م أمر الناصر محمد بن قلاوون ، بطلب أجناد الحلقة من الأقاليم ليعرضهم بحضرته ، وتولى عملية العرض الأمير برسبغا الحاجب ، في القلعة بالإيوان ؛ فكتب أوراقاً * بعبارة كل خبزه * أي يحصل كل إقطاع من الخراج ، كما قتش على ملابس الأجناد ، وشملت هذه الأوراق كذلك ، أسماء أصحاب المرتبات من الأجناد ، على مدينة بليس وبساتينها وحوانيتها ؛ وأسماء الأجناد المقطعين على (الحكورة)^(٣٠) كما قيدت

لإيرادات (المعادى) (٢١) ببولاق وجهات النظرون ، انتهت هذه الحركة بقطع (الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات ، من أولئك الأجناد ، كما قطع جماعة كبيرة من « المشايخ والمخارفين » (٢٢) ، وفرق بعض لإقطاعهم على أمرائه المقربين أمثال الأمير الطنبغا الماردينى والأمير بشتاك (٢٣) ، كما وزع البعض الآخر على المماليك السلطانية أرباب الجوامك (٢٤) ، واستبقى الناصر جزءاً من هذه الإقطاعات « للوافية » الذين يفدون من الخارج ، ثم أدخل ما توفر من الإقطاعات فى بيت المال (٢٥) . وكان الأجناد يكرهون هذه الحركة كلما أمر بها سلطان من السلاطين ، نظراً لما يحدث فيها من الحرمان أو الإقصاس ، لذلك احتالوا بشئ الوسائل لئى يصرفوا السلطان عنها ، وآية ذلك ما حدث فى عهد السلطان برقوق ، حين أمر بعرض أجناد الحلقة فى سنة ٧٨٩ هـ - ٧٩٠ هـ (١٣٨٧-١٣٨٨ م) وأرسل البريد إلى الأقاليم بطلب الأجناد ، كما دار التقاء عليهم ليكون العرض فى يوم معين ، فأنهز الأمراء الاحتفال بالمولد النبوى قبل ذلك ؛ وسعوا إلى الشيخ سراج الدين البلقينى (٢٦) والشيخ برهان الدين بن جماعة (٢٧) ، وهما موضع ثقة السلطان ، فتكلما معه لإبطال العرض ، لأن الخند فى « شدة عظيمة » قبل السلطان شفاعة الشيخين وأبطل العرض (٢٨) . وقد تدعو الحاجة إلى المال ليس لمجرد شره ولى الأمر فحسب ، بل لضرورات ماسة كالحرب وما تستلزم من نفقات لإعداد الجيوش وتجهيزها ، فضلاً عن الرغبة فى الانتقام من بعض ، وفى مثل هذه الأحوال وقع الاعتداء على الأوقاف والرزق الأحباسية عامة .

ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد ، على أثر عودته إلى سلطانه الأخيرة فى عام ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م ؛ فقد استولى على الأوقاف التى أوقفها بيبرس الجاشنكير (ت ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) على الخانات التى بناها ؛ وهى « الخانات المظفرية بيبرس » ووزعها لإقطاعات (٢٩) ، وحين رآك الناصر محمد البلاد روكا عاماً فى سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م (٤٠) ، ارجع الرزق (٤١) من هذه الأوقاف

من واضعى اليد عليها وأخرج ما هو باسم بيبرس الجاشنكير وسلار وبرلغى
والجوكندار وغيرهم من أصحاب الجاشنكير ، ولم يدع من ذلك شيئاً مما أوقفه
حتى حله وجعل الجميع إقطاعات^(٤٢) ، وفى عهد السلطان على بن شعبان ،
استدعى الأمير برقوق - وهو وقتذاك كبير الأمراء - جميع القضاة وشيوخ
العلم سنة ٧٨٠هـ - ١٣٧٨م ، وتحدث معهم فى حل الأراضى الموقوفة على
المساجد والمدارس والخواتم والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء
وعلى الرزق الأحباسية ، وجهزت أوراق بما وقف من أراضى مصر والشام
وبما تملك منها ومبلغها ، فى السنة ، فوجده مبلغاً ضخماً ، ويرر برقوق مشروعه
بأن هذا الوضع هو الذى أضعف جيش المسلمين ، فاعترض شيخ الإسلام
سراج الدين عمر البلقينى ، غير أن الأمر انتهى بإخراج عدة أوقاف وتوزيعها
إقطاعات^(٤٣) ، ووقعت مثل هذه المحاولة سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م فى عهد
السلطان فرج ، وذلك بمناسبة إنذار تيمورلنك بالزحف على مصر ، فاجتمع
مجلس المشورة للبحث فى جمع الأموال المطلوبة لإعداد الجيوش ، ومن
المسائل التى طرحت للبحث « ارتجاع الأوقاف وإقطاعها لمن يستخدم من
البطالين » ، فاعترض القاضى الحنفى جمال الدين المالطى بقوله : « القدر
الذى يتحصل منها قليل جداً ، والأجناد البطالة لا يستصحبهم إلا مع من غلب ،
ووظيفتهم النهب » . فانفض المجلس على ذلك^(٤٤) وفى سلطنة فرج الثانية ،
خرج الأمير جكم العوضى نائب حلب سنة ٨١٠هـ - ١٤٠٧م وتسلطن
بحلب (وبأس له الأمراء الأرض وتلقب بالملك العادل ، ووضع يده على
البلاد الشامية إلى القرات » ، ولحاجته لتقوية جنده : « أخرج أوقاف الناس
وجعلها إقطاعات وفرقها مثالات على عسكر حلب^(٤٥) » ، ويبدو أن بعض
الأمراء مدوا أيديهم إلى الأوقاف ، يدل على ذلك أن القاضى برهان الدين
ابن أبى البقاء أرسل إلى حاجب الحجاب أقبغا الكوكانى يلفت نظره إلى الوقف
المقطع فى حوزته ويطلب منه التعويض عنه ، فأجاب الكوكانى : إن السلطان
أقطعنى هذا ، ولما اجتمع به القاضى فى القاهرة أعرض القاضى عنه ،

فأكب أقبغا على يد القاضي ، فلم يلتفت إليه ، وهنا قال الحاجب : ما ذنبي ، قال القاضي : ثبت عندى فسقك ، وشرح له الموقف ، فأظهر أقبغا التوبة والاستغفار ونزل في الحال إلى بيت القاضي والمنشور معه ، وقال : غدا هذا الإقطاع كله وتصرف فيه كيف شئت ، غير أن القاضي قال : تقتصر على الشيء الموقوف^(٤٦) .

وتعرضت الرزق الأحباسية الذمية كذلك للحل والإقطاع في أثناء بعض الأزمات السياسية أو الاجتماعية، ويدل على ذلك أنه في سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤م رسم السلطان صالح بن محمد بن قلاوون بإحصائها، سواء ما كان منها مفرقاً في إقطاعات الأمراء ، أو قائماً بذاته في جهات معينة بأرض مصر ، فبلغت نحو ٢٥ ألف فدان ، موقوفة على الكنائس والأديرة ، فأتم بالموجود منها في إقطاع كل أمير على صاحب الإقطاع ، كما أعطى جماعة الفقهاء بعضاً منها^(٤٧) ، وتكررت عملية الحل والإقطاع لهذه الرزق في عهد السلطان حسن وأتابكية الأمير صرغتمش . إذ رفعت قوائم للأتابك من ديوان الأحباس سنة ٨٧٥٩ - ١٣٥٧م فوجد فيها عدة حصص جارية على منافع الكنائس والديور ، وحينئذ حنق الأمير صرغتمش، وتوجه من فورده إلى السلطان بالقلعة وتشاور معه في حلها وإخراجها « من يد التصارى » وانتهى الأمر بإقطاعها للأمراء زيادة على إقطاعهم .

الخلاصة أن الأوقاف على أنواعها تعرضت للحل والإقطاع مرات كثيرة خلال عصر المماليك برغم معارضة الفقهاء ، وبرغم شروط الواقفين ، ويبدو أن ابن لباس أراد الدفاع عن سلاطين المماليك عامة حين قال : (إن الرزق الأحباسية ما تعرض لها أحد من سلاطين مصر ولا أخرج منها شيئاً عن أصحابها ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك^(٤٨)) مع العلم أنه تحدث عن إقطاع الوقف^(٤٩) في أكثر من موضع من كتابه ، ولعله ذكر هذه العبارة بعد استيلاء العثمانيين على مصر ، ليستند إليهم الانفراد بحل هذه الرزق وإدخالها في الخزينة ، نظراً لحزنه على زوال دولة المماليك^(٥٠) .

إما إذا اتسعت رقعة الأرض سواء أكان بالفتح الخارجي أم بإصلاح الأراضي البور ، وزعها ولى الأمر إقطاعات بين أمراءه وأجناده ، وسار الممالك على هذه القاعدة حسب أصول شرعية^(٥١) ، مثال ذلك إقطاع السلطان قطز بلاد الشام لزملائه من الأمراء الصالحية والمعزية^(٥٢) ، على أثر هزيمة المغول سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م في واقعة عين جالوت بفلسطين ، وبعد انتصار بيبرس على الصليبيين بالشام سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٢م « أمره جماعة في الشام والساحل^(٥٣) ، وأجرى بيبرس التوزيع على هذا النحو الذي يصور هذه العملية أحسن تصوير ، ذلك أنه أحضر فخر الدين محمد بن حنا وزير الصحبة ، وجماعة من كتاب الدرج بديوان الإنشاء^(٥٤) على رأسهم فخر الدين بن لقمان ناظر الديوان^(٥٥)، ثم دعا السلطان طائفة من كتاب ديوان الجيش ، وهو ديوان الإقطاع^(٥٦) ، وعلى رأسهم فتح الدين بن سناء الملك صاحب الديوان ، كما طلب إلى الأمير سيف الدين الزينى أمير علم^(٥٧) أن يجلس معهم لكتابة المناشير وإعداد الطبلخاناه ، على أن يكون أتابك العساكر بن يدي السلطان ، ثم استدعى السلطان من « الجشارات^(٥٨) بمخممانية فرس لأجل الطبلخاناه وغيول الأمراء وأعدت الخلع والصناجق^(٥٩) وكتب التالات والمناشير بين يديه ، وهو يوقع عليها ، وبلغت عدة ما كتب من المناشير لكبار الأمراء نحو ٥٦ منشوراً سلمت جميعها لأصحابها مع ما يخص كلا منهم من العيول والصناجق والخيول والخلع ، ثم عين السلطان الأمير ناصر الدين القيمرى نائباً للسلطنة بالفتوحات الساحلية^(٦٠) ، وقام بيبرس بمثل ذلك حين فتح الكرك في السنة نفسها ، إذ أحضر هيئة الكتاب المختصين بكتابة الوثائق ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد وكتب بين يديه أكثر من ٣٠٠ منشور سلمت لأربابها بعد ما حلفوا اليه^(٦١) ، وعلى أثر فتح حيفا بعد هزيمة الصليبيين سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤م ، قسم بيبرس الإقطاعات بين أمراءه^(٦٢) ، وكذلك بعد فتح صغد سنة ٦٦٤ هـ - ١٢٦٥م أقطعتها للمرتبين لحفظها من الأجناد ، وجعل مقدمهم الأمير علاء الدين الكبكي^(٦٣) ،

ولما فتحت بلاد سبيس (أرمينية الصغرى) سنة ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م أيام الناصر محمد بن قلاوون بقيادة الأمير علاء الدين الطنغا نائب حلب ، أقطعها السلطان له ولتنكر نائب الشام وغيرهما من أمراء الشام ، كما أقطع بعضاً منها لجماعة من التركان والأجناد ، وعص الأمير تنكر من هذه الإقطاعات ثلاث ضياع هي : كواره ونجيمة وسرقتكار (٦٤) .

ومن الأراضي ما يرى ولي الأمر أن يوزعه إقطاعات من نوع التملك ، أي أن الأمراء الذين يجوزونها ، يصبحون مالكيين لرقبة الأرض ، انقصور يتصرفون فيها تصرفاً حراً ، وهذا على غير المتبع في التوزيع الإقطاعي العام على الاستغلال الشخصي الموقوت (٦٥) .

ومن أمثلة إقطاع التملك ما حدث سنة ٥٦٦٣ - ١٢٦٤ م . حين فتح بيبرس بلاد قيسارية بالشام ، إذ أمر بمسحها ومعرفة المزروع من ضياعها وقراها ، وحفظت الأوراق الخاصة بهذه العملية عند الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار ، وهو من الموظفين الذين يدخل ضمن اختصاصهم أمور الإقطاعات وتوزيعها (٦٦) . ثم طلب السلطان قاضي دمشق وهو شمس الدين بن خلكان (٦٧) وعلوها ووكيل بيت المال وجماعة من الفقهاء والأئمة ، وطلب إليهم أن « ملك الأمراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه » ، فكتب « التوقيع » لكل منهم وأرسلت إلى مصر حيث وقعها الوزير والحازندار وديوان الجيش ومستوفى الصحة وأثبتت ، ثم أعيدت للسلطان مرة أخرى فسلمها إلى الداوودية وأمرهم أن يفرقوها على أصحابها . فجاء الأمراء وقبلوا الأرض وتسلموا تواقعهم ، ثم كتب قاضي القضاة ابن خلكان مكتوباً جامع التملك (٦٨) ، وأشهد السلطان على نفسه وفرق على كل أمير نسخة بما ملكه إياه ، ومن الأمراء من حاز بلاداً بأكملها مثل الأمير إقطاي المستعرب الذي اختص ببلدة « عثيل » ومنهم من اشترك مع غيره مثل الأمير أيدغدى العزيزي الذي أخذ نصف « زيتا » وهكذا (٦٩) .

ومن أمثلة إقطاع التملك كذلك ، ما حدث في عصر السلطان خليل بن قلاوون ، حين أمر بتمليك قلعة الصبية في سنة ٦٩١ هـ - ١٢٩١ م للأمير بيدرا نائب السلطنة ، وكتب بذلك تقليداً شريفاً (٧٠) ، ومن هنا نشأ الملك الحر الذي تمتع به بعض أمراء المماليك ، بالإضافة إلى إقطاعهم التي يستغلونها فقط ، وهذا هو القسم الخامس من تقسيم مؤرخي العصر المملوكي للأرض ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة فضلاً عما تقدم ، ثم إن بعض الأمراء اشتروا الأراضي من بيت المال شراءً حرّاً ؛ فمثلاً يبيع في أواخر عصر المماليك أرض الخندق بضواحي القاهرة ، ومساحتها ٣٨ فداناً .

كما أن صنافير بالقليوبية يبيع منها ٣٠ فداناً (٧١) ، ويبتع سنهور كلها بالقوصية من بيت المال المعمور ، ومساحتها ٣٤٣٨ فداناً للأمير ناصر الدين ابن مسلم (٧٢) ، وكذلك يبيع من أراضي ترسا بالجيزة مساحة ٣٥٠ فداناً ؛ ويبيع من أراضي أبي قرقاص بالأشمونين ٤٠٠ فدان مع أنها كانت من أوقاف الأمير طيطغا الطويل (٧٣) .

غير أنه من الغريب أن تتعرض الأملاك الحرة كذلك للحل والإقطاع ، ولكن الراجح أن ذلك اقتصر على الأملاك التي اشترت من بيت المال بدليل استثناء بعض هذه الأملاك من هذه العملية ، كما هو الشأن في بلدتي قلعة وطوة بالهنساوية ، إذ حسبت مساحتها ٢٥٠٠ فدان خارجاً من الملك ، وهما ضمن إقطاع الأمير أزيك اليوسنى ومن معه (٧٤) ، واستند السلاطين في ذلك إلى قاعدة قياسية في حكم البيع من أراضي بيت المال إذ جوزها بعض الفقهاء : « يجوز بيع الأراضي الحراجية ، وبم هسنا المنقول والعقار والدور والأراضي . . . » (٧٥) ، إلا أن ذلك قل حدوثه ، ويسجل أبو المحاسن رفضه لهذا الإجراء بقوله إنه « يبيع لا يعبأ به الله قديماً ولا حديثاً » (٧٦) ، وهذا ما جعل الناصر محمد في روكه للديار المصرية سنة ٨٧١٥ - ١٣١٥ م يأمر بحل بعض هذه الأملاك « فارتفعت عدة بلاد كانت قد اشترت من بيت المال وأدخلت في إقطاعات » .

وأما إذا اتسعت رقعة الأرض باستصلاح العاطل والبور ، فهذه توزع
إقطاعات لأن الأراضي البور ، وإن لم يعتد بها في المساحة الأصلية المقطعة ،
داخلة في إقطاع الأمراء فعلا ، فإذا استصلحت ، لا بد من إقطاعها ، ويعبر
عن هذا النوع من الأراضي باسم « زايد القانون » (٧٧) أي الزائدة أو الخارجة
عن المساحة الأصلية المقطعة ، واستخدمت كلمة « قانون » لتدل على المساحة ،
ومثال ذلك أن الإصلاحات التي أدخلها الناصر محمد في أمور الري من إقامة
الجسور وإنشاء القناطر أدت إلى ري أراض في البحيرة لم يكن يعلوها ماء
الري قبل ذلك ، فقدم كاشف البحيرة الأمير ركن الدين القلنجي ، وسأل
السلطان أن يقطع ولده منها « جزأ بعشرة أرماع » أي بقدر رمية الرمح (٧٨)
عشر مرات ، أو إقطاع أمير عشرة ، فلأنها زائدة عن قانون المقطعين . لذلك
ندب السلطان الموظفين لكشف هذه الأراضي ، وقياسها ، فبلغت ٢٥ ألف
فدان وكتب « مشاريحها » أي التقارير (٧٩) عنها ، ولم يذكر فيها غير ١٥ ألف
فدان لتفرقها في بلاد المقطعين وصعوبة حصرها بدقة ، ومن ثم كتب
السلطان بها ثلاث عبرتها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دبتار وفرقها على أرباب
الجوامك من المماليك ، غير أن أجناد الحلقة ، وهم أصحاب هذه الإقطاعات
الكثينة فيها هذه الأراضي ، تضرروا من هذا الإجراء (٨٠) ، كذلك استصلح
الناصر كثيراً من الأراضي ببلاد الحيزية وعمل على كل بلد جسراً وقنطرة (٨١)
ووزعت أراض كثيرة واستجد على ما أصلح ٣٠٠ جندي ، كما استصلح
كذلك عدة أراض بالشرقية ونواحي فوة وغيرها ، وهذه أقطعها للأجناد ،
حتى قيل : إن الديار المصرية زادت في عهد الناصر مقدار النصف (٨٢) .

والأحوال الثانوية التي يقع فيها التوزيع الإقطاعي كثيرة ، أهمها قدم
اللاجئين مثل أولاد الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وهم : إسماعيل (٨٣)
وأخوه إسماعيل صاحب جزيرة ابن عمر والمظفر صاحب سنجار ، قدم هؤلاء
الثلاثة إلى مصر أيام بيبرس سنة ٥٦٥٩ - ١٢٦٠م بعد دخول التتار بلادهم ،
« فأحسن إليهم (السلطان) وأعطاهم الإقطاعات الجلييلة (٨٤) ، وكذلك قدم

جماعة من ممالك الخليفة المستعصم البغاددة ومقدمهم شمس الدين سلار سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١م فأحسن إليهم بيبرس وعين لهم الإقطاعات بالديار المصرية (٨٥) :
ويحدث أن يكون للسلطان هواية خاصة ، فيمنح في سبيلها الإقطاعات ،
ومضرب المثل في هذه الحالة ، ولع الناصر محمد بن قلاوون بالخيول ، فهو
« أول من اتخذ ديوان الإصطبل » ، وأهم طائفة حصلت على الإقطاعات
الواسعة « بسبب الخيل » في عصره ، هم عرب آل مهنا وآل فضل من عربان
الشام ، وبلغ الأمر بالناصر أن أقطع مشايخ أولئك العربان الضياع الواسعة
بأراضي حماة وحلب ، وهذا غير ما دفعه لهم من أثمان الخيل ، واستغل
أولئك المشايخ حب السلطان لامتلاك الخيول الحيدة ، فإذا أراد أحدهم من
السلطان شيئاً قدم عليه ليخبره بفرس يقال لها كذا ، عند فلان ويأخذ في تعظيم
أمرها ، وسرعان ما يكتب السلطان بطلبها على الفور ، فيشتد صاحبها ويتمنع ،
ثم يقترح ما شاء من الضياع ، حتى يصل إلى هدفه ، صار هذا الأمر معروفاً
فياً بينهم (٨٦) . وبلغ من استغلالهم للناصر أنهم طلبوا منه بلاداً مقطعة لأمرام
حلب وحماة ودمشق ، وبلغ من شدة حب الناصر للخيل أنه أجابهم إلى
طلبهم ، وعوض الأمراء عن إقطاعاتهم التي أخذها منهم ، بل لك قوى شأن
آل مهنا وآل فضل ، وصاروا من القوة والكثرة بحيث خافهم من عداهم
من قبائل العرب (٨٧) .

ومن صور التوزيع الإقطاعي في عصر المماليك ، بيع الإقطاعات طمعاً
في المال ، ومن عرفوا بالشرة الزائد في الحصول على المال ، السلطان الكامل
شعبان إذ صار في سنة ٨٧٤٧ = ١٣٤٦م « يخرج الإقطاعات بمال معلوم » (٨٨) .
وخضعت المراعي وهي « الكلاً المباح » للتوزيع الإقطاعي في عصر
المماليك ولم يكن لولي الأمر قبل ذلك سوى الإشراف على تنظيم استغلالها
بالعدل على المشاع بين الناس ، فصار الأمير المقطع في عصر المماليك
هو الذي يتولى أمر استغلالها لحسابه باعتبارها جزءاً من إقطاعه (٨٩) ، وذكر
ابن إياس أراضي الرعي في القسم السادس من تقسيمه للأراضي ، والقاعدة

الشرعية في المراعى من الحمى النهى عنه في الحديث « لا حمى إلا الله
ورسوله » (٩٠) .

أما المعادن وهى التى ذكرها الفلفشندى ضمن الإقطاعات واستدل
بإقطاعها على فساد الحال (٩١) ، فالمعروف أنها صارت في عصر المماليك
تقطع وتضمن وتفرض عليها المكوس وأحياناً بحجر عليها أو تحتكر من قبل
السلطان ، مثل ضياع الملح وضمان الأطرون أو مكس الأطرون ، وهو التطرون ،
وكذلك معدن الشب ، وأبطل أحياناً وأعيد في أحيان كثيرة خلال ذلك العصر ،
وأشهر معدن أقطع في عصر المماليك هو « معدن التطرون » في مكان يعرف
باسم « الطرانة » قرب القاهرة غربى فرع رشيد ، وكان مقطعاً لعدة أجناد ،
وأضيف في بعض الأوقات إلى الديوان السلطانى ، وسار إقطاع التطرون
على قاعدة التضمين ، أى نظام القبالات المعروف في مصر في صدر الإسلام ،
وشملت هذه القاعدة الملح كذلك للاستغلال أو الارتفاق مقابل مبلغ يضمن
المقطع دفعه للسلطان (٩٢) .

وأما المكوس وتوزيعها إقطاعات في عصر المماليك ، فيرجع إحياؤها
أوائل ذلك العصر إلى الوزير هبة الله بن صاعد الفاضلى أحد كتاب الأقباط
الذين أسلموا في العصر الأيوبي ، فلمسا استوزره السلطان أيك التركانى
سنة ٥٦٥٠=١٢٥٢م ، أحيا بعض المكوس القديمة بأن قرر أموالا على التجار وفوى
اليسار وأرباب المقار ، سماها « الحشوق والمعاملات » ، واعتاد الامتلاص
على تسمياتها ، فاشتهرت باسم المكس والمقرر والرسم والضمان والموجب ،
ومنها ما يختص بالديوان السلطانى مثل مقرر البضائع الواردة إلى موانئ مصر
وهى عيذاب والتصبير والطور والسويس ، ومنها ما يختص بالمقطعين لوقوعها
في البلاد الداخلة في إقطاعاتهم (٩٣) ، غير أن بعض ولاية الأمور استنكرها ،
فاعتبر إلغاءها عدلا ووسيلة إلى التقرب إلى الله ، ويرجع هذا إلى مدى ظلمه ،
أو عسفه ؛ فثلا أبطل بيبرس جميع المكوس وكتب بذلك « مسامح » قرئت

الفصل الثالث

الزكاة

إعادة التوزيع الإقليمي العام وعوامله : العامل المسائل
والاجتهام - العامل الاقتصادي - العامل السياسي - أشباهه في
العرب الإقليمي - عملية الورك - الفحص النظري والتقليد -
تفصيل أنواع الأراضي - القائمون بهذه العملية في عصر الممالك -
التدخلات المختلفة بمقتضى الورك : في قاعدة التوزيع الإقليمي
العامة - البيرة - نوع الإقطاع وأماكنه - النظائر في العرب -
تحويل السنة الهجرية .

جزوب
مَعِينِ النَّارِ
لِأَهْلِ النَّارِ

أوجب النظام الإقطاعي في مصر في زمن المماليك، أن يقوم السلطان أو ولى الأمر بإعادة توزيع الإقطاعات ، كلما دعت الحاجة ، وجرت العادة أن يقوم كل سلطان جديد ، عند ولايته للعرش بإجراء تعديلات في التوزيع ، لكنها قد تكون محلية وفي نطاق محدود ، وقد تكون عامة شاملة ، ولقد أقر أوائل سلاطين المماليك ما فعله أساتذتهم الأيوبيون وساروا على نهجه ، لكنهم أجروا بعض التعديلات في التوزيع الإقطاعي ، نظراً لانتقال الملك إليهم .

على أنه قد توجد عوامل تدفع ولى الأمر إلى إعادة النظر في التوزيع الإقطاعي إعادة شاملة عامة، ومن هذه العوامل: العامل المالى والاجتماعي؛ كأن يتظلم الأمراء المقطعون من تراكم الخراج عليهم وعجزهم عن الدفع ، أو يشكو بعض الأجناد من معاملة أمراءهم ، وطغيانهم على حقوقهم ، أو يتلمز الفلاحون من تعنت الأمراء معهم وكثرة المغارم التي يخضعون لها ، فضلاً عن أعمال النهب التي يتعرضون لها من قطاع الطرق الذين يهتمون بالأمراء ، وهناك المكوس المتعددة التي يصيب الناس بسببها الظلم والحيف على أيدي مقطعيها أو ضياعها أو من شدة وطأتها وطرق جبايتها .

لهذا يجد ولى الأمر نفسه مضطراً - في سبيل الإصلاح - لإعادة النظر في التوزيع الإقطاعي بشكل شامل ، فيقوم بمسح الأراضي لحصرها وتقديم درجة خصوبتها لربط خراج مناسب عليها وإعادة إقطاعها ، وعرفت هذه العملية في المصطلح باسم «الروك» ، غير أن الروك ليس من مبتكرات المماليك أو النظام الإقطاعي المملوكي ، فهو نظام قديم عرفته مصر منذ فجر الإسلام ،

وعرفته الدولة الإسلامية ، قبل عصر الماليك ، وقد حدث أن ريكث مصر أكثر من مرة قبل عصر السلاطين الماليك .

والروك كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الجبل ، ثم استعملت للدلالة على عملية قياس الأرض بالحيل ، وهي بنورها مشتقة من اللفظ الديموطيقي (روخ) ، ومعناها تقسيم الأرض .

وقد اصطلح على استعمالها في مصطلح الإدارة المالية في مصر والثام في العصور الوسطى : للدلالة على عملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتقييمها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها ، وذلك مرة في كل ثلاثين سنة . والمعروف حتى الآن من حوادث الروك بمصر في العصور الوسطى ، قبل عصر الماليك خمس : أولها حوالي عام ٨٩٧ - ٧١٥ م على يد ابن رفاعة والى مصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي ، وثانيتها سنة ١٢٥ هـ - ٨٦٧ م وقد تم أيام ابن المدير عامل الحجاج بمصر في خلافة المعتز بالله العباسي ، ورابعها : الروك الأفضل سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٧ م ، نسبة إلى الأفضل ابن أمير الجيوش في عهد الخليفة الأمر الفاطمي ، وخامسها الروك الصلاحي نسبة إلى السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي ، وقد تم عام ٥٧٢ هـ - ١١٧٦ م . على أن مدة الثلاثين سنة ، نظرية وليست ثابتة أو مطردة ، فمثلا جاء روك السلطان حسام الدين لاجين في مصر عام ٦٩٧ هـ بعد روك صلاح الدين بـخمسة وأربعين سنة ، كما جاء الروك الناصري سنة ٨٧٥ هـ بعد روك لاجين بثمان عشرة سنة (١) .

ويتضح في الروك الحسامي الذي قام به السلطان حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م - وهو أول روك معروف زمن السلاطين الماليك - أن من الأسباب الكبرى التي دعت إليه طغيان الأمراء على أتباعهم وأكلهم الحقوق الواجبة عليهم : إذ كانوا يأخذون كثيراً من إقطاعات الأجناد فلا يصل إلى الأجناد منها شيء ويصير ذلك الإقطاع في دواوين الأمراء ويحتسب بها قطاع الطرق ، وفي عبارة أخرى : « يبني الإقطاع في حمى الأمراء ، يأوى إليه

كل مفسد وقاطع طريق وتثور بها الفتن وتقوم بها الهولاء ، ويمنع منها الحقوق والمقررات اللبوانية ، وتصير مأكلة لأعوان الأمراء ومستخدمهم ، ومضرة على أهل البلاد التي تجاورها . من أجل ذلك عمل السلطان لاجين على رد تلك الإقطاعات على أربابها من الأجناد وإخراجها بأسرها من دواوين الأمراء (٢) .

ابتدأ السلطان لاجين بالنظر في إقطاع الأمير منكوتمر نائب السلطنة ، فأخرج ما كان فيه من الإقطاعات المنتصبة التي بلغ متحصلها في السنة أكثر من مائة ألف لردب غلة ، ثم اقتدى ، جميع الأمراء بنائب السلطنة وأخرجوا ما في إقطاعاتهم (٣) ، ثم إن السلطان لاجين أبطل في هذا الصدد ما عرف باسم « الحمايات » وهي مزارع مفروضة على الأراضي والقرى والعقارات مثل الطواحين والحوايت والأفران والمساكن (٤) .

ومن الناحية الاقتصادية يرى السلطان ضرورة روك البلاد لإعادة النظر فيها طرأ على الأرض من إصلاح أو عمارة أو إهمال ، لإنقاص الخراج أو زيادته حسبما يقتضيه الوضع الراهن الذي آلت إليه الأرض ، كأن تكون وسائل الري تحسنت مما يستدعي زيادة الحياطة ، أو تكون الأرض قد ضعفت بسبب ضعف المقتعين وكبر سنهم وعجزهم عن القيام بما يتطلبه استئجارها من جهد وعناية ، أو بسبب قلة أهلها في أعقاب حرب أو وباء أو فتنة ، وما أكثر هذه الأحداث خلال تلك العصور ، أو أن الأرض أجديت لنقص في ماء الري أو صارت ضامرة أي « قطعها البحر » ، في المصطلح مما يقضى لإنقاص الحياطة أو إلغاؤها ، وفي ذلك يقول بيبرس الدوادار : « إن لاجين أزمع روك الديار المصرية وتغيير الإقطاعات وترتيب المعاملات لأن النواحي آلت إلى الخراب ، والفلاحين عجزوا عن الخراج وصارت الأراضي تبور لضعف المزارعين وتفرق والشكاوى من المقتعين داعية في كل وقت (٥) .

والأمثلة كثيرة على هذا التحول الذي يحدث للأراضي ، منها الحوض المعروف باسم « اليهودي » والمجاور لخربتنا بالبحيرة ، مساحته ٣٤٠ فداناً كان

مقطعاً ثم صار خراباً ، والنقراش مساحتها ١٥٥٦ فداناً كانت مقطعة ثم صارت رزقة خراب ، وفي الغربية، حصّة فارس الشام، مساحتها ٣٤٠ فداناً آلت إلى الخراب ، وكذلك أبو شادى والكرملة بالأعمال الأخميمة التي كانت مقطعة لتولى البنسأوية ، ومن البلاد التي قطعها البحر وصارت غامرة ، جزيرة الواسطا بالأعمال الألفيحية كانت مقطعة ثم صارت غامرة إذ قطعها البحر ، وبالفيوم مدينة ترسا مساحتها ٢٠٩٦ فداناً كانت مقطعة ثم صارت تحت الفرق وهكذا (٦) .

وتكون عملية الروك لأسباب سياسية وذلك لتوزيع الإقطاعات على الموالين لول الأمر بدلا من الخائنين أو الخارجين عليه أو المشكوك في ولائهم ، حدث ذلك في الروك الحسامى ، إذا اختلف بعض الأمراء مع السلطان لاجين ، ومنهم يكتمر السلاح دار وغيره ، ففروا إلى بلاد التتر حيث أقطعهم غازان ملك التتر (٧) الإقطاعات الحليّة ، بل إنه تجهز معهم حين استعدوه على سلطنة المماليك في مصر (٨) ، فلما رآك لاجين البلاد قطع وأحجازه أولئك الخارجين عليه ومن لف لفهم ، واستبدل بهم غيرهم من الموالين ، ويقال إنه بالغ في ذلك لدرجة أضعفت الجيش المملوكى وخصوصاً الحلقة (٩) .

كذلك اتخذ السلاطين من الروك وسيلة من وسائل التقليل من نفوذ كبار الأمراء إذا اتسعت إقطاعاتهم وقويت شوكتهم ، فخشية من مفاجأتهم باسترجاع الإقطاعات منهم أو إنقاصها ، دون سبب ظاهر ، توصل السلطان إلى غاية بمسح البلاد من جديد وإعادة توزيعها إقطاعات ، واستطاع أن يغير ما يلزم تغييره من الإقطاعات . وضح هذا في روك الناصر ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م إذ استكثره أحجازه المماليك من أصحاب بيبرس الجاشنكير وبقية البرجية ، فقد بلغ خبز الأمير منهم مبلغاً يراوح ما بين ألف مثقال إلى ثمانية آلاف (١٠) ، ولذلك عمل السلطان الناصر خلال سلطته الثالثة التي بدأت عام ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م على الاستيلاء على إقطاعاتهم ، ومن ثم قرر مع القصر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد (١١) وعندما فتح العثمانيون مصر ، واحتفى طومان باى ، قرر السلطان سليم في ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م مسح البلاد لقطع أحجازه من احتفى

من الممالك ورسم على مباشرى الأمراء الذين قتلوا حتى يقيموا حساب إقطاعاتهم . فأقاموا « بالترسيم » مدة ، والمقصود بالترسيم هو الحجز الاحتياطي^(١٣) .

وعملية الروك في ظروف الفتح وعند تغير الهيئة الحاكمة ، لها شية فيما فعله وليام الفاتح الرومانى بعد أن فتح إنجلترا سنة ١٠٦٦ م . فقد قرر روكها لتقرير الخراج المناسب وإعادة توزيعها إقطاعياً على أتباعه ، وصحبت هذه العملية فيما عرف باسم « كتاب الروك النورمانى »^(١٤) . على أن الدافع لعملية الروك النورمانى لم يكن نتيجة لظروف الفتح وتغير الهيئة الحاكمة فحسب ، وإنما يرجع إلى أسباب اقتصادية وحرية في الوقت نفسه ، اقرنت بها إبانته ، إذ أشيع عام ١٠٨٥ م أن كانيتو Canute ملك الدانمرك يستعد للزحف على إنجلترا ، وكان الملك وليام وقتذاك في نورمانديا بفرنسا فلما سمع بذلك أسرع إلى إنجلترا بقوة هائلة جمعها من فرنسا ، وبريتانى لم يسبق لتلك السواحل مشاهدتها . حتى قيل إن الناس بدعوا يعجبون كيف تبنى إمكانيات إنجلترا الغذائية هذا العدد الضخم ؟ ولكن الفاتح وزع الجنود في طول البلاد وعرضها وأزم الرعايا بإمدادها بالمؤن ، كلابحسب ما يحوزه من الأرض ، ومع أن كانيتو لم ينفذ ما أشيع عنه عن الغزو وقعد ، لم ير وليام بدأ من تنظيم موارد البلاد وإعادة توزيعها على النظام الإقطاعى الحربى حتى يضمن وجود قوة حرية وموارد منظمة عند الحاجة . ولذلك عقد أكثر من جلسة مع نبلاته ، وبدأ مشاوراته في عيد رأس السنة في ١٠٨٥ م في جلوستر ، حيث ظل المجلس منعقداً لمدة خمسة أيام ، ثم عقد مجلس دينى بإشراك رئيس الأساقفة ، استغرق ثلاثة أيام ، وختمت هذه الجلسات بعقد المجلس الأعظم ، تقرر في هذه المجالس توزيع الإقطاعات توزيعاً عاماً ، وتحديد قنات المقطعين ومساحات الإقطاعات . وبدئ بعد ذلك في عملية الروك نفسها بالفحص والقياس والتسجيل والتوزيع الفعل^(١٥) .

أما عملية الروك التى تمت في عصر السلاطين الممالك لإعادة التوزيع الإقطاعى بشكل عام ، فلأجراماتها أن يتدب السلطان بعض الأمراء ، ويوزعهم

على الأقاليم ويصحح كل أمير عدد من الكتبة والمساعدين ، فإذا نزل الواحد منهم بالجهة التي ندب إليها ، طلب مشايخ كل بلد ودلاءها وعدولها ليعاونوه في عملية الفحص النظري أولاً ، وهذه يتولاها ، « الدلاء » من أهل الناحية ، فيقومون بتعيين أسماء المزارعين للأراضي المزروعة وتفصيل الأرض ببقاعها وأصناف مزرعاتها « وقطايعها » المقروضة عليها ، كما أنهم هم الذين يتولون عمل الدفاتر المعروفة باسم « القناديق » و « القوانين » و « السجلات » ، ويقع شيخ كل بلد على ما يسجله (١٥) ، وبعد ذلك يطلب الأمراء قضاة الجهة والسجلات التي بأيدي المقطعين فيها ، وذلك لفحص التحصل من عين وغلة وأصناف ، ومعرفة المساحة بالقدان (١٦) ، ثم ما بها من الأراضي المزروعة أو البور .

وكذلك عبرة الناحية وما عليها لمقطعها من غلة ودجاج وخراف ويرسم وكشك وعدس وكمك وغير ذلك من ألوان الضياقة المقررة بحكم العادة (١٧) ، يحرر هذا كله ، ثم تبدأ عملية القياس بمساعدة العدول والقياس وقاضي العمل ، ولا بد من بيان نوع الأرض في المساحة التي تقاس إن كانت من نوع البرابب أو البواق أو النقا أو الخرس أو المستبحر (١٨) . فثلاً نجد في إقليم إبيار وجزيرة بنى نصر شرق فرع رشيد (١٩) ، مساحة مدينة أكوى مفصلة في الروك الناصري بالنقا والخرس وجعلتها ١٧٧٢ فداناً (٢٠) ، ومساحة حصة عامر نقا وخرس ومستبحر ١١٦٢ فداناً (٢١) ، وقد يوضح مساحة كل نوع على حدة بعد ذكر المساحة الإجمالية كما هو في مدينتي أبي شادة والكرمانية بإقليم الإلخيمية بالوجه القبلي فمساحتها الإجمالية ١٢٦٩ فداناً وتفصيلها : نقا ٢٥٠ فدان وخرس ١٠١٩ فداناً ومساحة إدفه بهذا الإقليم كذلك ٧٣٥٠ فداناً ، وتفصيلها : ٢٤٤٧ فداناً نقا ، ٤٩٠٣ فداناً خرس ومستبحر وهكذا (٢٢) ، على أن هناك بلاداً لم تسمح الروك مثل المعصرة بالشرقية وعبرتها ١٠٠٠ دينار ، كانت مقطعة لثولي الغربية ، وتطورت بعده إلى الديوان المفرد ، وهكذا (٢٣) .

وبعد عملية القياس ، تطلب « مكلفات القرية » وهي سجلاتها ، لمعرفة

لخاصته ، خرجات ضياع الغوطة والمرج وكذلك الضياع التي هي منازل من دمشق إلى العريش» (٥٠) .

هذا ما يتعلق بالسلطان في اختياره لنوع الإقطاع ومكانه ، أما إقطاعات الأمراء ، فيستطيع السلطان كذلك أن يعينها في الأماكن التي يختارها بحسب درجة ولاء الأمير ، ومثال ذلك ما حدث في الروك الناصري حيث وزعت إقطاعات بعض الأمراء والأجناد في أماكن متباعدة إضعافاً لهم ، ليضمن تمرکز السلطة في يده ، ويرجع هذا إلى تدبير الأقباط الذين أسلموا ، وهم المعروفون باسم « المسألة » وهؤلاء ترجمهم الناصر (٥١) ، وليس هذا غريباً في باب ، إذا علمنا أن السبب الرئيسي في الروك الناصري هو استكثار الناصر لأخياز الأمراء ، أصحاب الثور الأول في عزله من سلطته الثانية (٥٢) فأراد أن يحتاط لنفسه ، حتى لا يمكن غيرهم من القوة والتركيز بحيث يصبحون خطراً على عرشه . غير أن هذا لا يبنى مسئولية الأقباط ، يقول المقرئزي : « ومكر الأقباط فيما أمكنهم المكر فيه ، فبدوا بأن أضعفوا عسكر مصر فصار بعض الجبي في الصعيد وبعضه في الشرقية وبعضه في الغربية ، إتعاباً للجندى ، وتكثيراً للكفة » (٥٣) والدليل على أنهم كانوا يعملون لمصلحتهم بصدد هذا الروك كذلك أنهم كما يقول المقرئزي : « أفردوا جوالى النعمة من الخصاص (أى أخرجوها من الخصاص السلطاني) وفرقوها في البلاد التي أقطعت للأمراء ، والأجناد فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليهم إلى مقطع تلك الضيعة ، فاتسع مجال النصارى وماروا ينتقلون في القرى ، ولا يدفعون من جزيتهم إلا ما يريدون ، فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرته » (٥٤) .

وعمل بعض الأمراء الذين اشتركوا في روك الشام ٧١٢ هـ - ١٣١٢م أمثال سنجر بن عبد الله الجاولى ، على أن يختاروا لأنفسهم وماليكهم إقطاعات معينة ، فاختر سنجر هذا « لماليكه خيار الإقطاعات » ، على قول ابن حجر ، ولكن تنكر نائب الشام ، وقف له بالمرصاد ، فأمر السلطان بالقبض عليه (٥٥) . وتوزيع الإقطاعات في أماكن متباعدة لم يكن من مبتكرات السلطان

الناصر أوكابه الأقباطي في الروك الناصري ، بل سبقه في ذلك نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي^(٥٧) ، كما سبق إلى ذلك وليام الفاتح في الروك النورماني بانجلترا عام ١٠٨٦ م ، ولذلك امتاز النظام الإقطاعي النورماني عن غيره من نظائره في القارة بقوة الملوك^(٥٨) .

واقضى الروك تعديلات من نوع آخر للتوفيق بين السنة الخراجية القمرية والسنة الميلادية الشمسية ، وذلك بتقديم السنة القمرية سنة كاملة لتنظيم الخراج . ويرجع ذلك إلى وجود تفاوت^(٥٩) بين السنة القمرية ، وهي المعتمد عليها في جباية الخراج ، وبين السنة الشمسية المعتمد عليها في مواسم الزرع ومواعيد استحقاق الجباية ، وتفسير ذلك : أن السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بمقدار أحد عشر يوماً وسدس يوم تقريباً ، ولذا تنقص السنة القمرية عن الشمسية سنة كاملة تقريباً كل ٣٣ سنة ، فإذا مضت ثلاث وثلاثون سنة حولت السنة الثالثة والثلاثون إلى تلو السنة التي بعدها ، أي إلى الخامسة والثلاثين وتلغى الرابعة والثلاثون ، وهو إلغاء نظري ، أو كما يقول أبو الفاضل : « تحويل بالكلام تنطق به السنة الأقسام »^(٥٩) ، والسبب في هذا التحويل أنه قديم حدث أن توافق مواعيد تحصيل الخراج أول السنة الهلالية ثم تزحف هذه المواعيد فتكون في وسط السنة الهلالية أو آخرها أو في السنة التالية بسبب تداخل السنوات الهلالية في الشمسية ويسبب قصر القمرية عن الشمسية ، وحينئذ يجبي الخراج المستحق عن السنة السابقة في السنة التي بعدها ، فتدعو الضرورة عند ذلك إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها بعد أن يجبي خراج سنتين دفعة واحدة ويلغى خراج السابقة ، وبذلك ينقل خراج السنة ٣٣ إلى السنة ٣٥ ويلغى اسم خراج السنة ٣٤ ، حتى توافق السنة الخراجية السنة الشمسية^(٦٠) .

طبقت هذه القاعدة في الروك الحسامي ٨٦٩٦ - ١٢٩٦ م وفي الروك الناصري بدمشق ٧٩٢ - ١٣١٢ م^(٦١) .

الرواسح التي استقر عليها التخصيص الإداري والفيزيائي - بعضي فروع التأسيس في سورية العربية لسورية
 ٥٧١٥ - ١٣١٥ م

الرقم	اسم الوثيقة أو الاموال	عدد فروعها	مساحة كل إقليم			بالعمود الإجمالي	بالعمود الإجمالي	بالعمود الإجمالي	بالعمود الإجمالي
			بالعمود الإجمالي	بالعمود الإجمالي	بالعمود الإجمالي				
١	سراسر القاهرة	٢٦	٢٩٠,٥٧٧	٢٠,٥٥٩٨	٣١١,١٣٦	١٣٣,٣٢١	١٥٩,٩٨٢	٢٩٣,٣٠٣	
٢	الاموال الكويتية	٦١	١٤١,٤٨٣	١٠٠,٥٢٤	٢٤٢,٠٠٧	٥١,٣٣٧	٧٣٥,٥٥٥	١,٢١١,٨٧٥	
٣	الاموال الكويتية	٣٩٦	٤٤٩,١٨٧	٣١٨,١٩٦	٧٦٧,٣٨٣	١٧٠,٥٥٨	٢٤٠,٨١٤	٥٩٦,٥٧١	
٤	الاموال الكويتية والبركانية	٢١٤	١٨,٣٤٤	٧,٣٢٦	٢٥,٦٧٠	٩,١٩١	١٢,٩٧٤	١١,٣٠٠	
٥	تبر مساهمات السوريين	١٤	١٤٦,٥٦٦	١٤٦,٥٦٦	٢٩٣,١٣٢	٥٥٧,١٧٦	٧٨٦,٥١٧	١,٣٤٣,٧٠٥	
٦	الاموال الكويتية	٤٧٧	١٤١,٤٨٣	١٠٠,٥٢٤	٢٤٢,٠٠٧	٥١,٣٣٧	٧٣٥,٥٥٥	١,٢١١,٨٧٥	
٧	اموال الكويتية	١٣٣	٤٤٩,١٨٧	٣١٨,١٩٦	٧٦٧,٣٨٣	١٧٠,٥٥٨	٢٤٠,٨١٤	٥٩٦,٥٧١	
٨	عمل البندر وجدة	٤٩	١٤١,٤٨٣	١٠٠,٥٢٤	٢٤٢,٠٠٧	٥١,٣٣٧	٧٣٥,٥٥٥	١,٢١١,٨٧٥	
٩	اموال الكويتية	٣٣١	٤٤٩,١٨٧	٣١٨,١٩٦	٧٦٧,٣٨٣	١٧٠,٥٥٨	٢٤٠,٨١٤	٥٩٦,٥٧١	
١٠	إقليم طرّة والزاحمين	١٦	١٨,٣٤٤	٧,٣٢٦	٢٥,٦٧٠	٩,١٩١	١٢,٩٧٤	١١,٣٠٠	
١١	إقليم شمّرارة	٦	١٤١,٤٨٣	١٠٠,٥٢٤	٢٤٢,٠٠٧	٥١,٣٣٧	٧٣٥,٥٥٥	١,٢١١,٨٧٥	
١٢	تبر إسكندرية	١٤	٤٤٩,١٨٧	٣١٨,١٩٦	٧٦٧,٣٨٣	١٧٠,٥٥٨	٢٤٠,٨١٤	٥٩٦,٥٧١	
٢٤٨٧,٥٠٢٠		١٦٣٧	٢,٥٨٢,٧٧٧	٢,٥٠٠,٧٤٥	٥,٠٨٣,٥٢٢	١,٠٩٦,٥٥٧	١,٤٧٩,٥٥٢	٢,٥٧٦,١٠٩	

الجهة الممثل

الرقم	اسم المؤسسة أو الأعمال	نوعه	مساحة الأقليم		القيمة الإجمالية للمخارج المقدرة لكل إقليم	بالدينار الإجمالي	بالدينار المحلي
			بالدينار الإجمالي	بالدينار المحلي			
١	الإسكان الخيرية	١٥٤	١٦٥٥١٣٩	٢٣٣٥١١٧	٦٢٥٠٠٠	٣٧٥٢٠٠	
٢	الأهلية	٥٢	١٢٥٥٢١٦	١٧٦٥٧٦٣	١٤٢٥٩٩٧	٨٦٥٢٩٨	
٣	التجارية	١٠٤	١٥٥٥٣٥٢	٢١٩٥٢٠٥	١٧٤٥٠٥٠	٩٨٥٢٤٠	
٤	البيطرية	٥	٢٥٧٥١٢٦	٥٠٤٥١٤٣	١٥٤٥٥٨٥	٧٨١٥٥٨٥	
٥	الأخرى	١٠٤	٢٠٩٥١٣٩	٢٩٥٥٢٣٥	٧٢٥٥٢٤٠	٤٥٧٥٢٤٠	
٦	الطلابية	٥	٢٢٥٧٩١	٣٢٥١٧٣	٤٧٥٥٠٠	٢٨٥٥٠٠	
٧	السيوطية	٣٢	١٣٤٥٢٢٣	١٨٩٥٧٥٩	٣٢٢٥٩٢٠	١٩٤٥٢٥٢	
٨	الإقليمية	٢٥	١٢٠٥٦٢٠	١٧٠٥٢٧٥	٢٤٢٥٩٢٥	١٤٦٥٢٥٥	
٩	التجارية	٤٢	٢٤٥٥٠٩٣	٤٨٧٥١٥٦	٤١٤٥٦٦٣	٢٤٨٥٧٧٨	
	المجموع	٦٧٩	١٥٦٢٤٥٨٨٥	١٦٢٠٧٥٨٢٦	٢٥٤٤٤٥٧٣٧	٢٥٠٧٨٥٨٤٢	

ملاحظة : -

لم يحدث خلاف بين التقييم الأحدث وعدد التلاميذ في دولة لايجن من التقييم الأحدث وقع يتضمن لروك التجارية إلا ان اختلاف وضع في المحافظات وفق تقدير جهة الإحصاءات والمراجع للدر ومطابقا لمطابق كما وضع في هذا التقييم .

(مالية مصر من ٢٤١-٢٤٧ ، ٢٦٠-٢٦٦ والصحة القلبية من ٥٠٢) .



خريطة أسفيل الأرض

(الرمية المبركة)

كما استعمل في التسمية من الأرض له التسمية
 التي عهدت لها من قبله من قبله
 (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م)

المسحراء الشرقية

البحر الاحمر
 البحر المتوسط
 القاهرة
 أسيوط
 المنيا
 الفيوم
 البحيرة
 الدقهلية
 الغربية
 الشرقية
 جنوب سيناء
 شمال سيناء
 السويس

هوامش الفصل الثالث

- (١) السلوك ج٢ ص٤٦ حاشية ١ ، النجوم الزاهرة ج٨ ص٩٠ ، عمر طوسون : مائة مصر ص ٢١٤ - ٢١٩ ، ٢٢٨ - ٢٥٣ ، الثيال : صفحة من الحياة الاقتصادية في مصر الإسلامية - مجلة الثقافة عدد ٩٧ ، ٩٩ سنة ١٩٤٠ .
- (٢) غطط ج١ ص١٤١ - ١٤٢ ، السلوك ج١ ص٨٦٥ .
- (٣) غطط ج١ ص ١٤٢ .
- (٤) ظلت هذه الحمايات تفرض تارة وتلغى تارة أخرى ، غير أن الإقرار كان أقرب إلى الاستمرار ، وقد نظم السلطان برفوق جبايتها في سنة ٨٧٨٢ - ١٣٨٠م كما أقره السلطان فرج بن برفوق ديوانا لها وللمستأجرات . (التيسير والاعتبار ورقة ٥٢ - ٥٣ ، غطط ج١ ص١٧٩ ، السلوك (مخطوط) ج٣ ص٧٥٤) .
- (٥) تاريخ بيريوس ورقة ٧٥ ، السلوك ج٢ ص٨٤١ - ٨٤٢ وحاشية ٧ ، النجوم الزاهرة ج٧ ص٧٧ وحاشية ٢ ، ج٩ ص٥٢ - ٥٣ ، غطط ج٢ ص١٤٥ - ١٤٦ .
- (٦) التحفة السنية ص ٧٥ ، ص١١٩ ، ١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٨٨ .
- (٧) غازان محمود بن ارغون بن ايلخان هولوكو بن تول خان بن جنكيزخان ملك التتر ، جلس على عرش السلطنة سنة ٨٦٩٣ - ١٢٩٣م واعتنق الإسلام سنة ٨٦٩٤ - ١٢٩٤م فأسلم غالب جنده، وقد تمددت اعتدالاته على بلاد الدولة المملوكية ، وتوفي سنة ٨٧٠٣ - ١٣٠٣م (النجوم الزاهرة ج٨ ص٧١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣) .
- (٨) مورد الطائفة : ص٤٩ .
- (٩) سلاطين المماليك ص٤٥ .
- (١٠) غطط ج١ ص ١٤٢ .
- (١١) النجوم الزاهرة ج٨ ص١١٥ - ١١٦ ، ١٧٢ ، ١٨٠ - ١٨١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، ج٩ ص٣ وما بعدها ، السلوك ج٣ ص ١٤٦ .
- (١٢) أمر السلطان سليم في أواسر الحرم من ٨٩٢٣ ، وكان طومانباي في ذلك الوقت خفياً عنه أولاد مرعي ، لم يقبض عليه بعد ، بسج بلاد الشرقية ، وعين لهذا الغرض الأمير الشرق يونس الاستادار ليكشف ما فيها من إقطاعات المماليك والجراكسة وغير ذلك من الرزق والأوقاف وعين اثنين للقيام بسج الغربية ، وواحد لجهات الحلة واثنين لوجه القبلى (بدائع الزهور ج٣ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٣٠٣) .

(١٣) ترجع تسمية كتاب الروك باسم (Domesday Book) إلى رسالة نشرت بعد عملية الروك بنحو قرن من الزمان لمؤلفها (Nijel) وذلك سنة ١١٧٦م، فقد جاء في هذه الرسالة أن الإنجليز يسون كتاب المساحة أو سجل المساحة (Domesdei) تشبهاً بيوم الحساب لأن الشخص شغل كل شيء بحيث لم يتمكن أحد من الفرار منه ، ثم إن ما قرره هذا السجل يحدد الأراضي وملكياتها ، أمضى غير قابل للتغيير أو الاعتراض أو الاستئناف ، وهو محفوظ اليوم في مكتب السجلات العامة Chapter House ، وتحوى النسخة المخطوطة الأصلية لهذا السجل على مجلدين ، يختص الأول بمبحث معظم بلاد انجلترا على حين تناول الثاني ، وهو أقل حجماً من الأول ، بحث ثلاث كونتيات فقط هي نورفك وسكس وسفولك .

إلا أنه أكثر تفصيلاً في بعض البيانات برقم صغر حجمه ، وبالكتاب جميعه ستة جداول إحصائية يتفرد الأول بتعداد السكان وطبقاتهم ويوضح اثنين عدد الأقسام الفرعية لكل كونتية ، ويسمى الواحد من هذه الأقسام الفرعية باسم (Borough) ، ويذكر الجدول الثالث أسماء المدن ذات الأسوار مثل أكسفورد ويورك وغيرها ، أما الرابع فيضم أسماء دائرة كبار أصحاب الأملاك وعدد دوائر كل منهم ، فمثلاً تمتلك الأديرة نحو ٧٠٠ دائرة Minor ، والملك ١٤٢٢ دائرة ، ويفصل الجدول الخامس عدد الدوائر الموزعة في الكونتيات المختلفة لأحد السادة الإنجليز وهو سيد منطقة مورتن (Mortaine) كمثل ذلك ، كأن يقول : يمتلك هذا السيد في كونتية سكس (Sussex) ١٤ دائرة وفي يوركشير ١٩٦ دائرة وهكذا ، وبالجدول الأخير جملة السكان المحليين بطبقاتهم وحرفهم المختلفة مثل الأحرار المستأجرين (Alloarii) وأتات الأتقان (Ancillae) ورجال الأتقان (Berquarii) وغيرهم .

- (١٤) Davies, Documents, PP. 2 — 3
- (١٥) التيسير والاختيار ورقة ١٧ ، ج ٢ ص ١٤٩ وحاشية ٣ .
- (١٦) مساحة الفدان ٤٠٠ قصبة حاكية مربعة وطول هذه القصبة ٦ أذرع بالمغاضي و ٥ أذرع بالبخاري و ٨ أذرع بذراع اليد (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٩ وحاشية ٢ عن الفلقندي : صبح الأمتى ج ٣ ص ٤٤٦) .
- (١٧) حط ج ١ ص ١٤١ - ١٤٣ - ١٦٢ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٣ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

- (١٨) انظر الفصل السابع .
- (١٩) انظر الخريطة .
- (٢٠) التحفة السنية ص ١١٢ .
- (٢١) التحفة السنية ص ١١٣ .
- (٢٢) التحفة السنية ص ١٨٨ .
- (٢٣) التحفة السنية ص ١٧ - ١٨ .
- (٢٤) التحفة السنية ص ٣٩ .

- (٢٥) غلط : ج ١ ص ١٤٣ ، السلوك : ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٩ ، سلاطين الديارك
ص ١٤٦ .
- (٢٦) حيون التواريخ : ج ٢ ص ١٦٩ ، النجوم ج ٨ ص ٩٠ - ٩٣ - ١٩٣ ، السلوك
ج ١ ص ٨٤٢ ، تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ٣٩ ، ج ١ ص ٨٤٢ ، تاريخ أبي الفداء
ج ٣ ص ٣٩ ، تاريخ الملك الأشرف - خطوط غير مرقم - ، بدائع الزهور : ج ٦
ص ١٣٧ ، سلاطين الماليك ص ٤٥ .
- (٢٧) فتوح النصر : ج ٢ ورقة ١٨٨ ، نهاية الأرب (خطوط) ج ٢٩ ورقة ١٠٠ .
- (٢٨) فتوح النصر : ج ٢ ورقة ١٨٨ - ٢٣٥ ، غلط ج ١ ص ١٤٢ ، السلوك ج
ص ١٣٧ النجوم ج ٩ ص ٣٦ - ٤٢ - ٤٣ ، ابن لياس ج ١ ص ١٥٩ ، تاريخ بيروت ص ٨٩ -
٩٥ ، الجواهر الثمين ورقة ١٣٦ ، نهاية الأرب (خطوط) ج ٣٠ ورقة ٩٠ - ٩٢ .
- (٢٩) الجلول نسبة إلى أمير يقال له جلول من عهد يبرس وقد غنمه منجر هذا ثم
خدم عند قلاوون ثم الناصر .
- (٣٠) السلوك ج ٢ ص ١٢٧ ، القدر الكاشفة ج ١ ص ١٧٠ - ١٧١ ، النجوم ج
ص ٣٦ . بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٩ ، روض المناظر - خطوط غير مرقم ، فتوح النصر ج
ورقة ٢٣٢ ، التويرى : نهاية الأرب (خطوط) ج ٣٠ ورقة ٨١ .
- (٣١) السلوك ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٣٢) السلوك ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٣٣) انظر الفصل الرابع .
- (٣٤) راجع الفصل الثاني .
- (٣٥) السلوك ج ٢ ص ١٥٥ .
- (٣٦) غلط ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، السلوك ج ٢ ص ١٢٧ - ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٣٧) التحفة السنية ص ٤٧ ، ٨٨ - ٨٩ ، ١٣٠ ، ١٦٠ .
- (٣٨) انظر الفصل الثاني .
- (٣٩) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٤ - ٥٩ - السلوك ج ١ ص ٨٤٦ .
- (٤٠) السلوك ج ١ ص ٨٤٥ .
- (٤١) المصدر السابق ص ٨٤٦ .
- (٤٢) المصدر السابق ص ٨٤٥ .
- (٤٣) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٤ .
- (٤٤) المصدر السابق ص ٩٥ .
- (٤٥) السلوك ج ١ ص ٨٤٣ وحواشيها .

(٤٦) مرج بن هرم في الأعمال القصصية ، عبرته ، ٥٠٠٠ دينار ، المرحلة مساحتها ١٥٩٥٢ فنانا بحرس وعبرتها ١٠٠٠٠ دينار ، ادفو مساحتها ٢٤٧٦٢ فنانا بحرس وعبرتها ٢٠٠٠٠ دينار (التحفة السنية من ١٩١ - ١٩٥) .

(٤٧) كان يحصل من بعض إقطاعات متكوثر بالوجه القليل أكثر من ١٠ آلاف إردب خلة ، خارجا عن ذلك العين والفتود والأسال والتمر والأبنام والأصطاب، وكان يتبعه ٢٧ مصرة لغصب السكر ، سوى ماله من المشتريات والمتاجر وما له ببلاد الشام من تضبايع والقطار وما يرد إليه من التباد . (السلوك ج١ ص ٨٤٤ ، النجوم الزاهرة ج٨ ص ٩٣ - ٩٤ ، تاريخ بيريوس ورقة ٧٥) .

(٤٨) السلوك ج٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤٩) التكم الأحر بالأعمال البحرية لم يسمح ، أما المرج فيحبر من كفقور نقاعة بالبحيرة ومساحة ٥٧١ فنانا وعبرته ١٥٠٠ دينار وقد نقتضت هذه البحيرة فيها بعد إلى ٧٥٠ ديناراً والمخصوص تابعة لأسيوط لم تسمح في الروك وعبرتها ٧٢٠٠٠ دينار (التحفة السنية من ١٤١ ، ١٦٤ ، ١٢١ ، ١٨٥ ، خطط ج١ ص ١٤٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ٥٠ اليسير والاعتبار ورقة ١٦)

(٥٠) تاريخ بيروت ص ٩٦ .

(٥١) خطط ج١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥٢) السلوك ج٢ ص ١٤٦ .

(٥٣) الخطط ج١ ص ١٤٥ .

(٥٤) الخطط ج١ ص ١٤٥ .

(٥٥) الدور الكائنة ج٢ ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٥٦) راجع الفصل الأول .

(٥٧)

(٥٨) هذا التنازل غير متعارف المدد التقدر بالمال عن مقطع انتقل من الجلمسكية إلى الإقطاع خلال السنة . له غلة الإقطاع عن السنة كلها ، وفي هذه الحالة عليه أن يرد ما أخذه من الجلمسكية خلال الفترة التي عمل فيها بالجلمسكية من تلك السنة ، وهذا المبلغ هو المصطلح عليه بتفاوت المدد .

(٥٩) النجح السيد ص ٦٠٠ .

(٦٠) السلوك ج١ ص ٨٤٥ حالية ١ ، ج٢ ص ١٢٧ حالية ٤ ، صحح الأعمى ج١٣ ص ٢

٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٨ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، خطط ج١ ص ٢٧٢ ، نزهة الأبنام ورقة ٣٤ - ٢٣٩ .

(٦١) أول من فكر في نقل السنة الخليفة المتوكل عام ٨٢٤٢ - إذ كان خراج سنة ٨٢٤١ يستحق تحصيله في أول سنة ٨٢٤٢ ، فأمر بإنهاء ذكر سنة ٨٢٤١ لانقضاءها ونسبة الخراج إلى سنة ٨٢٤٢ ، وبجبي خراج سنتي ٢٤١ ، ٨٢٤٢ دفعة واحدة (صحح الأعمى ج١٣ ص ٥٧) .

الفصل الرابع

الأوراق التي تصدر بصدد التوزيع الإقطاعي

الإدارة الإقطاعية : ديوان الجيش وتسجيل البيانات -
الأوراق التي يصدرها ديوان الجيش : المثال - المربة - ديوان
الإنشاء والأوراق التي تصدر عنه - المنشور الإقطاعي وكيفية
صدوره - رتب المناشير - المناشير الطارئة - طريقة كتابة المنشور -
توقيع السلطان بملاته - الطغرى السلطانية وموضعها من المنشور -
تحليل المناشير - حفل توزيع الجوائز الإقطاعية في مصر وعما رجاها -
المجيدة الإقطاعية - الإخراج عن الإقطاعات .

تشمل الإدارة الإقطاعية - ورأسها السلطان - الدواوين والموظفين المنوط بهم أمر النظر في الإقطاع ، وأول هذه الدواوين : ديوان الجيش ، فهو « مظنة الإقطاعات » ، أى سجلها ، على قول القلقشندي^(١) ، كما أنه أكبر الدواوين المختصة بالشئون المالية^(٢). ويليه ديوان الإنشاء الذى تخرج منه الوثيقة الإقطاعية النهائية ، بناء على مايرد إليه من الوثائق التى تكتب فى ديوان الجيش^(٣) ، وبمقتضى هذه الوثيقة الأخيرة يصبح الإقطاع قانونياً فى يد صاحبه .

وأول هذه العملية أن يتسلم ناظر الجيش^(٤) الأوراق الخاصة بالروك من البلاد المختلفة ، لأنه الشخصية الأولى بعد السلطان فى أمور الإقطاع ، وتلخص اختصاصاته فى تحرى الدقة^(٥) فى مقادير الإقطاعات بأرجاء الدولة الملوكية ، والتشاور مع السلطان بشأنها وينص فى « توقيع » تعيينه على هذه الاختصاصات ، كما يوصى بالعناية بها ، ومما جاء فى هذه الصدد : « عليه الاحتياط فى أمر المربعات وجهات الإقطاع وما يترتب عليها من المناشير والنظر فى أمر المقطعين من العرب والتركمان والأكراد ومن عليه مقدمة أو درك أو غير ذلك »^(٦) .

يراجع ناظر الجيش البيانات الواردة بأوراق الروك ويفحصها فى ديوانه ، وبعد إتمام هذا الفحص ، يأمر السلطان بكتابة الوثائق المختلفة ، ويتولى كتابتها كتاب الجيش بإشراف الناظر ، وربما كتبها بين يدي السلطان فى بعض الأحيان^(٧). وأول وثيقة يصدرها ديوان الجيش هى « المثال »^(٨) التى تنص على الإقطاع المدنوح ، سواء أكان جديداً لأول مرة أو منقولاً عن مقطع سابق ، وادم المقطع الجديد والسابق إن وجد ، وعبرة الإقطاع ثم تاريخ الاعتماد ، وربما

خلا المثال من اسم المقطع واقتصر على عبارة الإقطاع فقط ، بدليل أن السلطان أو نائبه في بعض حفلات توزيع المثالات ، أعطاهما « بحسب الحفظ » وبدليل أن كثيراً من المقطعين تألموا حين استلموا مثالاتهم ، فمنهم من جاء إقطاعه دون ما يأمل ، ومنهم من ظفر بإقطاع فوق ما ينتظر .

ويوقع السلطان هذه المثالات بكلمة « يكتب » ثم يليه توقيع ناظر الجيوش تحت توقيع السلطان بعبارة « يمثل الأمر الشريف » (٩) .

أما صورة المثال ، فهي ورقة من جدولين : أيمن وأيسر ، يكتب في الجدول الأيمن بعد ترك الثلثين من أعلاه أيضاً عبارة : « خبز فلان المتوفى إلى رحمة الله أو المرسوم ارجعاه أو المنتقل عنه إلى غيره ونحو ذلك . . . على أن تكون كلمة « خبز » في سطر واحد قائم بذاته ، وباقي الوصف تحت ذلك في سطر واحد ، وفي السطر الثالث تكتب عبارة « عبارة كذا ديناراً » ، ويكتب في الجدول الأيسر « باسم فلان الفلاني » . . ثم يأتي توقيع السلطان وبعده توقيع ناظر الجيوش ، ثم يعجل الناظر المثال المعتمد هكذا إلى أحد كتّاب الجيوش « فيخلده عنده » ويكتب تاريخه (١٠) . ويكتب بمقتضى هذا المثال وثيقة ثانية مربعة الشكل وهي « المربعة » .

وتتضمن المربعة البيانات الموجودة بالمثال ولكن بتفصيل أكثر ، فيذكر فيها مرتبة الأمير وعدد أتباعه في الأجناد ، كما يشار في الإقطاع إلى تحديده من حيث شموله جهة كاملة أو تفرقه في جهات متعددة ، وهل يدخل فيه وقف أو موارث أو نحوها ، وفي المربعة تذكر ألقاب السلطان كاملة وتكتب المربعة في ورقة من صيفتين متقابلتين : في الصفحة الأولى بالبسمة الشريفة ثم يترك فراغ في أعلاها ، ويكتب في ذيلها من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها عدة أسطر على قدر عرض ثلاثة أصابع عبارة : مثال شريف ، شرفه الله تعالى وعظمه ، بما رسم به الآن من الإقطاع باسم من عين فيه من الأمراء أو من المماليك السلطانية بالديار المصرية أو بالمملكة القلاية أو من الحلقة المصرية أو الشامية (١١) ، أو نحو ذلك على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف

شرفه الله تعالى وعظمه . . . وتحت ذلك عبارة « يحتاج إلى الخط الشريف أعلاه
الله تعالى وعظمه » ، وبعد إخلاء هامش قدر لإصبعين تكتب « البسمة » وتحتها
في سطر ملاصق لها « المرسوم الشريف العالى المولوى السلطانى » ثم يترك
بعض الفراغ إلى قدر ثلثي الصحيفة وتكتب عبارة « الملكى » الفلانى بلقب
السلطان كالتالى ، أعلاه الله وشرفه وأنفذه وصرفه ، أن يقطع باسم فلان
الفلانى أحد الأمراء المقدمين أو الطبلخاناه أو العشرات أو الخمساوات بالمكان
الفلانى ، أو أحد المماليك السلطانية أو مقدمى الحلقة أو أجناد الحلقة بالمكان
الفلانى . . . المرسوم استقراره في أمراء العشرات أو الطبلخاناه أو المقدمين
أو نحو ذلك ، ما رسم له به الآن من الإقطاع حسب الأمر الشريف شرفه الله
تعالى وعظمه . . .

ويكتب بالمرعبة كذلك بالصحيفة الثانية المقابلة في مقابل البسمة :
« فلان الدين فلان الفلانى المرسوم إثباته في جملة رجال الحلقة المنصورة (١٢)
أو الشامية ويضاف للأمير عبارة : لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد
للخدمة الشريفة والبرك التام والعدة الكاملة ، بمقتضى المثال الشريف
أو الخط العالى الكافى (١٣) أو بمقتضى الإشهاد (١٤) المشمول بالخط الشريف
أو الخط الكافى ، أو بمقتضى المرعبة المكتبة من المملكة الفلانية المشمولة
بالخط الشريف ، إن كان أصله مرعبة من بعض الممالك ، وتحت السطر الأخير
تكتب عبارة « في السنة دربستا » (١٥) في الوسط ، وذلك إذا شمل الإقطاع
جميع الجهة بدون استثناء حقوق أخرى ، وإذا وجد استثناء في الجهة المقطعة
أضيفت عبارة « خارجاً عن الملك والوقف ، أو خارجاً عن الجوالى والموارث
الخشيرية والرزق الأحباسية » ونحو ذلك ، ويتلو هذا عبارة « على ما يقتضيه
الحق » ثم تكتب كلمة « خبز » من أول السطر إلى آخره تحت ما سبق ،
وتحت كلمة خبز يكتب اسم المقطع السابق وكيف انتقل عنه الإقطاع : « فلان
الدين الفلانى بحكم وفاته أو نزوله برضاه . . . » وتفصل نواحي الإقطاع
ثم يشار إلى المفصصات الراتبية الأخرى من النقد والحبوب إذا تضمنها الإقطاع

وتحتم هذه الوثيقة بعبارة : « بعد الخط الشريف » - شرفه الله تعالى - إن شاء الله تعالى والحمد لله والصلاة على النبي « ص » ، وتؤرخ في سطرين قصيرين ، ومن ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء حيث يكتب المنشور بمقتضاها . ويلاحظ أن ديوان الإنشاء يشترك مع ديوان الجيش في كتابة وثائق تعرف كذلك بالأمثلة والمربعات غير التي يصدرها ديوان الجيش في الإقطاعات ، ويبدو أن ما يصدره ديوان الإنشاء بهذا الاسم وثائق فردية وتختص ببعض المنح الاستثنائية ، وليست عامة في التوزيع الإقطاعي^(١٦) . أما المربعة التي تصل من ديوان الجيش ، فهذه يسلمها كاتب السر^(١٧) عن طريق المدراة وهم طائفة من الأعران بديوان الإنشاء مهمتهم أخذ المكاتبات وإدارتها على كاتب السر ومن دونه من كتاب الديوان^(١٨) ، ثم يجيل كاتب السر المربعة على المختصين من الكتاب ليكتبوا المنشور على أساس البيانات الموضحة بالمربعة ، وهؤلاء المختصون هم كتاب الدرج ، إشارة لكتابتهم على درج من ورق^(١٩) ، وعرفوا كذلك باسم « الموقعين » نسبة لتوقيعهم على جوانب الأوراق . وتنفرد هذه الطائفة بكتابة المناشير الخاصة بصغار الأمراء ، وبلغ عددهم أكثر من مائة^(٢٠) ، أما المختصون بكتابة كبار المناشير ونحوها^(٢١) فهم كتاب الدست ، وهؤلاء أرفع مرتبة من سابقهم ، بدليل إضافتهم إلى دست السلطان ، وهو مرتبة جلوسه ، وذلك لجلوسهم للكتابة بين يديه أحياناً ؛ بل إن صاحب ديوان الإنشاء كان يعرف بكتاب الدست ، ويعينون كزملائهم بتوقيع من السلطان ، بلغ عددهم أيام بيبرس ثلاثة على رأسهم القاضي عبي الدين ابن عبد الظاهر . وزادوا إلى عشرة في عهد السلطان شعبان ، وجاوز عددهم العشرين أيام برقوق وابنه فرج^(٢٢) .

وتختلف صيغة الإحالة باختلاف أعمار الكتاب ، فيكتب لكبير السن منهم : « المولى فلان الدين » ، وللصغير : « الولد فلان الدين » ، وربما ميز بعض الصغار بالعبارة الأولى أو « الشيخ فلان الدين »^(٢٣) .
والمعروف أن المنشور في النظام الإقطاعي المملوكي ، لا يصدر إلا عن

السلطان مشغولا بمخطه؛ ولا يتعارض هذا مع حق نائب السلطنة بمصر، وبعض النواب خارج مصر في منح الإقطاعات التي يرون منحها، فمن حق نائب السلطنة في مصر أن يخرج من الإقطاعات ما تراوح عبرته بين ٤٠٠ دينار إلى ما دونها، وربما أطلقت يد النائب في المنح الإقطاعية في أكثر من هذه العبرة كما كان الشأن مع الأميرين الحامى يوسف وسيف الدين منجك من نواب السلطان شعبان (٢٤)، إنما ظل إصدار الوثيقة النهائية للإقطاع وهي المنشور، عن السلطان بمصر أو حينما يكون (٢٥). والاستثناء الوحيد الذى حدث في عصر المماليك على ما يبدو، هو ما تمتع به أبو القدا نائب حماة من سلطة استثنائية في إصدار المناشير؛ ذلك أن السلطان الناصر محمد فوضه في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) في جميع أمور حماة؛ بقول القلقشندي: «كان نائب حماة يستقل فيها بإعطاء الأمر، والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر وسائر الوظائف لها، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته، لكنه لا يمضى أمراً كبيراً حتى يشاور السلطان» (٢٦).

ويمتاز المنشور عن غيره من وثائق الإقطاع بأنه أكثر تفصيلاً كما يشترط فيه براءة الاستهلال، والإشادة بكرم السلطان وإحسانه إلى أخصائه، إلا أن المناشير تختلف في افتتاحياتها وحجوم أوراقها ومقدار الفراغ بين السطور باختلاف مرتبة المقطوع: فتكتب مناشير الطبقة الأولى من الأمراء وهم مقدمو الألواف وبعض الطبلخاناه ومن في مستواهم، في ورقة كبيرة من حجم «قطع الثلثين» أى أن عرضها ثلثا ذراع أو ثلثا طومار (٢٧)، وتفتح بمخطبة تشبه الخطب المنبرية أولها «الحمد لله» كما يتضمن هذا النوع من المناشير «طغرى» باسم السلطان وألقابه (٢٨)، وتكتب مناشير الطبقة الثانية من أمراء العشرينات والعشرات وبعض نواب القلاع الشامية من التركمان والأكراد، في ورقة عرضها نصف ذراع وهي «قطع النصف» في المصطلح، وتفتح بعبارة: «أما بعد حمد الله». أما مناشير المرتبة الثالثة فعبارتها الافتتاحية: «خرج الأمر الشريف» وتكتب في «قطع الثلث»،

وهي للعشرات إطلاقاً بمصر وسائر الممالك ولبعض الطلبة خاتمه من الركن
والأكراد (٢٩) ، ولا يوجد في المراجع من هذا النوع سوى نسخة منشور
أوردتها القلشندي للنج على منوالها (٢٠) . وأدنى مراتب المناشير ما كتب
في التطع العادي المنصوري وعرضه ربع ذراع ، ويفتح بعبارته « خرج الأمر »
وهي للممالك السلطانية وأجناد الحلقة على الإطلاق في مصر وخارجها (٢١) .
وتتدرج مناشير العربان على هذا النحو من العبارات الافتتاحية وأحجام
الأوراق ، إلا أنها ثلاث مراتب فقط (٢٢) .

هذا هو المنشور العام في المنح الإقطاعية ، وهناك مناشير تصدر في
أوقات مختلفة كأن ينظم مقطع ، فيرفع « قصة » (٢٣) بما يشكو منه ، أو بما
يطلبه أو يأمر السلطان بترقية أحد من أتباعه بزيادة إقطاعه وإمرته ، وربما
حدث نزول عن الإقطاع من مقطع لآخر ، في مثل هذه الأحوال تكتب
مناشير في ديوان الإنشاء بالزيادة أو التحويل أو التجديد أو غيره بحسب
ظروف المنح (٢٤) ، وذلك بعد أن يمر أصله بديوان الجيش : قصة كان
أم نزولاً أم إلهاداً بنزول ، والفرق بين هذه المناشير الطارئة وإن كثرت
والمناشير العامة ، هو اختلاف حجم الأوراق التي تكتب فيها ، واختلاف
الافتتاحية ، فضلاً عن اختلاف عدد مراتب المناشير ، فالنوع العام على
أربع مراتب ، وهذه على مرتبتين فقط ، وينحصر حجم الأوراق بين قطع
الثلث لفريق الطبقة الأولى من المقطعين وقطع العادة لمن عدهم كذلك الافتتاحية
نوحان : « أما بعد حمد الله » ، ويلها « سرح الأمر الشريف » (٢٥) .

وطريقة كتابة المنشور في ديوان الإنشاء ، أن يبدأ الكاتب من جهة
اليمن بغير هامش ويكتب في طرة (٢٦) المنشور لكبار الأمراء عبارة « منشور
شريف بأن يجري في إقطاعات المقر الكريم أو الجنب الكريم العالي الأميري
الكبرى » ، وتزاد لثائب السلطنة عبارة « الكافل » مع الإضافة إلى لقب
السلطان ، كالناصرى ، ونحوه . وفي المناشير من المرتبة الثانية تكتب عبارة
« منشور شريف » . أن يجري في إقطاع المجلس العالي أو السامى ، أو . . .

بما رسم للمجلس السامي من الإقطاع ، ولما دون ذلك من المناشير ، يكتب
 بعبارة « منشور شريف ، بما رسم به من الإقطاع لمجلس الأمير » . ويل
 ذلك الدعاء ، ثم يشرح ما تضمنته المربعة . وتكتب هذه العبارة كلها في
 سطرين بقلم الثلث ، وتحت ذلك كلمة « والعدة » بالقلم النظيف (٢٧) ،
 في وسط السطر وفي السطر الذي يلي هذه الكلمة ، يكتب « خاصته » ومن
 يتبعه من المماليك بعدهم حسب مرتبة الأمير ، وذلك بالقلم الدقيق ، ويترك
 بعد ذلك فراغ قدره خمسة أوصال في مناشير الطبقة الأولى وثلاثة أوصال (٢٨)
 لما دونها من المناشير ، وتكتب بالبسلة ثم الخطبة المفتحة « بالحمد لله »
 أو « أما بعد حمد الله » وهكذا . . . وأخيراً يكتب التاريخ المثبت في المربعة
 لأهمية ذلك في المحاسبات (٢٩) .

أما توقيع السلطان على المنشور فيجىء في الفراغ المتروك فوق بالبسلة
 فيوقع « بعلامته » ، وعلامته السلطان جميعها تكتب بقلم الطومار (٣٠) وتختلف
 بحسب الوثيقة الصادرة ، فعلامة المناشير هي : « الله أملى » أو « الله ولى »
 أو « الله حسبي » أو « لله الملك » أو « المنة لله وحده » وهكذا (٣١) ولا يختلف
 في هذه العلامة كبار المقطعين أو صغارهم ، وتعرف هذه العلامة في مصر
 باسم « رجل غراب » ، وتكتب الناصر علامته بياء راجعة « الله أملى » (٣٢) ،
 واكتفى خليل بن قلاوون في علامته بحرف الخاء فقط ؛ إشارة
 إلى الحرف الأول من اسمه (٣٣) . ومن السلاطين من اهتم بالتوقيع ، ومنهم
 من أهمل ، فن المهتمين السلطان محمد بن قايتباي ؛ إذ أمر كاتب السر
 وناظر الجيش في سنة ٨٩٠٢م - ١٤٩٦م بالأبخرجوا مراسم سلطانية ولا
 مربعات ولا مناشير إلا بتحم من وراء العلامة السلطانية ، على عكس أبيه الذي
 عرف عنه الكسل في التوقيع (٣٤) . أما السلطان الطفل ، فكان مدبر أموره
 يمسك يده وبها القلم ويوقع ، مثل السلطان كجك بن الناصر محمد ، وكان مدبر
 دولته الأمير قوصون (٣٥) ، والأسمى من السلاطين ، يخط له الكتاب على
 الوثائق ، فيمشى هو عليها بالقلم ، مثل السلطان إينال (٣٦) .

للإسلام

علامة السلطان ناصر محمد

على المنشور

لوحة رقم ١

كذلك توضع طغرى على المناشير الكبار ، بألقاب السلطان مثل « السلطان الملكى فلان الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين ملك البسيطة » ، بأحرف طوال مزدوجة ومذهبة ، وذلك في سطر واحد ، كما يكتب الاسم بين ألقاب قاطع ومقطوع وتحته ذلك عبارة « خلد الله ملكه » ، ولهذه الطغرى رجل مخصص بلقب « بالطغرائى » لعملها بالديوان ، فإذا كتب الكاتب منشوراً ، أخذ من تلك الطغراوات واحدة وألصقها فيما كتب . وموضع الطغرى من المنشور بين الطرة المكتبة في أعلى المنشور ، أى الحاشية التى كتبت فيها العبارات الأولى من المنشور ، وبين البسلة مع ترك وصل بياض فوق البسلة ، وبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة ، وهناك اعتراض على تقديم اسم السلطان على البسلة ، وبسبب هذا الاعتراض ، ترك استعمال الطغرى في المناشير منذ أواخر عهد السلطان شعبان بن حسين (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) (١٧) .

وهناك نسختان لطغراوتين إحداهما خاصة بألقاب السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ومضمونها : « السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون » وتحته عبارة « خلد الله سلطانه » وتحتص الطغرى الأخرى ألقاب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ومضمونها : « السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين ابن الملك الأحمدي ابن السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور قلاوون » . واسم السلطان بأعلىها قاطع ومقطوع : « شعبان بن حسين » ، وتحته عبارة « خلد الله سلطانه » (١٨) .

ويتضح من جملة المناشير أن افتتاحياتها تشبه الخطبة المنبرية ، ويتلو ذلك تعداد سوابق الخدمة للمقطع والإشادة بالجهاد والحث على مضاعفته ، كأن يقول : « ولما كان فلان من هذه الدولة بموضع الغرة من الجبين . . . وله سوابق خدمة لا يزاحمه أى أحد في طرق طروقها . . . وهو من التقوى بالحل الأسمى . . . فهو المجاهد للكفار وهو المتهجد في الأسمار . . . » أو « إذا أشهر غضبه أرضى ربه وإذا هز رعبه حمى سرحه ، وإذا أطلق سهماً



طغرى بالقباب السلطان الملك الناصر محمد



طغرى بالقباب السلطان شعبان بن حسين

لوحة رقم ٢

قتل شهياً وإذا جرد حساماً كان حساماً ، ، ويشار إلى الرقية كجزء للولى
 المحاهد ، إن كانت رقية ، كقوله في الرقية إلى إمرة مائة ، ليعلم كل أحد
 كيف يجازى شكور ، وكيف نذكر واحداً منهم فيغلبو في زعماء السكرك
 المؤيدة وهو مذكور . . . اقتضت الآراء الشريفة . . . أن ترداد عدته المباركة
 في كيتها وقدرها ، وأن تكمل عشارتها التسع بعشرها . . . ، أو في الرقية
 إلى إمرة عشرة ، اقتضى حسن الرأي الشريف أن ترفع درجته وتعلي رتبته ،
 وينظر في عقود الأمراء ويسلك به جادة الكبراء بترقيته في درج السعادة ،
 وتبلغ به مرتبة السادة . . . إلخ . . .

ومن الملحوظ في المناشير أنها تنص على أن الإقطاع من نعم السلطان
 وعطاياه ، بل من صدقاته وكرمه وبره بالمتخلصين ، كقوله : « أما بعد فعننا
 إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفياً وهبه مزيدها وأنالت »
 « فكرمنا يسبغ المواهب والمنايح ، ونعمنا تبلغ المآرب والمناجح » (٥٩) . . .
 أو . . . ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجليلة ، أوجب له
 الاختيار المزيد وقضى له الامتنان بتحويله نعماً وتحويله منناً (٥٠) أو « فإن
 أولى من ضوعفت له التعم ووطدت له الرتب . . . من ربي في ظل خدمتنا
 التي هي منشأ الآساد ومرابي فرسان الجهاد (٥١) . . . وهكذا (٥٢) .

وبصدد تعداد الصدقات ونعم السلطان على الأولياء المخلصين ، بحث
 المنشور دائماً على مضاعفة الولاء كقوله : « أن يبذلوا في خدمة أبوابنا الشريفة
 جهنم ويتركوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العينية التي تحقق قصدهم . . .
 ويستشهد بعد ذلك بقوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٥٣) .

وعبر في المناشير عن الولاء والإخلاص والطاعة بلفظ « العبودية » ،
 وهي ليست غريبة في ذلك العصر ، كقوله في منشور لأحد أبناء الأمراء ،
 مشيراً إلى خدمة الوالد والولد وترقيتهما : « فإن أنمي الغروس من كان أصله
 في درج الولاء نابئاً ، وتلقى ولاءنا عن أبوة كريمة ، وحلنا في عبوديتنا حلو
 والده ، اقتضى حسن الرأي الشريف أن ننضد لسعادتهما عقداً منضداً ،

وأن نخص كلا منهما بإمرة حتى يفلو لنا من هذا والدأ من أعز الأنصار ومن هنا ولدأ^(٥٤) . وإذا كان المنشور لمن مات أبوه ، نوه فيه بخدمة السلف ونعم الدولة وتعميمها للأعقاب وجبر المصائب ، وما ينتظر من الخلف ، كقوله : « فإن أولى من درت أخلاق جودنا لخلفه ، من استمسك من سبب إخلاصنا بأكده ، وحذا في ولاتنا أحسن -محو ، ولا غرو أن يحذو القى حلو والده^(٥٥) » .

وتختص مناشير أمراء العرب بذكر البادية وكرم العرب والجهاد في سبيل الله ، كما تشير إلى إحسان السلطان وتقديم المقطع على قبيلته لطاعته وإخلاصه ، كأن يقال في ذلك مثلاً : « فإن أولى من عمرنا بكرمنا مر به وناديه . . . وقابله إقدامه ، فقدمه على قبيلته وميزه على أسرته ، من أخلص في طاعتنا ضميراً . . . أو « كم أهل مثقاته في دماء التحور وأشرع صعادها فأوردها وأصدرها في الصدور ، ورفع أسننها في ليل التبع ناراً ، قراها لحوم العدا وأضياها الآساد والنور . . . وهكذا . . .^(٥٦) » .

وبالإضافة إلى ما تضمنته المناشير الإقطاعية من هذه المعاني والمبالغة في صفات السلطان ، باذل الإقطاع ، فإنها توضح كذلك نواحي الإقطاع الممنوح تفصيلاً ، وتبين ما إذا كان الإقطاع مشاركة مع الغير ، أو خاصاً بصاحبه ، ومثال ذلك ما ورد في المنشور الذي أصدره السلطان بيبرس في سنة ٦٥٩ هـ - ١٣٦١ م إلى الأمير جمال الدين حجي أحد أمراء الغرب التنوخيين والمنشور الذي أصدره الناصر محمد بن قلاوون للأمير الحسين التنوخي بعد روك الشام سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م^(٥٧) .



وجرت العادة أن يقوم السلطان بتوزيع براءات الإقطاع ، سواء أ كانت أمثلة أم مناشيراً^(٥٨) ، إنما الغالب توزيع الأمثلة وهي أولى وثائق الإقطاع ، وربما كان ذلك لسهولة تغير ما يحتمل حدوثه من تغير في الإقطاع ، إذا شكوا المقطع أو تنظّم أو بدا لولى الأمر ما يستدعى ذلك ، وربما اقتصر السلطان

على توزيع مثالات الأمراء المقدمين . وعهد لثابته بتوزيع مثالات بقية الأجناد . كما فعل لاجين سنة ٨٦٩٧ / ١٢٩٧ م (٥٩) ، وهذا يرجع إلى ثقة السلطان بنائب السلطنة ، كما يرجع من ناحية أخرى إلى قوة شخصية النائب وتقلبه على السلطان ، والعادة أن توزع برامات الإقطاع خارج مصر ، على يد النواب أو من ينتدبهم السلطان لهذا الأمر ، وسواء أكان التوزيع في مصر أم في خارجها فإنه لا يتم إلا في موكب حافل .

في مصر ، يعقد هذا الحفل بالقلعة ، ويعرف بيوم العرض أو مجلس العرض ، وإذا تولى النائب التوزيع ، جلس في دار النيابة بالقلعة كذلك (٦٠) . وفي نهاية سنة ٨٧١٥ / ١٣١٥ م ، بعد أن تمت عملية الروك الناصري في مصر . أقيم حفل توزيع البرامات الإقطاعية بالقصر الأبلق (٦١) في القلعة ، حيث تصدر السلطان الحفل ، وجلس حوله الأمراء المقدمون على مقاعد من حرير ، كما جلس ناظر الجيش ، وهو وقتذاك القنجر محمد (٦٢) . يتولى الناظر عرض ما يتعلق بالإقطاعات على مسامع السلطان فيمضي منها ما يشاء ، وحينئذ يدخل كاتب السر ويقدم العلامة السلطانية ، فيعلم السلطان على ما أقره من المربعات والمناشير (٦٣) ، ثم يأمر بدخول الجيش طائفة بعد أخرى ، ويتولى إحضارهم تقباؤهم ، وقد خصص الناصر كل يوم لاثنتين من المقدمين وأتباعهما من الأجناد ، فيقف الأمير ومعه أتباعه أمام السلطان ، ويتولى نقيب الجيش (٦٤) تقديمهم واحداً بعد آخر ، فيسأله السلطان عن اسمه وأصله وجنسه (٦٥) . ووقت حضره إلى ديار مصر ومع من قدم وليل من مرار من الأمراء وغيرهم ، وعن مشاهدته التي حضرها في الغزو وعمما يعرفه من صناعة الحرب وكم حضر من المصاف ، وكم رأى بيكارا (٦٦) وأى قلعة حاصر وغير ذلك من الاستقصاء ، فإذا انتهى ناوله مثالا بما يلائمه أو من غير تأمل بحسب ما قسم له ، واتفق أن تقدم في العرض رجل دميم الحلقة وكان له إقطاع سابق عبرته ٨٠٠ دينار ، وهو إقطاع كبير ، أو من النوع الثقيل ، بلغة العصر ، فلما تناول مثاله ونظر فيه ، وجد عبرته نصف ما كان بيده

سابقاً ، فعاد بعد أن انصرف أولاً ، وقبل الأرض بين يدي السلطان فسأله الناصر عن حاجته فقال : « الله يحفظ السلطان فإنه غلط في حقى ، فإن إقطاعى كانت عبرته ٨٠٠ دينار ، وهذا عبرته ٤٠٠ دينار . فقال السلطان : بل الغلط فى إقطاعك الأول ، فأرض بما قسم لك (٦٧) ، واتفق كذلك أن تقدم إليه شاب فى وجهه أثر يشبه ضربة السيف ، فأعجبه وناولته مثالا بإقطاع وقال له : فى أى مصاف وقع فى وجهك هذا السيف ؟ فقال الشاب : يا خوند ، هذا ما هو أثر سيف وإنما وقعت من سلم فصار من وجهى هذا الأثر ، فتبسم السلطان وتركه ، ولما اعترض الفخرى ناظر الجيش بقوله : « ما بنى يصلح له هذا الخبز ، أجابه الناصر : قد صدقتى وقال الحق وقد أخذ رزقه ، فلو قال أصبت فى المصاف الفلانى من كان يكذبه (٦٨) ؟ وأمر الناصر ألا يرد أحد مثاله ولو استقله ، ولا يشفع أمير فى جندى ، ومن يخالف يضرب ويحبس وينبئ ويقطع خبزه ، لذلك حضر الأمراء وهم سكوت خشية بطشه ، وإذا حدث أن أتى أمير على جندى ، تعتمد السلطان إعطاءه مثالا بإقطاع ردىء ، فأمسكوا عن الكلام فى تركية أجنادهم ، ولذا جاء التوزيع على غير رغبة الكثير من المقطعين ، وصار كثير ممن عبرة إقطاعه ألف دينار مثالا إلى إقطاع عبرته مائتا دينار فقط ، كما حاز كثير من أصحاب الإقطاعات الصغيرة ، إقطاعات كبيرة ، ولما حاول الأمراء مخاطبة السلطان فى هذا الأمر ، نهام الأمير أرغون النائب خشية بطش السلطان بهم (٦٩) . والملاحظ أن الكثير من المماليك السلطانية ، أصحاب الحوامك ، قد نقل إلى الإقطاعات (٧٠) .

وعلى أثر روك الشام ، حمل الأمير سيف الدين قجلىس المناشير الخاصة بالروك ، بمضاهة من السلطان الناصر بمصر ، وذلك فى كيس محتوم ، وأقيم حفل توزيع البراءات فى دمشق حيث قام الأمير تنكرز نائب الشام ، بتوزيعها بمعاونة الأمير قجلىس وناظر جيش الشام : وعندما دخل الأمراء المقدمون وأجناد الحلقة ، أخذ قلب الدين ناظر الجيش البراءات ووزعها عليهم من غير قرأمة بل « حظ وبحث » وكل من يأخذ براءته يقبلها ويضعها على رأسه

وينصرف إلى داره ، إلا أن هذه الطريقة أدت إلى إنصاف البعض وغن البعض ، ولما تظلم الأمراء منها ، أمر النائب بإحضار خمسة أو ستة منهم ، وأمر بضربهم وحبسهم ، فسكت الباقون (٧١) .

وجرت العادة ، أن تستغرق عملية توزيع البراءات الإقطاعية ، أكثر من يوم ، ففي الروك الحسامي ، بدأ توزيع هذه البراءات في ٨ رجب سنة ٦٩٧ هـ - ١٣٩٧ م . حيث خصص ذلك اليوم لتفرقة مثالات الأمراء ، وفي ٩ رجب ، وزعت مثالات مقدمى الحلقة ، وانفرد اليوم العاشر من ذلك الشهر بتوزيع مثالات أجناد الحلقة والبحرية ومالك السلطان (٧٢) . أما عملية التوزيع في الروك الناصري فاستغرقت شهر المحرم من سنة ٧١٦ هـ - ١٣١٦ م (٧٣) .

وبانتهاء توزيع البراءات ، هناك تسجيل نهائي يتم داخل ديوان الجيش ، لأن هذا الديوان هو الذى يتولى « الإفراج » عن الإقطاعات وتسليمها لأصحابها ، ويعرف هذا السجل باسم « جريدة الإقطاع » ، ويشمل أسماء أرباب الإقطاع وجهات إقطاعاتهم محددة ، وعبراتها ، على أن الإشارة إلى العبرة في هذا السجل تكون عادة بالرمز وليس تصريحاً (٧٤) . وبعد أن تم هذه العملية ، يقوم ناظر الجيش بتسليم الإقطاع إلى صاحبه ، ثم يكتب محضر تسليم من ديوان الإنشاء ، يشهد فيه المقطع على نفسه بحضرة الموقعين (٧٥) . وعلى ذلك يستحق صاحب الإقطاع إقطاعه ، فإن كان أميراً ، استحق الإقطاع من تاريخ المنشور ، وهو نفسه تاريخ المربة ، أما الأجناد ، فيستحقون إقطاعاتهم وما لهم من مخصصات أخرى ، من تاريخ عرضهم وتسجيلهم بديوان الجيش (٧٦) .

هوامش الفصل الرابع

- (١) صح الأعثى ج ١٣ ص ١٥٣ .
- (٢) مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٤٠٠ .
- (٣) صح الأعثى ج ١٣ ص ١٥٣ .
- (٤) يلقب ناظر الجيش بناظر الجيوش المنصورة لتأثرا : كما يقال العساكر المنصورة ، وجرى التعرف على ذلك في معظم الأمور والقرسات الخاصة بالحرب ، فبذلك : قلعة دمشق المنصورة وعن الأعداء - العدو المقبول وعن التناوين : الدواوين المنصورة أو الدواوين السعيد وهكذا (زبدة كشف المالك ص ١٠٣ ، آثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ميد النعم ص ٤٣ - ٤٤ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٠ ، بدائع الزهور ص ٢٩٧ ، صح الأعثى ج ٤ ص ١٨٥ - ١٩٢ ، ج ٥ ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ج ٦ ص ٣٠ - ٣١ و ١٨٣ - ١٨٤) .
- (٥) صح الأعثى ج ٦ من النسخة المقطوعة ورقة ٨٢ ، صح الأعثى ج ١١ (المطبوع) ص ٣٢١ - ٣٢٣ وما بعدها .
- (٦) زبدة كشف المالك ص ١٠١ ، آثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ، ميد النعم ص ٤٣ - ٤٤ .
- (٧) راجع الفصل السادس .
- (٨) انظر قاموس المصطلحات المعاني التي يتفحصها المثال غير معنى الوثيقة الإقطاعية .
- (٩) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٣٩٣ ، خطط ج ٣ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .
- (١٠) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٨ ، صح الأعثى ج ١٣ ص ١٥٣ - ١٥٤ .
- (١١) القعود بالخلقة المصرية أو الشامية أجناد الخلفة المقيمون بمصر أو الشام .
- (١٢) القعود بالخلقة المنصورة أجناد الخلفة الموجودون بالقاهرة .
- (١٣) يقصد بهذه التصيرات : بمعنى المثال الشريف أو لفظ المال الكامل . الإشارة إلى السلطان بكلمة الشريف وإلى نائبه بكلمة المال الكامل .
- (١٤) الإتياد أسد وثائق الإقطاع (انظر الفصل الثامن) .
- (١٥) مثال ذلك : أقطع السلطان خليل بن قلاوون الأمير بدر الدين بيسرى الشمس الصالحى منية بنى خصوب درستا أى كاملة بجوانبها ومواريسها الخشبية ، وفق إقطاع أمراء القرب الشيخين ، استثنى الناصر محمد الملك والوقف (تاريخ بيروت ص ٩٢ ، أخبار الأعيان ص ٣٢٢ ج ١ ص ٧٦٩ - ٧٧٠) .

(١٦) زبدة كشف المالك من ١٠٠ ، صبح الأعيى ج٦ من ٢٠١ - ٢٠٢ ، ١٣٥
من ١٥٤ - ١٥٦ ، نهاية الأرب ج٨ من ٢٠٨ ، ٢١١ ، السلوك ج١ من ٧٦٩ - ٧٧٠ ،
الصحفة السلفية من ٣٩ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٢ .

(١٧) أول من لقب بكتّاب السر أو كتّام السر في عصر المماليك ، القاضي فتح الدين محمد
ابن محيى الدين بن عبد الظاهر ققهد قلاوون ، ويعد كتاب السر من كبار رجال الدولة وتصدر لهم
الكتابات مقرونة بلفظ « القفر » أو « القفر الشريف المال » . . . كما يلقب بصاحب دولون
الإنشاء أو كتاب الإنشاء (زبدة الأم ورقة ١١ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٤٠٠ ، صبح
الأعيى ج١ من ١٠١ و ج٤ من ١٨٩ و ج٥ من ٤٦٥ و ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ١١٥ من ٩٢ ،
ميد النعم من ٣٩ وزبدة كشف المالك من ٩٨ - ١٠٠ ، النجوم الزاهرة ج٧ من ٢٣٢ - ٢٣٤
أو ٢٩٢ و ٢٣٣ و ٢٣٨) .

(١٨) ملورا جمع ملير (صبح الأعيى ج١ من ١٣٩) .

(١٩) من النصائح التي تلصح بها هذه الطائفة : الفرق في الكتابة وعدم استعمال وحشي
الألفاظ فيها يكتبون . (ميد النعم من ٤٠ ، صبح الأعيى ج١ من ٣٥١ - ٣٥٣) .

(٢٠) صبح الأعيى ج١ من ١٣٨ ، ج٥ من ٤٦٤ - ٤٦٥ ، ج٦ من ٢٠١ - ٢١٠ ،
١١٥ من ٣٥١ - ٣٥٢ و ٤٩٠ ، السلوك ج١ من ٤٨٩ حالية ٣ و من ٤٩٠ .

(٢١) من الوثائق التي يتولى كتابتها كتاب الفتى : ما يتعلق بالبريد ، والمعهود والتقاليد
وكبار التواقيع والمراسيم ، وكلها أوامر تعيين .

(صبح الأعيى ج١ من ١٣٧ - ١٣٩ ، السلوك ج١ من ٤٨٩ - ٤٩٠) .

(٢٢) صبح الأعيى ج١ من ١٣٧ ، ١١٥ من ٢٣٣ - ٢٣٥ ، السلوك ج١ من ٤٨٩ -
٤٩٠ ، آليات الفرس ج١ من ٨٦ ، ٩٥ ، ٧١١ ، تاريخ ابن الفرات ج١ من ٢٢٨ وما بعدها .

(٢٣) صبح الأعيى ج٥ من ٤٩٧ .

(٢٤) من أمثلة التواب البارزين في المنح الإقطاعية ، بمصر والشام ، الأمير قوصون
نائب السلطان كجك ابن التاصر محمد خلال عام سنة ٨٧١٢ (١٣٤١ م) والأمير اقتصر الحنبلي
نائب على بن شعبان سنة ٨٧٧٨ - (١٣٧٦ م) ومن نواب الشام الأمير تنكز نائب السلطان
التاصر محمد ، والأمير نوروز نائب المستعين الخليفة السلطان سنة ٨٨١٥ (١٤١٢ م) - بدائع
الزهور ج١ من ٢٢٨ - ٢١٩ و ٣٥٨ والنجوم الزاهرة ١٠ ج٣ من ٢١ ، ٢٢ ، ٨٠ السلوك
مخطوط ج٣ من ٢٣٤ و ٢٩٥ وآليات الفرس ج١ من ٣٥ ، تاريخ الملك الأشرف قاينباي مخطوط
غير مرقم ، المورد الكاسية ج١ من ٤٠٧ - ٤٤٩ و ٥٢٠ - ٥٢٨ تاريخ النعم ج١ ورقة ٦) .

(٢٥) صبح الأعيى ج٤ من ١٩٠ .

(٢٦) تلخيص أبي الققاء ج٤ ص٧١ - ٧٥ ، صبح الأعيان ج٤ ص٢٣٦ - ٢٣٧ ،
٨ مسالك الأبحار ج٢ ورقة ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢٧) الطومار والطومور والجمع طوامير ، بمعنى صحيفة ، وعرض الطومار الكامل
ذراع ، ويبر عن الطومار كذالك ، بالفرخة ، ورفق سر بن عبد العزيز أن يكتب فيه كما
قبل أسلافه قائلًا (فيه شجاع لورق وهو من بيت المال) واستعمل في مصر في عصر المسالك منذ
عهد الناصر محمد .

(صبح الأعيان ج٣ ص٥٢ - ٥٤ و ١٥٨ و ج٦ ص١٩٠ - ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥ -
ج١٣ ص١٥٨ و ١٦٠ و ١٩٠ و ١٩٣ ، التتريف ص٨٤ و ٨٩ مسالك الأبحار ج٢ ورقة
٣٩٢ - ٣٩٣ ، تاريخ بيروت ص١٦٢ حاشية - ١ ، غلط ج٢ ص٢١١ ، القاموس المحيط) .
(٢٨) الطلوى بالقصر العلامة التي تكتب بالقلم الفلطي في طرة الأوامر السلطانية وهي
كلمة توتية استعملها الروم والفرس ، والجمع طلويات ، والطراني صانها (أقرب الموارد ،
انظر صورتها فيما يلي) .

(٢٩) صبح الأعيان ج٦ ص١٩١ - ١٩٥ و ج١٣ ص١٦٠ .

(٣٠) ٨ مسالك الأبحار ج٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، غلط ج٢ ص٢٢١ ، صبح الأعيان
ج١٣ ص١٩٨ وانظر نسخة المنشور باللاحق .

(٣١) صبح الأعيان ج٦ ص١٩١ ، ١٩٥ - ١٩٦ و ج١٣ ص١٥٩ - ١٦١ ، ج٧
من النسخة المخطوط ورقة ٨٤ - ٨٨ ، مسالك الأبحار ج٢ ورقة ٣٩٣ .

(٣٢) صبح الأعيان ج١٣ ص١٩٨ - ١٩٩ ، أعيان الأعيان ص٢٢٧ - ٢٢٤ ،
تاريخ بيروت ص٥٦ و ٦١ ، ٦٧ ، ٨٧ ، ٩٢ - ٩٤ ، انظر مثاثير العربان باللاحق .

(٣٣) القصة بمعنى المنتسب أو الشكوى لأي سبب ، ومثاقا يصعد الوثائق الإقطاعية ؛
قصة أمراء القرب التنوعيين على أثر روك الشام سنة ٥٧١٣ م (١٣١٣ م) زمن السلطة الثالثة
لناصر محمد بن علاون ، إلى نائبه تنكز بالشام ، يهبون فيها إخلاصهم السلطان ورفقهم في
أن تظل أملاكهم على النحو الإقطاعي بالعدة المقررة من الفرسان دون نقص ، وطلبوا من تنكز
• التصديق بمطالبة إلى الأبواب الشريفة • ، أي تأشيرة قوصية وتركية ، فأجابهم تنكز وأنصفهم
لناصر (تاريخ بيروت ص٩١ ، انظر للتصديق ص٢٥٩ - ٢٦٠ ، انظر نص القصة باللاحق) .

(٣٤) انظر الصور المختلفة لانفعال الإقطاعيات بالفصل الثامن .

(٣٥) التتريف ص٨٩ ، صبح الأعيان ج١٣ ص١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٩٩ ،
مسالك الأبحار ج٢ ورقة ٣٩٣ - ٣٩٤ ، غلط ج٢ ص٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٣٦) طرة التي طرفه وحافته وكذا الجهة وأنصية وجانب الثوب وشفير النهر والواصي ،
والراد هنا به حاشية الكتاب والجمع طرات وطرر وطرار وأطرار ، ثم أطلقوه على ما يكتب

في أعلى الورقة بجزء ، تسمية لشيء باسم علمه . (أقرب النوارذ ، القاموس المحيط ، صبح الأمشى ج ١١ ص ١٢٧) .

(٢٧) القلم الفليظ هو المعروف في الكتابة بخط الثلث أي ثلث قلم الطومار ، وعرض الكتابة به ٨ شعرات من شعر البرذون ، والفرق بينه وبين الثلث الخفيف مدة القلم أو غلظه (انظر حاشية ٤٠ فيما يلي) .

(٢٨) لعل المقصود بالوصل السطر باعتبارها منفصلة عن بعضها (أقرب النوارذ ، القاموس المحيط) .

(٢٩) صبح الأمشى ج ٦ ص ١٩٤ - ١٩٥ ، ج ١٣ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، مسالك الأبيصار ج ٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، التصريف ص ٨٩ ، ٩١ ، خط ج ٢ ص ١١ ، انظر نسخ المناشير المختلفة باللاحق .

(٤٠) المراد بخط الطومار نوع من الكتابة وهو الثلث الثقيل المناسب للقلم الذي يكتب به ، وهو قلم من لب الجريد الأخضر أو من القصب أو البوص الأبيض الفليظ الأتاييب ينتق من جزائر الصيد ، وفي كل سنة يجهز يردي يطلب هذه الأنلام من ولاية الوجه القبلي ، وتحفظ عند كاتب السر ، ويورى منها ما يحتاج إليه ، ويصير قلم الطومار أجل الأنلام ، ومساحة عرضه ٢٤ شعرة من شعر البرذون ، ويستعمله السلطان في كتابة علاماته على المكاتب والولايات ومناشير الإقطاع (صبح الأمشى ج ٣ ص ٥٢ - ٥٤ و ج ٦ ص ١٩٠ ، ١٩٤ و ج ١٣ ص ١٥٨ ، التصريف ص ٨٤ ، مسالك الأبيصار ج ٢ ورقة ٣٩٢ - ٣٩٣ ، تاريخ بيروت ص ١٢٢ حاشية ١ -) .

(٤١) من علامات الأبريين : الحمد لله وبه توفيق العزيز عثمان بن أبي بكر ، و الحمد لله على نعمائه و الملك الناصر يوسف بن العزيز بن غازي بن صلاح الدين صاحب دمشق ، و علامة هولاءكو : و توكلت على الله و علامة و ابيك : و حسبي الله ، و علامة بيبرس و السنان بالله و (صبح الأمشى ج ١٣ ص ١٦١ - ١٦٢ ، الجوهر الثمين ورقة ١٥٧ ، زبدة كشف بيروت ص ٥٣ ، ٥٥ و ٥٧ و ٦١ و ٦٧ و ٧٩ ، مسالك الأبيصار ج ٢ ورقة ٣٩٢) .

(٤٢) خط ج ٢ ص ٢١١ ، انظر صورة هذه العلامة فيما يلي ص ١٦٦ .

(٤٣) المراجع السابقة ، التصريف ص ٨٣ - صبح الأمشى ج ٣ ص ٥٨ .

(٤٤) بدائع الزهور ج ١ ص ١٢٨ ج ٢ ص ٣١٩ ج ٣ ص ٧١ .

(٤٥) بدائع الزهور ج ١ ص ١٧٧ .

(٤٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٤٧) التصريف ص ٨٣ ، القلشنائى ج ١٣ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ج ٧ من التسخنة المخطوط

ورقة ٨٨ - ٨٩ .

(٤٨) هناك ظفراوات تكتب إلى ملوك المسيحيين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى غير

الإسلام ، تختلف عن هذه الطفرى ، وتتميز بمباراة التفخيم وإبراز القوة والمنة (صبح الأملى ج ١٣ ص ١٦٣ ، التريف ص ٨٣ - ٨٤ ، انظر صورة الطفراتين الشمسية ص ١٢٨ ، والنسخة الطفرى الأخيرة بالملاحق) .

(٤٩) صبح الأملى ج ١٣ ص ١٦٩ - ١٧٩ .

(٥٠) صبح الأملى ج ١٣ ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٥١) المصدر السابق ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٥٢) انظر الملاحق .

(٥٣) سورة النحل آية - ١٨ .

(٥٤) صبح الأملى ج ١٣ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، للملاحق .

(٥٥) صبح الأملى ج ١٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ ، للملاحق .

(٥٦) صبح الأملى ج ١٣ ص ١٩٩ ، والملاحق .

(٥٧) تاريخ بيروت ص ٥٦ ، ٩٢ - ٩٣ ، أخبار الأعيان ص ٢٣٤ ، انظر الملاحق .

(٥٨) راجع الفصل الثاني .

(٥٩) السلوك ج ١ ص ٨٤٤ - ٨٤٦ ، ٨٦٥ ، النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٩٣ - ٩٥ .

(٦٠) بين السلطان قلاوون دار النيابة بالقلمة سنة ٥٦٨٧ - ١٢٨٨ م وكان الثواب

يجلسون « بشباكها » ، ثم عندما التاصرسة ٥٧٣٧ - ١٣٣٦ م ، إلا أن الأمير قوصون أعادها بعد وفاة التاصر ، لكنه لم يجلس فيها بسبب المرض عليه ، وأول من جلس فيها بعد التجديد ، الأمير شمس الدين آق سقر نائب السلطنة في عهد السلطان إسماعيل بن التاصرسة ٥٧٤٢ (١٣٤٢ م) ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٠ وحاشية - ٤) .

(٦١) استقرت عملية العرض وتوزيع الوثائق من ذى الحجة سنة ٥٧١٥ (١٣١٥ م)

إلى نهاية المحرم من سنة ٥٧١٦ (١٣١٦ م) (السلوك ج ٢ ص ١٥٥) .

(٦٢) شعر الدين محمد بن فضل الدين بن حروف القبطى المعروف بالفخر ، أسلم وحسن

إسلامه وله مساجد ومدرسة وبهارستان (ت . سنة ٥٧٣٢ - ١٣٣١ م) (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، بذائع الأزهر ج ١ ص ١٧٥) .

(٦٣) يحس السلطان في هذا الحفل ، ثير وثائق الإقطاع ، المراسم والتواقيع ، وجرت

المادة أنه بعد العرض ، ينتقل إلى قصر آخر ويجلس في « الشباك » للنظر في المحاكمات (زبدة كشف المالِك ص ٨٦ ، ٨٨) .

(٦٤) مهمة تقيب الجيش تحلية اشته في عرضهم وإحضار الأمراء كطلب السلطان

أو الخاجب (صبح الأملى ج ٤ ص ٢١ - ٢٢) .

(٦٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ ، خط ج ١ ص ١٤٥ .

الفصل الخامس

أرباب الإقطاع

رجال السيف : السلطان وأبنائه وإقطاعاتهم - الجيش
الملوكي وأتباعه - الخليفة وإقطاعاتها - السالك السلطانية وبيواتهم
والجهات المختصة بها - نظائر هذه الطائفة في الإقطاع التركي -
مالك الأمراء وإقطاعاتهم - المرابان وإقطاعاتهم - التركان
والأكراد وإقطاعاتهم - رتب الجيش الملوكي وعبرة إقطاع كل
رتبة أو إمرة - نظام الترقية - أرباب الإقطاع من غير رجال
السيف - بعض رجال القلم - أرباب الحرف .

كتب الفلقشندي : « تجرى الإقطاعات في الدولة المملوكية على الأمرام
والهند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأرض يستغلها مقعطها ، ويتصرف فيها كيف
شاء ، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهات ، وهو القليل ، وتختلف باختلاف
أربابها » (١) .

ومعنى هذا ، أن غالب الإقطاعات تركزت في رجال السيف ، وتتصرف
كلمة رجال السيف إلى السلطان وأمرائه وأجناده ، أى إلى الجيش المملوكي
بأجناسه وفرقه المختلفة ، وكذا أصحاب الوظائف الإدارية من هذا الفريق وهم
الولاة والكشاف . بل إن كلمة الإقطاع ترادف « الهندية » ، ولا بد للجندى
أن يكون صاحب إقطاع ، بدليل توقيع أحد نواب السلطنة على قصة طالب
إقطاع « ايش يعمل بالهندية » (٢) ، ومن رجال السيف ، المعاليك بأنواعهم
والعربان والتركمان والأكراد ومن يستخدمهم السلطان في الأغراض الحربية ،
على أن هناك طائفة قليلة من رجال القلم حازت الإقطاع وهم الخليفة وبعض
الفقهاء ، فضلا عن عدد قليل من أصحاب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم .

وأول رجال السيف هو السلطان ، ويعرف إقطاعه باسم « الخاص
السلطاني » أو « بلاد الخاص » أو « الخاص الشريف » ، والعادة أن يختار
السلطان لنفسه ما شاء من الأراضي الجيدة أو القرية ، ومن المكوس المربحة
والحوالى وغيرها من أبواب الإيراد الوفيرة ، سواء في ذلك العقار الثابت
أو المال المتقول (٣) ، والخاص السلطاني غير الأملاك الشريفة السلطانية ،
فالخاص هو الإقطاع الذى يحوزه السلطان بوصفه سلطاناً ، ويقدر عادة
بأربعة قرار يبط من خراج البلاد المقدر بأربعة وعشرين قرطلاً ، أى بمقدار
السدس ، وإن لم تطرد هذه القاعدة ، على ألا يملك السلطان رقبة هذا الخاص

وإنما يملك حتى الانتفاع به واستغلاله لحسابه طالما هو سلطان ، ولذا فهو ينتقل عنه بزوال السلطنة . أما الأملاك الشريفة السلطانية ، فهي التي اشتراها بماله من مالك آخر أو من بيت المال ، فصارت بذلك ملكاً حراً له جميع وسائل التصرف فيه من بيع وهبة وتوريث ووقف ، وربما يرجع أصل بعض هذه الأملاك إلى أيام إمارته قبل السلطنة . فنلا من أملاك السلطان شعبان بن حسين بالفريية : بطينة وحوض الشقف ومساحتها ١٦٢٦ فداناً ، عدا الرزق المقدرة بخمسة وعشرين فداناً ، والعبدة ثمانية آلاف دينار ، ومن أملاك الظاهر برقوق ، عطف بهيت بالجيزة وهكذا . . .

وتوزع الخصاص السلطاني في الأقاليم المختلفة داخل مصر وخارجها^(٥) ، فته ما هو بناوحى القاهرة مثل منيل القولاذ وعبرته ٥٠٠ دينار^(٦) ، ومنه ما هو بالوجه البحرى مثل فوة بإقليم فوة والمزاحمتين ، وكذلك ما بها من زكاة وعبرتها ١٦ ألف دينار^(٧) ، ومنه ما هو بالوجه القبلى مثل الطارمة بالقسيوم ومساحتها ١٢٦٢ فداناً وعبرتها ٤٠٠٠ دينار وإدقاق بالبهنساوية ومساحتها ١١٣١ فداناً وعبرتها ٤٠٠٠ دينار وهكذا^(٨) وفي خارج مصر كانت غوطة دمشق وما يحيط بها ضمن خاص الناصر محمد^(٩) .

واعتبر النظام المملوكى أبناء السلاطين من أرباب السيوف من باب التجوز ، نظراً لأن الكثير منهم لم يمارس التزامات الإقطاع ، فتحوا الإقطاعات من باب التشريف ، وهى إمرة مائة ، وإن لم يزالوا الإمرة والوظيفة .

ومن الأمثلة على ذلك إنعام الناصر محمد سنة ٨٧٣٢ (١٣٣١ م) على ولده ، آنوك بإقطاع الأمير مغلطاى الشوق بالعقبة ، كما أنعم على ولده أيج بكر سنة ٨٧٣٥ (١٣٣٤ م) بإمرة ، ولبس كل منهما شعار الأمراء^(٩) ، ولما رزق السلطان حسن بولد ذكر سنة ٨٧٥٩ (١٣٥٧ م) سباه قاسماً

ومنحه إمرة مائة^(١٠) ، ثم إن السلطان شعبان بن حسين أنعم في سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢ م) على ابنته على بتقدمة ألف وعلى ولديه أحمد وأبي بكر بهذه المرتبة كذلك في سنة ٧٧٩هـ (١٣٧٧ م)^(١١) ، ولما تسلطن المؤيد شيخ سنة ٨١٥هـ (١٤١٢ م) أنعم على ولده إبراهيم بإمرة مائة وتقدمة ألف^(١٢) .

وأطلق المعاصرون على أبناء السلاطين لقب « أولاد الناس » ، وهو لقب يشترك معهم فيه أبناء الأمراء ، وكذلك خبر عن هؤلاء جميعاً باسم « المصريين »^(١٣) ، ولعل هذه التسمية الأخيرة راجعة إلى أنهم ولدوا بمصر ولم يشترخوا بالمال كأبائهم ، والعادة أن يعطى أولاد الناس الخوامك ، إلا أنه يحدث أن يمنحوا الإمارات بإقطاعها ، فمثلاً منح للناصر محمد سنة ٧١٠هـ (١٣١٠ م) الأمير على بن سلاز إمرة عشرة بمصر^(١٤) ، كما منح ولدى الأمير سيف الدين أرقطاي المعروف بالحاج ، نائب صفد ، إمرتين سنة ٧١٨هـ (١٣١٨ م) ، وهما إمرة طبلخاناه للأمير على وإمرة عشرة للأمير إبراهيم^(١٥) ، كذلك منح السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد في سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م ابن طشتمر إمرة مائة وتقدمة ألف بمصر ، والأمير على بن أصلم إمرة طبلخاناه^(١٦) . وأراد السلطان حسن أن يستغنى بأولاد الناس عن الجند الترك ، جزئياً على الأقل ، وقد صرح بقوله « هؤلاء مأمونون (كفأ) العاقبة وهم في ملي عسلى ، وحيث وجهتهم إليه توجهوا ، ومنى أسببت حزم أمكننى ذلك بسهولة ، وفيهم أيضاً رفق بالرعية ومعرفة بالأحكام »^(١٧) ولذلك كان منهم في عهده عشرة أمراء مقدمون ، منهم ولده قاسم وأحمد ، والثمانية الباقون هم اسبغا بن الأمير الأبى بكرى ومحمد بن طوغاى ومحمد بن بهادر رأس نوابه ومحمد بن الحسنى وموسى بن أرقطاي وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى الأزكشى الأستاذار وعمر بن أرغون النائب^(١٨) ، كذلك كان لديه عدد كبير آخر من أولاد الناس ما بين أمراء طبلخاناه وعشرات

ونواب قلاع ونواب بالبلاد الشامية ، مثل ابن القشتمرى نائب حلب وابن صبيح نائب صفد وأمير على الماردىنى نائب الشام^(١٩) . وتبع السلطان حسن في هذا الاتجاه ، السلطان شعبان بن حسين ، إلا أن ذلك لم يستمر بعدما ، وظل أولاد الناس يخدمون في الجيش المملوكى وبعض الوظائف على أساس الحامكية .

أما رجال الجيش المملوكى ، فهم عناصر مختلفة ، من ترك وجركس وروم وأكراد وعرب وتركمان ، كذلك منهم المغول والألمان والإيطاليون والروس ، وأكثرهم مشترى بالمال^(٢٠) . وأقسام هذا الجيش ثلاثة هي : - أجناد الحلقة^(٢١) والممالك السلطانية وممالك الأمراء ، والتفريق البارز في هذه الأقسام هو فريق الحلقة من حيث حيازة الإقطاع ، فهم قلب الجيش المملوكى والأصل في التوزيع الإقطاعى . والممالك السلطانية هم أصحاب الجوامك الراجعة من السلطان ، أما ممالك الأمراء فيتبعون أساندهم ويحوزون إقطاعاتهم بحسب مراتبهم من بطن إقطاعات الأمراء .

توزعت هذه القوات في أقاليم الدولة المملوكية ففها ما هو بحضرة السلطان بالقاهرة ومنها ما هو بمختلف النيابات بمثابة الحامية خارج مصر ومنها ما هو في صحبة الأمير المملوكى التابعة له حيث يكون مقامه في مصر أو خارجها .

وبلغ أجناد الحلقة على ما استقر (عدهم) في جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك الناصرى . نحو ٢٤ ألف فارس ، إلا أن هذا العدد تراوح بين الزيادة والنقص وإن رجحت كفة النقص عن كفة الزيادة ، فيما بعد عهد الناصر محمد ، حتى إنهم صاروا من القلة في زمن لم يحدهه المقرئى ولعله أواخر القرن الثامن الهجرى وأوائل التاسع الهجرى بحيث لو جمعوا مع الممالك السلطانية و لما بلغ ٥ آلاف فارس لا يصلح منهم مباشرة القتال سوى ألف أو دونها^(٢٢) .

ويؤخذ من خطاب أورده ابن شاهين عن بعض سلاطين الممالك يذكر

فيه قوات الجيش المملوكي أن عدد أجناد الحلقة بمصر وخارجها هو : -

٢٤ ألفاً بمصر .

١٢ ألفاً بدمشق

٦ آلاف بحلب

٤ آلاف بظرابلس

١ ألف واحد بصغد

١ ألف واحد بغزة بالإضافة إلى ممالك الأمازيغ (٢٣) :



انقضى النظام الإقطاعي تسجيل أجناد الحلقة في جريدة باسمهم بديوان الجيش ، حيث يضيف الكاتب المختص كل ألف منهم إلى مقدم مشهور من الحلقة من أمراء المائة ، ولكل مائة من هذه الألف رئيس أو « باش » أو « تقيب » يشترط فيه الإلمام بمسكنهم ومطاب إقامتهم لجمعهم عند الطلب ، وليس لهذا التقيب - ومن ألقابه مقدم الحلقة - سلطة عليهم إلا في أثناء الحرب (٢٤) ، وبجانب هذا التنظيم تسجل رتبهم وصفاتهم (٢٥) .

والمناشير الصادرة بإقطاعات هذا الفريق لا تكون إلا من السلطان ، كما هو الشأن في مناشير الأمراء ، وإقطاعات الحلقة وقف عليها دون غيرها من فئات الجيش ، ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى السلطان قلاوون ، إذ أعطى مملوك والى القاهرة الأمير سنجر الحياط إقطاعاً بالحلقة تقديراً ومكافأة استثنائية له ، لأنه قبض على اثنين من العابثين ، وذلك على حين أن قلاوون نفسه أبى أن يعطى ولدى الأميرين طرطنائى وكتبغا إقطاعات بالحلقة يوم سألاه ذلك ، وقال جملته المشهورة : « والله لو رأيتهما في مصاف القتال يضربان بالسيف أو كاتا معى في زحف قدامى أستقيح أن أعطى لهما أعبازاً في الحلقة خشية أن يقال : أعطى الصبيان الأعباز (٢٦) » .

وتراوح عمرة إقطاعات مقدمى الحلقة (٢٧) بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ دينار في السنة للواحد منهم ، على أساس سعر الدينار ٩ دراهم ، إلا أن هذا القدر لا يدخل كله لصاحب الإقطاع ، وإنما ينحصر منه قيمة كلف ومصاريف تقدر نحو ٩٠٠ درهم (٢٨) .

أما أجناد الحلقة فتوسط عبدة إقطاع الجندي منهم ٢٥٠ ديناراً في السنة ،
وهذه أقل عبدة (٢٩) ، وهم منقسمون إلى ست مراتب ذوات عبرات إقطاعية
مختلفة كالآتي :

رقم المرتبة	عدد الأجناد	عبدة إقطاع الواحد منهم في السنة	سعر الدينار
١	١٥٠٠	٩٠٠ دينار	١٠ دراهم
٢	١٣٥٦	٧٠٠	»
٣	١٣٠٠	٦٠٠	»
٤	١٣٠٠	٥٠٠	»
٥	١١٠٠	٤٠٠	»
٦	١٠٣٢	٣٠٠	»

وجرت العادة أن يشترك عدة أجناد من الحلقة في الإقطاع الواحد ،
وتقسم العبدة بينهم ، مثال ذلك ، أن مدينة التحريرية بالغربية ، مقطعة لعشرة
أجناد منهم (٣٠) ، ومساحة الأرض بهذه المدينة ، أي زمامها ١٢٧٠ فدانا
وعبرتها ٣٠٠٠ دينار (٣١) مقسمة عليهم تقسيماً يتناسب ومراتبهم .

أما المعاليك السلطانية ، سكان الطبايق (٣٢) بالقلمة ، فهم أصحاب
الجوامك والرواتب مشاهرة على وجه العموم ، ويقسمون إلى ثلاث فرق هي :
ممالك مشتريات ينتسبون للسلطان القائم ، وممالك سلطانية منسوبون إلى
السلطان السابق ، وممالك سيفية منسوبون للأمرء مقدمي الألوف ، إلا أنهم
تقلوا إلى الديوان الشريف ، لسبب من أسباب النقل ، كوفاة أستاذهم أو نفيه
أو قتله ، ومن هؤلاء جميعاً أصحاب وظائف (٣٣) .

انتسبت كل طائفة منهم إلى سيدها ، فالأشرفية نسبة إلى الأشرف خليل
والظاهرية للظاهر برفوق ، والناصرية للناصر فرج ، والمؤيدية للمؤيد شيخ ،
والططرية والإينالية والحشقدمية وهكذا ، ومنهم من ينسب إلى أصله كالعثمانية

الذين أسرمهم أزيك سنة ٨٩٤ هـ (١٤٨٨ م) على أثر انتصاره على العثمانيين فأزلمهم قايتباي في ديوانه وقدر لهم الجوامك (٢٤) ، ومن أمثلة السيفية ، الحكيمية نسبة إلى الأمير جكم والنوروزية نسبة إلى الأمير نوروز ، وكلا الأستاذين من أمراء المؤيد شيخ (٢٥) .

واختلف عدد هذا الفريق من الجيش المملوكي كغيره من الفرق من وقت إلى آخر. فبلغ في عهد بيبرس نحو ١٦ ألف مملوك (٢٦) وتراوح عددهم في عهد قلاوون ما بين ١٢ ألفاً و ٧ آلاف مملوك (٢٧) ، وبلغت ممالك الأشرف خليل بن قلاوون نحو اثني عشر ألفاً ، وممالك الناصر محمد ألفين بعد الروك ، ولم يصل عددهم إلى هذا القدر بعد ذلك حتى زالت أسرة بني قلاوون والدولة المملوكية الأولى في سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) ، إذ أخذ برقوق ، وهو أول سلاطين الدولة المملوكية الثانية ، يعمل على القضاء على الممالك الأشرافية ، وهم ممالك الأشرف شعبان وأنشأ برقوق لنفسه طائفة من الممالك الحراكية بلغت عدتهم ما بين مشرى ومستخدم ، ٤ آلاف وربما زادت قليلا ، غير أن هذا العدد تفرق في عهد ابنه فرج وهلك كثير منهم بالقتل وغيره (٢٨) ، وفي عهد خشقدم بلغ عدد الممالك السلطانية خمسة آلاف مملوك ، وربما زاد عن هذا العدد قليلا في عهد السلطان قايتباي ، إذ أريت مشرياته منهم على أئني مملوك (٢٩) .

ولطائفة الممالك السلطانية بديوان الجيش سجل خاص اسمه « جريدة أرباب النور والمكيلات » تضم هذه الجريدة أسماهم وخصصاتهم الراتبية في كل سنة بمقتضى مناشيرهم ، ويوضح كاتب الجيش أصحاب الوظائف منهم مثل « الأوشاقية » العاملين بالاصطبلات السلطانية وغيرهم ، على أن يضيف كل فريق من هؤلاء إلى مقدم بارز بينهم ، فيقال : « مقدم الأوشاقية » وبلغ عدد مقدمي الممالك السلطانية أيام الناصر محمد نحو ٤٠ فارساً (٣٠) والرئاسة العليا على سائر طوائف الممالك السلطانية ، لمقدم من الأمراء الطواشية برتبة أمير طبلخاناه وله نائب يساعده برتبة أمير عشرة (٤١) .

وخصص ديوان الجيش إقطاعات معينة للصرف على رواتب المماليك السلطانية وجوامكهم^(٤٢) ، بلغ متوسط راتب المقدم نحو ١٢٠٠ دينار في السنة ، وربما زاد عن هذا المبلغ^(٤٣) ، أما المماليك السلطانية أنفسهم ، فاختلقت جوامكهم باختلاف رتبهم كما هو الشأن في إقطاعات أجناد الحلقة فقسما إلى أربع طبقات في الروك الناصري ، على هذا النحو^(٤٤) :

رقم المرتبة	عدد المماليك	مقدار جامكية الواحد منهم في السنة	سعر الدينار
١	٤٠٠	١٥٠٠ دينار	١٠ دراهم
٢	٥٠٠	١٣٠٠	»
٣	٥٠٠	١٢٠٠	»
٤	٦٠٠	١٠٠٠	»

وتشمل الجوامك الشهرية : العليق والحبوب والطعام ، ويقال إن جامكية ممالك السلطان برقوق بلغت في الشهر الواحد ٩٠٠.٠٠٠ درهم ومن العليق ١٥ ألف إردب من الشعير ، وهذا غير الخيول والجمال التي تصرف لهم ، على أنه قد تنقص رواتبهم أو تقطع^(٤٥) ، وقد يعطون إقطاعات بدلا من الرواتب^(٤٦) .

وأشرف الديوان المفرد^(٤٧) على الإقطاعات الخاصة برواتب وجوامك المماليك السلطانية ، وتتلخص مهمة هذا الديوان في « تكفيته جميع المماليك السلطانية من جوامك وعليق والآدر الشريفة وجميع لوازمها وجميع البيوتات ولهذا الديوان بلاد كثيرة بلغت نحو ١٦٠ بلداً ، من جعلها فارسكور والمنزلة ، وبلغ خراج كل منهما نحو ٣٠ ألف دينار ، وذلك فضلا عن رسوم أخرى متنوعة تجبي له من الولاة والكشاف وغيرهم بحيث بلغ إيراده عن سنة واحدة

من العين أكثر من ٤٠٠ ألف دينار ، ومن الغلال ٣٠٠٠٠٠٠ لردب من القمح والشعير والقول (٤٨) .

وأشبهت طائفة المماليك السلطانية برواتبها وجوامكها طائفة من الأتباع المماريين في النظام الإقطاعي الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي فصاعداً ، وذلك بفرنسا وألمانيا والأراضي المنخفضة وإنجلترا ، ومنح الشبه أن إقطاعات هؤلاء لم تكن من الأرض وإنما من الرواتب والجوامك ، ويعبر عنها باسم Rente أو Money Fiefs أو Piefs de Soudée ، وأول ملك فرنسي منح أغلب هذا النوع من الإقطاع هو لويس السابع عام ١١٥٥ / ١١٥٦ م ، وتبعه خلفاؤه من بعده ، وهذا أغلب ما كان للأجانب ، كذلك اهتم ملوك الإنجليز من النورمان بهذه الإقطاعات في القرن الثاني عشر الميلادي ، وذلك لاجتناب الأجانب ولاسيما بلامفرنسا وألمانيا والأراضي المنخفضة ليكثر أتباعهم ، ويقوى نفوذهم (٤٩) ، وكذلك في الجيش الصليبي الإقطاعي بمملكة بيت المقدس . حيث نقل الإقطاع الغربي ، نجد فريق أصحاب الجوامك وتراوح متوسط راتب الفارس من هذا الفريق بين ٤٠٠ و ٦٠٠ و ١٠٠٠ بزنطة في السنة (٥٠) .

ويتوقف تقدير هذه الرواتب على مدى الحاجة إلى الرجال ، ومدى توفر المال ، واعتبر دخل المواني أكثر ضماناً في الحصول على رواتب هذه الطائفة من الأراضي الداخلية . نظراً لأن المواني كانت أقل تعرضاً لمجوم المسلمين . ولم تقتصر الرواتب على المال بل كانت كذلك من القمح والشعير والعدس والزيت ونحوها (٥١) ، ومن المعروفين من الفرسان أصحاب الجوامك في الدولة الصليبية أرناط Arnold صاحب الكرك ، إذ خدم بالمامكية أولاً عند ريموند صاحب أنطاكية (٥٢) . وكذلك صدر منشور ١١٦٩ م يقضى بمنح راتب قدره ١٢٠٠ بزنطة في السنة من دخل عكا لفارسين ، ولما رغب فردريك الثاني عام ١٢٣٩ م مزيداً من الرجال ، منح رواتب متفاوتة ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ بزنطة ، ومن الفرق المنظمة في المملكة الصليبية والمعتمدة على

هذا النوع من الإقطاع ، فريق من الوطنيين السوريين الذين خدموا الصليبيين ويعرفون باسم التركبولي Tourkopouloi أو Turcoples ، وهم فرقة من الفرسان المدرعة بالدروع الخفيفة ، وينحدر أعضاؤها عن آباء من الترك وأمهات مسيحيات من اليونان في الغالب (٥٣) .

والفريق الثالث من الجيش المملوكي ، هو ممالك الأمراء ، وبمعنى آخر ، أجناد الأمراء ، وهؤلاء تابعون لأمرائهم الذين يتولون الإنفاق عليهم وتجهيزهم عند الاستعداد لحملة أو قتال ، ولا بد من تسجيلهم بديوان الجيش كغيرهم من الفرق الأخرى ، فإذا تسلّم أمير من الأمراء إقطاعه ، طلب إليه كاتب الجيش أن يقدم البيانات اللازمة عن مملكته ، وهذه بعدها موظف مختص بديوان الأمير يسمى « كاتب عدة الأمير » في سجل خاص ، يشمل أسماءهم وما يخصهم لهم في إقطاع أميرهم وما لهم من رواتب وجوامك (٥٤) .

يتسلم كاتب الجيش هذه البيانات ويحدد يوماً لعرض أولئك الأجناد أمام السلطان ليحتمدهم ، وذلك بمشهد من الأمراء ، وهذا الإجراء من الدلائل الكثيرة على مدى ما يتمتع به السلطان المملوكي من سلطة مركزية . يقول التويري : « فن جاز ولى الأمر عرضه حلاه (أى وصفه) قبالة اسمه (٥٥) بما يميزه من أوصاف كعمره ولونه وقامته وحلية وجهه وما به من أثر إن وجد وهكذا ، وإذا رفض السلطان جندياً ، فعل الأمير أن يقيم بدله ، على أن يعرض الحد . كما أنه إذا مات جندي أو عزل عن عمله لسبب ما ، أقام الأمير عرضه . وموافقة السلطان واعتياده ، أمر يحتم في كل حالة لتكون الأسماء الواردة بسجل ديوان الجيش منطبقة على الواقع .

أما أعداد أجناد الأمراء فخفضت لأحوال أسانذتهم من السعة والضيق ولم تنقيد بمراتب الأسانذة ، بمعنى أنه ليس من الضروري أن يقتصر أمير المائة أو غيره من الأمراء على العدد الذي تنص عليه رتبته ، ويقدر ما هناك من « إمرات » أو إمرات ، على قول المصطلح ، يمكن استخراج إحصائية

تقريبية على أنها العدد الرسمي ، إلا أن هذا العدد الرسمي لم يوجد في وقت ما خلال عصر السلاطين المماليك^(٥٦) .

ويستحق مملوك الأمير إقطاعه ومخصصاته من تاريخ العرض والتسجيل بديوان الجيش ، على خلاف سيده الذي يستحق إقطاعه من تاريخ منشوره^(٥٧) وجرت العادة أن تقسم عبدة إقطاع الأمير إلى ثلاثة أجزاء متساوية ، ينحصر مماليكه بجزءين على حين يتفرد هو بالجزء الباقي ، وينص في منشوره على هذه النسبة غالباً^(٥٨) ، وفي مثل هذه الحالة ليس للأمير أن يتعدى على نصيب أجناده ، بل مما يحمد له أن يزيد في أنصبتهم من نصيبه ، ويعلق التوير ، على هذا بقوله : « وهذه القاعدة لاحقة بقواعد الفقه ، فإن له التصرف في ماله دون مال غيره »^(٥٩) ، وفي حالة عدم النص على نصيب الأجناد في المنشور ، فالأمير هنا في حل من زيادة البعض وإنقاص البعض بحسب ما يراه^(٦٠) ، على أن متوسط عبدة إقطاع المملوك يتراوح بين عشرة آلاف وثلاثة آلاف درهم في السنة^(٦١) .



واعتبر النظام الإقطاعي المملوكي زعماء العرب والتركمان والأكراد الداخلين في طاعة الدولة المملوكية ، من رجال السيف المقطعين ، لأن معظم عملهم يتركز في حماية أطراف الدولة ، سواء في مصر أم في خارجها ، ويطلق عليهم أحياناً « أرباب الأدارك » أو « المناغرون »^(٦٢) وعرف الواحد من زعماء العرب باسم (الشيخ)^(٦٣) ، أما زعماء التركمان والأكراد فاشتهر الواحد منهم بلقب « المقدم » ، فيقال مقدم التركمان والأكراد ، على أن لفظ المقدم أطلق أحياناً على زعماء عرب بني تتوخ بلبنان ، فسمى الواحد منهم : « مقدم الجبلية » إشارة لإقامتهم في المناطق الجبلية :

ويرجع تعميم الإقطاعات لزعماء العربان ، إلى عهد الأيوبيين ؛ إذ أمر صلاح الدين جماعة منهم^(٦٤) ، ولما كانت الدولة المملوكية وريثة الدولة

الأبوية في نظمها وتقاليدها . فقد أبت على تركه أسانئها واحتفظت بطوائف العربان المواليين لها ، وصحبت زعماءها المقطعين في « الجريدة الخيشية » ، بديوان الخيش^(٦٥) .

وأشهر القبائل التي تزعمها أولئك المشايخ وحازت الإقطاعات ، عرب بني القوث بن طلي من بني خزيمه بنواحي دمياط ، عرب الحمارية المنتسبون إلى قريش ، في الدقهلية والمرتاحية^(٦٦) ، وبالشرقية تل محمد من إقطاعات بني رديني من بني سويد ، ومساحته ١١٨٤ فداناً^(٦٧) ، وشبارة بني خصيب ومساحتها ٢٣٧٨ فداناً وعبرتها ٤٥٠٠ دينار كانت إقطاعاً للشواكرة أولاد شاكِر بن راشد منذ عهد صلاح الدين^(٦٨) . ولبنى خليفة وبني عبيد جزء من هرييط يعرف بالأحرار^(٦٩) ، وانتشرت جماعة من عربان فايد وزنارة وخفاجق وهواره وغيرهم بأعما البلاد المصرية الشمالية بين الإسكندرية والقبة . وهؤلاء معظم عربان الوجه البحرى ، وقد وصفهم صاحب التعريف^(٧٠) بأنهم « على سعة أموالهم واتساع نطاق جماعاتهم ليسوا عند السلطان في الذروة ولا في السنام ؛ إذ كانوا أهل حاضرة وزرع وليس فيهم من ينجد ولايتهم ولا يعرق ولا يشتم ولا يخرجون من جدر الخلدان^(٧١) » .

ومن قبائل عربان الوجه القبلى : هواره ولحم ، وبلغت عدة هواره وحدها في القرن الثامن الهجرى نحو ٢٤ ألفاً والسلطان برقوق هو الذى أنزلهم في سنة ٧٨٢ هـ - ١٣٨٠م بالصعيد الأعلى ، وأقطع منهم إسماعيل بن مازن ناحية جرجا ، وكانت غراباً فعمرها^(٧٢) ، وانتشر بنو هلال بن عامر بن صعصعة بأسوان وما حولها حتى ثغر عيذاب ، وهم بطن من بني عامر ، كما سكنت منهم عدة بطون بأخميم مثل بنى رفاعه وبني حجير وبني عزيز فضلاً عن بعض بطون بلى التي امتدت كذلك إلى الأعمال القوصية والمنفلوطية ، وفي معظم بلاد البهنسا سكنت لوانه ، وأقامت جهينة من قضاة ببلاد أخميم في عصر الناصر محمد^(٧٣) ، ودخلت الواحات في إقطاع العربان لموقعها الثاى وما يترتب عليه من صعوبة الاستغلال لقبير العرب من المقطعين^(٧٤) .

أما مشايخ العربان المقطعون خارج مصر ، فأولم مشايخ عربان برقة ،
وعليهم مقابل إقطاعهم مهمة جمع الزكاة أو « العداد » المقرر على المشايخ من
العربان » (٧٥) ، ثم أقطعت هذه البلاد لأمرأه عربان من مصر من بنى سليم
وأمرهم على عهد الناصر ، فايد بن مقدم السليحي (٧٦) ، ويبدو أن اهتمام
سلاطين المماليك برقة لم يقتصر على موقعها في طرف من أطراف الدولة ،
بل تعداه إلى جودة خيلها . يقول العمري : « برقة أزكى البلاد أرضاً للدواب
وخيل برقة من أقوى الخيل ، ويكنى أن يقال الخيل البرقية ، لكنها لا تبلغ
خيل البحرين والحجاز والشام » (٧٧) .

ويمتاز عربان الشام بأن لهم المنزلة الأولى في نظر المماليك ، وأشهرهم
في ذلك العصر أمراء آل فضل ومنهم بنو نعيم آل مرآه ، وآل علي ، ومن آل
علي ، عيسى بن مهنا ، وهؤلاء شأن في العلاقة مع التتار وفي الجهاد ضد الصليبيين ،
ولذلك جرت سياسة سلاطين المماليك على إكرامهم وإقطاعهم الإقطاعات
الوافرة ، بل نعت الولاة المملوكية المعاصرة ، آل عيسى بأنهم « ملوك
البرية » لشدة بطشهم ووفرة عددهم وكثرة أموالهم (٧٨) .

واستعانت الدولة المملوكية ببعض قبائل التركمان ، ووفرت لهم الإقطاعات
نظير قيامهم على حماية أطرافها من الأعداء المتأخين ، وهم الصليبيون والتتار
والعبايون الذين اشتد خطرهم منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ،
وهذا فضلاً عن مهمة إخضاع القبائل التركمانية الأخرى ، التي كانت كثيرة
الإغارة على بلاد السلطنة المملوكية .

استقرت الإمرة على التركمان في الأطراف الشمالية في بيت « دغاغر » (٧٩)
تارة وبيت « ابن رمضان » (٨٠) تارة أخرى ، وهؤلاء أشهر طوائف التركمان .
فتلا لما قدم على بن رمضان وأمرؤه إلى مصر سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) ،
وقدم للسلطان صالح بن الناصر محمد ، وأمرائه ، ألف إكديش ، أنعم عليه
السلطان بالإمرة على التركمان عوضاً عن « قراجا دغاغر » ، كما أنعم عليه

إقطاع ، وعلى عدد من أصحابه بإمريات بين عشرات وطلبخانات(٨١) . كذلك خدم بنو العساف التركمان دولة المماليك(٨٢) .

ومن القوات المملوكية قوة الأكراد وهذه بلغ عددها نحو ٢٠ ألفاً(٨٣) وأشهرها بقايا بني أيوب وأتباعهم ، منهم الملك الأوحى بن الملك الزاهد بن أسد الدين صاحب حصص ، وقد منحه السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٤ هـ - ١٢٩٤ م ، إمرة طبلخاناه بإقطاعها(٨٤) ومنهم محير الدين يعقوب من سلالة السلطان العادل الأيوبي ، وهو صاحب إقطاع جيد قرب المزة بظاهر دمشق(٨٥) وأهمهم جميعاً الملك المظفر أبو القسداء إسماعيل صاحب حماة(٨٦) .

أما رتب الجيش المملوكي الإقطاعي . فتدرجت من أمير ثلاثة إلى أمير مائة ، وهذه أعلى رتبة . ويلاحظ أن الرتبة لمراتب الجيش المختلفة ليست وفقاً على فرقة دون أخرى من فرق الجيش ، وإنما ظل الباب مفتوحاً أمام كل الطوائف من الحلقة والمماليك السلطانية وأتباع الأمراء .

فأمير مائة من له إمرة مائة فارس ، أي رئاسة هذا العدد الذي يشترطه من مال إقطاعه ، وله كذلك «تقدمة» أي قيادة ألف جندي من أجناد الحلقة وغيرهم(٨٧) ، على أن المائة هذه ليست إلا دليلاً على أن الحد الأدنى لأتباع صاحب هذه الرتبة هو مائة فارس فضلاً عن دلالتها على الرتبة في سلم الجيش المملوكي ، بمعنى أنه غير مقيد إذا اشترى أكثر منه ، ومصداق ذلك قول المفريزي «وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين»(٨٨) بل ربما نص ديوان الجيش في منشور الإقطاع والإمارة على هذه الزيادة ، مثل الأمير قرالاجين المنصوري ، الأستاذار الذي كان إقطاعه بإمرة ١٢٠ فارساً(٨٩) ، وبلغ مماليك قوصون نائب السلطنة وأتابك العساكر على عهد السلطان كجك بن الناصر محمد سنة ٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م ، ٧٠٠ مملوك ، ولذلك كان يفخر ويتباهى بقوته ويقول : «ابش أبالي بالأمراء وغيرهم وعندى ٧٠٠ مملوك أتى بهم كل من في الأرض»(٩٠) . كذلك بلغت مماليك بلغا الأتابكي أتابك العسكر

أيام السلطان شعبان نحو ٣٠٠ مملوك منهم ، ٤ مقدمو ألوف غير العشرات (٩١) كما بلغت ممالك يشك النوادر في عهد قايتباي ، ٤٠٠ مملوك و كاملين اللبس والحواشن على غالبهم وخيلهم لآيسة (٩٢) .

والمألوف أن يكون عدد الأمراء مقدمي الألوف بمصر ٢٤ أميراً ، وبلغوا ٢٥ في عهد الناصر محمد حين أمر السلطان الأمير الظنغا في سنة ٧٢٧ هـ - ١٣٢٦ م (٩٣) ، ووصل عددهم إلى ٢٦ في عهد الغوري سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م (٩٤) ولم يتجاوز عددهم هذا القدر طوال عصر السلاطين المماليك ، ومن هؤلاء أكابر الثواب وأكابر الموظفين (٩٥) وهم على طبقتين : « خاصكية » مقربون إلى السلطان و « خارجية » دونهم في المركز (٩٦) .

وتراوح عبدة إقطاع الواحد من مقدمي الألوف بين ١٠٠ و ٨٠ ألف دينار في السنة ، وهذا متوسط العبدة أو القاعدة العامة ، وعبدة إقطاع الخاصكي منهم نحو ١٠٠ ألف دينار وربما بلغ إقطاع بعض المقربين للسلطان نحو مائتي ألف دينار جيشية ، بل ربما زادت عن ذلك كثيراً فيقال : إن الناصر عين للألوف الخاصكية ٦٠٠ ألف دينار ، وللخارجية ٨٥ ألف دينار ، بسمير الدينار عشرة دراهم (٩٧) ، ومن المقدمين أصحاب الإقطاعات الثقيلة ، الأمير جاندار عز الدين بن أيك بن عبد الله الأقرم في عهد الناصر محمد ، قيل إن إقطاعاته وأملاكه بلغت ثمن الديار المصرية (٩٨) ، وبلغ متحصل إقطاع منكوتمر نائب السلطنة أيام لاجين ما نيف على ١٢٠ ألف إردب من الغلة « خارجاً عن المال والعين والفتود والأعسال والتمر والأعنام والأحطاب » (٩٩) وبلغت إقطاعات الأمير تنكر نائب الشام أيام الناصر محمد من الكثرة ، في مصر والشام ، ما جعله أغنى أمراء عصره ، كما بلغت إقطاعات الأمير بشتك الناصري ما يقدر بسبع عشرة إمرة طبلخاناه ، ومتحصلها مائتا ألف دينار في السنة (١٠٠) .

وترجع هذه الزيادات في الإقطاعات إلى عوامل كثيرة : أولها ضعف شخصية السلطان ، وثانيها مكانة الأمير من سيده ودرجة إثاره له ، فضلا عن

طموح الأمير وظلمه ، كذلك لأحوال القنن والاحتلال أثر كبير في اغتصاب الإقطاعات ؛ فثلاً حدث على أثر مقتل السلطان لاجين ونائبه منكوتمر سنة ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨ م (١٠١) ، أن طمع الأمير طنجي في السلطنة قدعا طنجي عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة (١٠٢) . وكاتب الروك الحسامي وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما ذكره له قال طنجي : « هنا كثير ، أنا لا أعطيه لنائب » ، ورسم أن توفر جملة إقطاعات تضاف للخاص السلطاني ، وحين خرج الطويل من حضرة طنجي ، استدعاه كرجي وكان يطعم في منصب خيابة السلطنة وسأله عن إقطاع النيابة ، فلما عرفه استفه وقال : « هذا ما يكتفي ولا أرضى به » وعين له بلاداً يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر (١٠٣) ومعنى هذا وذاك أنه لم تكن هناك قاعدة تتبع أو تحترم ، بل قوة وتسلط .

ويتلو إمرة مائة في السلم العسكري المملوكي. إمرة طبلخاناه وهي إمرة أربعين ، بمعنى أن الإقطاع الذي يمنحه صاحب هذه المرتبة في الجيش ، يكتفي لشراء أربعين مملوكاً (١٠٤) ، وتختلف إمرة طبلخاناه عن رئاسة أربعين الموجودة ضمن التنظيم الإداري والقني لأجناد الحلقة ، فهذه رتبة في الجيش ، ومماليكه أتباعه يرتزقون من إقطاعه ، وعليه تجهيزهم . على أن بعض أمراء الطبلخاناه اشترى أكثر من هذا العدد ، نظراً لأنه صاحب إمرة ستين أو إمرة سبعين أو إمرة ثمانين ، لكنه لا يخرج عن رتبة أمير الطبلخاناه ؛ فثلاً شغل الأمير بلبان الرومي إمرة ستين في عهد السعيد بن بيبرس (١٠٥) وربما أعطيت إمرة ستين تشريفاً لبعض الصغار من أبناء الأمراء كما حدث للأمير محمد بن أبي الغداء صاحب حماة إذ « تصدق » عليه الناصر بإمرية « وستين فارساً لخدمة طبلخاناه » ، وعمره يومئذ ٩ سنوات (١٠٦) ومنحت إمرة سبعين للأمير جاغان بعد الاتفاق على تولية الناصر سلطته الثانية في سنة ٦٩٩ هـ - ١٢٩٩ م ، فلما جاء هذا الأمير من الشام « تلقاه بريدى وعلى يده منشور بإقطاع سبعين فارساً (١٠٧) » وتمتع كل من الأميرين بيبرس المنصوري الدوادار ومغلطاي أمير مجلس (١٠٨) ، بإمرة ثمانين في عهد الناصر محمد كذلك (١٠٩) .

واختلف عدد أمراء الطبلخاناة من عهد إلى عهد، فبلغوا في أحد العهود ٤٠ أميراً وفي عهد الناصر محمد ٢٠٠ أمير ما بين خاصكي وخارجي (٥٤ أميراً خاصكياً و ١٤٦ أميراً خارجياً) . وبالإضافة إلى ممالكهم بلغوا ٨٢٠٠ فارس^(١١٠) وبلغوا بالإضافة إلى أمراء العشرات ٣٠٠ أمير في عهد السلطان الغوري ، (١١١) .

وتراوح عبءة إقطاع الواحد من أمراء الطبلخاناة ما بين ٤٠ و ٣٠ و ٢٣ و ٢٠ و ١٥ ألف دينار في السنة ولا يصل إلى ٤٠ ألفاً إلا الخاصةكية ، ولؤلؤة الخاصةكية امتياز آخر غير ارتفاع عبرات إقطاعاتهم ، وهو أن سعر الدينار الذي يحاسبون بمقتضاه ، عشرة دراهم ، أما الخارجي فسعر ديناره ٨ دراهم^(١١٢) ، وعبءة إقطاع أصحاب الوظائف منهم نحو ٢٠ ألف دينار في السنة بسعر ٨ دراهم ، وذلك لتولى الكشوفية في إقليم من الأقاليم . كما أن عبءة إقطاع الوالي من الطبلخاناة ١٥ ألف دينار بسعر ٨ دراهم كذلك . وقد بلغ عدد أصحاب الوظائف من أمراء الطبلخاناة ١٤ أميراً في عهد الناصر محمد في الدولة المملوكية الأولى ما بين كشاف ونواب وولاية ، ونقص هذا العدد إلى عشرة زمن السلطان الغوري ما بين زردكاش كبير ورأس نوبة ثان ودوادر ثان وحاجب ثان وأمير أخور ثان ومحتسب وخازن دار ثان . ويلاحظ أن المقر المتصوري محمد بن السلطان الغوري كان من بين أمراء الطبلخاناة ، ويشغل وظيفة شاد الشرايعاناة^(١١٣) :

وإمرة عشرة دون إمرة الطبلخاناة في مدرج الرتب العسكرية الإقطاعية في جيش الممالك ، وتقضى هذه الإمرة على صاحبها بإقامة عشرة ممالك وربما زاد إلى العشرين ، ويقال له في هذه الحالة أمير عشرين ، غير أنه يعد في العشرات من حيث الرتبة^(١١٤) ، ومثال ذلك الأمير برسباي المؤيدى الإينالى أمير عشرين في عهد السلطان إينال ، ويشغل وظيفة رأس نوبة^(١١٥) ، كذلك تمتع الأمير ناصر الدين الحسين من أمراء بني تنوخ العرب بإمرة عشرين ، وصله منشور بعد روك الشام سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م ، وهو

ينص على ذلك العدد^(١١٦) ويذكر ابن شاهين من هذه الإمرة العشرية ،
عشرين أميراً^(١١٧) .

ويبلغ عدد أمراء العشرات في عهد الناصر نحو ٢٠٠ أمير ما بين خاصكي
وخاصكي ، فالخاصكية منهم ٣٠ أميراً والخارجية ١٧٠ أميراً ، والعدد الرسمي
لمضافهم هو ألفاً مملوك على أن عدد أمراء العشرات ، كغيرهم لم يكن ثابتاً
طوال عصر المماليك ، فلم يزيدوا على مائة وخمسة وثمانين أميراً زمن السلطان
قانسوة الغوري^(١١٨) .

وتراوحت عبءة إقطاع الواحد منهم بين ١٠ و ٧ آلاف دينار في السنة
إلى ما دونها ، وتمتاز الخاصكية بأعلى عبءة بسعر ١٠ دراهم للدينار ،
أما الخارجية فعبءة إقطاع الواحد منهم ٧ آلاف دينار في السنة بسعر ٧ دراهم
للدينار^(١١٩) ، والغالب أن يشترك أكثر من مقطع واحد من أولئك العشرات
في جهات الإقطاع الواحد ، مثل الأمير إعلان من ططخ الأشرقي^(١٢٠) ،
أحد أمراء قايتباي ، وقد وقع جزء من إقطاعه بمدينة هارون بالأعمال البهنساوية
بالاشتراك مع الديوان المفرد . ومساحة بني هارون ١٦٢٥ فداناً وعبءتها ثلاثة
آلاف دينار ، وبها من الرزق أربعة أفدنة^(١٢١) وكذلك كانت زفني
شطونف وبهادر كفرها بالقليوبية مقطعة لخمسة أمراء عشرات ، ومساحة
هذا الإقطاع ٢٩٢٠ فداناً ، منها ٥٦ فداناً للرزق ، والعبءة عشرة آلاف
دينار^(١٢٢) .

أما أمراء الخمسوات فعددهم حسب تقدير ابن شاهين ٣٠ أميراً ،
بخدمة كل منهم خمسة مماليك ، ومنهم من هو صاحب وظيفة كغيرهم من الأمراء .
وهناك طائفة من الأجناد في مستوى أمراء الخمسوات ويقال لها « الأجناد
القرانيس » وهم « القديمو الحجر » ممن بقوا في إمرتهم دون ترقية للإمرات
العالية^(١٢٣) ، ولذلك يوصفون أحياناً بالعتق ، فيقال « القرانصة العتق » ،
كما يقال لهم كذلك « القرانصة » السيفية^(١٢٤) ومن أمراء الخمسوات العربان :

الأمير عز الدين الحسن والأمير علم الدين الحسين والأمير سيف الدين إبراهيم من بني تنوخ بلبنان (١٢٥) .

ودون هذه الإمارات جميعاً ، إمرة أربعة وإمرة ثلاثة ، ويبدو أن هذه لم توجد في مصر بل اقتصر على بعض أمراء العرب ولاسيما أمراء بني تنوخ . مثل الأمير عبد الله بن حجي ، ومع ذلك فلم يكن إقطاع هذه الإمرة مما يستهان به ، وهذا يدلنا من ناحية أخرى على أن عبء الإقطاع لم تخضع لرتبة صاحبه ، فثلاث شمل إقطاع هذا الأمير التنوخي : نصف بلدة قدرون ونصف طردلا ونصف رمطون ونصف عين كسور ، وذلك ببلاد الشوف غربي لبنان (١٢٦) ، كذلك شمل إقطاع الأمير موسى بن مسعود التنوخي ، أمير ثلاثة ، زمن السلطان الناصر محمد : نصف أدفول ونصف التسيقيين ونصف شطر ونصف ديرفيل ونصف عين حجة ببلاد الشوف (١٢٧) .

على أن نظام الرقبة في دولة المماليك الإقطاعية لم يخضع لقاعدة معينة ، ويستفاد هذا من استقرار أحداث الرقبة لأغلب المماليك ، وقد دلت هذه الأحداث على أن هناك طريقين للرقبة ، أحدهما بالطريق العادي المألوف وهو التدرج الطبيعي من رتبة إلى ما فوقها ، والثاني طريق الطفرة ، وعن الطريق الأول ، يبدأ المملوك الذي اشتراه السلطان بأن يضم إلى جيشه من المماليك بطباق القلعة ، فيرتبه الطواشي المقدم عليه عند الفقيه ليربيه بالأداب والحضمة والحرس ، ثم يدرب هذا المملوك على أعمال الفروسية من الرمي بالمشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وغيرها (١٢٨) ، وتكون كسوته في تلك الفترة من الثياب القطن البعلبكي ومن الكتان الخام المتوسط ، ويُدْرَج المملوك بعد ذلك في الجامكية من ٣ إلى ٥ إلى ٧ دنانير في الشهر ، فإذا بلغ مبلغ الرجال ، أعرضه السلطان وأخرج له خيلاً وقماشاً ، وجعله أمير حسة بإقطاع مقابل ووظيفة لائفة ، ثم يرتفع هذا المملوك في رتب الإمرة وربما أصبح سلطاناً (١٢٩) .

ولقد جاء عن هنا الطريق كثير من السلاطين المماليك ، الذين لم يرثوا العرش عن آبائهم ، مثال ذلك : شيخ الممردى الحرکسى ، الذى تسلطن سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م اشتراه السلطان برقوق من أحد تجار المماليك يومئذ وهو الخواجا محمود شاه ، ودفع للتاجر ألفى دينار ثمناً له ، وأدخله الطباق المملوكية بالقلعة حيث تعين على الحمامكية ، ثم أعضه السلطان برقوق وأخرج له خيلاً وقماشاً وأعطاه وظيفة جمدار ثم قربه فصار خصصياً ، فساقياً ثم أمير عشرة وأمير أربعين ، وسافر إلى الحجاز أميراً للحج في سنة ٨٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م ، برغم ما عرف عنه من البذل ، ثم ارتقى إلى إمرة مائة ومقدم ألف زمن السلطان فرج بن برقوق وتولى نيابة طرابلس ثم نيابة الشام وهى أرفع النيابات بعد نيابة السلطنة بمصر ، وبرغم هذه الرتبة ، اتفق مع الخليفة المستعين ضد السلطان فرج وانتهى الأمر بقتل السلطان ومبايعة الخليفة المستعين بالسلطنة ، ولكن شيخاً عزل الخليفة بعد ثمانية شهور من سلطنته ، وتسلطن مكانه ، ومن السلاطين الذين سلكوا هذا الطريق ططر وإينال وبرسباى وجقمق وحشقدم وبلباى وتمرغا وقايتباى وغيرهم (١٣٠) .

ومن الأمراء المشهورين خايربك . وهو من مشتريات قايتباى ، أقام بالطباق وانتقل إلى الوظائف الإقطاعية ، فصار جمداراً ثم خاصصياً ثم أمير عشرة في سنة ٩٠٤ هـ = ١٤٩٥ م وأمير طبلخاناه في عهد محمد بن قايتباى ، وبهذه الرتبة أرسله السلطان محمد في سفارة إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ م ثم ترقى إلى مقدم ألف أيام السلطان جاتبلاد وشغل وظيفة حاجب الحجاب للسلطان العورى ثم نائب حلب سنة ٩١٠ هـ - ١٥٠٤ م وأمره السلطان سليم على مصر بعد فتحها سنة ٨٩٢٣ هـ - ١٥١٧ (١٣١) ، كذلك جان بردى الغزال من مماليك قايتباى ، اشتراه وأعضه وأخرج له خيلاً وقماشاً . ثم عينه الأمير تغرى بردى الأستادار في وظيفة « شاد » ، أى مشرف ، في ضيعة بالقرية يقال لها « ميت غزال » ، فنسب إليها (١٣٢) ، وصار بعد ذلك جمداراً ، وتولى شف الشرقى ، ورقى إلى إمرة عشرة في أواخر عهد

قائماى ، وشغل وظيفة محاسب القاهرة فى عهد الغورى ثم حجوية الحجاب
ونائب صفد سنة ٩١٧ هـ = ١٥١١ م ، فثاب حماة ، واستنابه السلطان سليم
بالشام على أثر فتحها عام ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م (١٣٣) .

أما طريق الطفرة فى السلم المملوكى ، فقد امتلأت به عهود السلاطين
الضعفاء وعهود الفتن ، إذ يحدث أن يقفز المملوك أو الأمير من الخندبة
أو إمرة عشرة إلى إمرة مائة ، وليس من الضرورى أن تكون الطفرة لكفاية
أو مقدرة أبعادها المملوك ، بل قد تكون الوسامة وجمال الصورة سبباً من
أسباب الترقية غير العادية ، ومثال ذلك : الأمير طبرق أحد مماليك يوسف
أخى السلطان حاجى بن الناصر محمد ، ارتقى إلى تقدمة ألف بمصر دفعة واحدة
من الخندبة عام ٨٧٤٧ - ١٣٤٦ م (١٣٤) ، كذلك ارتقى الأمير طشتمر التتاف
أحد العشرات إلى إمرة مائة سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م ، وذلك فى عهد السلطان
الطفل على بن شعبان دون أن يمر فى رتبة الطبلخاناة (١٣٥) ، ويعتبر السلطان
برقوق بن أنس العياني من الذين ارتقوا عن هذا الطريق ، فقد قفز من
الخندبة إلى إمرة طبلخاناة ، دون أن يمر بإمرة عشرة ، وكذلك عشدشابة
بركة (١٣٦) ، ومن باب الطفرة كذلك أن يستولى الأمير على إمرتين ، فتضاعف
المرتبة ، من حيث الإقطاع لا من حيث الإمرة ، كأن يكون أمير عشرة ويده
من إقطاعها اثنان بقدر إمرتين ، ومثال ذلك إنعام السلطان برقوق فى سنة
٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م على الأمير موسى بن قمارى أمير شكار بإمرة عشرة زيادة
على عشرته . ومن الطفرة كذلك ترقية الأمير من إمرة عشرة إلى
إمرة طبلخاناة وهى إمرة أربعين مع إبقاء الإمرة السابقة معه ، فيصبح ما معه
من الإقطاع معادلاً لإمرة مائة وتقدمة ألف مع أنه أمير طبلخاناة فقط .
حدث ذلك للأمير برسباى المعاصر للسلطان جقمق وابنه عثمان (١٣٧) ، وربما
قفز أمير عشرة إلى وظيفة مرتبتها لأمر مائة ومقدم ألف كالدوادارية الكبرى
والأمير آخورية الكبرى ، مثل الأمير على باى أمير عشرة . أنعم عليه السلطان
أحمد بن المؤيد شيخ سنة ٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م بوظيفة دوادار كبير ، كما خلع
على الأمير تغرى بردى وهو أمير عشرة كذلك ، وعينه أمير خور كبير (١٣٨) .

على أن النظام المملوكي سمح بالإقطاع لبعض رجال القلم ، مع أن العادة في أرزاق هذه الطائفة هي « الرواتب » والمخصصات ، وأول شخصية من هذه الطائفة الخليفة العباسي بالقاهرة . إذ تمتع بإقطاع فضلا عما له من مخصصات راتبه^(١٢٠) . مثال ذلك إنعام السلطان جقمق في سنة ٨٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م على الخليفة القائم بأمر الله حمزة بألف دينار وإقطاع زيادة عما بيده^(١٢١) . واشتملت إقطاعات الخليفة المستجد يوسف في عهد السلطان إينال على دهشور بالحيزة ومساحتها ٣٠١١ فدانا ، وحين تسلطن طومان باي الثاني سنة ٨٩٢٢ - ١٥١٦ م ، أنعم على الخليفة المملوكي يعقوب بمسعة وتسف وثلاث في منشية دهشور^(١٢٢) .

ومن الفقهاء الذين تمتعوا بإقطاعات . الشيخ أبو عبد الله القاضي ، كان له إقطاع بالحلقة بدمشق ، ولما توفي سنة ٧٢٧ هـ - ١٣٢٦ م ، أعطى السلطان الناصر محمد إقطاعه لولده عثمان^(١٢٣) ، والفقير المالكي الشيخ خليل بن إسحاق المعروف بابن الجندی كان « يرتزق من إقطاع بالحلقة » في عهد السلطان شعبان^(١٢٤) ، كذلك أنعم السلطان ططر « بإقطاع هايل » على الشيخ شمس الدين محمد الحنفي معلم الماليك بطباق القلعة^(١٢٥) .

ومنح بعض السلاطين والأمراء كذلك الإقطاعات للمغنين والشعراء بل للنساء ، فعلا أنعم السلطان حاجي في سنة ٨٧٤٧ هـ - ١٣٤٦ م ، على أحد المغنين بإقطاع في الحلقة زيادة عما بيده لأنه درب « أنفاقه جارية السلطان على الغناء^(١٢٦) » ومن بين أسباب النعمة على السلطان حسن أنه منح الإقطاعات للكثيرة للنساء^(١٢٧) ومن الأمراء الذين منحوا الشعراء الإقطاعات الأمير تنكر ، حين قدم عليه الشاعر الطنبغا الجاولي - نسبة إلى مخدومه الأول الأمير سنجر الجاولي نائب غزة - ومدحه بقصيدة فأعطاه إقطاعاً بحلقة دمشق^(١٢٨) .

وامتد الإقطاع في بعض أزمنة الوياة والفتن والقوضى ، إلى فريق من طبقة العامة بمصر ومن أرباب الحرف المختلفة كالصناع وغيرهم ، فركب

هؤلاء و الخيول و لبسوا الكلفنات و القباء و تشبهاً بالأمرء المماليك ، وحدث هذا على أثر الوفاء الذي حصل بمصر في عهد السلطان حسن في سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٨م^(١٤٨) ، كذلك كانت المقايضات و النزولات و بيع الأجساد لإقطاعهم في أزمنة الغلاء ، من عوامل امتداد الإقطاعات إلى هذا القريب ، وليس من المعروف أن أولئك المقطعين قاموا بمسئوليات إقطاعهم من حيث ارتباطها بالخدمة الحربية أو الإدارية في دولة المماليك^(١٤٩) .

بعض الإقطاعات أبناء السلاطين = أولا السلطان شعبان =

ملاحظات	المسيرة بالدينار الجيش	ما بها من رزق مستثناة من الإقطاع	المساحة بالفدان الإقطاعي	الجهة المقطعة	الإقليم
إقطاع قاسم بن السلطان شعبان .	٦٦٠٠	٣٣	١٤٣٤	آسة	البيضاوية
إقطاع حسن بن السلطان شعبان .	٣٠٠٠٠	١٥٣	٩٥٥٥	} البستون وكلورها	
	٢٢٠٠٠	٥٥	١٥١٠		
إقطاع محمد بن السلطان شعبان .	٢٠٠٠٠	١٨٠	٢٤٣٣٩	البيضا	القوصية
إقطاع أمير حاج بن السلطان شعبان .	١٧٠٠٠	—	٦٥٦٣	غرب تموك	
إقطاع آنوك بن السلطان شعبان . (١٥٠)	٥٠٠٠	٥	١٠٠٥	البيضا و المسكر	الغربية

بعض المقامات على الأول

١ - الأمير أريك بن طليح أتابك أسكران في عهد السلطان قنبيك

ملاحظات	القيمة بالدينار الجبلي	مليها من الرزق المستغنى من الإقطاع	القيمة بالعمان الإقطاعي	القيمة المقومة	الرتبة
بالاشتراك مع ديوان الأمير ٤ وسبها حاليا تقع مركز بيا الشيخ بمحافظة التروية . تتبعه الأتابك شريف باسم فرقة .	١٧٠٠٠	١٧٧	٥٢٠٠	شبهى والكرم الأضمر	القطبية
الضرورة حاليا تقع مركز بيت كور بالقطبية . هذه القيمة غير موجودة حاليا .	٥٠٠٠ ٢٠٠٠	١٢٩ ١٢١	٢٢٩٠ ٢٧٧٧	تتبعه وكوروما الغابى وكوروما الضرورة	الشرقية
بالاشتراك مع الأمير تومار القيس قريبا سلطان قنبيك . لم تقيم على مساحة في الرزق المتصوره وضع فيها جزء قبل إعطائها لأريك .	٩٢٠٠ ١٤٠٠٠ ٥٠٠٠	٥٩ ٤٨ ٦٢	٢٥٤٢ ٤٢٤ ١٩٥٩ —	مينة في سلسل موردين لغاية بعض سلس مقاطعات وكوروما على سلك	القطبية والرقابية الشرقية الشرقية

(١) الأمير أريك بن طليح تقسم إلى الأتابكية المالية فهو أول من حررها وأصلها سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥ م) بعد أن كانت مرتبة أرباب بعض الأوصياء وقد أعطها له السلطان قنبيك وبها حيازات بيته شيخ جده ثم بن النوار والواصل كما بن سميحة وسمره عند حوزته وبيع وأمر أن يباعوا سنة ٩٠٤ هـ وقد أعطها له السلطان قنبيك وبها حيازات بيته شيخ جده ثم بن النوار والواصل كما بن سميحة وسمره عند حوزته وبيع وأمر أن يباعوا سنة ٩٠٤ هـ .
(١٤٩٨ م) (بها بيع الرزق ٢ ص ١٦٤ - ١٣٥ - ١٣٥ الصلحة المالية ص ١٦ و ١٢ و ١٨ و ١٩ و ٩٤ و ٩٥ و ١٠٢ وغيرها من الصلحات ، القليل الجليل) .

بيئي الامانات وطني الاول
تابع مائة : 1 - الاجير ازيك بن طلع اتيك اسكر في ميه الامانات تايبي

ملاحظات	المسيرة بالهيم البيئي	مابا من الرزاق المستغنى من الارباع	المساحة بالامانات الارباعي	البيبة المقتدة	الاربعين
تليب مركز كبير الزيات بالبرية في العصر المظلم	٢٤٠٠	-	١٨٤٨	تليب	ايشاد وجيرى
لا توجد حايا	٤٨٠٠	١٠٩	١٦٤٢	{ القرى التي تحت اثر الاربعين	البرية
لا توجد حايا	١٤٠٠٠	١٦٨	٢٢٦٢	مبنى ابي موشة	قوة الراواحين
مناصقة مع أحصه الأمداء ولسها أبو جرح مركز من مزار بالدنيا	٤٢٠٠	-	-	أبو جرحيا وكثورها	البيسانية
المظلم مركز التراسل ابي موشة	٧٠٠٠	٢١	٢٢١٨	المظلم	
لا توجد حايا	٢٥٠٠	-	٨٦٨	سطح ريشة وكثورها	
لا توجد حايا	٢٢٠٠٠	١٢٩	٧٥٢٨	مسار	الوكورين
سار مركز درود باشيرط	٤٢٥٠	١٨٤	٤١٥٩	سار	
ملوى مركز ملوى باشيرط	١٠٠٠٠	٧٥	٤٨٧٠	ملوى	
لا توجد حايا	١٢٠٠٠	١٢٢٥	٢١٧٠	التي	السرورية
لا توجد حايا	٦٠٠٠	٢٥	٤٥١٢	بيشلي	
تحت مركز حياجرها	٨٥٠٠	١٨	٥١٥٤	سطح وجورنيا	
البريس تحت لنا حايا لما دره كهي تليق موجود	٥٥٠٠	٤٠	٤٦٤٧	در كهي والبريس	البرية
الموجود حايا الفجرى القانية لانا وافر قبل القانية بجرها وافر قبل القانية لمركز دفنا جتا	٢٥٠٠٠	١٥٤	١٢٤٠٠	دار بيشلي	

بعض قطاعات الزراعة التقليدية في عهد السلطان شهبان بن حسين

(٧٦٤ - ٨٧٨ - ١٣١٢ - ١٣٧٦ م)

١ - الأجر على بن حنبله البرقي

ملاحظات	الجزيرة		المساحة	أهمية المنطقة	الوظيفة
	الجزيرة	الريزق			
انقل هذا الإقطاع بعد الأجر على إلى العيون البرقي (١) أما البرقيين فلها أجزاؤها الخاصة المستورة .	١٠٠٠٠	٤٥	٢١٤٠	البرقيين	العقودية
		٢ - الأجر على بن بكر			
هذه الجزيرة هي التي اضطرت في الروك التمسري وكانت قبله ١٦٤٢٥ دينار ثم انقل الإقطاع إلى الأجرية وأبني حايا تتبع مركز قريسة بالتمرية (٢) .	١٠٠٠٠	٢٥	٢٤٠٠	أبني وكفورها	الجزرية
	١٥٠٠٠	٧٥	٢٧٧٨		

(١) بنالغ الزهور ١٣ ص ٢٣٥ ائتمنة السنية ص ٤٦ . الدليل البعراق .

(٢) ائتمنة السنية ص ١٤ ، الدليل البعراق .

(٣) بنالغ الزهور ١٣ ص ٢٣٥ ، ائتمنة السنية ص ١٨ ، الدليل البعراق .

بيش القطاعات امراء العشرات

١ - الأجر علسر بن بكسر أمير حفرة في صبه الشعلان عريان

الرقم	أهله العظيمة	المساحة	الوزن	القيمة	ملاحظات
القيمة	أهبت وأمير الاصح والصاهبا	١١٠٤	-	٢٧٥٠	أهبت أمير تابة الآن مركز سدرس باليوم (١)

٢ - الأجر دولات باش امين

أجر حفرة في صبه قانيشي

القيمة	مساحة الهبل	١١٧	١١٧	١٠٠٠	العاصمة تابة الآن مركز مطبخ تاليرية
القيمة	١٢٥١	٦٦	١٠٠٠	لا توجد هذه التابة حاليا (٢)	

٣ - انتزك بيش الأجر العشرات في الجهات

القطعة كم بالألواح الخشابة

القيمة	مدامس	١٥٧	١٦٠٠٠	١٦٠٠٠	باسم حطة امراء حفرة ومدامس حاليا تابة مركز بيت كور طهية
القيمة <td>ابنوه اللل</td> <td>٤٧٥٥</td> <td>١٥٧</td> <td>٢٣٠٠٠</td> <td>باسم حفرة امراء حفرة وامل ابنوه هذه ابنوه اللل التابة مركز ططا كورية</td>	ابنوه اللل	٤٧٥٥	١٥٧	٢٣٠٠٠	باسم حفرة امراء حفرة وامل ابنوه هذه ابنوه اللل التابة مركز ططا كورية
القيمة <td>قورس</td> <td>٥٢٩</td> <td>٢٢</td> <td>٢٠٠٠</td> <td>باسم حطة امراء حفرة ، وقورس حاليا لا تزال تابة لقورية (٣)</td>	قورس	٥٢٩	٢٢	٢٠٠٠	باسم حطة امراء حفرة ، وقورس حاليا لا تزال تابة لقورية (٣)

(١) بدائع كورس ١٤٠٠٠ سي ٢٣٥ ، النجمة السنية سي ٤٢٤ ، الدليل البيرالي .

(٢) بدائع كورس ٢٦٠٠٠ سي ٣٥٠ ، النجمة السنية سي ١٨٠ و ١٨١ ، الدليل البيرالي .

(٣) تيرت حرة ابنوه لقطعت ك ١١٢٥٠ ديدرا كما لقطعت حرة اميرة ك ١٢٥٠ ديدرا (النجمة السنية سي ٣٠ و ٧١ و ١٠٨ ، الدليل البيرالي) .

بعض إبيات الكفاية بحركة المالك المسلمة بالجزء ك مع إبيات الجزء المنة

ملاحظات	الجزء	مها	المساحة	الجهة	الارتفاع
استقرت مورتاني سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) على عهد السلطان فرج بن بركق بن الصفح والترك منهم به ذلك المريان كما فعلت أوقاف أبو القيوال وفتح مركز حيا الفصح وبصرف باسم المصلحة حيا .	١٢٠٠ ١٢٠٠	-	١٨٥٠ ٤١٣	الجهة وهي المصلحة أبو القيوال	الارتفاع
استقرت الجزية ن سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) على عهد السلطان الفقيه لمرکز الأوقاف بالبرقية .	١٤٠٠٠	٥٩	٢١٥٠	أبو ردين	
بالجزيرة خاصة مع الأمير تميزار القيسي دون المنة و بالجزيرة خاصة مع الأمير تميزار القيسي دون المنة و بالجزيرة حيا قديمة لمرکز حيا الفصح بالبرقية .	٢٠٠٠ ٧٦٠٥	٤٤ ٦٦	٨٤٠ ٢٠٧٠	بر تيمية الجزيرة	
بشم المنة والمريان دون المالك المسلمة ولا يوجد هذا الاسم حيا .	-	٢٢ ر٥	٢٦٥	في جهة الله سبحانه من طرف حي والأهمية	
المالك المسلمة دون المنة وتفتح حيا مركز الكفاية بالجزيرة .	٥٠٠٠	٦٧ ر٥	٢٦٧٦	المصر المرواق	الجزيرة
لمالك المسلمة دون المنة والمنة تفتح في سوريف حيا بالجزيرة .	٤٠٠٠	٩٢	١٢٦٤	المنته	الجزيرة

(١) القيمة الكلية هي ١٤٠٠٠٠ هـ ١٦٠٠٠ هـ ٢٩٠٠٠ هـ ٢٢٢٠٠ هـ ٣٢٠٠٠ هـ ١٥٠٠٠ هـ الكليل المرفق .

تابع ما قبله

بعض إنبات اتفاقية لتيروان اللورد القديمة بمزارك الممتلكات السلطانية

الإقليم	إنبته	المساحة بالمقدار	ما يخص رزق	القيمة بالدينار	ملاحظات
القرصية	الطرك مبنى من حصى (٥) وكوروا	١١٨٧	-	٢٤٥٠٠	لا توجد أطوار حالي . لم تسجق في البروك الناصري ولا توجد هذه البنية حالي .
القرصية	المعصر وكوروا	-	-	٢٨٨٠٠	المساحة مغطاة بانطا والخرس ؛ انطا ١٧٢٧ فدان وخرس ٧٢٥٠٠
القرصية	أرمنت	٧٠٩٠	-	١٨٥٠٠	١٧٨٢٦ فدان ولا توجد حالي . المساحة مغطاة بانطا والخرس بنق ٤٠٩٠ وخرس ٢٠٥٠
الدمترات	الدمترات	٦٥٦٢	٤٩	١٠٥٥٠	فدان وتقع أرمنت حالي نق . المساحة مغطاة بانطا والخرس ؛ انطا ١٢٤٤ وخرس ٢٢١ فدان (٥) .
قرب قورقة	قرب قورقة	-	-	١٧٥٠٠	غير موجودة حالي .

(١) راجع الفصل الأول .

(٢) قائمة التينة من ١٥٠٠ و ١٥٢٢ و ١٥٥٥ و ١٨٢٢ و ١٨٥٥ و ١٨٨٦ و ١٩١١ و ١٩٤٤ و الدليل الجغرافي .

بيانات المقاييس المالية في مصر

ملاحظات	غيره بالدولار	بالدينار	أصلها من ذوات	المساحة	أنشطة	الإيرادات
لا يوجد هذا الاسم حالياً ولا يُدرجها كطرف فيها المالية ، ودرجته بلغة أخرى بهذا الاسم .	2000	18000	-	788	أمر كتر أزويج	الإيرادات
يشمل المخرج باللغوية على ١٦ لتسمية ولا يوجد هذا الاسم حالياً	2000	39200	-	39200	المخرج باللغوية	
بالإضافة إلى مع المايكرو السلطانية .	2	21	49	1220	البيدرون أجسا المملكة	المالية
بالإضافة إلى مع مطلق أمينان وبها الملاك والأفراد ولا يوجد هذا الاسم حالياً .	200	200	-	200	المالية	
منية الأكراف كتبع اللغوية حالياً .	20	-	-	-	المناطق منية الأكراف	
إشيرة كتبع اللغوية حالياً أما المدينه فليس لها المخرج المالية اللغوية .	8000	67	083	083	المدينه وإشيرة	اللغوية
المساحة من مائة بالمائة والقرى بقا 40000 لذلك ومخرج المساحة 4066 (١)	10000	-	-	8721	أرضها	الإحصائية

(١) مساحة الأرض لا يوجد في الشركات التي يتم الإحصائية بالعملة في مصر ، أنظر الصفحة الثانية من 44 ، 43 ، 37 ، 48 ، 49 ، 02 ، 04

١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٧٢ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٨٩ ، المجلد الجغرافي (١)

هوامش الفصل الخامس

- (١) صبح الأعيى ج٤ ص ٥٠ .
- (٢) هذا النائب هو الأمير القوش الأشرى جمال الدين نائب السلطان الناصر فى الكرك ، وقد رفض هذه التأثيرة الموافقة على إنتطاع ذلك الطالب (الدرر الكاشفة ج١ ص ٢٩٦) .
- (٣) التحفة السنية ص ٧٣ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٥٤ .
- (٤) وقع أغلب الخاص السلطان فى عهد الأيوبيين فى بلاد النجوم مثل سنورس وغيرها (الصفى تاريخ النجوم ص ١٠٧ وما بعدها) .
- (٥) التحفة السنية ص ٧ .
- (٦) التحفة السنية ص ١٣٧ .
- (٧) التحفة السنية ص ١٥٤ .
- (٨) انظر الفصل السابع .
- (٩) النجوم الزاهرة ج٩ ٩٩ - ١٠٠ - ١١٠ .
- (١٠) السلوك مخطوط ج٣ ص ٨٢ .
- (١١) بدائع الزهور ج١ ص ٢٢٧ ، السلوك مخطوط ج٣ ص ٣٠٨ .
- (١٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٣ ، انظر الجدول الخامس ببعض إنتطاعات أبناء السلاطين .
- (١٣) السلوك مخطوط ج٣ ص ١٢ و ١٠١ و ١١٠ و ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣٠٩ وحاشية - ١ و ٣١٠ ، دول الإسلام ج١ ص ٢٩ ، أعيان مصر ج٤ (غير مرقم) .
- (١٤) النجوم الزاهرة ج٩ ص ١١ .
- (١٥) أعيان مصر ج٤ (غير مرقم) .
- (١٦) النجوم الزاهرة ج١٠ ص ١١٩ .
- (١٧) النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
- (١٨) النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣١٧ ، السلوك (مخطوط) ج٣ ص ١٢ .
- (١٩) النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣٠٩ - ٣١٧ .
- (٢٠) الأمثلة لكل جنس من هذه الأجناس واسعة ، فأغلب سلاطين الدولة المملوكية من الترك ، مثل بيبرس وقلاوون وأغلب سلاطين الدولة الثانية من الجراكسة مثل برقوق وبرسبى ، وهناك المنول مثل كينبا فى الدولة الأولى ، والألمان مثل لاجين فى الدولة الأولى ، ومن الروم أو اليونان ، خشقدم وتمرينا فى الدولة الثانية . والقول بأنهم اشتروا من أسواق الرقيق المختلفة وأشهرها القسطنطينية وكافا فى القرم ، دليل واضح على تنوع أجناسهم ، والملاحظ أن الطامون

الأسود الكبير الذي اجتاح أوروبا عام ١٣٤٨ قد أدى إلى بيع نحو ٢ مليون من مختلف أنحاء أوروبا وقيفا في مصر ، كما أنه عند نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، جد بين ماليك مصر كبير من صقلية وأرجونة وقطالونيا وعدد كبير من المجرين الذين أسره المماليكيون وهكذا .

(٢١) اختلف في تفسير كلمة الخلفة فيقال إنها سميت كذلك لأنها تتكون من فرقة تحيط بالسلطان ، كحرسه الخاص ، وربما أخذت التسمية من التكتيك الخاص الذي كانت الفرق الملكية تستعمله في الهجوم ، وهو الإحاطة بالعدو ، وربما لهذا صلة بـ « بحلقة الناورد » وهي مكان المبارزة بالرمح في الميدان أو إلى الدرع الذي يلبسه المحارب من هذا الفريق ، ومن صفات الدرع الخلفة . (الرمح: الفروسية - خطوط ص ٥٩ - مكتبة الحرم الملكي الشريف رقم ٥٠ ، القاموس المحيط) .

(٢٢) أجناد الخلفة أنواع ، أولها البحرية ومهمتهم حراسة السلطان بالقلعة ، أو حينما يكون، وثانيها ماليك الهضات الشريفة ، وهم الذين يرسلهم السلطان في سفارته، وثالثها ماليك القبية الذين يقيمهم السلطان ، بالراكر التي يحدد علمهم بمصر والقاهرة خلال نيابته ، والنوع الرابع وهو الأعيان لغة تخدم في بيوت الأمراء - (زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، أبنا النور ج ٢ ص ٢٢٦ ، السلوك ج ١ ص ٦٧٢ ، غلط ج ١ ص ١٥٢ ، ص ١٥٨ انظر الجدول فيما يلي)

(٢٣) زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢٤) مساك الأبصار ج ٢ ص ٣٨٢ ، غلط ج ٣ ص ٣٥٠ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٣ ، انظر رتب الجيش المملوكي فيما يلي .

(٢٥) زبدة كشف الممالك ص ١١٦ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، مساك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٤ .

(٢٦) السلوك ج ١ ص ٦٧٣ وحاشية - ٨ و ٦٧٤ ، انظر ما يلي .

(٢٧) بلغ عدد مقدمي الخلفة في عهد الناصر محمد ١٨٠ مقدا .

(٢٨) غلط ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢٩) صبح الأمتى ج ٤ ص ٥٠ ، مساك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٣ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٣ .

(٣٠) غلط ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، التيسير والاختصار ورقة ١٦ - ١٧ .

(٣١) التحفة السنية ص ٧٠ .

(٣٢) طباق الممالك السلطانية ١٢ طبقة ، كل طبقة منها قدر حارة ، وتشتغل على عدة ساكن يسع كل مسكن ألف ملوك ، وتسمى كل طبقة بأسماء الجهات التي ينسب إليها ساكنها من

المالِك ، فلا طيقة التور نسبة إلى بلاد التور ومنها قانسوه الفوري (٨٩٢٢ - ١٥١٦م)
ويقال إن القاصر محمد عمر هذه الطبايق ، ويتلم المالِك في هذه الطبايق قرأة القرآن وسبائق الدين .
(زبدة كشف المالِك ج ٢٧ ، عطف ج ٢ ص ٢١٢) .

(٣٣) من أمثلة أصحاب العرفان من المالِك السلطانية : السقا والسلاح دارية والطبردارية
والبريدية ، الجاشنكيرية والجسارية والجسدارية والبشق دارية وغيرهم ، فأما السقا فيقولون
السباط وتطبخ اللحم وسق المشروب بعد رفع السباط ، والجسدارية حاملو الملابس والجسدارية
يلبسون السلطان أو الأمير ملابسهم والبشقدارية يحملون نعل السلطان أو الأمير ، من بشق بمعنى
نعل في التركية . (زبدة كشف المالِك ص ١١٦ ، صبح الأعيى ج ٤ ص ١٢) .

(٣٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٥٧ و ٨١ ، عطف ج ١ ص ١٥٣ .

(٣٥) المصادر السابقة .

(٣٦) زبدة كشف المالِك ص ١١٦ .

(٣٧) أمم قلابون بمالِكه أميماً بالياً في ملابسهم وتديبهم (الجوهر الثمين ج ٢ ورقة
١٢٠ - ١٢١ ، انظر الملابس بفعل المجتمع) .

(٣٨) نزهة الأنام ورقة : ٢٨ ، عطف ج ١ ص ١٥٣ .

(٣٩) بدائع الزهور : ج ٢ ص ٨١ ، تاريخ الملك الأتراك (مخطوط غير مرقم) .

(٤٠) عطف ج ٣ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٣ و ٢٠٥ .

(٤١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ، صبح الأعيى ج ٤ ص ٢١ ، انظر رتب

الجيش فيما عل .

(٤٢) انظر الجداول اللصقة .

(٤٣) * * *

(٤٤) التيسير والاختيار ورقة ١٦ - ١٧١ ، عطف ج ٣ ص ٣٥٤ .

(٤٥) نزهة الأنام ورقة - ٢٨ .

(٤٦) التيجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٣ .

(٤٧) أنشأ السلطان برفوق هذا القديوان حين صنف شأن الوزارة ، بأن أقر لإقامته الذي

كان يده قبل السلطة ديواناً أسماءه القديوان الفرد * وجعل رتبعته للاستادار ، كما جعل صرف
متحصلة إلى المالِك الذين اشترعهم ، وتطور هذا الديوان واتسع سلطته في أواخر عهد المالِك وأوائل
الهدالمان ، حين صار يشرف على الإقطاعات والأوقاف والرزق (بدائع الزهور ج ٣ ص ١٤٤ و ١٨٩
زبدة كشف المالِك ص ١٠٧ ، تاريخ مصر في مجلد مخطوط ورقة ٣) .

(٤٨) زبدة كشف المالِك ص ١٠٧ ، انظر بعض الجهات التابعة لديوان الفرد بالجداول

(٤٩)

(٥٠) البيزنطية عملة ذهبية ضربت أولا في بيزنطة .

(٥١)

(٥٢) حضر الكونت أرناط أولا مع لويس السابع واشترك في حصار سقلان سنة ١١٥٣م ثم ذهب بعد رحيل لويس ، إلى أنطاكية حيث أعطاه ريموند أميرها جامكية واثبه ، وبعد مقتل ريموند ، تزوج أرناط من أرملةه ، فاتبح نفوذه حتى لفا من كبار الإقطاعيين ، واستقل بالكرك .

(٥٣) نشأت هذه الفرقة أولا عند البيزنطيين على أثر هزيمتهم أمام السلاجقة في ملاذ كرد عام ١١٧٠ ، وتستخدم هذه الفرقة طريقة الترك في الحرب ، وقد أخذ الصليبيون هذا النظام من البيزنطيين . (انظر مفرج الكروب - نشر الشمال - ج٢ ص ١٤٩ حاشية ١) .

(٥٤) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥٥) المصدر السابق .

(٥٦) أورد ابن شاهين فيما أورد عن عدد الجيش المملوكي وفرقه ، عدة أجناد الأبراء بمصر وعارجها فتذكر : ٧ آلاف ملوك لأبراء مصر وثلاثة آلاف لثائب دمشق وأمرائها وألفا لثائب حلب وأمرائها وألفا لثائب طرابلس وأمرائها وألفا لثائب صغد وأمرائها وألفا لثائب خزر وأمرائها ، بالإضافة إلى ماها من جنود الخلفة (زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥) .

(٥٧) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٧ .

(٥٨) مساك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٣ - ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ٤٤ .

(٥٩) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠٧ .

(٦٠) صبح الأعيى ج٤ ص ٦٢ ، مخطوط ج٣ ص ٢٥٠ .

(٦١) ٨ مساك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٣ - ٣٨٤ ، النجوم الزاهرة ج٩ ص ٤٤ .

(٦٢) انظر الفصل الخامس هنا القسم .

(٦٣) من أمثلة مشيخاته العربان بمصر ، مشيخة عربان الشرقية التي استقرت في بيت عبد الصائم بن بقر في لوامر حصر الشمالك ، وفي العربية في بيت حسن بن موهي وأبيه شكري وفي الصعيد في بيت علي بن عمر (بدائع الزهور ج٣ ص ١٧٧ - ١٧٨ و ١٨٧ ، ١٩١ ، القصور اللطيفة ج٣ ص ١٧) .

(٦٤) المقريزي ، البيان والإعراب ص ٣٣ - ٣٥ ، صبح الأعيى ج٤ ص ٤٩٣ ،

زبدة كشف الممالك ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦٥) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٠١ .

(٦٦) الإعراب ورقة ٩٨

(٦٧) الإعراب ص ٣٥ ، التصفة السنية ص ٢٨ .

(٦٨) الإعراب ص ٣٥ ، التصفة السنية ص ٣٤ .

(٦٩) ٨ مساحة هريبط الإجمالية ٤٨٤٠ فنانا وعبرتها ٧٥٠٠ ديناراً (التسعة السنية من ٤٥ الإعراب من ٣٥) .

(٧٠) الإعراب ورقة ١٠٠ .

(٧١) التعريف من ٧٦ ، صبح الأمل ج٤ من ٦٩ - ٧٢ .

(٧٢) قام إسماعيل بن مازن بإقتطاع سني قتله مناسوه ، فول المشيخة من بعده عمر بن عبد العزيز الفوارى إل أن مات وعطفه ابنه محمد المعروف بابن الشون وقد عظم أمره وكثرت أمواله - (الإعراب ورقة ٩٧)

(٧٣) الإعراب ورقة ٣٥ - ٣٨ و ٤٦ و ٥٣ و ٦٠ ، مسالك الأبصار ج٣ ورقة ٤٦ ، ٥٦ صبح الأمل ج٤ من ٩٧ - ٩٩ .

(٧٤) التعريف من ١٧٥ .

(٧٥) السلوك ج١ من ٤٨١ حاشية ٦ .

(٧٦) مسالك الأبصار ج٣ ورقة ٤٢٦ - ٤٢٧

(٧٧) الصدر السابق .

(٧٨) يدعى آل فضل وآل مراء وآل علي أنهم من ولد جعفر بن يحيى البرمكي من العباسة بنت المهدي ، وأبائهم من أشعاب العرب ، ودوتهم هريان بن مهدي بالبلقاء وزيد بجوران وبنو خالد بمحص (التعريف من ٧٩ ، زبدة كشف الممالك من ١٠٥ ، صبح الأمل ج٤ من ٧٢ وما بعدها ، مسالك الأبصار ج٣ ورقة ٢٣ ، ٢٤) .

(٧٩) أسس آل دلفادر دولة وانتشروا حول مرعش وكثروا حتى ملكوا ملطية وغيرها ، وأول من برز فيهم قراجا بن دلفادر التتوق سنة ٨٧٥٤ (١٣٥٣ م) وتوقفت الإمرة فيهم على من عظمهم من الأتراك ، على مدى علاقتهم وولائهم للممالك ، فلما حارجه السلطان صالح ، وأقرهم بقوق والنزدي ، وظلوا كذلك حتى قضى عليهم التتاييون سنة ٩٢٨ هـ - ١٥٢١ م ، (الترمذى : أخبار الدول من ٣٢٩ - ٣٤٠ ، الدرر الكاسية ج٣ من ٤٥) .

(٨٠) ابن رمضان أو الدولة الرمشانية تثلثت على بعض البلاد وأول من ظهر فيهم أحمد ابن رمضان الذى نازح الممالك أكثر من مرة ثم خضعت دوله لمم التتايين من بعدهم (أخبار الدول من ٣٤٠ - ٣٤٠ م) .

(٨١) السلوك مخطوط ج٣ من ٤٢ - ٤٣ .

(٨٢) هناك طوائف متفرقة من الأتراك الخاضعين للممالك ، جاء ذكرهم بالإحصائية التى لوردها ابن شاهين من عدد القوات الملوكية أو أوسط القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، منها : ابن كيك والباتانية وابن شامير والأوزارية - يوز جالولا - المرعشكولار - الأراكية -

بكتفو - لوج الخلو - الإنبالية - الحربانية - الكتفوية - التيجولية . . . وحولاء بتودهم بتعسون لإد فروع كثيرة . (زبدة كشف الممالك من ١٠٤ - ١٠٥ ، أخبار الأيمان من ٢٤٦) .

(٨٢) زبدة كشف الممالك من ١٠٥ .

(٨٤) عيون التواريخ ج ٢ من ١٢٠ .

(٨٥) حرف محير الدين هذا بكثرة الأولاد والأاتباع والكلفة والديون ، توفي سنة ٥٧٢٦ م (١٣٢٥) (ابن الجزرى : تاريخ جليل ورقة ٩٣) .

(٨٦) دوة الأسلاك ج ١ من ٧٦ و ١٤٢ .

(٨٧) حرف التنظيم العشرى عند الجرمان القسام ، وكشفك عند الملوك ، كما وضع في كتاب « باسمه » بجنكيز خان (ت ٥٦٢٤ - ١٣٢٧ م) ، وعرفت هذه الرقب كذلك في النصر العباسي حيث كان على كل عشرة رجال عريف ، وعلى كل عشرة عرفاء بمجنودهم (أى ١٠٠ رجل) نقيب ، وعلى كل عشرة نقباء بمجنودهم (أى ١٠٠٠ رجل) قائد ، وعلى كل عشرة قواد بمجنودهم (أى ١٠٠٠٠ رجل) أمير ، وربما كان الطراز الذى نطرز به ملابسهم مبنياً به رتبة لايه على نحو ما هو حاصل في أباستا ، (انظر : مخطوط ج ٢ من ٢٢١ ، تالكيوس والشعوب الجرمانية - ترجمة المؤلف - من ٥٢ - ٥٣) .

(٨٨) زبدة كشف الممالك من ١١٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ من ٨٣ ، مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ١٣٨٢ .

(٨٩) توفي هذا الأمير سنة ٥٧١٥ - ١٣١٥ م ، انظر منشور إقطاعه باللاحق .

(٩٠) التيجوم الزاهرة ج ١٠ من ٤٠ .

(٩١) بدائع الزهور ج ١ من ٢١٧ - ٢١٩ ، السلوك مخطوط ج ٣ من ١٦٨ .

(٩٢) تاريخ يشيك مصور ورقة ١٤ - ١٥ .

(٩٣) السلوك ج ٢ من ٢٨٠ .

(٩٤) بدائع الزهور ج ٣ من ٣٠٢ .

(٩٥) حولاء الأمراء الكبار تنظيم خاص بتديوان الجيش يتلقى بمراكزهم في الجيش إنا خرج لقتال ، فيسجل كاتب الجيش أمراء اللينة والميسرة والجالس أمام قلب الجيش وهو المقدم ، وهذا تسجيل مختصر ، إذ لا يذكر فيه أتباع كل أمير (نهاية الأرب ج ٨ من ٢٠٤ و ٢٠٦ ، مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٣٨٤) .

(٩٦) الخاسكية هم اللازمون للسلطان في غزواته ويسوقون الحمل الشريف ، ويرسلون في المهمات الشريفة ، منهم النائب والوزير وأتابين السكر ، أما الخارجية فهم عامة الأمراء وديونهم في المركز الأدب والمادى ، على أن هذا التخصيم ، إلى خاصكى وخارجى ، ليس مقصوداً على طبقة الأمراء المقدمين ، بل شمل كل مراتب الجيش حتى إمرة عشرة ، ويختلف عددهم

من عهد إل عهد ، وهذا راجع إلى ما يراه ولي الأمر من تقرب البعض ، كثر أو قل ،
فبلغنا مثلا في عهد الناصر ٤٠ غسكيا ، ووصلوا في عهد برسي إلى ألف غسكي (زينة كشف
الماليك ص ١١٥ - ١١٦) .

(٩٧) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ ، صبح الأعيان ج٤ ص ٥٠ ، خط ج٢ ص ٣٥٣ -
٣٥٤ ، مسالك الأبحار ج٢ ورقة ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٩٨) التنجيم الزاهرة ج٢ ص ٨٠ - ٨١ وحاشية ١ - ٢ .

(٩٩) السلوك ج١ ص ٨٤٤ ، فتوح النصر ج٢ ورقة ١٨٨ ، تاريخ بيبرس ورقة ٧٥ .

(١٠٠) التنجيم الزاهرة ج٢ ص ١٥١ - ١٥٩ و ج١ ص ٧٤ - ٧٥ ، السلوك ج٢

ص ٥٠٦ - ٥١٠ .

(١٠١) ساعد الأمير كرجي الأمير لاجين في الوصول إلى السلطنة ، وحاول متكرر إعادته
عن مصر بأن اقترح على السلطان سنة ٨٦٩٧ - ١٢٩٧م تعيينه نائباً ببلاد سيس بأطراف المملكة
الثالية ، ووافق السلطان ، لكن كرجي لم يقبل ودخل على السلطان لاجين متوسلاً ، وروى سيفه
وسأله الإغلاء من التوجه وأن يكون في الخدمة بالباب بنير إقطاع . أما طئبي فهو مقدم البرجية
في عهد لاجين ، واتفق كلاهما على قتل السلطان ونائبه (النجيب السعيد ص ٦١٠ ، التنجيم الزاهرة
ج٢ ص ١٠٢ - ١٠٥ و ١٨٣ و ١٨٨) .

(١٠٢) ستورق التوتة من كتاب الأموال بالدواوين ومهتة ضبط الديوان التابع له
والتيه على ما فيه مصلحته (صبح الأعيان ج٤ ص ٢٩ ، ج٥ ص ٤٦٦) .

(١٠٣) السلوك ج١ ص ٨٦٥ - ٨٦٦ .

(١٠٤) خط ج٢ ص ٣٥٠ - ٣٥١ ، حسن المحاضرة ج٢ ص ٩٣ ، صبح الأعيان

ج٤ ص ٥٠ ، مسالك الأبحار ج٢ ورقة ٢٨٣ .

(١٠٥) التنجيم الزاهرة ج٢ ص ٣٥٠ .

(١٠٦) أرسل الناصر لهذا الصبي تشريفاً فاعتراً من الثياب المرصعة بالؤلؤل (تاريخ أبي القفاد

ج٤ ص ٦٢) .

(١٠٧) عيون التواريخ ص ١٩٠ والتنجيم الزاهرة ج٢ ص ٦٥ - ٦٧ .

(١٠٨) يختص أمير مجلس بالإشراف على الأطباء الكعاليين وغيرهم من يخدمون السلطان

(صبح الأعيان ج٤ ص ١٨) .

(١٠٩) بيبرس الموداد المؤرخ من مشترقات السلطان قلاوون بده وولاء لياحة الكرك ،

وقدره المهم ، زينة العنكرة في تاريخ الهجرة ، في أحد عشر مجلداً . توفي سنة ٥٧٢٥ (١٣٢٤م)

(التنجيم الزاهرة ج٢ ص ٩ ، ج٤ و ٥ و ١١ و ٢٦٣ - ٢٦٤ ، السلوك ج٢ ص ١٨٥) .

(١١٠) التيسير والاعتبار ورقة ١٥ .

(١١١) بدائع الزهور ج٢ ص ٤٥ ، ج٤ (نشر الدكتور محمد مصطفى) ص ٣١ - ٣٢ .

(١١٢) غلط ج ٣ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، صح الأمتى ج ٤ ص ٥٠ ، مسالك الأيصار ج ٢ ورقة ٢٨٣ ، التيسير والاختيار ورقة ١٥ .

(١١٣) بدائع الزهور ج ٤ ص ٣١ ، التيسير والاختيار ورقة ١٥ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ زبدة كشف الممالك ص ١١٣ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ ، مسالك الأيصار ج ٢ ورقة ٢٨٣ .

(١١٤) مسالك الأيصار ج ٢ ورقة ٢٨٣ .

(١١٥) حوادث القهور ج ٢ ورقة ٢٦١ .

(١١٦) تاريخ بيروت ص ٩٢ - ٩٣ ، انظر المنشور باللاحق .

(١١٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١١٨) بدائع الزهور ج ٤ ص ٣٢ .

(١١٩) التيسير والاختيار ورقة ١٥ غلط ج ٣ ص ٣٥١ ، ٣٥٤ ، زبدة كشف الممالك ص ١٣٣ ، صح الأمتى ج ٤ ص ٥٠ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٣ ، انظر الجفول الملحق لوظائف أمراء العشرات .

(١٢٠) توفي هذا الأمير سنة ٨٨٨٦ - ١٤٨٢م (انظر القصة للامع ج ٥ ص ١٥٠) .

(١٢١) النسخة السنية ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(١٢٢) النسخة السنية ص ٣٠ .

(١٢٣) زبدة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١٢٤) زبدة كشف الممالك ص ١١٥ .

(١٢٥) تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(١٢٦) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .

(١٢٧) أخبار الأعيان ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، تاريخ بيروت ص ٩٤ .

(١٢٨) المباراة بالرمح والطاردة وغيرها من التدريب الفنى الدقيق وأصول القروسية ،

يكتاب ، هو بحث « دستور القروسية » (الرماح : القروسية والمناصب الحربية - مخطوط بمكتبة الحرم الشريف للكنى صفحات ٨٤ و ٩١ و ٩٥ وغيرها) .

(١٢٩) السلوك ج ٢ ص ٥٢٤ - ٥٢٥ .

(١٣٠) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٥٥ ، ج ٢ ص ٣ ، ٨ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٤٠ ، طرخان

مصر فى عصر المماليك الجراكفة ص ٢٩ - ٣١ .

(١٣١) بدائع الزهور ج ٣ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(١٣٢) ذكر ابن لياس أن هذه القرية بالشرقية والواقع أنها بالقرية ولم تزل كذلك باسم

ميت غزال ، وتقع مركز السنتة ، وذكرها صاحب التصفة ضمن إقليم الترية (التصفة السنية
ص ٤٦٧ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٤٩ ، التلخيص الجفراني) .

(١٣٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٤٩ .

(١٣٤) التنجيم الزاهرة ج ١٠ ص ١٥٤ .

(١٣٥) السلوك - مخطوط - ج ٣ ص ٢٩١ - ٢٩١ .

(١٣٦) السلوك - مخطوط ج ٣ ص ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٣٠٨ .

(١٣٧) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٧٠٢ .

(١٣٨) تاج المسبوك ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(١٣٩) زبدة كشف المالك ص ١١٤ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ١١ .

(١٤٠) أصدر السلطان الناصر محمد سنة ٨٧٤٠ - ١٣٣٩ م مرسوماً لمخليفة إبراهيم
الملقب بالواثق، بجائزة مئلتفه أبو سليمان الربيع من الرواتب والجوامك وهو في الشهر ٣٥٦٠٠
درهم ، ١٩ إردب قمع وعشرة أرداد ونصف من التميم ، وترتيب هذه المقادير على بلاد
معينة ، منها قوص بالصعيد الأعلى، وهذا فضلاً عن الخلفاء بحكم مناصبهم من إشراف على مشبه
السيدة نفيسة ، وحصلوا من هذا المورد على كيات كبيرة من التميم والزيت والتلور ، ثم ألقى
هذا كله عند دخول المماليك وسفر الخليفة التتوكل على الله إلى استانبول سنة ٨٩٢٣ - ١٥١٧ م
(تاريخ سلاطين المماليك ص ٢٠٧ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ١٢٥) .

(١٤١) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢٣٥ .

(١٤٢) التصفة السنية ص ١٤٤ ، بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٧٤ ، حوادث الدهور
ج ٢ ورقة ٩٤ .

(١٤٣) يدبر الشيخ عادل بن أعلام تتهاد المالكية في مصر . ومرسأب المنصرفي
الفتحة ، درس بالدرسة الصالحية بين القصرين ، وقرره الأمير شينلو في تدریس مذهب المالكية
بمناقاة . وتوفى سنة ٨٧٦٧ - ١٣٦٥ م (السلوك مخطوط ج ١ ص ١٥٠) .

(١٤٤) اشتغل شمس الدين هذا فترة في تعليم المماليك بالقلمة ثم فتح حانوتاً لبيع الكتب
ثم انقطع عن الناس ، ولما كان صديقاً للأبیر طغر قبل سلطته ، فإنه أتم عليه هذا الإقطاع على
أثر جلوسه على العرش ، وتوفى هذا الفقيه سنة ٨٨٤٧ - ١٤٤٣ م (حوادث الدهور ج ٢ ورقة
٢٧) .

(١٤٥) نشأت الجارية اتفاقاً عند حسانة المنان بيليس ، ثم باعها إلى حسانة المنان بمصر
بثمن ٤٠٠ درهم ، فطلمها ضرب العود وقلمها لبيت الناصر محمد ، فسطخت عند الأمير

إسماعيل بن السلطان الناصر ، وهي سوداء حالكة السواد ، وتزوجها إسماعيل ، فولدت له ولداً، ثم حظيت عند السلطان الكامل شهبان (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٩٦ - ٩٧ ، ١٢٩ - ١٥٠) .

(١٤٦) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١١ .

(١٤٧) الدرر الكاسية ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ و ٥٢٠ - ٥٢٨ ، تاريخ الذهب ج ١

ورقة ٦ .

(١٤٨) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

(١٤٩) انظر فصل المناقلات الإقطاعية فيما يلي .

(١٥٠) انتقلت هذه الإقطاعيات بعد هزلاء الملقطين إلى مقطعين آخرين وتغيرت أحوالها

من حيث أن بعضها صار ملكاً والبعض صار وفقاً ، كما تغيرت جبرتها من حيث النقص والزيادة ، أما هذه البلاد المذكورة فلا يوجد لها مقابل في العصر الحالي ما عدا البليتا التابعة لمركز جرجا .

(الصحفة السنية ص ٦ و ٧ و ١٤ و ٤٦ و ٧٢ و ٩٨ و ١١٣ و ١٢٤ وغيرها من الصفحات

الدليل الجغرافي) .

الفصل السادس

الواجبات والمحقوق الإقطاعية

دراسة الواجبات والحقوق من الجانبين الأدبي والمالدي -
يمين الولاء السلطان القائم والزيادات المناسبة فيه - الوصايا - معنى
الوفاء وحوادث الحث ونظائرها في الغرب الإقطاعي - الخدمة
الحرية ونظام البدل - أشباهه في الغرب - أعمال الدولك ومهمة
العربان والتركمان - عيول البرية - الالتزام المسال - مساهمة
المقطعين في الأعمال العامة - المقدم العامة والطائرة - حقوق
صاحب الإقطاع - الألقاب والمكالمات التكرمية وشارات
التشريف والقبول التي تدق بباب كل أمير بحسب مرتبته - الوظائف
التي تولها إمرات أصحاب الإقطاع - الإطلاقات والخصصات -
نفقات سلطانية أخرى لحائزي الإقطاعات - المسامحات .

يمكن دراسة الواجبات والحقوق من جانبين : أحدهما أدبي والآخر مادي ، فن حيث الجانب الأدبي للالتزامات ، يقوم المقطع بأداء يمين الولاء لسيده ، وهو ولي الأمر القائم بوصفه سلطاناً ، لا بوصفه بيرس أو قلاوون أو برسبای أو قايتباي ، ويستطيع السلطان أن يأخذ هذه اليمين لا لنفسه فحسب بل لولي عهده كذلك . أما الجانب المادي فأداء الخدمة الحربية ، وهي الأساس في حياة الإقطاع ، حتى إذا عجز الأمير عن أداء هذه الخدمة أقام « بديلا » عنه ، بل عليه أن يدفع قدرأ من المال إذا لم يستطع إقامة البديل ، مما يؤكد لنا خطورة الالتزام الحربي ، وعلى الأمير أن يقوم كذلك بأعمال حفظ الأمن وما يتعلق بها في الداخل والخارج . وأن يسهم في تسهيل وسائل الاتصال بين أطراف المملكة بتقديم خيول البريد ، وأن يؤدي الالتزام المالية المتعلقة بإقطاعه ، ثم إن المقطعين على اختلافهم مكلفون بنصيب في الأعمال العامة ، وعليهم بحكم العرف أداء « التقادم » بانتظام .

وفي نظير قيامه بهذه الالتزامات ومدى إيفائه بها ، يتمتع الأمير بكافة الحقوق الأدبية والمادية التي يحوطها له إقطاعه ومرتبته ، كأن يخاطب في المكائيات بأسلوب معين وألقاب خاصة ، وأن يسمح له بعدد معلوم من « الطبول » تدق على بابه ، وأن يلى من الوظائف ما تؤهله له درجة إقطاعه الذي يرتفق به أو يمتلكه ، وهناك من المخصصات والمنح ما يرسله السلطان بحكم العادة إلى الأمير المملوكي كالحليل والقماش والطعام ، وهذه هي « الإطلاقات » ؛ فضلا عن مقادير من المال عند ولاية كل سلطان جديد ، وهذه هي « نفقة البيعة » وعند الاستعداد لحرب أو غزو ، وتعرف هذه باسم « نفقة التجريدة » ، ثم هنالك ما يصل إلى الأمير من الخلع في الحفلات السلطانية من زواج أو ختان

مقابل تقدمته في هذه المناسبات ، وربما أعق السلطان أميراً من الأمراء من التضادم في بعض السنين أو ساعه بما عليه من ديون للديوان السلطاني ، وهذه هي « المسامحات » .

والعادة أن يقام يمين الولاء حفل بالقلعة أو أي مكان آخر يكون السلطان مقيماً به في مصر أو الشام ، فيجتمع الأمراء ومعهم كتاب ديوان الإنشاء ، ويتولى كل كاتب تحليف جماعة من الأمراء ، فتحلف كل طائفة بألفاظ اليمين الخاصة بها ، ومهمة كتاب الإنشاء تسجيل الأسماء ، وتاريخ القسم في أوراق خاصة ، تحمل إلى ديوان الإنشاء لتحفظ فيه أو تحلده فيه على قول المصطلح (١) .

وإذا اقتضى الأمر تحليف بعض الأمراء خارج مصر ، ففي هذه الحالة تكتب نسخة اليمين من ديوان الإنشاء بمصر ، وترسل إلى الجهة التي يراد التحليف بها (٢) ، ومثال ذلك تحليف الأمراء أمام السلطان بپرس بعد فتح الكرك سنة ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م ، وإقطاع بلاده لأمرائه وجنده (٣) .
ولليمين الإقطاعية صيغة عامة يشترك فيها جميع أهل الدولة (٤) وهي بعد المقدمة :

« إنني من وقتي هذا ومن ساعتي هذه وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتي ولا أزال مجتهداً في إخلاصها ، وأصفيت طوبىي ولا أزال مجتهداً في إصفاؤها ، في طاعة مولانا السلطان . . . » .

وصورة ما يكتب في هذه اليمين العامة :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« أقول وأنا (فلان)

« والله والله

« وهذه اليمين يميني وأنا . . (فلان)

« والثنية في هذه اليمين بأسرها

(٥)

غير أن هناك زيادات تضاف إلى هذه الصيغة ، لكل صاحب وظيفة (٦) منهم ، فيزاد في تحليف نواب السلطنة مثلاً « ألا يسعي في تفريق كلمة أحد عن طاعة السلطان وحفظ المملكة التي استتابه فيها » وهكذا (٧) ، ويختص « الدوادار » بالألا يؤدي عن مولاه السلطان رسالة في إطلاق مال ولا استخدام مستخدم ولا إقطاع إقطاع . . إلا بعد عرضه على مولانا السلطان ومراجعته (٨) أما نواب القلاع ، فيزاد في أيمانهم العمل على حفظ القلعة وحواصلها وذخائرها وألا يفتح أبوابها أو يغلقها إلا في الأوقات المعينة لذلك . . . (٩) .

وإذا جدت أمور تغيرت صيغة القسم بحسبها ، ووجدت العيين كما هو الشأن عند بيعة كل سلطان جديد ؛ فنثلاً على أثر خلع السعيد بن يبرس وتولية أخيه سلامش سنة ٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ ، أرسلت الأيمان إلى الأمراء والجنود بالشام للحلف (١٠) ، وحين أفرج الناصر محمد في سنة ٨٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م ، بعد ولايته العرش لأول مرة عن الأمراء المعتقلين أعادهم إلى إقطاعاتهم ، فجددوا القسم للسلطان ونائبه كتباً (١١) ، ولما تولى ابنه أبو بكر العرش في سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤١ م ، « رسم بتجهيز التشاريف والخلع ، ورسم بتحليف الأمراء والنواب بالبلاد الشامية على العادة (١٢) » ، وكذلك جددت الأيمان لولي عهد برقوق وهو ابنه إبراهيم (١٣) وهكذا حتى عند زوال دولة المماليك جددت الأيمان لولي الأمر الجديد وهو السلطان العثماني (١٤) .

واشتملت صيغ العيين ، بأنواعها المختلفة على وصايا إلى كل أمير وصاحب وظيفة من باب التأكيد ودقة التحديد للالتزامات ، فضلاً عن التفصيل في بيان اختصاص صاحب الوظيفة والعمل على مراعاتها ، فيوصى نائب السلطة في تقليد نيابته « بتقوى الله وتنفيذ الأحكام الشرعية والجهاد وتفقد العسكر (١٥) » ويوصى مقدم المماليك السلطانية بالحسن إلىهم ومراقبة كل طبقة عند تقسيم الخوامك بينهم وترتيب خدماتهم بحسب مكانهم من السلطان « ولا يركب أحد منهم إلا بلمستور (١٦) » ، وتنصيب وصية أمير آخور على الاستعداد دائماً لتلبية طلبات السلطان في أي وقت والعناية بأمر الاصطبلات « والحشارات »

وخيل البريد وما خصص منها للمتح أو هيئ للسياق والمواكب ، وكذلك
 غلمان الاصطبلات ومنع مخالطة العامة لهم وتثمين الخيول المشتركة والتقدم (١٧) .
 أما أمير العرب فيوصى بالتقوى والكرم واليقظة لحركات الأعداء بين أتباعه ،
 وأن يعنى بخيل البريد التي يقدمها (١٨) ، ويوصى مقدم الأكراد بجمع شتات
 عشيرته على الإخلاص وعدم الانحياز إلى العدو ، وتوضيح أفضلية إقطاع
 السلطان لهم على إقطاع الأعداء لأفراد عشيرته ، والأهبة للجهد وقت الحاجة
 على أن يكون اعتماد المقدم على المقطعين أصحاب الخدمة الدائمة المنجزة ، على
 قول العمري ، بحيث إذا مات أحدهم قام المقدم بتعيين بدله ، وأنهى أمر
 البديل إلى أحد الثواب المقربين منه ، كما أن عليه العمل على جباية ما على
 أصحاب الماشية من حقوق (١٩) ، ويوصى مقدم التركان بمثل ذلك من
 الواجبات اللازمة لحفظ الأطراف المملوكية (٢٠) .

وعلى الرغم من تجديدها العيين الإقطاعية وما بها من تعهدات ، وبرغم
 الوصايا وما فيها من توضيح شامل وتأكيد ونحوه ، لم يتقيد الخالقون بما حلفوا
 دائماً ، ومثال ذلك نفاق الأمير عيسى بن مهنا وانحيازه إلى التتر في سنة ٧١٢ هـ
 — ١٣١٢ م ، نظير حصوله على إقطاع منهم ، وقد حصل عليه فعلاً في العراق
 حيث صارت الحلة وغيرها إقطاعاً له من سلطان التتر يومئذ وهو خرابند .
 هذا مع وجود إقطاعه الكبير من السلطان الناصر محمد ، وبلغ من نفاقه والتواءه ،
 أن جعل ابنه سليمان منقطعاً لخدمة التتر على حين خصص الابن الثاني موسى
 لخدمة الناصر محمد ، واستمر هو يستغل الإقطاعين بالشام والعراق ، وتصل
 إليه رسائل « أيلخانات » التتر بفارس وسلطين الماليك وخلعهما وإنعاماتهما
 ويقم « بالبرية » بعيداً عن القريتين (٢١) .

وعلى الرغم من العهود والمواثيق ، خرج يلبي الخالصكي عن أستاذه
 الناصر محمد وخلعه وقتله سنة ٧٦٢ هـ — ١٣٦٠ م (٢٢) ، كما خرج منطاش
 وهو تمرغنا الأفضلي بالشام على برقوق سنة ٧٩٢ هـ = ١٣٨٩ م (٢٣) ، وسئل
 حوادث الخلع والفتن ، ما هي لإلحاح بأيمان أقسمها الأمراء ، ولذا عمد

بعض السلاطين إلى تحليف أمرائه أكثر من مرة ، لعل هذا يحول دون الخروج عليه ، كما فعل محمد بن قايتباي في سنة ٨٩٠٢ - ١٤٩٦م ، حين أحضر المصحف الشريف العثماني ، وحلف عليه سائر العسكر والأمراء ، ثم حلفهم في سنة ٨٩٠٣ - ١٤٩٧م ، على « ألا يخونوه ولا يفتدروا به . . . » وكانت هذه رابع يمين يحلفها الأمراء للسلطان^(٢٤) ، وفي بعض الأحوال طلب الأمراء تحليف السلطان محمد بن قايتباي بعد حلفهم له سنة ٨٩٠٤ - ١٤٩٨م وقالوا : « مثل ما حلفنا السلطان يحلف لنا هو أيضاً أنه لا يمسك منا أحداً بغير سبب » ، ولكن السلطان توقف ، ولم يحلف^(٢٥) ، وحاوّل السلطان جان بلانز بن يشيك سنة ٨٩٠٦ - ١٥٠٠م تغيير صيغة القسم إلى أيمان أغلظ لعلها تجدى ، فألف القاضي الشافعي عبد القادر التقيب صورة يمين « بالله وبالحدج وبالعتق وبالطلاق ثلاثاً » وغير ذلك من التأكيد ، وكتبه في سجل لتحليف الأمراء^(٢٦) .

وليمين الولاء والتبعية في الإقطاع الغربي طقوس وأهيات تفوق شبيهاتها في مصر على عصر المماليك ، فيؤدى التابع يمين الولاء والطاعة (Oath of Fealty) لسيد الإقطاعي سواء أكان ملكاً أم أميراً ، وذلك على آثار مقدسة أو الإنجيل ، ومراسم التبعية أن يأتي التابع ويركع أمام سيده حاسراً رأسه أعزل من سلاحه ويضع يديه اللاتنتين بين يدي سيده متلفظاً بألفاظ اليمين : « أقسم أن أكون متلصقاً بك مرتبطاً بك كما ينبغي أن يكون عليه رجل لسيد » ويضيف أحياناً « وسأظل على ذلك طالما كنت رجلك وطالما كانت أرضك معي » ، حينئذ يرفعه السيد ويقبله ويعطيه « العلم والمكاز والبراعة » ، وهذا ما يعرف باسم « التقليد Investiture » أو التنصيب أو التلبس من جانب السيد وبهذا يصبح الطرفان مرتبطين^(٢٧) .

ومن أمثلة الأيمان المشهورة في العصور الوسطى « قسم سالسورى » أو « اجتماع سالسورى » في إنجلترا سنة ١٠٨٦ هـ ، إذ دعا وليام الفاتح جميع الفزارع الأحرار Free Tenants ، سواء أكانوا من طبقة الفرسان أم من غيرها ، وجعلهم يقسمون له أن يكونوا أتباعه المخلصين . وهذا القسم العام

الشامل لجميع طبقات المقطعين هو الذي ميز الملكية الإقطاعية الأنجلو نورمانية عن الإقطاعية الفرنسية المعاصرة (٢٨) .

وتضم صيغة القسم والوصايا في الإقطاع في الدولة المملوكية ، ما يتضمنه العقد الإقطاعي في الغرب ، من ناحية الولاء لولي الأمر ؛ فثلاً بنص العقد الإقطاعي على : ألا يعتدي على سيده أو يفشى له سرّاً أو يخل بأمن قصوره أو يسبّ الظن به ، وألا يلحق أي ضرر بسمعته أو أملاكه أو يضع العراقيل في طريقه ، ونحو ذلك (٢٩) .

ومن حيث الالتزام الحربي ، المعروف أن الأرض أو المكس يقطع نظير خدمة ، يؤديها المقطع في الدولة الإقطاعية ، وأجل هذه الخدمات هي الخدمة الحربية ، بل إن الإقطاع في الشرق الأوسط حين تطور ، صار حربياً (٣٠) ، ولذلك تقدمت رتبة أرباب السيوف على رتبة أرباب الأقلام ، والتواقيع والتفاويض لأرباب السيوف لميزة السيوف على الأقلام (٣١) ثم إن الخدمة الحربية هي الأساس الأول لحيازة الإقطاع لا في الدولة المملوكية فحسب ، بل في جميع الدول المعاصرة التي أخذت بالنظام الإقطاعي شرقاً وغرباً على اختلاف في التفاصيل .

ففي النظام المملوكي ، يلبى الأمير المقطع نداء ولي الأمر في وقت الحرب مع أتباعه من القروان المجهزين لآلدة معينة كما هو الشأن في الإقطاع الأوربي ، بل في أي وقت ولأي فترة ، وأقرب الخدمات الحربية الإقطاعية الأوربية لذلك خدمات القروان الصليبيين ، (في الدول الصليبية بالشام بسبب الحرب المستمرة ضد المسلمين ، أي أن الصليبيين (٣٢) ، وهم إقطاعيون غربيون ، غيروا ما ألقوه من نظم إقطاعية نزولاً على الوضع الراهن بالشرق إبانئذ .

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، منها تكليف بيبرس سنة ٥٦٦٣م - ١٢٦٤م وقلاوون سنة ٦٨٠هـ - ١٢٨١م حرب آل فضل بالشام ورأسهم عيسى بن مهنا بن مانع بطرد التتار عن البيرة وغيرها (٣٣) ، ثم إن السلطان لاجين تواعد الجيش الذي أرسله سنة ٦٩٧هـ - ١٢٩٧م ، لطرد التتار عن

سيس وتل حمدون بأن « العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية» (٢٤) .

والمعروف أن السلطان برقوق قطع إقطاعات الأمراء الذين أخفقوا في إخماد فتنة يلبغا نائب حلب الخارج على السلطان (٢٥) ، والسلطان برقوق نفسه أتم على طائفة من الأمراء بعد ذلك بعامين بإمرات في الشام زيادة على إقطاعاتهم الحاربية ، ليخلصوا في قمع فتنة نائر آخر بالشام هو منطاش (٢٦) ، ويعرف عن برقوق أنه كان توخى الدقة في حملاته الحربية فلم يكلف بالسفر في تجريدة إلا من بلغت عبءه إقطاعه ما يكفي لجميع ما تستلزمه النفقات والاستعدادات المنتظرة ، من ذلك أنه أمر بعرض أجناد الحلقة سنة ٧٩٦ هـ — ١٣٩٣ م ، استعداداً للحرب تيمورلنك ، وأوصى نائب السلطنة سودون والدوادار قلمطاوى ، بحضور ناظر الجيوش قاضي القضاة القيصرى ، بالألزام غير القادرين بالسفر (٢٧) .

وقامت عشائر العرب والتركمان والأكراد بالتزام الخدمة الحربية الفعلية في ميادين الحرب ، فاشترك الأمير نعيم أمير آل فضل بحمسة فارس وجميع العربان في حروب السلطان فرج ضد تيمورلنك بالشام سنة ٨٠٣ هـ — ١٤٠٠ م واشترك في هذه الحملة ستة آلاف فارس من عربان البحيرة وألفان وخمسة فارس من عربان الشرقية في صحبة شيخهم ابن بقر ، وخمسة فارس من عربان بني وائل بالغربية (٢٨) ، وجرى المصطلح على تسمية هذه الجماعات من فرسان العرب باسم « العشير » ، والمالِك في هذا مقلدون لأساندهم من الأيوبيين (٢٩) ، غير أن العرب لم يخلصوا للمالِك إخلاصاً تاماً ودليل ذلك أن طومان باى أمر الكشاف ومشايخ العربان في سنة ٨٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م أن يشرعوا في تحصيل عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب . ثم أمر برجوعهم إلى بلادهم برغم شدة حاجته إلى أى جندى ، وذلك بعد إشارة بعض الأمراء بأن العربان ليس لهم فائدة في خروجهم (٣٠) ، والواقع أن طومان باى كان يدرك عدم سلامة نواياهم فضلاً عن الكراهة العنصرية التي

حفظها العرب للمماليك ، وربما ترجع خيانة ابن مرعي للسلطان طومان باي إلى إبعاده العرب على هذا النحو المتقدم^(٤١) ، بجانب الكراهية المزمنة .

ولم يكن هناك من بأس لدى سلاطين المماليك ، أن يقطعوا عسداً أخلص النية وأصنى الطوية ، فهذا السلطان بيبرس ، يقطع عدداً من الفرنجة الصليبيين ، وردوا عليه من مدينة قيسارية سنة ٦٦٣ هـ - ١٢٦٤ م ، وذلك نظير عدم اشتراكهم ضده في القتال^(٤٢) ، كما لم يكن هناك من بأس أيضاً من بذل الإقطاع لقاء أى عمل يتصل بالحرب ، كالإرشاد إلى طريق أسهل أو أقرب إلى العدو ، ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر محمد سنة ٧١٩ هـ - ١٣١٩ م ، إبان حملة أرسلها لقمع بعض القنن بركة ، إذ تطوع بعض العرب لإرشاد الجيش إلى طريق لا يستغرق أكثر من ١٣ يوماً على حين أن الطريق المألوف من الإسكندرية إلى بركة يستغرق نحو شهرين ، وطلب الدلال من قائد الحملة ، وهو الأمير أيتمش مائة دينار وإقطاعاً من السلطان بعد عودة العسكر ، فقبل له أيتمش بالمال والنزم بالإقطاع من السلطان وانتصر العسكر وعاد غانماً^(٤٣) .

وإذا عجز المقطع عن أداء الخدمة الحربية أقام بديلاً عنه كاملاً باللبس والسلاح والخيول وجميع ما يلزم ، أو يدفع مبلغاً من المال ليستطيع السلطان بهذا المال تدبير القوة اللازمة ، كما جرت العادة على اختيار أرباب الحوامك من المماليك السلطانية وأولاد الناس في أعمال الفروسية من الرمي بالسهم والنشاب والمبارزة بالرمح ونحوه ، ومن لم ينجح في هذا الاختبار ، قطع السلطان جامكيته فضلاً عن التصريح والتأنيب .

وألح السلطان قايتباي في البديل أو المال في سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م ، من العاجزين عن السفر في التجريدة لحرب شاه سوار التركاني ، وقدر العوض المالي بمائة دينار ، وتكرر هذا العمل في السنة التالية بصدد الخطر نفسه كما تكرر عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ م ، بصدد الخطر العثماني . فصار^(٤٤) يحصل المائة دينار عوضاً عن البديل ممن له جامكية وإقطاع ، وخمسة وعشرين ديناراً ممن له

جامكية ألف دينار وليس له إقطاع^(٤٥) ، ثم إن السلطان قايتباي اختبر أرباب الجوامك في السنة نفسها وهي ٨٧٣هـ - ١٤٦٨م ، بأن جهز ثلاثة أقواس مندرجة القوة والصلابة وكتب الناجحين في الاختبار في التجريدة كما قيل البذل ممن طلب ذلك ومقداه مائة دينار ، أما الفاشلون في الاختبار فقطع جوامكهم ووجنهم^(٤٦) .

ولم تكن فئات البذل المادى ثابتة بل تعرضت للزيادة والنقصان بحسب ما تقتضيه الأحوال الحربية المتوقعة ، ولما كان الخطر العثماني قائماً ، صار البذل عن صاحب الجوامكية التي تبلغ ألى دينار مبلغ ٤٠ ديناراً ، وصاحب الجوامكية التي تبلغ ألف دينار عشرين ديناراً ، ومن لم يدفع هذا المبلغ لأى سبب من الأسباب قطع السلطان جوامكته سنة أشهر ، حتى يغلق ما فرض عليه^(٤٧) .

ولنظام البذل المالى قرين في الإقطاع الغربى يعرف باسم *Scutagium* وهو ما سمحت به الملكية التورمانية الإقطاعية بإنجلترا ، كذلك وجد في ألمانيا الإقطاعية ، وهناك بديل من نوع آخر عرف في شمالى غربى فرنسا بصفة خاصة ، وهو تقديم خيول أو ثمنها *Servicium de Equo* أو بعض آلاتها من سروج وحسوات أو أسلحة حربية من سيوف ونحوها^(٤٨) ، وعرف البديل كذلك في الدول الصليبية بالشام ، لكنه لم يطلب إلا من بلغ من التقاعد وهو ٦٠ سنة ، فن هذه الحالة لا يكلف المقطع بخدمه حربية بشخصه وإنما يرسل فرساناً من قبله نظير إقطاعه^(٤٩) .

ويدخل في نطاق الخدمة الحربية أعمال حفظ الأمن في الداخل والخارج ، واصطلح على تسمية هذه الأعمال بالأطراف بأعمال « الدرك » ، فبعض المقطعين ملتزم بحفظ الدرك بالجهات المناخمة للأعداء ويعطى الإقطاع قريباً من تلك الجهات ، كما فعل السلطان بيبرس حين أقطع بلاد صغد سنة ٦٦٤هـ - ١٢٦٥م ، لمن رتبته لحفظها من الأجناد^(٥٠) ، وحين أقطع السلطان الناصر سنة ٧٠٥هـ - ١٣٠٥م ، جماعة من دمشق مثل الأمير ابن معبد البعلبكي

وعطاب العراقي وغيرهما ، أمرهم وكلفهم بحفظ ميناء البحر من جهة بيروت^(٥١) ولما علم الناصر بفساد العرب في ثغر عيذاب ، أرسل سنة ٧١٩ هـ - ١٣١٩م الأمير أفوش المنصوري على رأس قوة وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وأقطعته ثغر عيذاب ليقم به^(٥٢) ، كذلك أمر بلبغا الأتابكي في عهد السلطان شعبان سنة ٨٧٤٦ - ١٣٤٥م جماعة من الأمراء بالسكنى في بيروت مع العساكر الشامية للمحافظة عليها من الفرنج^(٥٣) .

وبكاد التركان والأكراد والعرب ينتصون بأعمال الدرك ، فبنو عساف التركان مكلفون بالدرك من حدود أنطلياس على نهر الكلب إلى مغارة الأسد بالشام ، فلم يسمحوا بعبور نهر الكلب إلا لمن يحمل « ورقة الجواز » من الولى في تلك الجهات أو من أمراء الغرب من بني تنوخ ، ونظم بنو عساف عملهم تنظيماً دقيقاً ، إذ قسموا أنفسهم إلى ثلاث فرق أو ثلاثة « أبدال » في المصطلح ، كل فرقة أو كل بدل ، مكون من ألف فارس وعليه أن يقيم شهراً في الدرك بأنطلياس^(٥٤) ، وتولى درك الأطراف خليل بن الطرفي التركاني ، بالإبلسين ثم بيت دغادر^(٥٥) .

وقام العربان بأعمال الدرك في جهاتهم ، بجانب ما عليهم من التزامات أخرى. فثلا حدد بيرس في سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦٠م مهمة عربان بني مهنا وأميرهم يومثد شرف الدين عيسى بن مهنا إذ « سلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق »^(٥٦) .

كما ألزم أمراء الغرب من بني تنوخ الدرك بلبتان فضلاً عن التجسس على أخبار العدو والمناغرة على صيدا وبيروت ، ونظم بنو تنوخ دركهم على ثغر بيروت كذلك ثلاثة أبدال كما هو الشأن عند بني العساف التركان^(٥٧) . أما الالتزام بتسبيل سبل النقل ووسائطه بين أجزاء الدولة ، فأهمه القيام بتقديم خيل البريد والحمال والقيام بحمل الغلال والمحاصيل المختلفة ، وأكثر ما عرف هذا الالتزام عن المقتعين العرب والتركانيين خلال عصر المماليك ونصت « البحريدة الجيوشية » ، أمام اسم التركاني أو البدوي على ما يقدمه

إلى الاصطبلات السلطانية والمناخات من الخيل والجمال ، وأمام أسماء العربان
بمصر ، على المقرر عليهم من التصادم وإقامة خيل البريد وغير ذلك من نقل
الغلال ، ووضح التأكيد كذلك على هذا الالتزام بالوصايا الموجهة إليهم (٥٨) .
والواضح من هذا كله أن خيل البريد أهم ما قدمته عشائر العربان
والتركان ، وكانت مدينة بليس زمن سلاطين المماليك مركزاً لتجمع هذه
الخيول ، وعليها أن تعمل في خدمة البريد من بليس (٥٩) إلى العريش ، فنحضر
خيول العربان في هلال كل شهر إلى مراكزها المعينة لها فيما بين بليس والعريش
ولذلك أطلق عليها اسم « خيل الشهارة » ، وحلى الشهارة والسن قبل السلطان ،
وهو الذي يستعرضها في أول كل شهر « ويدوغها بالداغ السلطان » ، وفيما
يلي العريش إلى طرابلس ، تعمل خيول السلطان في البريد ، ومن طرابلس
حتى أطراف المملكة تتولى خيول المقطعين في تلك الجهات أمر نقل البريد (٦٠) .
ولذلك نجد أن أغلب إقطاعات العربان في أطراف المملكة ، ويقع
أكثرها في مصر بالشرقية ، وبما قرره بيبرس على أمراء عربان العابد وجرم
وثعلبة بغزة ، حين ضمهم البلاد سنة ٥٦٦١ - ١٢٦٦م ، « خدمة البريد
وإحضار الخيل برسمه (٦١) » ، ولما اختلت مراكز البريد بطريق الشام
سنة ٥٧٤٨ - ١٣٤٧م ، اضطر السلطان حاجي لفرص خيول البريد على المقطعين
عامة ، فألزم كل أمير مقدم بتقديم أربعة أفراس وأمير الطبلخاناه بتقديم
فرسين وأمير العشرة بتقديم فرس واحد ، كما أخرج عن عيسى بن حسن
العائذي المجبان أحد المقطعين الرب بدأ تنزل في السنة ٧٠ ألف درهم أو ٣٠٠٠
إردب من الغلة وأرصدها لمراكز البريد (٦٢) .

ومن الناحية المالية : المقطع ملزم بدفع الخراج (٦٣) المقرر على
الإقطاعات وهو من أهم مصادر بيت المال ؛ إذ أن الإقطاعات كما يقول
القلقشندي هي جل البلاد في الوجهين البحري والقبلي (٦٤) ، ويجبي الخراج
عيناً أو غلة ، وأغلب خراج الوجه القبلي غلة ، ومتوسط خراج القدان من
٢ إلى ٣ أردب ، وربما زاد أو نقص بحسب الظروف ، ويحصل على كل

لأردب من ٢ - ٣ دراهم أو نحوها ، أما الوجه البحرى فأغلب خراجه تحصل
تقدراً إلا القليل (٦٥) .

وهناك ما يعرف باسم « قاعدة البدل » فى دفع الخراج ، ومؤداها
إذا كان الخراج المقرر فى بلد ما غلالاً وأعوز صنف من الأصناف استبدل
بصنف آخر (٦٦) .

وتنظم الأموال الديوانية عامة فى المحاسبات التى يعدها « كاتب الخراج »
فيكون ما عرف باسم « الارتفاع » أو « العمل » بمعنى القائمة (٦٧) وصورتها :
« عمل بما اشتمل عليه ارتفاع المعاملة القلانية لمدة سنة كاملة أبداً المحرم سنة كذا
وآخرها سلخ ذى الحجة منها . . . » (٦٨) .

هذه هى الأموال العادية الغالبة ، على أن هناك التزامات مالية أخرى
طارئة ، يختلف نوعها باختلاف الظروف الطارىء وبموجب ما يراه ولى الأمر
القائم ، فإذا كانت هناك حالة حرب وأعوز المال . فرضت غرامات ،
وفى أوقات انتشار الأوبئة أو الأعلىة والفن والاضطرابات ، إما أن تفرض
غرامات مالية أو يلزم الأمراء بنوع من المبرات (٦٩) ، أو يتحملون نفقات
عدد معين من المماليك .

فمثلاً رسم السلطان الناصر محمد فى سنة ٨٧٠٠ = ١٣٠٠ م ، بتحصيل
مبالغ من المال من غوطة دمشق لمقاومة خطر التتار ، عن كل مد (٧٠) سبعة
دراهم ، كما أخذ من القرى المزروعة حبواً على أساس نسبة محصول
سنة ٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م ، إذا كان المحصول فى تلك السنة وافر (٧١) ، ولما اجتاحت
تيمورلنك بلاد الشام هجم على سيواس ثم غرقت دمشق سنة ٨٨٠٣ = ١٤٠٠ م
قرر السلطان فرج فرض غرامات على جميع أموال الناس (٧٢) وفرض على
الإقطاعات بنسبة العبرة القديمة على هذا النحو : من كانت عبرته إقطاعه
١٠٠ ألف يدفع ٥٠٠ درهم ثمن فرس أو يقدم فرساً (٧٣) . وهناك ما عرف
باسم « الخمس » جباه قايتباى فى سنة ٨٩٣ هـ = ١٤٨٧ م ، بصدد الخطر العثماني
من خراج المقطعين ليستعين به على تجهيز خيالة تكون مدداً للعسكر ، ويعلق

ابن لباس ، وقد حصل للمقطعين غاية الضرر من كبس البلاد وقبض على الفلاحين ، ، ويقال إنه جبي الخمس مرتين من خراج المقطعين سنتين متواليتين وتكرر هذا العمل في سنة ٨٩٥ هـ - ١٤٨٩ م (٧٤) .

وفرق بين هذه المركزية في السلطة وجباية ما يراه ولي الأمر وما هو معروف في الغرب الإقطاعي ، إذ كان للسيد أن يطلب ما عرف باسم (العون) Auxilium. وهو وإن تقرر بحكم العادة ، إلا أن المميز البارز للإقطاع الغربي هو « المحلية » وليست المركزية .

وهذا العون يطلبه السيد كمنحة اختيارية من أتباعه (٧٥) ، على أن هناك ضرائب دائمة قررت في الدولة الصليبية بالشام على عهد صلاح الدين عرفت باسم « الصلاحية » وذلك حين اشتد خطر الحرب بين المسلمين والصليبيين ونسبت هذه الضريبة إلى اسم « صلاح الدين الأيوبي » لشدة وطأته عليهم . وقد قررت في مجلس عقد في أورشليم سنة ١١٨٢ م وتقدر بنسبة ٠/٢ من دخل كل تابع (٧٦) ، ومثلها قرر في فرنسا الإقطاعية عام ١١٨٨ م في مجمع باريس برئاسة البابا كليمنت الثالث ، وذلك بعد وقعة حطين وعرفت بنفس الاسم .

أما المساهمة في الأعمال العامة ، فالقائمون بها هم المقطعون سواء أكانوا من أصحاب الوظائف أم لا ، وسواء أكانت هذه الأعمال خاصة بالسلطان أو ذات نفع عام ، فن الأعمال العامة : القيام بجمع المحصول وحفر الخللجان وعمارة الجسور ونحوها (٧٧) ، ومن الأعمال الخاصة ما فعله الناصر سنة ١٣٣٧م = ٨٧٣٨ هـ حين قرر إنشاء حوض للضأن في موضع بقلعة الجبل مساحته ٤ أفدنة ، فرتب على كل أمير من المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب ، وعلى كل طلبخاذه بحسب حالته ، ونزل استادار كل أمير وجنده ومعه دوابه ورجاله للعمل (٧٨) .

وهناك التزامات بحكم العرف جرت بحرى القانون وهى « التقدام » .
والعرف قانون أو « محكمة » فى نظر الشرع ، وهذه مقررة سنوياً على أرياب
الإقطاعات عامة بحيث لو تعطلت غضب السلطان ، بل يطلبها السلطان وتسجل
فى ديوان الجيش ، بل إن من وصايا أمير آخور تميمين خيول التقدام (٧٩) ،
وكثيراً ما أدت جبايتها إلى فنّ وامتعاض عام بين المقتطفين ، ومن التقدام
ما هو سنوى ومنها ما هو طارىء بحكم الظروف والمناسبات المختلفة ، كحج
السلطان أو زواجه أو نحو ذلك من الحفلات ، وكذلك إذا خرج السلطان
فى رحلة صيد أو زار أميراً فى إقطاعه ، فإن الأمير مكافئ فى هذه الحماة
بتدبير أمر الضيافة فضلاً عما يقدمه من « التقدام » أو الهدايا لسيده ، والغالب
أن يخلع السلطان على الأمير نظير تقدمته .

ويحتوى التقدام على خيول وقماش وأثواب مختلفة الألوان والأنواع
وكذلك الأسلحة وأنواع الحيوانات والطيور (٨٠) المختلفة ، العادى منها والغريب ،
والتحف المختلفة ، ومن التقدام ما يرى الأمير تخصيصه للسلطان ومما يرى
تخصيصه لحرّبه أو أولاده .

فتلا قدم أبو الفداء إسماعيل فى سنة ٥٧١٦هـ - ١٣١٦م بتقدمته على السلطان
الناصر محمد ، بقول فى تاريخه « فى هذه السنة كانت تقدمتى على جارى العادة
من الخيول والقماش والمصاغ » (٨١) ، وقد كتب الناصر فى سنة ٥٧٢٢هـ
- ١٣٢٢م إلى سائر الأمراء ، يحمل تقدمهم إليه وأن من أحضر تقدمته ، يخلع
عليه من الخزانة السلطانية ، فسلت إليه تقدم جلييلة منها ، ٤٠ سلسلة ما بين
ذهب وفضة ، وقدم موسى بن مهناة بالقود « على العادة فى سنة ٥٧٢٣هـ - ١٣٢٣م
ويتكون من خيول ونحوها ، فأكرمه السلطان (٨٢) ، ووصل الأمير تنكز
تقدمته العاشرة فى سنة ٧٣٥هـ - ١٣٣٤ (٨٣) ، وضمت تقدمة الأمير منجك
نائب الشام فى سنة ٥٧٧٤هـ - ١٣٧٢م ، إلى السلطان شعبان : أسدين وضبعاً
و ٤٨ كلباً سلوقياً و ٤٠ فرساً و ٥٠ بقجة قماش ، وقطارين بخانى (٨٤)
بقماشها الفاخر و ٤ قطر بخانى بقماش آخر و ٥ جان بخانى ، لكل منها

سنامان وقماشها من حرير ، وستة قطر جمال عراب (٨٥) بقماشها و ٤٤ هجيناً وثلاثة قباقب نسوية ذهب فيها اثنان مرصعان بالجواهر قيمتها ٢٥٠ ألف درهم وثمها نحو ٨ آلاف مفضل ذهب ، وعدة قناوير من حرير مزركش بتراكيب مرصعة بالجواهر ، وملابس نساء وكتايش زركش بتراكيب مرصعة بالجواهر وملابس برسم الخيل وعدة عبي حرير وأحمال من الخلاويات وفواكه وأشربة ومغلا (٨٦) ، ووصلت هدية بيدمر نائب الشام بعد منجك إلى السلطان شعبان في سنة ٨٧٧٧هـ - ١٣٧٥ م منها للأمراء والأعيان ٢٥٠ فرساً (٨٧) ، وفي أيام برقوق وصلت إليه مقدمة الأمير بيدمر نائب الشام سنة ٧٨٦ هـ ١٣٨٤ م ، ومنها : ٢٠ مملوكاً متخبة ، ٣٣ جملاً عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف بأنواعه ، ١٣ كلباً سلوقياً ، ١٨ فرساً محملة بأثواب الحرير ، ٥٠ فحلاً ، ١٠٠ أكديش و ٧ قطر هجين بقماش ذهب ، وباسم ولد السلطان ٢٠ فرساً و ٢٥ جملاً محملة بأنواع أخرى من الثياب وغير ذلك (٨٨) ، وجاءت مقدمة الأمير جليان نائب الشام في سنة ٨٤٧هـ - ١٤٤٣ م إلى السلطان جقمق ، ومنها ملابس سمور (٨٩) خمسة أبدان (٩٠) ، وشق بدنين (٩١) وقاقم خمسة أبدان ونجاب ٥٠ بدناً ، ٥٠ قرضية و ١٠٠ ثوب صوف ملون و ٥٠٠ ثوب بعلبكي و ٥٠٠ ثوب بطاطين ، ٣٠٠ قوس من قسي الحلقة : منها ٥٠ خاص و ١٠ طويل مذهبة و ٥٠ سيفاً ، ٢٠٠ من الخيول ، منها واحد بسرج ذهب وكتبوش وعشرين ألف دينار (٩٢).

هذه بعض أمثلة التقدام السنوية ، أما تقادم المناسبات كالحج ونحوه فهذه كسابقتها من التقادم ، يظنها السلطان . فمثلاً في سنة ٨٧١٩هـ - ١٣١٩ م ، كتب الناصر إلى نائب الشام بتجهيز ما يلزم لاعتزاه الحج في ذلك العام ، فتوالت تقادم الأمراء والنواب في سائر البلاد الشامية . منها مقدمة تنكر نائب الشام ، ومقدمة الملك المؤيد إسماعيل أبي القداء صاحب حاة (٩٣) ، ولما أراد الكامل شعبان الحج في سنة ٨٧٤٧هـ - ١٢٤٦ م اشتدت المطالبة على أهل النواحي عامة بالجمال والشعر والأعدال (٩٤) والأخراج بسبب سفر السلطان

إلى الحجاز ، بل كثرت مغارم الولاة ، ولذلك شكوا أرباب الإقطاعات
تضررهم مما أصابهم من مغارم إلى السلطان فلم يلتفت إليهم ، وكان هذا الأمر
من أسباب الفتنة التي أدت إلى خلع السلطان نفسه أواخر سنة ٨٧٤٧ = ١٣٤٦ م
ومنع من الحج^(٩٥) ، وحين خرجت خوند فاطمة زوجة قايتباي للحج
سنة ٨٨٧٩ - ١٤٧٤ م ، عمل موكب فتم حافل في الذهاب والإياب ، وفي
حفل العودة أقيمت المغاني ومدت الأسمطة وأحضرت التتادم من أرباب الدولة
وأعيان الناس^(٩٦) .

وإذا أراد الأمير زيارة السلطان ، استأذن ، فيؤذن له ، فإذا ما قدم ،
حل معه مقدمة أو هدية ، كما حدث في سنة ٨٧٦٨ - ١٣٦٦ م حين استأذن
المقر السيفي منكلي بغا نائب الشام السلطان شعبان في الحضور إلى مصر زائراً
« ليرى وجه السلطان » ، فحضر ومعه تقادم كثيرة للسلطان والأمراء وللأتابكي
يلغا ، فأكرمه السلطان ، واستقر به نائب حلب بعد أن جعلها أكبر من الشام
ودمشق^(٩٧) .

وإذا مر السلطان في سرحاته للصيد بإقطاع أحد الأمراء قدم له الأمير
ما تسمو إليه همة من الأوز والدجاج وقصب السكر والشعير ، فيقبله السلطان
ثم ينم عليه بخلعة كاملة ، وربما أمر له بشيء من المال^(٩٨) ، فتلا خرج
السلطان شعبان في سنة ٨٧٧٢ - ١٣٧٠ م ، للصيد ، ولما توجه للوجه القبلي
قدم له أرباب الأحرار تقادم جلية^(٩٩) ، ولما كان برقوق سنة ٨٨٠٠ /
١٣٩٧ م في السرحة ، جاء له تفرى بردى نائب حلب بتقدمة تضمنت :
١٣٠ فرساً ، ٧٠ جملاً ، ١٠٠ حمل قماش^(١٠٠) ، وحين توجه قايتباي إلى
القيوم في سنة ٨٨٧٥ - ١٤٧٠ م ، زينت له ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف
ومشايع العربان^(١٠١) ، وقصد إلى الشام سنة ٨٨٨٠ / ١٤٧٥ م وفي طريقه مر
بمدينة القرين (بالشرقية) حيث أمر ببناء مسجد وسبيل قدمت إليه التتادم
من الأعيان^(١٠٢) ، وفي رحلته التي بدأت في سنة ٨٨٨٢ - ١٤٧٧ م بالشام
مر بصفد حيث أحضر له نالها الأمير بردك الميرة وما يتعين عليه ، ونزل
في عودته في غنيم أربك وأكل سهاطه^(١٠٣) .

كذلك في مناسبات تختان أبناء السلاطين ، جرت العادة أن يحضر الأمراء
والخواص بتقادهم وهدايا للسلطان ، فثلا حين احتفل قايقباي بختان ابنه محمد
في سنة ٨٩٥هـ - ١٤٨٩م وكان عمره ٧ سنوات وأشهر ، يقال إنه دخل على
السلطان بتقاد من مال وخيول وسكر وقماش وأغنام وأبقار ما يزيد على
٥٠ ألف دينار ، ومن جملة الهدايا ما أهداه الشهابي أحمد بن العيني ، وهو
طشت وإبريق ذهب زنته ٦٠٠ مثقال ، برسم الختان^(١٠٤) .

هذه هي أهم الالتزامات المقروضة على المقطعين ، أما الحقوق التي
يتمتعون بها نظير تأديتهم لتلك الالتزامات فهذا ما هو أدنى ومنها ما هو سادى ،
ويشمل الجانب الأدبي فيها : الألقاب التي يدعى بها المقطع والتعوت التي تخلع
عليه ، وتنسب إلى الجهاد الديني لاشتغال الحماس الديني وقتئذ كسيف الدين
وعز الدين وعلاء الدين وحسام الدين وبهاء الدين وعلى الدين وناصر الدين
وركن الدين وهكذا^(١٠٥) ، ويرجح أن العلة في غلبة هذه الألقاب على
أمراء ذلك العصر ، أن هذه الألقاب تنسب إلى الجهاد الديني الذي ساد
في تلك الفترة ، وأهمية هذا الجهاد ضد الصليبيين بصفة خاصة ، وبدل على
أهمية الجهاد كتابة مباشرة إقطاعية كنهاج صالحة لمن لقبه سيف الدين ،
أو صلاح الدين .

كذلك يتمتع الأمير بصيغ خاصة وأسلوب معين في المكاتبات تعظيماً
واحتراماً ، وتتدرج هذه الصيغ بحسب مراتبهم ، وأرفع الأساليب ما افتتحت
المكاتبة الأمير بالقب و المقر و يضاف إليه أحياناً الأشرف ، أو الشريف ، العال
أو الكريم ، فيقال : المقر الأشرف ، المقر الشريف العالى ، المقر الكريم
العالى ، المقر العالى .

ويختص هذا القب بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن
في مستواهم كناظر الخصاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب التمت ،
أى أنه يمنح لرجال السيف ورجال القلم ، بل قد يكتب هذا القب في عهد
السلاطين عند توليتهم كما جاء في العهد المكتتب بالسلطنة للمنصور قلاوون^(١٠٦)

ومن كبار الأمراء الذين كوتبوا بهذا اللقب : تنكر نائب الشام في عهد الناصر محمد ، فقد جاء في تقليده بالتضيض في أمور الشام سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٠٨ م ، أن أمر السلطان جميع نواب الشام أن يكاتبوا تنكر بهذه الصيغة « أعز الله أنصار المقر الشريف » ، وذلك بعد أن كانت المكاتبه سابقاً « أعز الله أنصار الحناب » (١٠٧) ، وبلى رتبة « المقر » رتبة « الحناب » ويكتب لأرباب السيوف والأقلام ويقال فيه « الحناب الشريف العالى أو الحناب الكرم العالى أو الحناب العالى » (١٠٨) .

وقد ورد هذا اللقب في منشور تلاوون بإقطاع ابنه الناصر محمد :

« . . . اقتضى حسن البر الوصول . . . أن خرج الأمر العالى . . . أن يجرى في ديوان الحناب العالى المولوى الناصرى . . . » (١٠٩) ، ثم رتبة « المجلس » والمعروف أن هذا اللقب كان مقصوراً في عصر الأيوبيين على الملوك ومن في مستواهم ، ولكنه صار أدنى الرتب في عصر المماليك ويقال فيه « المجلس العالى أو المجلس السامى » (١١٠) ، وورد هذا اللقب في مناشير أمراء الغرب التتوخيين التي صدرت إليهم بعد روك الشام في سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م مثل « المجلس السامى الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين أمير الغرب » (١١١) ثم « مجلس » وهي أدنى الرتب من غير تعريف ، ويلقب بها كثير من القنات الحربية وغير الحربية (١١٢) مثل « مجلس الأمير عز الدين حسين بن مشرف الدين على » ، « مجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح » (١١٣) .

ومن علامات التشريف الرمزية لكل صاحب إمرة : البوق والعلم ، سواء في ذلك أكان الأمير من العربان أم من غيرهم من رجال الجيش (١١٤) وقد يرى ولى الأمر المبالغة في تكريم أحد أتباعه ، فيمنحه على سبيل الاستثناء شارة تشبه شارة السلطنة نفسها وهذه هي « السنجق والعصائب » التي تحمل على رأس السلطان في المواكب ويختص بها السلاطين ولا يسوغ لأحد غير السلطان حملها ولكن الناصر « تصدق » بها على أبي القداء نائب حماة في سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٧ م (١١٥) .

كذلك لكل أمير عدد معين من الطبول يثق على يابه ، ويختلف هذا العدد بحسب مرتبة الأمير ، ولما كان السلطان رأس المدرج في النظام الإقطاعي المملوكي ، كان عدد الطبول التي تثق على يابه أكثرها ، ويقدر هذا العدد بأربعين حملا طبلخاتاه وأربعة طبول دهول (١١٦) وأربعة زمور وعشرين نقيراً (١١٧) ويلى السلطان الأمراء مقدمو الألوفا ، وهؤلاء من حقهم أن يثق على باب الواحد منهم ٨ أمحال طبلخاتاه ، طبلان دهل ، زمران ، أربعة أنقرة ، على أنه قد لا يتوفر هذا العدد بكامله فيقل إلى ما دونه، مثال الأمير سيف الدين بهادر المنصورى المتوفى في سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩م ، وهو أحد الألوفا بدمشق أيام الناصر ، كان يثق على يابه ثلاثة طبلخاتاه (١١٨) ، وإذا كان مقدم الألف أتابكا للعسكر ضوعف العدد الأصلي (١١٩) .

أما أمراء الطبلخاتاه فيثق على باب أحدهم ثلاثة أمحال طبلخاتاه وتفسيران وقد قل هذا العدد الأخير فصار طبلين وزمرين (١٢٠) ، ويلاحظ أن هذه عادة في دق الطبول على أبواب الأمراء قد بطلت منذ دخول سليم الأول مصر (١٢١) .

ومن حق الأمراء أن يتولوا وظائف معينة بحسب مراتبهم في الإمرة ، علماً بأن هناك من الوظائف ما لا يشترط في شاغلها إمرة معينة بل يلبها صاحب إمرة أو من هو بغير إمرة على السواء (١٢٢) ، كما أن هناك من الوظائف ما هو لغير أصحاب الإمرة، منها : عشرون حاجباً وأمير طبر (١٢٣) وأمير علم وكاشف الطير .

ومن الحقوق المادية التي بناها المقطع غير التمتع بفضة إقطاعه ما عرف باسم « الإطلاقات » ، وهي التي يحوزها من ولى الأمر ، وهناك المنح والمخصصات التي تعطى له بحكم العرف والعادة في المناسبات المختلفة ، وتشمل هذه المنح : الخلع والملابس والحيول والعقارات ، فضلاً عن المال والطعام ، ومن السلاطين من احتجز لنفسه ضمن خاصة من الإقطاعات « قيراطاً » زيادة عن نصيبه ، هذه الإطلاقات ونحوها ، وجرت العادة بأن يكون منح

الخلع تارة في ابتداء سلطنة ولي الأمر ، وفي هذه الحالة تشمل سائر الخند وأرباب القلم ، وتارة في المناسبات الطارئة كالثبته برأس السنة الهجرية ، وفي الأعياد وشهر رمضان وفي الحفلات المختلفة وعند اللب والصيد وعند دوران المحمل .

فمن حيث الخلع^(١٢٤) نجد خلع أرباب السيوف من أكابر فئتين ، وتتكون من الأطلس الأحمر الرومي وتحت الأطلس الأصفر الرومي وعلى الفوقاني طرز زركش ذهب وتحت سنجاب وله صيف من ظاهره وكلوته زركش ذهب وكلايب ذهب وشاش لانسى رفيع موصول به في طرفه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان مع تقوش باهرة من الحرير الملون أو حوائص ذهب تختلف بحسب رتب الأمراء^(١٢٥) . فحوائص كبار الأمراء قيمتها ٣٠٠٠ دينار ، وحوائص الطبلخاناه ٣٠٠ دينار ولتقدمى الحلقة حوائص ما بين ١٥٠-١٧٠ ديناراً ، أما حوائص الخند فقيمها ٤٠٠ درهم^(١٢٦) .

فتلا عرض السلطان فرج في سنة ٨٨٠٤ (١٤٠١ م) المماليك السلطانية ثم فرق عليهم خيولاً ولبوساً^(١٢٧) ، ووزع السلطان جفقى في سنة ٨٨٥٧ - ١٤٥٣ م خلعاً على مشايخ العربان باستمرارهم على ما كانوا عليه ، منهم عيسى ابن عمر الهوارى أمير عربان الوجه القبلى^(١٢٨) ، وأرسل قايتباى في سنة ٨٨٧٦-١٤٧١ م لتواب الشام كوامل للشاه وعدة خلع للأمير يشبك الدوادار برسم من يرد عليه من التركمان كما أرسل نحو ٤٠ ألف دينار برسم توسعة على العسكر^(١٢٩) . ويختص أمراء الشام بصفة خاصة بأكثر من قباه واحد للشاه إلا من توجه إلى السلطان في أمر ما ، فإنه يتم عليه بما يقتضيه الحال^(١٣٠) .

أما الطعام فهو مقرر لجميع الأمراء بحكم العادة على اختلاف مراتبهم : الرواتب البخارية في كل يوم من اللحم وتوابله ، والخبز والشعير لعليق الخيل^(١٣١) والزيت ، ولبعضهم الشمع والسكر وكذلك لجميع مماليك السلطان وذوى الوظائف من الخند^(١٣٢) ، وتقدر الطيور المطبوخة والى توزع على الأمراء

كل يوم بنحو ٧٠٠ طائر ، وتقدم في أوان خاصة تسمى « نحافى » وهو طبق واسع كبير العمق يشبه ما كان يعرف في العصور الوسطى باسم « طيفور » Plat-Creux . ويلاحظ أن المشرف على هذه الإنعامات من المواد الغذائية ديوان يعرف باسم « ديوان الدولة » (١٣٣) كما يختص مباشر الأهرام (مخازن الحبوب) ضمن أعماله ، بضبط ما يصرف لصاحب جرابة أو صللة أو إنعام (١٣٤) .

ويوضح الجدولان الآتيان (ا-ب) رتبة الإمرة والوظيفة التي تؤهل لها هذه الإمرة واختصاصه وظائف .

جدول (١)

الوظائف التي تؤهل لها رتب الإمارات العسكرية

الوظائف التي يتأهل لها صاحبها	رتبة الإمرة	الرقم
<p>أمير كبير - أمير سلاح - أمير مجلس - أمير دوادار كبير - أمير آخور كبير - أمير رأس نوبة النواب - أمير حاجب الحجاب - أمير خازن دار كبير - أمير الحاج الشريف (١٢٥) . ومن أمثلة أصحاب هذه الوظائف في عهد قايتباي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) :</p> <p>الأمير أزيك بن ططخ أمير كبير ، الأمير تمتاز الشمسي أمير سلاح ، أقردي بن علي باي أمير دوادار كبير ، قانصوه بن طراباي المعروف بخمسائة أمير آخور كبير . تغري بردي ططر حاجب الحجاب . إمرة مجلس شاغرة لنقل صاحبها أزدمر قروب السلطان إلى نيابة حلب ، ويلاحظ أن أزدمر كان في إمرة المجلس من غير إقطاع ولكن براتب قدره ١٥٠٠ دينار في الشهر مرتبة على الذخيرة ، وكان بها قبل أزدمر لاجين الظاهري الذي استعفى منها قرا الحمدي الظاهري رأس نوبة النواب (١٢٦) :</p> <p>والملاحظ كذلك أن هناك من مقدي الألوفا</p>	مقدمو الألوفا	١

تابع جدول (١) الوظائف التي تؤهل لها رتب الإمارات العسكرية

الوظائف التي يتأهل لها صاحبها	رتبة الإمرة	الرقم
<p>من هم من غير وظائف مثل أربك اليوسفي المعروف بالغازندار وتأتي بك الجمالي وتأتي بك الإبنالي وأزدمر تمساح وبشيك الجمالي شاد الشرائجناه - خازندار الثاني - الدوادار الثاني - أمير آخور الثاني رأس نوبة الثاني - الحاجب الثاني - نائب القلعة المنصورة - الزردكاش - أمير شكار وأمير جاندار (١٣٧).</p> <p>ومن أمثلة أصحاب هذه الوظائف في عهد يرقوق الأمير جمال الدين المعروف بابن الحاجب كان أمير شكار في سنة ٦٨٧ هـ ١٣٦٦ م (١٣٨).</p>	أمراء العليخاناه	٢
<p>الدوادار الثالث وأمير آخور الثالث ورأس نوبة الثالث والحاجب الثالث - استادار الصحة وسبعة حجاب وعشرة رعوس نوب (١٣٩) ، وقد ينتقل أمير عشرة ورأس نوبة إلى ولاية القاهرة التي يصح أن يشغلها من هو بإمرة ومن هو بغير إمرة مثل الأمير جانع بك الشبكي أمير عشرة ورأس نوبة ولاية جقمق في سنة ٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م ولاية القاهرة (١٤٠) . كما قد يتولى أمير عشرة نظر مكة . مثل الأمير سودون عبد الله وهو نائب قلعة دمشق . خلع عليه جقمق بإمرة عشرة وولاه نظر مكة (١٤١) .</p>	العشرينات والعشرات	٣

جدول (ب)

اختصاص أصحاب هذه الوظائف

اسم الوظيفة	اختصاصها
أمير كبير	هو أتابك العساكر وأول من لقب به في عصر المماليك الأمير شيخو في عهد السلطان حسن .
أمير مجلس	من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب ويرى القلقشندى أن الأفضل أن يقال أمير المجلس .
أمير دودار	الدودار ماسك الدواة وأول من أحدثها السلاجقة كان يليها أمير عشرة أيام بيبرس ثم صار يعينه فيها من الطبليخاناه والألوف وهي درجات ، ومهمته تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور .
أمير آخور كبير	كبير المشرفين على إصطبل السلطان أو الأمير ، وآخور كلمة فارسية معناها الملعف .
أمير رأس نوبة	كبير المشرفين على ممالك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، والنوبة هي المرة بعد الأخرى والمقصود بها تنظيم الحراسة .
أمير حاجب	كبير الحاجب وهو من يبلغ أخبار الرعية للسلطان وهي وظيفة قديمة عرفت في عصر الفاطميين باسم « صاحب الباب » وكان في عصر المماليك يقف بين يدي السلطان في المواكب .
أمير خازندار	كبير المشرفين على الخزانة وتطورت رتبة الحاجب في عصر المماليك حتى صارت من الوظائف الكبرى الهامة .

تابع جدول (ب) اختصاص أصحاب هذه الوظائف

اسم الوظيفة	اختصاصاتها
أمير الحجاج أمير سلاح	يتولى رئاسة بعثة الحج والمعمل . كان يطلق حتى أيام برقوق على من يحمل سلاح السلطان ويتولاه إياه في الحرب وفي عيد النحر ، وهو المتولى أمر الأسلحة السلطانية عامة ؛ المشرف على مزن الأشرية من السكر والحلوى والعقاقير والفواكه ولهذا المزن مهتار وعدة شريداوية وهم القائمون بالعمل فيه .
أمير شكار	المتحدث على جوارح الطير وسائر أمور الصيد ، وشكار كلمة فارسية بمعنى الصيد ، وللطير ديوان يسمى الشكارخانا ، ولها جماعة الخوندارية وهم نخدام طيور ونحوها ويحملونها إلى موضع تعليمها ، وأصله من كلمة « حيوان دار » وأطلق الحيوان في عرفهم على هذا النوع من الطير .
أمير جاتدار	الذي يستأذن للأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل ، وجان كلمة فارسية وتركبة معناها الروح فيكون معناها الأمير المسك للروح وربما المراد أنه المحافظ للسلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبه (١٤١) .
أستادار الصحبة	الأستادار من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويمثل لأوامره ولعل أستادار الصحبة هو الملازم للسلطان في رحلاته ومتول أمر ما ينفقه خلال الرحلة (١٤٢) :

وفي شهر رمضان ، لكل أمير من خواص السلطان مرتب من السكر والخلوى ولسائرهم الأضحية في عيد الأضحى (١٤٣) ، وإذا رزق أحد الأمراء بولد ، جرت العادة بأن يطلق له السلطان دناتير وشجراً ولحمياً وعليقاً ، حتى يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة (١٤٤).

ومن حيث العقارات ، نجد أنها مقصورة على الخواص دون العموم ، ومن هذه العقارات ما أنفق عليه نحو المائة ألف دينار ، وكثرت هذه المنح بصفة خاصة في عهد الناصر محمد ، فحدث مثلاً ، أن أمر الناصر في سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م ببناء قصرين للإصطبلين قريباً من الريانة تحت القنطرة ، وأقام الأمير أيضاً عبدالواحد أستاذاراً أو مشرفاً لعمارة القصرين والإصطبلين ، ثم أهداهما لمملوكيه : يلغا الحيواوى والطبغا الماردبني (١٤٥) .

وفي المنحلات المختلفة التي يقيمها ولي الأمر كحفلات الختان لأبنائه ، يوزع على الأمراء هدايا ، قد تكون مالية ، ففي ختان السلطان خليل لأخيه الناصر محمد سنة ٦٩٢هـ - ١٢٩٢م ، عمل مهماً عظيماً ومنح الأمراء مقادير من المال كلا بحسب مرتبته ، فأخذ أمير المائة مائة دينار ذهب ، وأمير الخمسين خمسين والأربعين أربعين ، وكل واحد على مقداره (١٤٦) .

أما منح الخيول وهي من أهم المنح في دولة حرية إقطاعية ، فقد جرت عادة ولاية الأمر في عصر المماليك بمنحها في السنة مرتين : إحداهما عند خروج السلطان إلى مرابط خيوله في أواخر ربيعها ، في هذه المناسبة قد تصل المنحة إلى مائة فرس في كل سنة فينعم على أمراء المئين ، بخيول مسرجة وملجمة وعلى من عداهم بخيول عرى ، كأمراء الطبلخاناه ، أما العشرات فليس لهم حظ إلا ما يتقدم على سبيل الإنعام ، ومن مات له فرس من ممالিকে أعطاه عوضه وذلك بعد إحضار جزء من لحمه وشهادة بأنه نفق (١٤٧) ولهذا التعويض نظير في مملكة بيت المقدس الصليبية عرف باسم Restor منحه الملوك لأتباعهم حتى لا تفتر عزائمهم وهو من المظاهر الهامة في نظام الخدمة الحربية الصليبية (١٤٨) .

والمرة الأخرى عند خروجه للصيد أو عند لعبه الكرة في الميدان ، فقد

يوزع السلطان على بعض الأمراء المقدمين، فضلاً عن الخيول ، حوائص من ذهب ، لكن توزيع هذه الحوائص يرتب على أساس أميرين في كل موكب ميدان ، حتى يأتي على آخرهم في ثلاث أو أربع سنين (١٤٩) .

كذلك لخيول الأمراء في كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الجبزية لزراع القرط ، وهو البرسيم ، لخيولهم من غير خراج ، كما أنه للمعاليك السلطانية البرسيم المزروع على قلد مراتبهم ، أو ما يدفع لهم من القرط بدلا من علق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضاً عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر (١٥٠) ، وتنظم هذه الإطلاقات من العليق في قوائم تعرف باسم : سياقة العلوفاة (١٥١) .

أما نفقة البيعة ، ويعتبرها الأمراء حقاً لهم بحكم العادة ، فقد جرت عادة السلاطين عند ولايتهم للسلطنة أن ينفقوا أموالاً في سائر العسكر والأمراء حتى إذا حاول أحدهم الخروج على هذا التقليد رفض الجند وثاروا في وجهه .

فتلما تسلطن برفوق في سنة ٨٧٨٤ - ١٣٨٣ م ، أنفق على الأمراء والجند نفقة السلطنة فاستقامت أموره (١٥٢) ، وكذلك فعل السلطان إينال في سنة ٨٥٧ - ١٤٥٣ م ، حيث ابتداء بنفقة نفقة البيعة على الجند وميز :

بعضهم على بعض بحيث تفاوتت المقادير الممنوحة لهم بين ١٠٠ و ٥٠ و ٢٥ ديناراً إلى عشرة دنانير ، ولذلك يعتبر أول من شح في نفقة البيعة على حد تعبير ابن إياس (١٥٣) ، كذلك لما تسلطن ابنه أحمد في سنة ٨٦٥ - ١٤٦٠ م نادى في الحوش للعسكر بأن نفقة البيعة يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الأولى ، لكل مملوك ٢٠ ديناراً ، فسر الجند بذلك ، ولكل أمير من الكبار : الأتابكي خشقدم ٤٠٠٠ ديناراً وأرباب الوظائف الأمراء والمقدمين لكل واحد منهم ٢٥٠٠ ديناراً وبقية المقدمين كل واحد ٢٠٠٠ ديناراً ولكل أمير طبلخاناه ٥٠٠ ديناراً وللعشرات كل واحد ٢٠٠ دينار ، ثم أنفق على الجند على العادة القديمة من ١٠٠ إلى ما دونها حتى ١٠ دنانير (١٥٤) .

ولما حاول قايتباي إلغاء نفقة البيعة ، رفض الجند ، إذ أنه اشترط عند

ولايته السلطنة في سنة ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م ألايتفق على العسكر نفقة البيعة فرفضوا لأنه شرط غريب لم يألفوه سابقاً ، وأسر قايتباي ، واعتقل الكثير من المنعمرين . وأنفق محمد بن قايتباي نفقة البيعة على جنده في السنة التالية لسلطته وهي سنة ٨٩٠٢هـ - ١٤٩٦م (١٥٥) وهكذا .

وهناك نفقة أخرى تعرف باسم « نفقة التجريدة » ربما أشبهت ما يعرف في عصرنا الحاضر باسم « بدل ميدان أو مرتب ميدان » ، وهذه ينفقها السلطان على « المخردين في المهمات الحربية » ، زيادة عما بأيديهم من إقطاعات وعرف شبيهاً كذلك في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وتمنح مقدماً ، كما هو الشأن عند المالك .

ومن الأمثلة على ذلك ماأنفقه الناصر محمد سنة ٨٦٩٩هـ - ١٢٩٩م في جنده قبيل خروجه لحرب التتر إذ جعل أجناد الحلقة ثلاث طبقات ، نصيب الفرد من الطبقة الأولى ٨٠ ديناراً ومن الطبقة الثانية ٧٥ ديناراً ومن الأخيرة ٦٥ ديناراً ، ووزع على أجناد الشام لكل جندي ١٥ لودباً من كل من القمح والشعير والبقول ، وعلى أجناد الأمراء لكل واحد ٥٠ ديناراً ، وظلت هذه قاعدته التي سار عليها عند خروجه في كل تجريدة (١٥٦) . ولما غضب على نائبه تنكر سنة ٨٧٤٠هـ - ١٣٣٩م وأعد حملة لمحاربه ، أنفق على كل مقدم ألف دينار وعلى أمير الطبلخاناه ٤٠٠ دينار ومقدم الحلقة ألف درهم ، وكل مملوك من المالك السلطانية ٥٠٠ درهم وفرساً وفرقلاً وخوذة (١٥٧) .

وامتنع جند برقوق عن استلام نفقة التجريدة حين استعد لحرب تيمورلنك سنة ٨٧٩٦هـ - ١٣٩٣م لتقلها ، فقد أعطاهم دون المائة دينار ، واضطر هو لتوزيعها بنفسه عليهم ، فأخذوها كارهين (١٥٨) ، وبلغت نفقة قايتباي على حملته ضد العثمانيين في سنة ٨٨٩٥هـ = ١٤٨٩م نحو ٥٠٠ ألف دينار (١٥٩) ويقال إن نفقات الدولة بلغت في عهده مما صرفه على التجريدات الحربية وثمن المالك والخيول والسلاح نحو ٣٧٧٠٠٠٠ دينار خارجاً

عما أنفقه بيده وعما تصرفه دواوينه يوماً وشهرياً من ثمن اللحم والدقيق والحوامك (١٦٠) .

ومن الحقوق السلية إعفاء بعض الأمراء من بعض الالتزامات كالتقدمة سواء فيها السنوية العادية أم الطارئة لسبب ما ، كجذب الأرض وقلة المحصول أو مجرد عفو السلطان والتخفيف عن تابعه أو مكافأة له على عمل أجاده ، فمثلاً حين أجدبت أرض الشام في سنة ٨٧٢٢م — ١٣٢٢م وانحبس المطر ، رسم الناصر لأبي القداء ألا يرسل قوده على العادة ، عطفاً عليه ، ومع ذلك أرسل أبو القداء عدة خيول ، فرد عليه السلطان بتشريف ومقدار من المال ومقدار من الحنطة يقدر بألف مكوك (١٦١) ، ولما قبض الأمير أرغون النائب بحلب ، على صاحب دلفاندر الثائر على السلطان ، أرسل له السلطان صالح ليحمله إلى مصر وأنعم عليه بمئتمائة ألف درهم ، كما أعفاه من تسير القود التي جرت عليه عادة نواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال والبخاني والمجن والبالغ والتماش والحواري والممالك وقيمة ذلك ٥٠٠ر٠٠٠ درهم (١٦٢) ، وبدلنا هذا الثمين الأخير للقود الخاص بحلب أن تقدم كانت محددة بقدر معلوم من المال بحسب مرتبة الأمير ونيايته ، وأن هذا القدر هو الحد الأدنى لما ينبغي على الأمير تقديمه ، كذلك وقع الإعفاء من تقدم وهذايا المناسبات كما فعل بيبرس في سنة ٨٦٦٢م — ١٢٦٣م بمناسبة ختان ابنه السعيد ، فقد أمر بمنح التقدمة التي كان يقدمها الأمراء والخواص التي جرت العادة بها للملوك في مثل هذا المهم . فلم يقدم أحد منهم شيئاً (١٦٣) .

بل ربما سامح السلطان بعض المقطعين بما عليهم من أموال مثل «المسوح» الذي ناله الأمير بكتاش القحري سنة ٨٧٠٥م — ١٣٠٥م (١٦٤) من السلطان الناصر محمد بعد أن كبرت سنه ونيفت على الثمانين ، فخشى أستاذه وهو المشرف على إقطاعه ، أن يطالبه السلطان بعد موت بكتاش بما عليه من ديون للدولة من «تقاوى سلطانية وتقاوت الإقطاعات» في مدة إمرته ، وأوعز إلى ابن الأمير المقطع بأنه إن لم يسأل السلطات في ذلك ، سوف لا يبقى

لم « موجود » بعد وفاة أبيه ، وانفقاً معاً على أن يتنازل أبوه عن الإقطاع
لعجزه دون أخذ رأيه ، وتم الأمر بموافقة السلطان على ذلك وأعطاه « مسموحاً »
بما عليه من ديون (١٦٥) ، وحدث كذلك في الروك الناصري سنة ٨٨١هـ - ١٣١٥م ،
إذ سامح الناصر « بالبواقي الديوانية والإقطاعية » ، من سائر النواحي إلى آخر
شعبان سنة ٨٧٤هـ - ١٣١٤م ورسم في سنة ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م بمساحة ضيان
دمشق بما عليهم من البواقي للديوان ومبلغه ٢٨٠ ألف درهم ، وهذه هي
« المسامحات » (١٦٦) .

هوامش الفصل السادس

- (١) صبح الأضى ج١٣ ص ٣١٩ .
- (٢) المصدر السابق ص ٣٢٠ .
- (٣) السلوك ج١ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .
- (٤) التعريف ص ١٥٧ - ١٦٠ ، صبح الأضى ج١٣ ص ٣٠٧ .
- (٥) نكتب صيغة القسم في القطع الصغير أوتضع المادة من الورق ، وعرفه مدس ذراع (التعريف ص ٣٠٧ - ٣١٨ ، ٣٢٠ ، صبح الأضى ج١٣ ص ٣١١ ، انظر نسخة إيبين بالملاحق) .
- (٦) انظر أصحاب الوظائف من المقطنين ذبايل .
- (٧) صبح الأضى ج١٣ ص ٣١٠ .
- (٨) التعريف ص ١٥٠ ، صبح الأضى ج١٣ ص ٣١٠ .
- (٩) هناك زيادات كثيرة أخرى لغير هؤلاء (التعريف ص ١٤٨ - ١٥٠ صبح الأضى ج١٣ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ ، انظر الملاحق) .
- (١٠) النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢٨٧ .
- (١١) السلوك ج١ ص ٨٠٢ .
- (١٢) النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣ .
- (١٣) أنباء القصر ج١ ص ٤٦٥ .
- (١٤) لما تولى خاير بك نيابة مصر عن السلطان سليم في سنة ٨٩٢٤ - ١٥١٨ م ، أحضر مصحفا شريفا وحلف الأجراء المماليك بمصر بالآ يتولوا ولا يتدروا ، كما حلف من خدم المماليك من الألبان كالأمير قايدها ، الله ادار . (مفاتيح الزهور ج٣ ص ١٦٠) .
- (١٥) التعريف ص ٨٤ و ٩٢ - ٩٣ ، انظر الملاحق .
- (١٦) المصدر السابق ص ٩٨ - ٩٩ ، انظر الملاحق .
- (١٧) المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠٠ ، انظر الملاحق .
- (١٨) المصدر السابق ص ١٠٩ - ١١٠ ، انظر الملاحق .
- (١٩) المصدر السابق ص ١١١ - ١١٢ ، ملاحق .
- (٢٠) هناك وصايا أخرى للأستادار المشرف على بيوت السلطان ، ولأتابك الجاهدين ، وهو رئيس طائفة الإسماعيلية وغيرها ، وكلها يلمح الطوائف من أصحاب الحرف . (التعريف ص ٩٦ - ٩٨ و ١٢٤ ، انظر الملاحق وفصل المجتمع) .

- (٢١) تاريخ أبي القداء ج ٤ ص ٧٣ .
 (٢٢) التجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٢ - ٣١٣ .
 (٢٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٩٢ ، مصر في عصر دولة المماليك الجزء ١ ص ١٥ - ٢١ .
 (٢٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٦ ٣٣١ .
 (٢٥) المصدر السابق ص ٣٤٦ .
 (٢٦) المصدر السابق ص ٣٨٠ .
 (٢٧) فينو جيراردوف وكوبلايه (ترجمة زيادة) ص ٦٤ - 65 ، Gambhoff, pp. 65 - 69, 111 - 112, Stephenson, pp. /18-22

- (٢٨) Dunillin, p. 62
 (٢٩) كوبلاند ونينو جيراردوف - ترجمة زيادة - ص ٦٤ - ٦٥ .
 (٣٠) غلط ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤ ، دولة آل سلجوق ص ٥٥ ، راجع الفصل الأول .
 (٣١) التصريف ص ٨٥ .
 (٣٢) حدد الإقطاع الغربي من الوجهة النظرية على الأقل منذ ٤٠ يوماً الخدمة الحربية الواجبة على الأتباع، لكن هذه الخدمة كانت الحد الأدنى ، ووجد كثير من الشواذ ، كما اختلفت المدة في كثير من جهات أوروبا الإقطاعية، فمثلا كانت الخدمة في مقاطعات ألبو ونورمانديا بفرنسا لمدة أربعين يوماً على حساب المتابع وما زاد عن ذلك على حساب السيد ، واستندت الخدمة الحربية في صقلية النورمانية الإقطاعية إلى سنة ، وفي بعض الولايات الألمانية قدرت بستة أسابيع يستطيع التابع بعدها أن يعود إلى عمل إقنته ليستريح مدة أربعين يوماً ، وفي البعض الآخر لم تعدد بوقت معلوم ، كما هو الشأن في إقطاع أسقف لياج « Lياج » وكذلك كان الشأن في إنجلترا الإقطاعية النورمانية . (La Monte, pp. 141 - 143, Gambhoff pp. 78 - 79)
 Stenton, pp. 12 - 13 , Ba rker, p 48, Stephenson, pp, 236 - 238.

- (٣٣) دولة الأسلاك ج ١ ورقة ٢٥ .
 (٣٤) السلوك ج ١ ص ٨٣٧ - ٨٣٩ وحاشية ٢ .
 (٣٥) الجوهرة الثمين ج ٢ ورقة ١٨٥ ، زخمة الأنام ورقة ١١ .
 (٣٦) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٦٢٤ .
 (٣٧) تاريخ ابن الفرات ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٤ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
 (٣٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٢٩ و ٣٣١ .
 (٣٩) من أمثلة التبشير المقرر على العربان في العصر الأيوبي، ما كان مقرراً على عربان القيوم وقدره ٤٠٠ فارس ، النصف على عرب بني عجلان والنصف الآخر على عرب بني ممالوس ، ومفردات هذا العدد مفصلة بالنسبة لقبائل المنصوية تحت لواء الطائفتين الكبيرتين (تاريخ القيوم ص ١٧٧ - ١٧٨) .

- (٤٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٨ + ١٢٤ + ٣ ص ١٥ و ٩٠ .
- (٤١) انظر فصل المبتع .
- (٤٢) السلوك ١ ص ٥٢٨ .
- (٤٣) السلوك ٢ ص ١٩١ - ١٩٢ .
- (٤٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٠ .
- (٤٥) عمل السلطان قايتباي في سنة ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م ، على إعادة ما أخذه من المال حرقاً عن الأبدال ، ونودي من قبله بأن من دفع مالا فليصده إلى القلعة ليأخذه . ولكنه رد إليهم نصف ما أخذه منهم ، وهناك أمثلة كثيرة عن الأبدال والموغس الملقى . (بدائع الزهور ج ١ ص ٣٣١ و ج ٢ ص ٩٣ ، ١١٦ ، ٢٣٠ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٧٢) .
- (٤٦) الأمثلة كثيرة على الاعتبار وقطع الجماسية و كسر الخاطر ، ، لقاشلين وكزولم من القلعة ، وهم في غاية الفكر ، على قول ابن أبيس (بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٨) .
- (٤٧) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٥٨ ج ٢ ص ٨٥ .
- (٤٨) Gambhoff, pp. 82-83
- (٤٩) La Monte, p. 266
- (٥٠) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٥١) عيون التواريخ ص ٢٢٠ .
- (٥٢) السلوك ج ٢ ص ١٩٤ .
- (٥٣) أخبار الأعيان ص ٣٤٦ .
- (٥٤) أخبار الأعيان ص ٢٣٧ - ٢٤٣ و ٣٤٦ .
- (٥٥) السلوك ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١ وحاشية - ٥ .
- (٥٦) الساروك ج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .
- (٥٧) تاريخ بيروت ص ٤٣ ، ٧٩ - ٨٠ ، ٩٠ وما بعدها ، أخبار الأعيان ص ٢٢٣ - ٢٢٨ .
- (٥٨) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- (٥٩) يقوم بخدمة البريد داخل مصر شيوك العرب وغيوك السلطان على ألا تنهى شيوك السلطان مدينة بلبيس .
- (٦٠) التصريف ص ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ .
- (٦١) السلوك ج ١ ص ٤٨١ .

(٦٢) كان عيسى هذا أحد عظام الناصر محمد وهو بالكرك ، قلما عاد إلى السلطة سلمه الحجين ، وربما جاءت تسميته بالهجان نسبة إلى هذا العمل الفيوكل إليه به ، فطست مرتبه وكثرت أمواله ، وقبض عليه الناصر حسن سنة ٥٧٥٤ - ١٣٥٣ م (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٥٧) .

(٦٣) يقسم القلقشندي الأموال الفيوانية إلى قسمين كبيرين : أموال شرعية وتشملخراج الأراضي والمعادن والزكاة والجوالم والموارث الحشرية ، وغير شرعية وتشمل المكوس ، سواء ما كان تابعا منها للسلطان أو مفرقا في الإقطاعات ، وإذا جبيت الأموال مساهمة ، عرفت بالخراسي أو المال الخراسي ، وإذا جبيت مشاعرة عرفت بالخلال ، مثل أجرة الأملاك المسقفة من « الأدر . والحوائث والأفران وأرضية الطواحين » ، ومن الخلال جهات عرفت بالمعاملات مثل : الزكاة والموارث الحشرية والتبجر ، الثب ودار الصرب ودار القبار ومقرر إيجور ومقرر البرية ، وغيرها من جهات المكوس .

ومن الخراسي ما يتخذ هدية من الفلاحين من طرف الريف ، وهناك مال بين الخراسي والخلال وهو « الجوال » فهو تورود بعد الخلال والخراسي ، وذلك مساهمة ، وكانوا يرون وجودها مشاعرة ، وقائلة ذلك فيمن أسلم أو مات في أثناء الحول ، فإنهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته ، كذلك عند انتقال الإقطاع من شخص إلى آخر فإن الجزية تجرى بحري لثال الخلال لأنها تستخرج على حكم الثبور الخلالية . (صبح الأعيى ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٧١ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٨ ، ٢٧١ ، عشط ج ١ ص ١٦٧ و ١٧٢ ، ١٧٣ ، زينة كشتف المالك ص ٩٧ ، ٩٨) .

(٦٤) صبح الأعيى ج ٣ ص ٤٥٨ .

(٦٥) صبح الأعيى ج ٣ ص ٤٥٤ انظر الفصل السادس .

(٦٦) يذكر ابن عمالي أن قاعدة البدل في عهد الأيوبيين : أردب من القمح يستبدل به إردب ونصف إردب من الشعير أو من الحنص أو من الجلبان وهكذا (قوانين القواوين ٢٥٩) .

(٦٧) « العمل » هو نوح من القوائم يملكه الكتاب في الدواوين ويشمل هذا العمل مسحصل الخلال والقناوي بالناحية الخلالية لمثل سنة كذا أو كذا الخلالية (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ و ٢٧٨ ، انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٦٨) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٢٧٨ .

(٦٩) انظر فصل الجبصع .

(٧٠) الكلى : ٤٠ ذراعا مربعا .

(٧١) عيون التاريخ ص ٢٠٤ .

(٧٢) فرض في هذه المناسبة على أملاك القاهرة وضواحيها أجرة شهر واحد وعلى الرزق على كل خان عشرة دراهم ، وعن كل خان من البساتين مائة درهم . (بدائع الزهور ج ١ ص ٢٣٠) .

- (٧٣) أنه القمر ١٦ ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، الأعلام بتاريخ أهل الإسلام ج٢ ورقة ١٨٠ ، ١٨١ ، بدائع الزهور ج١ ص ٣٣٠ .
- (٧٤) كان لثوب بلية هذا الجنس ، الأمير شرف الدين بن البدرى حسن ، فتعد للمالك الجلبان بالقتل ونهبوا بيته فباعه (بدائع الزهور ج٢ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣) .
- (٧٥) كزبلاندوفينو جيرادون (ترجمة زيادة ج٢ ص ٩٠ - ٩١) Stephenson p. 238
- (٧٦) تشبه هذه القصيدة ما عرف الأتيلو سكسون باسم Demegrid نسبة إلى عشر القاتنين وقد أبقاها وليام الفاتح على ترده على إنجلترا .
- (Brethier p. 64 ; Stephenson p. 261) .
- (٧٧) النجوم الزاهرة ج٢ ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ .
- (٧٨) النجوم الزاهرة ج٢ ص ١١٩ ، ١٢٠ .
- (٧٩) نهاية الأرب ج٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، التعريف ص ٩٩ ، ١٠٠ .
- (٨٠) يلاحظ : أن على الأمير التزاما بحكم العادة وهو مقرر الطيور ، غير ما قد يكون ضمن تقديسه من طيور إذ كان لكل أمير من كبارهم حوش قصيد به عدة شباك وصيادون طول الشبكة ١٢ ذراعا يخبئها ١٦ نفرا ، ويتولى صيوان الأمير حل ما على الأمير من الطيور السلطان (الزبدة ص ١٢٨) .
- (٨١) أبو الفداء ج٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .
- (٨٢) السلوك ج٢ ص ٢٣٧ ، ٢٤٦ .
- (٨٣) سلاطين للمالك ص ١٨٦ ، ١٨٩ .
- (٨٤) إجمال البطلان : البعث الأصيل الحرسانية (القاموس المحيط) .
- (٨٥) جمال عرب مفردا (عربي) كرح سالم من الحجة (أقرب الموارد) .
- (٨٦) السلوك مخطوط ج٢ ص ٣١٤ .
- (٨٧) السلوك مخطوط ج٢ ص ٣٦١ .
- (٨٨) السلوك مخطوط ج٢ ص ٤٣٧ .
- (٨٩) سمور : سمور ذابة أو حيوان يرى يشبه السمور ينزل من جلدها فراء مشتم وربما أطلق السمور على جلده ويجمع سماير . (القاموس المحيط) .
- (٩٠) الهدنة تمير من غير أكام تلبسه النساء ، والبدن الفروع القصيرة (أقرب الموارد) .
- (٩١) الشق : النصف ، وشق كل شيء جانبته والشقق الحرير بقع ملونة من الحرير ، وهو ما تشقق من الحرير وقطع الأبيسة (راجع النجوم الزاهرة ج٢ ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٧٧ القاموس المحيط ، أقرب الموارد) .
- (٩٢) حوادث الدهور ورقة ٣٦ ، ٣٧ .
- (٩٣) كانت حله هي الحجة الثانية للناصر ، وقد أهدى فيها سائر الكوس التي كانت

مفروضة على الحجاج ، وعرس أميرى مكة والمدينة بإتعامات بمصر والشام . (التنجيم الزاهرة
ج ٥٨ ص ٥٩ ، السلوك ج ٢ ص ١٩٥ ، ١٩٦) .

(٩٤) الأندلس جمع عدل وهو نصف الحمل (أثر الموارد) .

(٩٥) التنجيم الزاهرة ج ١٠ ص ١٣٢ .

(٩٦) ركبت عونك فاطمة في حفلة زركش وسها ٥٠ جلا عملة بالحرير القمل الملون
وخرج معها أرباب الثولة والوظائف وسبق المالك وأحيان الخدم وبأيديهم العصى ، وذلك في
سفرها إلى الحجاز (بدائع الزهور ج ٢ ص ١٥٦ ، ١٩٣) .

(٩٧) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٩٨) صبح الأمل ج ٤ ص ٦٣ .

(٩٩) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٢٠٤ .

(١٠٠) أنبه القمر ج ١ ص ٤٣١ .

(١٠١) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٠٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦١ .

(١٠٣) أسئلة الصيافات والولائم التي تقام لسلطان كثيرة ، منها ودية الفخر الأتابكي
قائم لسلطان عشققدم في سنة ٨٨٧٠ - ١١٦٤م ، فزول السلطان مع عسكره ومد لم الأمير مماطلا
عظيما كان مصروفه ألف دينار ، وجاه أرباب الملاييم من المشعوذين ، ووليمة محمد بن برقع من
هربان القيوم لسلطان قايتباي في سنة ٨٨٧٦ - ١٤٧١م ، فدت الأسلحة ويات السلطان عنده ،
ولما وصل قايتباي إلى العباية أسلفه شخص يسمى بيبرس بن شبان ، من شيوخ العرب ، ولما سافر
إلى نوى في سنة ٨٨٧٨ - ١٤٧٣م) أسلفه ابن عقيس وهكذا .

بدائع الزهور ج ٢ ص ٧٩ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، القول المستطرف ص ٤٢ ، ٥٠ .

(١٠٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١٠٥) ورث المالك هذه الألقاب عن أساتلتهم الأيوبيين ، وهؤلاء ودلواها عن أساتلتهم
من آل زنكي كصلاح الدين يوسف ، وسيف الدين أبو بكر والصالح نجم الدين وهكذا (صبح
الأمل ج ٤ ص ٤٨٨) .

(١٠٦) صبح الأمل ج ٥ ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

(١٠٧) التنجيم الزاهرة ج ٩ ص ١٣٠ .

(١٠٨) صبح الأمل ج ٥ ص ٤٩٥ .

(١٠٩) صبح الأمل ج ١٣ ص ١٦٦ .

(١١٠) صبح الأمل ج ٥ ص ٤٩٦ .

(١١١) تاريخ بيروت ص ٩٢ ، ٩٣ ، تاريخ الأعيان ص ٢٣٤ .

(١١٢) يشمل هذا القرب رجال القلم وغيرهم من العرب والترك مثل مجلس القاضى ومجلس

الشيخ الصوفية وأهل الصلاح، ويجلس الصدر لتجار وأرباب الصنائع، وربما كتبت في أيام الناصر
لكتاب الفرج ومن في منام (صحح الأمشي ج ٥ ص ٤٩٧) .

(١١٣) هؤلاء من أمراء القرب، كتشوعين بلبنان (تاريخ بيروت ص ٩٣ ، ٩٤ وتاريخ
الأعيان ص ٢٣٤) .

(١١٤) الإعراب ورقة ٩٠ .

(١١٥) السنجق بالتركية الرمح والحصابة راية من حرير أصفر مطرزة بالذهب (تاريخ

أهل القداء ج ٤ ص ٦٢ ، ٦٤ و ٧٥ ، صحح الأمشي ج ٥ ص ٤٥٨ ، السلوك ج ١ ص ١٢٤ انظر
قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(١١٦) الدعل : الساعة والنش اليسير ولعل المراد هنا بالبطول الدعل أما بطول صغيرة

(القاموس المحيط) .

(١١٧) زبنة كشف الممالك ص ١٢٥ .

(١١٨) التنجيم الزاهرة ج ٩ ص ٢٨٢ .

(١١٩) زبنة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١٢٠) زبنة كشف الممالك ص ١١٣ .

(١٢١) يدائع الزهور ج ٣ ص ١٧٨ .

(١٢٢) مثل هذه الوظائف : مقدم البريد للمهتار ، دلال الممالك ، متولى القاهرة

تقيب الجيش . ويتولى تقيب الجيش إحصار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الخلفة ، أما
المهتار فهمة تلقى الرسل والبريان التواردين على السلطان وإزالم دار الصياغة والعناية بأمرهم .

(صحح الأمشي ج ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٥٩) .

(١٢٣) أمير طبر يتحدث على طعير دارية الذين يحملون الألبار ، وهي القنوس ،

حول السلطان في المراكب^٥ ، وأمير علم يتولى أمر الاعلام السلطانية والعلبغاناة (صحح الأمشي
ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٥٨ و ٤٦٢ ، الزبنة ص ١١٥) .

(١٢٤) الخلع على أنواع ، وهي لأرباب السيوف وأرباب الأتلام عامة من الموظفين

والعلماء ، وهي محفوفة بالخرقة الكبرى ، بالقامة ، لكن بعد أنحوها الأمير منطاش جتا لماليك
برقوق في سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨م) ، صارت الخلع عند ناظر الخناس ، لذلك نجد من مهمات

الخصاص السلطان فوق إدارته وإشرافه على بلاد أخصاص أو الإقطاع السلطان ، عمل برك التجاريد
الشريفة ومهام عيد الأخصاص وتفترقة الفصحبا لخصاص والعام ومهام عيد الفطر والباتكة ، ومهم

كسارى الادر الشريفة من الأقمشة المذبة المنوعة وكسارى الممالك السلطانية وتفترقة الملبوس
لأركان الخولة والسادة القضاء الوان والأمراء وكفالى الممالك ، لكل منهم ما يليق ، وتكفيه المطلوب

والصدر المقررة لأرباب الأدرلك وحمل الخلاوى والقواكه لخصاص الشريف والادر الشريفة
وتكفيه المعادبا برسم الملوك، وتكفيه التشاريف لأرباب الوظائف في عيد الفطر ، وكذلك لكل من

- يستقر في وثيقة ، ولقصاد والترديدن (زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ ، ١٠٩) .
- (١٢٥) غلط ج١ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ بولان ، صحح الأئشي ج٦ ص ٥٢ ، ٥٣ .
- (١٢٦) غلط ج٢ ص ٩٧ ، ٩٩ .
- (١٢٧) بدائع الزهور ج١ ص ٣٤٥ .
- (١٢٨) التبر المسبوك ص ٤٢٦ .
- (١٢٩) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٢ .
- (١٣٠) صحح الأئشي ج٥ ص ٥٥ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٥ .
- (١٣١) انظر ما يلي .
- (١٣٢) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٤
- (١٣٣) السلوك ج١ ص ٤٦٨
- (١٣٤) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٢١ .
- (١٣٥) زبدة كشف الممالك ص ١٤ .
- (١٣٦) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٠٩ .
- (١٣٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ .
- (١٣٨) ابن قاضي شبة ج١ ص ٦ .
- (١٣٩) زبدة كشف الممالك ص ١١٤ - ١١٥ .
- (١٤٠) حوادث الدهور ورقة ٤٨ .
- (١٤١) حوادث الدهور ورقة ٥٢ .
- (١٤٢) التيسر ص ٢٤ - ٣٥ ، التنجيم الزاهرة ج٧ ص ١٨٥ ، مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٩٩ ، صحح الأئشي ج٥ ص ٤٤٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ و ج٢ ص ١٣٠ ، زبدة كشف الممالك ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ؛ إيسوان الصفا ورقة ١٣٠ .
- (١٤٣) غلط ج٢ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .
- (١٤٤) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٤ ، غلط ج٢ ص ٣٥١ .
- (١٤٥) غلط ج٢ ص ٣٥٢ ، التنجيم الزاهرة ج٩ ص ١٢١ ، ٢٢٢

- (١٤٦) هيون التواريخ ص ٨١ - ٨٥ .
- (١٤٧) مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٣٨٤ - ٣٨٥ .
- (١٤٨) *La Monte, P. 152, Barker. p. 40*
- (١٤٩) مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٣٨٥ ، صبح الأمتن ج ٦ ص ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٥٠) صبح الأمتن ج ٦ ص ٥٤ ، ٥٥ .
- (١٥١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٨٤ .
- (١٥٢) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٠ .
- (١٥٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٠ - ٤٢ .
- (١٥٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ .
- (١٥٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٦ .
- (١٥٦) الجوهر الثمين ج ٢ ورقة ١٢٩ ، دول الإسلام ورقة ٤٢
- (١٥٧) القرقل نوع من الدروع .
- (١٥٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (١٥٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
- (١٦٠) تاريخ الملك الأشرف غير مرتقم .
- (١٦١) المكوك مكبال ، انظر المكابيل .
- (١٦٢) السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٢ .
- (١٦٣) اختن مع السعيد عدد من أبناء الأمراء
- (١٦٤) السلوك ج ٢ ص ١٨ - ٢٠ ، انظر نسخة السموح باللاحق .
- (١٦٥) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٩ - ٥٠ .
- (١٦٦) السلوك ج ٢ ص ٤٣٦ ، انظر اللاحق .

الفصل السابع

الإدارة المحلية للاقطاعات

خصائص الإدارة المحلية وما يميزها عن قرينتها في الإقطاع
الشرقي - إجراءات التسليم للإقطاع - محضر التسليم ومحتوياته -
فحص أراضي الإقطاعات - توزيع البلور على الفلاحين - قوانين
الفلاحة - المقاسمة والإيجار - البحوث التقنية حولها - اختلاف
قيمة الإيجار - الأراضي المصنفة والمفضولة في الإقطاع بين الشرق
والغرب - طرق الزراعة ونظام الحقلين - الري وتنظيمه والجسور
السلطانية والبلدية والترع - ربط الحراج ونوعه - أنصبة الفلاحين -
نظام استئثار الفلاحين للراعي المنقطعة - تخزين الحامسبيل في
الشون والأهراء - الفلاح والتقن في الشرق والغرب .

يبدو من دراسة الإدارة المحلية للإقطاعات واستغلالها أن هنالك أربع حقائق كبرى مميزة لهذا الاستغلال المحلي البحت :

أولى هذه الحقائق ، بروز جانب التقنين والتشريع والجدل القمهي في كيفية تسليم الأرض إلى الفلاحين : مقاسمة أم إيجاراً أو نحو ذلك من قوانين الفلاحة ، ثم في قسمة المحصول وصدور بعض فتاوى في هذه الصدد . وثانيها أن هذا الاستغلال لم يختلف في تفاصيله في إقطاع السلطان عنه في إقطاع الأمير والفارق في المسميات لا في الأعيان ، فهذا الخاص السلطاني ويشرف عليه ديوان الخاص أو ديوان الخواص الشريفة ، ويلقب رئيسه بالناظر^(١) ، وذاك إقطاع الأمير ، والمشرف عليه ديوانه ورئيسه : الناظر أو الصاحب أو المباشر أو الكاتب^(٢) . والحقيقة الثالثة : لم يعن الأمير المقطع بالإقامة في إقطاعه ليرعى شؤنه كما هو الشأن في الإقطاع الغربي ، بل أقام في القاهرة في قصوره ، أو حيث تكون وظيفته في ولاية أو كشوفية أو نيابة ، وربما قبل إن بعثه إقطاع الأمير المملوكي هي التي جعلت الأمير لا يفكر في الإقامة بإقطاعه ، غير أن هذا التعليل خاطيء بدليل قلة اهتمام الأمير بالسفر للتفتيش والإشراف على شؤون إقطاعه إلا أحياناً متقطعة وبإذن من السلطان أو به دستور^(٣) في المصطلح ، وأكثر ما اقتصر هذا الإذن على مواسم الربيع، ومثال ذلك : إصدار السلطان خليل بن قلاوون إلى أمراءه الأمر سنة ٦٩٠ هـ - ١٢٩١م ، لتوجهه إلى إقطاعاتهم وتربيع غيولم^(٣) ، وإعطاء الناصر محمد سنة ٧٠١ هـ - ١٣٠١م دستوراً لمن أراد السفر إلى إقطاعه لعمل مصالح بلاده^(٤) ، بل لعل من أبرز خصائص النظام الإقطاعي في دولة المماليك، هو عدم إقامة المقطع في إقطاعه ، لأن الإقطاع نفسه غير ثابت وغير مضمون البقاء في يد صاحبه

في أي وقت ، وهذا وأصحاب الإقطاعات في دولة المماليك الإقطاعية الحربية ، هم أولو الأمر وهم الحكام .

وأحياناً يرى السلطان أن يأذن لأصحاب الإقطاعات أن يتوجهوا إلى إقطاعاتهم وهو في رحلة للصيد أو الحج أو في حرب أو نحوه ، ومن أمثلة ذلك أن السلطان خليل خرج إلى البحيرة للصيد في سنة ٨٦٩٣ - ١٢٩٣ م ، فلما وصل إلى تروجة أعطى الأمراء دستوراً ليتوجهوا إلى إقطاعاتهم ويتفرقوا في بلادهم^(٥) ، وحين سافر السلطان الناصر محمد للحج سنة ٨٧١٩ - ١٣١٩ م رسم لمن لم يسافر معه من الأمراء بالرحيل إلى إقطاعاتهم ، بل حتم عليهم في هذا الأمر ألا يجتمع أحد بصاحبه خلال غيبته^(٦) ، ومن هنا كله يتضح أن غيبة الأمراء عن إقطاعاتهم لم يكن منشؤها قلة اهتمامهم بشئون إقطاعاتهم فحسب بل لأن السلاطين حرصوا على أن يظل الأمراء بعيدين عن إقطاعاتهم حتى لا تتكون لهم حصيات انفصالية خطيرة على السلطنة .

أما أجناد الأمراء ، فعاش أغلبهم في إقطاعاتهم لأنهم فوق وظيفتهم الحربية التي يؤديونها عند الطلب للتعبير العام، يتولون شؤون الإدارة الإقطاعية اليومية، ومن أدلة ذلك أن السلطان بيبرس أنفذ النقباء إلى أعمال مصر لإحضار الجند من إقطاعاتهم استعداداً لحرب الصليبيين سنة ١٢٦٥ م ، وعاقب بيبرس الولاة الذين أبعثوا في تنفيذ أوامره^(٧) ، وربما اضطرت الأجناد للعمل بأيديهم في الإقطاعات إذا عزت الأيدي العاملة بسبب الأوبئة والطواعين التي أفتت الفلاحين بصفة خاصة ، ففي أيام السلطان حسن وقع وباء سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م ، في أوان التخضير أي في أول ظهور الزرع ، فلما حان وقت الحصاد لم يوجد من الفلاحين إلا القليل ، فخرج الأجناد بفلماتهم للحصاد ونادوا « من يحصد يأخذ نصف ما حصد » ، ومع ذلك لم يجدوا مجيئاً لكثرة ما وقع من القناء بين الفلاحين ، فاضطروا للدراسة غلالهم على خيولهم وذروها بأيديهم ، لكنهم عجزوا عن غالب الزرع ، فركوه^(٨) .

أما الحقيقة الرابعة ، فهي خضوع الاستغلال المحلي لتدخل السلطان

في جميع المراحل من قبل أن تنبأ الأرض للزراع حتى ينتهي موسم الحصاد ، فيتدخل مندوبوه في الفحص الأول عند تسلم الأمير لإقطاعه لتأكد من مساحة الأرض ومعرفة مدى ما يصيبها من ماء الري ونوع المعاملة التي يقبلها الفلاحون في الزراعة وقيد أسماء الفلاحين ، ثم بصرف التقاوى من قبله ، وإذا نما الزرع أرسل مندوبيه ليشتروا مع مندوب الأمير المقطع في مسح الأرض مرة أخرى والزرع قائم وهكذا ، حتى وقت الحصاد ، فيأخذ خراجه وعشوره وتقاويه وقروضه .

ويبدو أن حرص السلطان على هذا التدخل المستمر لم ينشأ عن رغبة في رعاية مصالح الفلاحين وإتصافهم من المقطعين إذا جاروا عليهم وإن كان لهم حق التظلم إليه في أي وقت^(٩) ، وإنما نشأ عن شدة حرصه على حصوله هو على حقوقه من المقطعين ، وهذا أمر طبيعي في دولة إقطاعية منح الإقطاع فيها كما تمنح الوظائف ، وهذا المظهر من أكبر ما يميز الإقطاع في الدولة المملوكية عن الإقطاع الأوروبي ، حيث يتصرف السيد في دوائره *Mancos* تصرفاً مطلقاً دون تدخل الملك صاحب السلطة العليا الإسمية ، أما أن يتدخل لرفع عين أو ظلم حاق بالتفلاح من أي وجه ، كزيادة في الإيجار أو قسوة في جباية الأموال المفروضة عليه فلم يكن ذا بال لديه ، بل إن كلمة « شرع الديوان » اصطلاح استمرت وراءه كل مظالم الدولة الإقطاعية في استرقاق الفلاحين ، ولا أدل على ذلك من أن جباية الخراج والإيرادات أو « جمع المدل » كما اصطلاح على ذلك ، كان يتم في أكثر الأحيان بمحملات حربية .

يتسلم الأمير إقطاعه ويشهد على نفسه بحضرة الموقعين من ديوان الإنشاء ويوضح في محضر التسليم مساحة الإقطاع ، وحدوده وما عليه من خراج للديوان ومقدار التقاوى وعدد الفلاحين المقيمين به ، وما به من « جسور سلطانية ، وبلدية » ، ويمقتضى هذا المحضر لا يستطيع الأمير أن يتعدى أطواره ولا أن يأخذ من إقطاعه « إلا ما جرت به العادة »^(١٠) ، ولو أن أحداث الواقع قد ناقضت هذا القول .

والزراعة في مصر يقوم أغلبها على النيل وما يشتق منه من ترع ، والقليل يروى بماء المطر كبعض أطراف البحيرة^(١١) ، ولذا غدا قانون الأراضي في مصر مبنياً ، على قول المقرري ، « على ما يشمل الري من أراضيها وبعلمه النيل وينتفع بحفر الترع وضبط الجسور وتصريف المياه عن الأراضي »^(١٢) ، وذلك على عكس بلاد الشام المعتمدة على المطر^(١٣) .

لهذا كانت الأراضي تفحص في مصر سنوياً بعد الفيضان ، لتقدير الخراج المناسب عليها ، ويشرف على هذه العملية موظف من قبل السلطان يعرف باسم « مباشر الخراج أو كاتب الخراج » ، وفي كل إقليم واحد من هؤلاء يعاونه موظفون محليون آخرون هم « خولة البلاد ومشايخها » ، فيطلب المباشر منهم البيانات الخاصة بمساحة الأراضي المنتفعة بالري ، فتجمع له في أوراق تسمى « قوانين الري »^(١٤) ، وصورة هذه القوانين : « قانون رفعه كل واحد من فلان وفلان الخولة والمشايخ بالناحية الفلانية بما شمله الري وعلاه النيل المبارك من أراضي الناحية لسنة كذا الخراجية وهو من الفدان ... (بذكرون جملة قانون البلد)^(١٥) ، ويفصلونه بالري والشرافي^(١٦) ، والملاحظ أن الأراضي التي وصفت في هذا الفحص بكلمة « الري » لها تفصيل آخر أكثر إيضاحاً ودقمة حيث أنواعها لتقدير الضرائب المناسبة ، فكل نوع من هذه الأراضي ، قطعة تناسب حاله^(١٧) ، وأنواع أرض الري هي : « الباق والنساء وري الشرافي والبراب والسقماحية والشتونية والسلايح والوسخ والمزروع والخرس والغالب والمستبحر وأخيراً السباح »^(١٨) .

وتعتبر أرض « الباق » أعلى الأنواع رتبة من حيث الجودة ، ولذلك فهي أكثر تقديراً في قيمة الضريبة المقررة عما عداها^(١٩) ، ويلها « ري الشرافي » وهي التي كانت محرومة من الري ثم رويت ، وزرعت وأنجب زرعها لاسترحابها مدة من غير زرع ، أما إذا كانت رويت ثم بارت فتعطلت من الزرع فاستراحت أنجب زرعها بعد ذلك وتسمى في هذه الحالة « السلايح » ، ثم البراب وتكون على أثر زراعة القمح والشعير فضعفت فلا تصلح بعد

هذين الصنفين إلا لزراعة القرط والمقاني ، ومن شأن هذه الأصناف الأخيرة أن تعوى الأرض إذ تستريح بزراعتها فتصبح بعدها أرض باق . أما السقماية فهي التي تلى زراعة الكتان ولا تزرع قمحاً حتى لا تضعف . « والشونية » هي التي رويت وبارت في السنة الماضية ثم زرعت ، وتعتبر دون الشرائق . وأرض النقاء^(٢٠) هي التربة مما يعوقها من الزرع . « والمزروع » هو النوع الذي يزرع عادة كل سنة على حين أن أرض « الحرس » تكثر فيها الحلفاء ، فلا تزرع إلا بعد تنظيفها ، وقد يطفى نبات الحلفاء ويتكاثف بحيث يحتاج تنظيفها إلى تكاليف كثيرة فتترك من غير زرع لتصبح مراعى ، وفي هذه الحالة تعرف باسم « الغالب »^(٢١) ، وأكثر ما يكون الحرس والغالب بالصعيد الأعلى لتعطيلها من الزراعة سنة بعد أخرى . أما أرض « الوسخ » فهي التي استحکم وضعها فلم يستطع الزراع لإزاحته نهائياً ، بل حرثوا وزرعوا فجاء نباتها مختلطاً بالحلفاء ونحوها . و « المستبحر » أرض وطيبة استمرت فيها مياه الفيضان حتى انتهى موسم الزراعة ، فنها ما يبار ومنها ما يزرع قلاء^(٢٢) . وأرض « السباخ » أدنى الأنواع لغلبة الملح عليها ، فلم تصلح لزراعة الحبوب ، وربما زرعت نباتات أخرى ، إذا قل ملحها ، مثل الخليون والبادنجان ، كما يزرع فيها القصب الفارسي^(٢٣) . فالأرض إذن من حيث جودتها وقيمتها الضريبة المقروضة عليها في عصر المالبك هي : الباق والبراب والنقاء والحرس والمستبحر .

ويتلو هذا البيان الفصل لنوع الأرض بيان آخر بنوع المعاملة التي تسلم بمقتضاها الأرض إلى الفلاحين ، مقاسة كانت أم إيجاراً ، ثم تزرع الأحواض بمساحات معينة على المزارعين « القرارية » وهم المستقرون من القاطنين بالجهة و « الطواري » وهم المزارعون النازحون من جهات أخرى ، يكتب هذا البيان في أوراق أخرى تسمى « أوراق التسجيل »^(٢٤) ، وأخيراً تحمل هذه البيانات في سجلات أخرى مع ذكر أسماء المزارعين ، ويوقع عليها الشهود الذين حضروا التسجيل^(٢٥) ، ومن ثم يحفظ بصورة هذه الأوراق بدبوان صاحب الإقطاع^(٢٦) .

تصرف بعد ذلك البذور لكل مزارع من قبل السلطان ، وهي المعروفة في المصطلح باسم « التقاوى السلطانية » وقد جرت العادة أن « الأمير أو الخندي عندما يستقر في إقطاعه ، يقيض ماله من التقاوى السلطانية ، فإذا خرج عنه إقطاعه طوِّب بها^(٢٧) » وتوزع هذه التقاوى على الفلاحين بنسبة ما سجل من الأراضي لفلاحها ، وربما كان ذلك لضمان الإقطاع والتشجيع على الزراعة والعمل على تحسين الإنتاج من ناحية ، ثم تحديده من ناحية أخرى فضلا عن تيسير الحصول عليها . فمثلا أمر السلطان بيبرس في سنة ٨٦٥٩ - ١٢٦٠م بعمل الفلال إلى دمشق . ومنها وزعت في البلاد لتصير « تقاوى » للفلاحين^(٢٨) وعندما تم فتح بلاد سبسطية في عهد الناصر محمد سنة ٨٧٣٨ - ١٣٣٧م ، وزعت القطاعات على الفلاحين ، رسم السلطان أن يحمل إليها من حماة وطرابلس ٢٠ ألف غرارة^(٢٩) غلة برسم تقاويها وتحضيرها وعين لكل ضبعة ما يكفيها^(٣٠) ، ونشبه هذه العملية ما يقوم به بنك التسليف الزراعي في العصر الحاضر لمساعدة المزارعين بإقراضهم البلور والسياد والمال وهذا باستثناء التقاوى البلدية^(٣١) .

بما أن هذه العملية التي تعتبر مثالا للمركبة القوية ، تكون الأرض قد تهأت للزراعة . ولا تخرج قوانين الفلاحة التي يسير على أساسها الفلاح في زراعة الأرض عن نظام المقاسمة أو الإيجار أو ما يشبه الإيجار وهو التضمين ونظام القبائل .

فن حيث المقاسمة فإنها تختلف بحسب نوع الأرض ونوع ربيها : فذكرن تارة مناصفة وتارة أخرى مثالثة وغيرها مرابطة أو خماسية أو مسابغة أو مئامنة وتعرضت هذه القواعد والقوانين لجدل الفقهاء^(٣٢) .

من ذلك ، هنا الاستثناء الذي صدر في عصر المماليك خلال القرن التاسع الهجري والقرن الخامس عشر الميلادي عن حكم زراعة الأرض المقطعة بطريق المقاسمة ، وخلاصته « ما قول سادتنا علماء المسلمين رحمة الله عليهم أجمعين ، في الأرض التي أقطعها السلطان أو أرض غيرها إذا زرعتها فلاح بطريق شرعي : مقاسمة بالثلث أو بالربع ؟ فهل يجوز ذلك أم لا ؟ » أجاب

فقهاء الحنفية بالحواز ، ومن هؤلاء شهاب الدين أحمد بن حجر (٣٣) .
 أما الإيجار (٣٤) أو الإجارة ، فالشأن فيها شأن غيرها من المسائل الهامة
 التي تعرضت للجدل الفقهي بقصد التشريع والتفتين ومدى صحة العقود
 ومطابقتها للشرع ، فهي متعلقة بالمعاملات ، ولذلك نجد السبكي يتساءل ،
 وهو من المعاصرين للمالك :

« الإقطاعات المعروفة في هذا الزمان إنما هي إقطاعات لإرفاق بمعنى
 استغلال لا تمليك ، وعليه : فهل يجوز للمقطع إجارة الأرض التي أقطعهما
 له الإمام أو لا ؟ » .

أجاب السيوطي - وهو من متأخري الفقهاء المؤرخين في عصر المالك -
 بجواز إجارتها ، على أن يفسخ عقد الإيجار بموت صاحب الإقطاع لأن
 الإقطاع لا ينتقل إلى الوارث ، وقد يقطعها السلطان للوارث وقد لا يقطعها ،
 وقد يخالف بذلك رأى الفقهاء الذين أفتوا بعدم الجواز لأنها بصدد أن ينتزعا
 ولي الأمر من المقطع أو يقطعها غيره . وفي فتاوى الإمام النووي ما نصه :
 « إذا أقطع السلطان جندياً أرضاً ، فهل يجوز له إجارتها أم لا ؟ » أجاب بعض
 العلماء بالحواز واعتراض البعض ، والرأى الغالب صحة الإجارة وهو الذى
 سار عليه الأمر في عصر المالك . وكان التقي قاضى شهبة يفتى به ولا يفرق
 بين طول مدة الإقطاع وقصرها ، لكن إذا خرج الإقطاع بموت المقطع
 أو انقضاء مدته أو انتزاعه ، انفسخت الإجارة . ورتب الفقهاء على ذلك
 أنه ليس للمقطع أن يتصرف في جميع الأجرة ، ليرقع خروج الإقطاع عنه
 وله ألا يتصرف إلا في أجرة ما مضى إذ للإمام أن يرجع ويقطعه لغيره وقد
 يموت فينتهى إقطاعه ويعود إلى بيت المال (٣٥) .

وتختلف قيمة الإيجار تبعاً لنوع الأرض ونوع ريبها ونوع المحصول ،
 فضلاً عن الأحوال الطارئة من رخاء أو غلاء أو قن ، ثم قسوة ولي الأمر
 أو عدله ، وقد تراوحت قيمة إيجار القدان الواحد في غالب الأحيان حتى
 أواخر القرن الثامن الهجرى بين الفئات الآتية (٣٦) :

أرض الباق : ٤٠ درهماً فما حولها ، ثم ارتفع السعر فصار أكثر من مائة درهم .

أرض البراب : ٣٠ درهماً فما حولها ، ثم ارتفع السعر فصار أكثر من ٨٠ درهماً .

أرض البرش : ٢٠٠ درهم فما حولها ، ولم يكن ذلك إلا عند ارتفاع أسعار الغلال (٣٧) .

وبعد سنة ٨٠٠ - ١٣٩٧م ، إلى سنة ٨١٠ - ١٤٠٧م (٣٨) ، ارتفع إيجار القدان حتى بلغ للثرع الأول نحو ٣٠٠ درهم وربما زاد في النوع الطيب من أرض البراب إلى ٦٠٠ درهم (٣٩) .

وكثيراً ما استغلت أوقات الغلاء في إيقاع الظلم بالفلاحين ورفع قيمة الإيجار ، فيتسلط أجناد الأمراء وموظفهم عليهم تقريباً من أمراهم للثرق في خدمتهم ، والوسيلة إلى ذلك هي المال ، يقول المقرئى عن عدوانهم وأثره :
« فنفذوا إلى الأراضي الحارية في إقطاعات الأمراء وأحضروا مستأجرها من الفلاحين وزادوا في مقادير الأجر ، فضلت لذلك متحصلات مواليمهم من الأمراء ، فجعلوا الزيادة دينهم كل عام ، حتى بلغ القندان لهذا نحواً من اثني عشر أمثاله ، لا جرم أنه لما تضاعفت أجرة القندان من الطين وتزايدت كلفة الحرت والبئر والحصاد وغيره ، وعظمت شكابة العمال والولاية واشتدت وطأهم على أهل القلع ، وكثرت المغارم في عمل الحسور ، خرب معظم القرى وتمطلت أكثر الأراضي من الزراعة ، فقلت الغلال وغيرها مما يخرجها الأرض لموت أكثر الفلاحين وتشردهم في البلاد من شقوة السنين وهلاك النواب ولعجز الكثير من أرباب الأراضي عن ازديادها لغلو البئر وقلة المزارعين » (٤٠) .

وربما كان أستاذار الأمير هو المستول الأول عن هذا العدوان ، إذ أن مهمته الأساسية هي مراعاة شئون الإقطاع التفصيلية وعلاقة الإقطاع بالدواوين السلطانية والنظر في أحوال الفلاحين العاملين فيه . فن وصاياه في القيام على

مستريات الأمير في إقطاعه و ألا يطعمه حراماً ولا يبيعه رخيصاً ، وأن يرقى بأهل القرى ويؤدى أمانة الله التي عطفها في رقبته ، حيث دخل هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير ، كما عليه أن يؤدى حق الأمير بل هو أوسع من الأمير إلى الرقب بهم^(١١) .

ويدخل ضمن الإيجار أو ما يشبهه ما عرف باسم « الأراضي المضمنة » أو « المفصلة على أربابها بشيء معلوم من المال يؤخذ منهم عند إدراك المغل »^(١٢) .

وقد ذكر صاحب نهاية الأرب أن هذا كان موجوداً في بعض أعمال الشام ولا سيما الساحلية منها في عصر الصليبيين ، وهو كما يقول النويري : « نظير المستأجرات بالديار المصرية » ، ولما استرجعت هذه البلاد منهم ، ظل الأمر سائراً على هذا النحو جريباً على عاداتهم^(١٣) ، غير أن ابن شاهين قد أوضح بأن ذلك النوع من الإجراء وجد كذلك في مصر في عصره ، أى أواسط القرن التاسع الهجرى والخامس عشر الميلادى ، يقول : « كان في قديم الزمان نجد أن البلاد جميعها يؤخذ خراجها من كل صنف والآل^(١٤) صار مفصولاً » ، فثلاً كانت المنزلة وفارسكور تابعين للسلطان وكانت كل واحدة منها مفصلة على متدركها في كل سنة بمبلغ ٣٦ ألف دينار وما عداها من القرى الحيدة ففصلة أيضاً على متدركها بنحو ٢٠ ألف دينار ودون ذلك مفصلة باثنى عشر ألف دينار ، وكل متدرك بهذه القرى أعظم من ملك من ملوك الشرق »^(١٥) .

ونظام الأراضي المفصلة على أربابها أقرب ما يكون إلى نظام « القبالات » الذى وجد في مصر الإسلامية خلال القرن الأول الهجرى ، يقول المقرئى : « كانت البلاد تضم قبالات معروفة لمن شاء من الأمراء والأجناد والوجوه وأهل التواحي من العرب والقبط وغيرهم »^(١٦) .

واستمر هذا النظام حتى نضج النظم الإقطاعية في عصر المماليك ، ولذلك ينص عليه فيما عرف باسم « أوراق المسجل »^(١٧) وسواء كانت الأرض

من السلطان أو من الأمير المقطع فإن « متقبلها » يسلمها إلى الفلاحين من قبله لزراعتها بطريق المقاسمة أو الإيجار، ويعرف المتقبل كذلك باسم « المتدرك » وهو تابع بحكم وضعه أو « فصل » كما يئته التويرى^(٥٨) ومنه اشتق كلمة « مفصول » التي سلمت على هذا الأساس وهونفس الكلمة الأجنبية Vassal التي شاع استعمالها في العصر الإقطاعي الأوربي وانتقلت مع الصليبيين إلى الشرق ، يقول التويرى :

« ولفظ الفصل بالشام كلمة إفرنجية استمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارجعت من أيدي الفرنج جريباً على عاداتهم^(٥٩)، فوجه الشبه بارز بين الأراضي المفصولة وغيرها المضمنة على شكل قبالات في النظم الإقطاعية الشرقية والغربية ، كذلك في تسليم الأرض للعامل الذي يعمل بيده ، إذ المعروف أن الصليبيين قد استخدموا « السورين » في فلاح الأرض ، ومن المصادر اشتغالهم بأنفسهم كزراع Tillers ، فزرع لهم الفلاحون السوريون وعرفوا باسم Rustici ، ومعناها : الزراع أو الريفيون على أساس المقاسمة ، تارة مثالة وأخرى مرابعة كما هو الشأن في الدولة المملوكية^(٦٠). أما طرق الزراعة ، فظلت على ما هي عليه منذ أقدم العصور ، وكانت الدورة الزراعية في مصر واحدة في السنة أي أن الأرض كلها تزرع مرة في كل سنة ، وذلك على خلاف الشام حيث يراح شطر ويزرع شطر ، ثم يبدل الشطران في السنة التالية^(٦١) ، بمعنى آخر : سارت بلاد الشام وفق النظام الذي عرف في العصور الوسطى « نقلا عن الرومان » باسم « نظام الحقلين » The Two Field Cultivation ، تجنّباً لإجهاد الأرض ومحاولة لتحسين الإنتاج^(٦٢) .

تقسم الأرض لما تصلح له من أنواع المحاصيل في جهات البلاد المختلفة ، وتعد إعداداً معيناً وفق حاجة الزراعة المنتظرة في المواعيد المعروفة لها ، فتلا يزرع العنيس والحمص ، وهما من المحاصيل الشتوية ، في أرق الأرض حرتاً من الأراضي العالية ، ويزرع تلويقاً في الأراضي الحرس^(٦٣) . ويزرع الصمغ

• إثر الباق والشراقي بالصعيد من نصف شهر • بابة • إلى آخر هاتور في العوالي من الأرض التي تخرج بدرياً ، وأما البحائر المتأخرة فيمتد وقت الزرع إلى آخر كيهك^(٥١) ، ويلاحظ أن فدان القمح ينتج من ٢ - ٢٠ أردباً ، وينتج الشعير من ٨ - ٢٠ أردباً والحمص من ٤ - ١٠ أردب وينتج العدس ٢٠ أردباً إلى مادون ذلك ، والكتان ٣٠ شدة أى حزمة ، ومن البلور ستة أردب ، وهكذا ، على أنه يحدث أن يرتفع المحصول ارتفاعاً كبيراً كما حدث في سنة ١٨٠٦ - ١٤٠٣م إذ انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة القيوم على عهد السلطان فرج بن برقوق فزرعت شعيراً وجاء محصولها عجبياً ، فقد أنتج الفدان ٧١ أردباً من الشعير بكيل القيوم ، وبالكيل المصرى ١٠٠ أردب ، وهذا مصداق قول أبي بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة : إن في مصر إذا زرعوا ، يخرج من المد ثلثائة مد ، والعلة في ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أرضهم وكثرة كدورة ماء النيل^(٥٥) .

• ومن أمثلة المحاصيل الصيفية : قصب السكر ، ويحتاج إلى • أرض دثة قد شملها الري وعلاها النيل ، وقلع ما بها من الحلقاء ونظفت ثم برشت بالثقلات^(٥٦) فإذا أصلحت الأرض وطابت وصارت تراباً ناعماً شقت حينئذ بالثقلات ، ويرى فيها القصب ... بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرضها جداول يصل الماء منها إلى الأحواض ، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل وبعض أنبوية ، ويختار ما قصرت أنابيبه وكثرت كعوبه ، ويقال لهذه العملية «النصب» ولا بد من القصب من القطران قبل أن يخلو حتى لا تنطق إليه الآفات ، كما لا بد من حرق آثار القصب بعد قطعه ثم سقيه وعزقه فبذت قصب يقال له «الحلقة» أو «العقر» ويسمى الأول^(٥٧) الرأس ، وينتج فدان القصب من ٤٠ - ٨٠ أبلوجة من العصير^(٥٨) ، وفدان السمسم من إردبين إلى ستة أردب والقطن ٨ قناطير فما دون ذلك وهكذا . . .^(٥٩) .

• ومن حيث الري ووسائله وتنظيمه . فالملاحظ أن وسائله هي العادية

المألوفة منذ القدم ، فاستخدم الشادوف والساقية وطريقة « الراحة » عند
« طلوع النيل » (٦٠) :

ولما كان تنظيم الري ووسائله من الأمور الحيوية لضمان عمارة الإقطاع
من ناحية وتيسير وسائل النقل من ناحية أخرى ، فقد التزم المقطعون في عصر
المماليك بإقامة الجسور في إقطاعاتهم وهذه هي (الجسور البلدية) تمييزاً لها
عن « الجسور السلطانية » ، وهذه ينحص نعمها ناحية دون أخرى ، وليس
للمشرفين من « كشاف التراب » عليها أية سلطة (٦١) ، والمعروف أن السلطان
كان يجي رسماً مقررأ نظير إقامة الجسور السلطانية لعموم نعمها ، يدفعه
المقطعون ، وعرف هذا الرسم باسم « مقرر الجسور » ، وقد ذكر المقرئ
أنه منذ عهد فرج بن برقوق صار يجي من البلاد مالا عظيماً ولا يصرف منه
شيء أبته بل يرفع إلى السلطان ويتفرق أكثره بأيدي الأعوان ويسخر أهل
البلاد في عمل الجسور فيجي « الخلل » ، والمشرفون على الجسور السلطانية
موظفون من قبل السلطات هم « كشاف الجسور » ، ويوجدون في كل الأقاليم
والمتخصصون بصيانتها موظفون آخرون يسمون « كشاف التراب » يتدبون كل
سنة مرة واحدة من الأمراء مقدمي الألواف إلى كل إقليم في زمن الربيع لاستخراج
ما هو مقرر على البلاد من « الحفير والحراقي » ، والمقصود بالحفير التراب
الذي يوضع في الأماكن التي يجرفها مياه الفيضان ، أما الحراقي فهي
الألات التي يجرف بها التراب لإقامة الجسور وحفظها عند الفيضان ، فثلا
كان كاشف التراب بالشرقية في سنة ٨٧٣هـ - ١٤٦٨م ، أيام قايتباي ، هو الأمير
برقوق الناصري ، (فحصل به نفع لقمع العربان المفسدين وعمارة الجسور)
واهتم السلاطين بها اهتماماً زائداً ، من ذلك ما فعله الناصر محمد في سنة ٧١٤هـ
- ١٣١٤م حين ندب الأمراء إلى الأعمال المختلفة للإشراف على الجسور السلطانية
فكان الأمير عز الدين أيدير الخطيرى منتدباً بالشرقية والأمير علاء الدين
العريزي للهنساوية ، والأمير حسين بن جندر لأسيوط ومنفلوط ،
والأمير سيف الدين آقول الحاجب للغربية الخ . . ، وإذا زاد النيل زمن

القيضان وخيف الضرر من طغيان المياه زاد السلطان في العدد المكلف بصيانتها كما حدث في سنة ٨٧٨٥ - ١٣٨٣ م ، عندما زاد النيل وهدمت بيوت كثيرة فأمر السلطان برفوق جماعة من الأمراء والمالِك بالإقامة بجسور أنبيل أو البحر ، كما كان يسمى ، والخلجان لحفظ الحسور ، وبشبه هذا ما يقع حالياً من إقامة المهتمين والعمال بجوار الحسور عند ارتفاع النيل ، ومن السلاطين من كان يسافر بنفسه للكشف عليها كما فعل قايتباي في سنة ٨٨٨ هـ - ١٤٨٣ م وفي سنة ٨٩١ هـ - ١٤٨٦ م وهكذا (١٢) .

أما الحسور البلدية فيتمثل إقامتها المقطعون والفلاحون ، حتى إذا ما انتقل الإقطاع بوجه من وجوه النقل (١٣) ، خلال السنة ، حوسب المقطع الحديد على ما أنفق سابقه في إقامة جسوره ، وعبارة المقرزي : « ومن العادة أن المقطع إذا انفصل وكان قد أنفق شيئاً من مال إقطاعه في إقامة جسر لأجل عمارة السنة التي انتقل عنه الإقطاع فيها ، فإن له أن يستعيد من المقطع الثاني ما أنفقه من مال سنته في عمارة سنة غيره » (١٤) ، وقد ورد مرسوم في عهد الناصر محمد إلى ناصر الدين الحسين من بني تنوخ المقطعين بغربي لبنان موجه من قبل تنكرنائب الشام بخصوص عمارة جسر نهر الدامور الحارثي بين صيدا وصور وبيروت لتسهيل سبل النقل نظراً لما يقاسيه « السفار » ، فأجابه الأمير المقطع « ورد المرسوم العالي - أعلاه الله - يتضمن عمارة جسر . . وفي ذلك حسنة عظيمة ساقها الله تعالى لتسطر في صحائف مولانا ملك الأمراء ... » (١٥) ، وطلب في آخر الكتاب الاستعانة بالمهندس الخبير أبي بكر بن البصيص البعلبكي وختم كتابه بهذه العبارة المألوفة في ذلك العصر : « والمملوك يمثل ما يرد عليه من المراسم العالية » (١٦) .

وبجانب الحسور نجد الترع والخلجان ، وهي من المنافع العامة كذلك تتولاها الدولة من حيث الإشراف : حفرها وتطهيرها ونفقة لكن يلزم بها المقطعون من حيث العمل . من ذلك ما حدث في عهد قلاوون ، مثلاً ، حين توجه بنفسه في سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٨٧ م ، للإشراف على حفر الخليج

المعروف باسم « الطبرية » غربى فرع رشيد وسار العسكر المنصرر لامتثال أمره وهرعوا بالمعاول والساحى وجمعوا ما تفرق من الرجال فى تلك التواحي لإجراء النيل فى الخليج وتم حفره فى عشرة أيام . وفى عهد الناصر أُلزم الأمراء فى سنة ٥٧٢٤هـ - ١٣٢٤م ، بحفر خليج خارج القاهرة يصل النيل بالخليج الكبير لزيادة الماء فيه ، وتولى الأمير أرغون نائب السلطنة الإشراف على هذه العملية وكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحضر وعين لكل واحد من الأمراء أقصاباً يحفرها ثم اقتضى العمل هدم كثير من البيوت والأماكن ، فهدمت ودفع السلطان ثمنها . وربما استغلت أمثال هذه العمليات والمنافع العامة لخدمة المنافع الشخصية خاصة ، ولأبأس لدى السلطان فى ذلك ما دامت المنفعة الشخصية جزءاً من المنافع العامة ، وفى عهد السلطان جقمق ، توجه الأمير زين الدين الأستادار فى سنة ٨٥٤هـ - ١٤٥٠م إلى الوجه البحرى للإشراف على حفر بحر المزالة لأنه « استدفه وصار فيه الرمال كالجبال » ولما كان للأميرين إينال العلانى الناصرى أنابك العساكر وتم بن عبد الرازق المؤيد أمير مجلس ، بتلك البلاد جهات داخلية فى إقطاعها ، فقد زكى الأستادار سفرهما معه لتنظر فى مصالح بلادها ، ولذلك رسم السلطان لهما بالسفر معه ، وهذا يدلنا من جهة أخرى على أن مجرد رعاية مصالح الإقطاع والسفر إليه لا بد لها من إذن السلطان :

ويتبع الجسور والترح والحلجان ، القناطر ، وهذه أهمها السلاطين كما فعل قايتباى مثلاً فى سنة ٨٩٦هـ - ١٤٩٠م ، حين أمر الأمير أزبك أنابك العسكر بالتوجه إلى شبرامنت بنواحي البحيرة لعمارة القناطر بها ، وبلغت النفقات نحو ٥ آلاف دينار ، كما أمر ببناء رصيف « به نفع للمسافرين أيام زيادة النيل » (١٧) .

هذا ما يتعلق بطرق الزراعة وأمور الري أو قوانين الفلاحة عامة ، فإذا نبت الزرع ، أرسل صاحب الإقطاع مباشرين بحضور مندوبى السلطان لمسح الأرض المزروعة مرة أخرى تمهيداً لربط الخراج عليها بصفة نهائية ،

ويعرف رئيس المباشرين من قبل صاحب الإقطاع باسم « الشاد » و« معه » و« عدول »
 فوو خبيرة بالساحة و« كاتب خبير أمين » ، وكذلك « قصابون » لعملية القياس .
 يمسح هؤلاء الأرض المزروعة ، ويجمع البيانات في سجلات جديدة أهمها
 « المكلفة » التي تضم أسماء المزارعين . فثلا كانت مكلفة مساحة أسويط على
 عهد السلطان حسن تشتمل على ٦٠٠٠ نفر ، وهذا عدد قليل جداً بالنسبة
 للمألوف (٦٨) ، وعلى هذه المكلفة يوقع الشهود و« حاكم العمل » ، ثم تحمل إلى
 ديوان صاحب الإقطاع (٦٩) . بهذه العملية يقدر الخراج غلة أو نقداً ، وأعلى
 تقدير للخراج الغلة المقررة على كل فدان ثلاثة أرباب ، وذلك في الأرض
 الجديدة كبعض نواحي قوص ، وأقل قيمة سدس إردب عن القدان ، ولا يكون
 ذلك إلا في الأراضي التي غلبت عليها الأخراس وقل الانتفاع بها (٧٠) .
 ومن الأراضي ما يؤخذ خراجها نقداً ويعبر عن النقد كذلك بلفظ « العين » (٧١)
 ومتوسط قيمة خراج القدان نحو ٢٥٠ درهماً ، وعرفت هذه القيمة بصفة
 خاصة ببعض نواحي أراضي الجزيرة ، على أنه قد سجل في بعض السنين خراج
 ثلاثة أفدنة بنحو ألف درهم ، وأغلب ما يزرع في هذا النوع الأخير من
 الأراضي ، الكتان (٧٢) على حين أن قطعة فدان الكتان المأوفة بالصعيد ،
 تراوح بين ٣ ، ٥ ، ١٣ ديناراً (٧٣) .

ويحدث أن تزداد قطعة القدان أو تنقص تبعاً للظروف المحيطة من غلاء
 أو شرق أو يسر في الري أو قيام فن تستلزم نفقات ، أو نتيجة لظلم أو عسف
 يقع ، وفي مثل هذه الحالات ، تتغير فئات الخراج زيادة ونقصاً ، وربما ألغى
 الخراج نهائياً في بعض السنوات تشجيعاً للفلاحين على العمل وعمارة الإقطاع ،
 كما كان الشأن في بعض إقطاعات تنكر نائب الشام في عهد الناصر وبعض
 أمراء الشام والأمراء التركان الذين أقطعهم الناصر أراضي سيس على أثر
 فتحها في سنة ٥٧٣٨م - ١٣٣٧م ، إذ جاء عنهم أنهم استعملوا الأرمن في القلاحة
 وحطوا عنهم الخراج فعمرت ضياعها (٧٤) مع ملاحظة أن الخراج الذي يحصل
 من الفلاحين ليدفع للسلطان قد يسامح المقطع ببعضه أو كله إن تأخر على المقطع

باق بسبب ضعف أو حاجة ، أما إذا كان الباقي المتأخر ناتجاً عن تفریط من الزراع أو المباشرين حوسبوا عليه بحكم قاضى الناحية بحضرة العدول (٧٥) .

وقد رسم السلطان جقمق فى سنة ٨٨٥٦ - ١٤٥٢م للمقطعين ، بأن البلاد التى رويت من ماء النيل فى تلك السنة يأخذون عنها من الفلاحين القطيعة قطيعتين ، ففعلوا ذلك ومشى هذا الأمر ، وكان ذلك لحاجة إلى المال ووقوع شرق وغلاء فى بعض الجهات الأخرى فى ذلك الوقت (٧٦) . وفى عهد قايتباى ، تولى جماعة من مماليكه تحصيل الخراج ، فجاروا على الفلاحين وأخذوا منهم غير العادة أضعافاً ، وكذلك الكشاف ، يقرر عليهم الأموال فيجورون على البلاد ويأخذون المال مضاعفاً ، ومنذ ذلك الوقت ، تلاشى أمر البلاد وانحط خراج المقطعين ، كما يعلق ابن إياس (٧٧) . وكذلك حدث فى زمن السلطان الغورى ، أن أرسل السلطان شخصاً من الخاصكية يقال له نافع الحازن إلى الأعمال الشرقية والغربية ، ليستوفى على المقطعين ما كانوا أوردوه من الخراج عن السنة التى أفردها السلطان على المقطعين ، فلما توجه نافع المذكور إلى هناك ، طبق على الفلاحين وفحص عن أصل خراج كل حصة وما تعمل فى كل سنة من الخراج ، فصار المقطعون فى وجل بسبب ذلك ، ورحل غالب الفلاحين ، وقد طالبهم ببقية الخراج زيادة عما أوردوه المقطعون فى بيت الأتابكى قبت الرحبى ، فأرسل الفلاحون يطلبون من المقطعين الرجعان بما أوردوه بيت الأتابكى ، ففرموا الفلاحون لنافق المذكور جملة من المال حتى سل عنهم (٧٨) .

هذا ما يتعلق بأمر الخراج ، أما نصيب الفلاح ، فيحل له عند نضج المحصول وبعد الحصاد ، فتكون المقاسمة مناصفة أو مثالثة ، بحسب ما اتفق عليه ، يأخذ المباشر ما يخص الديوان (٧٩) ، وتكون هذه القسمة بحضور شهود نظير أجر يتناولونه من المقطع والفلاح ، وبلغ من عناية المعاصرين من التقهاء بالتحرى عن حكم الشرع فى هذا الأجر ، أن طرحت الاستفتاءات حوله ، ومنها ، فإذا أخرج المقطع والفلاح من نصيبها أجرة معلومة للشهود فهل

لشهود أن يتناولوا الأجرة ؟ وهل هي حلال ؟ وهل لم على كتابة ما يطلب منهم كتابته الأجرة ؟ أجاب شهاب الدين بن حجر : « والله يهتدى للحق ، حضور الشهود قسم الغلات وضبط ما يتحصل منها وما يخص كل واحد من مستحقها برضى أربابها .. وأجرة الشهود ليس بحرام ، وهي من جملة المكاسب الدائرة بين الناس » (٨١) .

وهناك رسوم أخرى يدفعها الفلاح القرارى دون الطارىء ، وتعرف هذه الرسوم باسم « الحقوق » وهذه تسجل عند تسليمهم الأرض وتقدر بالدرهم بنحو ٢ إلى ٤ دراهم عن كل فدان غير الغلة ، على أن هناك من الأراضي ما هو معنى من هذه الحقوق (٨٢) وربما كان السبب في فرضها أو الإعفاء منها راجعاً إلى نوع الأرض وسهولة رباها ، أو لصفة الأرض كأن تكون وقفاً ، كقدينة شباس الملح بالغربية مساحتها ٧٤٣ فداناً قدرت الحقوق الواجبة عليها بنحو ٢٧٠٠ درهم ، وهي وقف السادة الأشراف (٨٣) ، كذلك بلغت الحقوق الواجبة على مدينة الروبيين بالأعمال القومية نحو ٢٣٥ ديناراً ، وهي وقف المدرسة الشافعية بالقيوم (٨٤) .

يؤخذ من الفلاح بعد هذه الرسوم عشر ما بقى له ، وهذا العشر كسابقه « الحقوق » ليس مطرداً في جميع البلاد ، فجهات البر والأوقاف معفاة منه ، كما أن بعض المزارعين الذميين معنى منه في بعض الجهات ، على أنه عام في نواحي الإقطاعات ، وربما قدر هذا العشر والزرع قائم أو حصيد قبل دراسته ، فيندب له : « من يقف على النواحي ويمرر ما بها من غلال ويقدر العشر عنها » (٨٥) ، وقرق بين هذا العشر الذي تعفى منه جهات البر الإسلامية والنعمة في الإقطاع المملوكي وبين العشر الذي كان يدفعه الفلاح في أوروبا الإقطاعية وتصر الكنيسة على تحصيله في أراضيها (٨٥) .

هذا ويدفع الفلاحون ما أخذوه من التقاوى السلطانية والتفروض بالكيل المتعامل به في الإقليم ، ويكلف ولاية كل إقليم بتحصيلها . فثلا حين رآك الناصر محمد البلاد ، حسب التقاوى السلطانية « الخلد » بالنواحي منذ أيام بيرس وقلوون ، في إقطاعات الأمراء والأجناد ، فوجد أن جمعها ١٦٠

ألف لإردب ، وهذا غير صافي الخصاص السلطاني ، فقرر التشو ناظر الخصاص مع السلطان الناصر تحصيلها وألزم الولاة بذلك^(٨٦) ، تعمل بعد ذلك دفاتر جديدة أو سجلات تعرف باسم « محازيم » ، ويفصل فيها أسماء الفلاحين وأصل المقاسمة ، مناصفة أو مثالثة الخ . . . والرسوم والعشر وما حصل من التقاوى والقروض^(٨٧) .

أما نصيب الفلاح من الثمن ، فيقدر بالثلث فقط ، على حين يقسم الثلثان الآخران ، بين المقطع والسلطان ، ويطلق على نصيب السلطان اسم « مقرر الأثمان » ، إلا إذا رأى الفلاح حاجته إلى المزيد من الثمن ، فله في هذه الحالة أن يشتري حصة الديوان بسعر المائة حمل^(٨٨) ، وإذا أراد أن يرعى ماشيته ، دفع رسماً معيناً ، وذلك بعد إضافة المراعى إلى الإقطاعات ، فكما أن الأمير المقطع يأخذ « ممن يرعى دوابه في أرض بلده الكشبح في كل سنة مالا عن كل رأس » ، وطريقة تقدير الثمن ، أن يرسل مندوبين من قبله ما بين مشدين وكتاب وشهود لعد المواشي وتحصيل الرسوم ، وذلك بعد هبوط الثبل ونمو الكلال^(٨٩) ، ويختلف هذا الاستغلال للمراعى ، عن أشباهه في الغرب الإقطاعي ، إذ كانت المراعى بأوروبا الإقطاعية ملكاً عاماً لأهل القرية كما كان الشأن في فجر الإسلام قبل أن تقطع المراعى^(٩٠) .

وهناك التزامات أخرى متنوعة يؤديها الفلاحون بحكم العادة لصاحب الإقطاع ، « كالضيافة والهدايا » ، وتشمل بعض منتجات الريف من غلة ودجاج وكشك وخراف وبرسيم وكعك وغيره ، بل إن هذه الضيافة اعتبرت ضمن الخراج إذ كانت تجبي مساندة ، فإذا نزل المقطع مع أتباعه في إحدى القرى الموجودة بإقطاعه ، حصلت له الهدايا^(٩١) ، هذا فضلاً عن بعض الخدمات التي يؤديها الفلاحون للمقطعين ، وتدخّل ضمن الهدية والضيافة ، وهي سخرة إقطاعية بمعنى آخر ، ولهذه الضيافات والهدايا نظائر بالشام ، وفي الروك ناصري أبطلت الضيافة والهدايا وأدخلت ضمن عبء الإقطاع^(٩٢) . غير أن هذا الإجراء لم يعف الفلاحين من أعبائها .

وتخزن المحاصيل المجموعة بأنواعها المختلفة في مخازن صاحب الإقطاع ، فإن كان سلطاناً ، كانت مخازنه على نوعين : الحواصل ، وتوصف بالشريفة ، وهى التى يساق إليها المحصل من الأصناف المختلفة كالبهار وأنواع الأصناف الأخرى من الأخشاب والأصصاب والحديد ، ويعرف النوع الثانى باسم « الشون والأهراء » . فأما الشون ، فيوضع بها ما يستعمل من الفللال والأحطاب والأبنان ، وأما الأهراء فيوضع بها ما يخزن من الفللال المتنوعة ، ولا تفتح إلا عند الضرورة ، ولذلك تعتبر الأهراء مخازن عامة . فثلا نجد السلطان الملك الأشرف شعبان قد حجر على بيع الفللال وكل من يريد بيع غلته ، عليه أن يحملها إلى الأهراء السلطانية ويقبض ثمنها ، فلما وقع الغلاء فتحت الأهراء وبيع ما فيها ، ويقال إن السلطان كسب فى هذه العملية ٣٠٠ ألف دينار . ولهذه الأهراء مراكب خاصة تعرف واحداً باسم « الترمونة » وحمولتها ٥٠٠٠ إردب ، ولها موظفون للإشراف عليها^(٩٣) ، وكانت الشون موزعة فى أقاليم مصر . فثلا كان يتجمع بالشون السلطانية بمدينة منفوط من الفللال المحصلة من بلاد الوجه القبلى نحو ١٦٥٠٠٠٠ إردب فى بعض العهود^(٩٤) ، أما شون الأمراء ، فنظامها على نحو نظام الشون السلطانية ، إلا أنها توصف « بالمعمورة » تميزاً لها عن السلطانية التى توصف « بالشريفة »^(٩٥) .

ويلاحظ أن الفلاح ليس مكلفاً بهذه الالتزامات المتنوعة فحسب ، بل إن طريقة جبايتها وتحصيلها كانت تصفية إلى حد كبير ، فثلا حدث فى سنة ٨٧٥٤ (١٣٥٣ م) فى عهد السلطان صالح بن عماد بن قلاوون ، أن تعجل المقطعون الخراج قبل ميعاده من الفلاحين ، وذلك بصدد الاستعداد لقمع فتنة العربان بالصعيد بقيادة الأمير شيخو ، فرسم السلطان للفلاحين بيع خيولهم بالسوق ، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج ، « فبيعت عدة خيول وأوردوا ثمنها للمقطعين »^(٩٦) .

ولما كان عربان الصعيد المقطعون كثيرى الماطلة فى دفع الخراج فضلا

عن قننهم المستمرة ضد المالك ، فقد احتج السلطان إلى كثير من العناء في تحصيل الخراج أو جمع المغل ، في المصطلح : فتلاخروج الأمير يشك الدوادار في سنة ٨٨٧٤ - ١٤٦٩م في عهد قايتباي متوجهاً إلى الوجه القبلي ، بسبب جمع المغل من البلاد القبلية ، واستغرقت هذه الرحلة نحواً من سبعة أشهر ، ويقال إنه فعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لم يسمع بمثله ، حتى إنه شوى بالنار محمود ، شيخ بني عدى ، كما خوزق (٩٧) جماعة من العربان ، وسلخ جلد جماعة ، بل دفن كثيراً من الأحياء منهم في التراب ، فدخل الرعب في قلوبهم ، ولذلك خلع عليه السلطان حين عاد (٩٨) .

ومن التبيد المفروضة على الفلاحين إجبارهم على الفلاحة ، يقول السبكي : « ومن قبائح ديوان الجيش ، إلزام الفلاحين بالإقطاعات بالفلاحة ، والقلاح حر لا يد لأدى عليه (٩٩) » . وفصل المقرري هذه العبارة بصدد حديثه المقارن عن نظم الزراعة في مصر الإسلامية في عصر الفتح الكبرى ونظمها في عصره ، فذكر أنه لم يعرف في ذلك العصر الأول هذه الآبذة التي يقال لها افلاحة في عهده ، ويسمى المزارع المقم بالبلدة فلاحاً قرارياً ، فيصير عبداً لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو قط أن يباع ولا أن يعتق فهو قن ما بقى ، ومن ولد له كذلك (١٠٠) ، بل إنه إذا حدث وهرب فلاح ، فراراً من الظلم والقسوة ، أعيد قسراً ، يقول السبكي : « وقد جرت عادة الشام ، بأن من نزع من دون ثلاث سنين ، أي خلال ثلاث سنوات ، يلزم ويهد إلى القرية قهراً ، ويلزم بشد الفلاحة ، والحال في غير الشام أشد منه فيها ، ومن قبائحهم يقولون : هذا شرع الديوان (١٠١) » وشرع الديوان هذا ، والمقصود به ديوان الإقطاع أو ديوان الجيش ، هو في الواقع استرقاق الفلاحين .

وهذا ما حدث بعينه في الإقطاع الأوربي نفلأعن الرومان ، حيث كان الفلاح مقيداً بالأرض فإذا هرب منها ، قبض عليه وسلسل كالعبد وعوقب أشد العقوبة ، بل يعاقب كذلك من سهل له الفرار (١٠٢) ، والمعروف أن الفلاح من الوجهة القانونية أكثر حرية من العبد أو القن ، ولكنه يشبه من حيث إنه يعيش على الأرض ولا يستطيع مفارقتها (١٠٣) . والغلاصة أن الفلاح عاش في النظام الإقطاعي حياة بائسة كلها معارم (١٠٤) :

- (١٦) الترقاق هي الأرض التي لم يصل إليها الماء لتفقد التربة فيها أو لطولها أو مد طريق الماء عنها (نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٧ ، غلط ج١ ص ١٦٢) .
- (١٧) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٨ .
- (١٨) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، غلط ج١ ص ١٦٢ .
- (١٩) يطلق اسم الباق على الأرض حين تغلق من زراعة القنط والمقاني .
- (٢٠) انقضاء هو العطين السواد الذي يصلح لزراعة وينبت فيه الكلال الصالح للرمي إذا لم تنزع ، ويسمى هذا الكلال في الصعيد ، الكنجج ، وهونبات تستنى به الخيل والتمواب والماتية عن البرسيم .
- (٢١) قطيعة القالب دون قطيعة الخرس .
- (٢٢) قطيعة هذا النوع متوسطة ، وأغلب ما تكون بالكشأ أو الكين وليست غلة - انظر مايل .
- (٢٣) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، غلط ج١ ص ١٦٢ .
- (٢٤) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٨ ، غلط ج١ ص ١٦٨ ، صحح الأضنى ج٣ ص ٤٥٨ .
- (٢٥) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- (٢٦) صحح الأضنى ج٣ ص ٤٥٨ .
- (٢٧) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٥٠ .
- (٢٨) السلوك ج١ ص ١٤٦ .
- (٢٩) تستخدم القنطرة في دمشق لنبذة الحبوب وسماها ١٢ كيلة والكيل ٦ إمداد ينقص قليلا عن الربع المصري . (مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٢٧٦ - ٢٧٧ ، غلط ص ١٦٢ انظر - المكاييل باللاحق) .
- (٣٠) السلوك ج٢ ص ٤٣٦ .
- (٣١) نهاية الأرب ج٨ ص ٢٥٠ ، غلط ج١ ص ١٤٧ .
- (٣٢) المقاسمة والزراعة والخايرة المقاسمة أدقة وهي اصطلاحات لزراعة الأرض على شرط ما يخرج منها من المحصول ، وتختلف الخايرة ، وهي لغة مشتقة من الخبير وهو الفلاح ، عن المقاسمة والمزراعة فقد اعتبر الفقهاء أن المقاسمة أو المزارع متكون إذا كان البذر من صاحب الأرض ، على حين يكون البذر من العامل أو الفلاح في الخايرة ، وذكروا أن الذي (ص) نهي عن المزارعة والخايرة على أساس أن العقد فيها على شيء غير معروف ، لأن العامل يصل في الأرض من غير أن يدرى ما يصيبه ، ومن الفقهاء من أجاز هذه الطرق استنادا إلى أن الذي (ص) عامل أهل خبير على أرضها وتخلها بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع ، وفي رواية أخرى أنه عاملهم على أساس ، المساقاة ، وهي عقد يتضمن معاملة الشخص غيره على شجر أو حطب أو نقل ليصهده بالسق والتربة نظير قدر معين من الثمر ، وعلى هذا الأساس يجوز المزارعة تبعاً للمساقاة ، واختار النووي جواز المزارعة والخايرة على أن يكون البذر من المالك ، وحل أحاديث الرسول (ص) في أنهى عنها على ما إذا اشترط المالك لنفسه ناحية معينة من الأرض

والعامل أو الفلاح الأخرى . كما أجاز أبو يوسف ومحمد ذلك ، لأن فيه توسعة على الناس وحصلت لهم
والذي سار عليه الأمر في عصر الماليك ، هو أن البذر من الفلاح ، والقطع أو أي مالك الحق الاستقلال
أو الانتفاع ، لأن التقاضي السلطانية توزع ثم تحصل قيمتها حيناً أم غلة (الشرائع : اليزان - فقه
شافعي - ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠١ ، حاشية البيهقي على ابن قاسم الفزري على متن أبي شعيب في مذهب
الإمام الشافعي ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ ، الخطيب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شعيب ج ٢ ص ٩٦ ،
٧٧ ، المغنسي . التهذيب في علم الفقه ص ٧٣ ، حاشية البرملي على شرح القاية لابن قاسم الفزري
ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، الجزيري : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ج ٢ ص ٣ - ٦ ، الكندي :
تذویر القلوب ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، شرح فرائض التاج (فقه حنفی) ورقة ١٩٣ و ٢١٩ (جامع
مخطوط رقم ٤٨٤ - مدار الكتب) ، التنقيح : كنز العقائق ص ٣٣١ ، دور الحكام في شرح
الحكام في شرح غرر الأحكام ورقة ٤٢٦ ، مطبوع أرلين بالسا : الأحكام المرعية في شأن الأراضي
المصرية ص ١٤ - ١٧ - المرجع الأخير أن مكتبة الحرم الشريف بمكة المكرمة رقم الأول ٦٥ والثاني ٤٥٩)
(٣٣) شرح فرائض التاج ورقة ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣٤) الإجازة لغة : اسم للأجرة ، وشرعاً : عقد متضمن مقصود تعاقب للبدل والإباحة بموجب
معلوم ، ومحتاجا كملك الكراء وهو التأجير لغة ، ومنها الأكار وهو الفلاح ، وقد أمر الرسول (ص)
بالأجرة . (أبو عبد الله مسعود التنقيح : كنز العقائق ص ٢٩٤ ، دور الحكام في شرح غرر
الأحكام مخطوط ورقة ٣٧٩ ، ٣٨٢ (مكتبة الحرم الشريف المكي رقم الأول ٦٥ والثاني ١٨٩)
حاشية البيهقي ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ ، الشرائع اليزان ج ٢ ص ١٠١ ، التهذيب ص ٧٣) .

(٣٥) رسالة في أحكام الرزق الصادرة من الإمام أو نائبه ص ٣ - ٤ .

(٣٦) حدثت قرأت استثنائية خلال تلك الحقبة ارتفع فيها السعر لمطامير المشرفين على
الإطعامات ، ففلا طرح التنو ناطر خاص الناصر محمد سنة ٨٧٣٧ (١٣٣٩ م) فدان لتقلص على
* الثلاثية * بسم ١٢٠٠ درهم (السلوك ج ٢ ص ٤٢٠ ، صبح الأعيان ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٨) .

(٣٧) صبح الأعيان ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٨ .

(٣٨) كانت القروض منتشرة في هذه الفترة ولا سيما في سنة ٨٨١٠ (١٤٠٧ م) بسبب
خروج الأمير بيك العرفي نائب حلب على السلطان فرج بن برقوق وإعلان نفسه سلطاناً بحلب
حتى غصنته البلاد لشامية من القررات إلى غزة ، ومع مثلل بيك ، قامت ثورة أخرى بزعمارة
نوروز الحافظي نائب الشام وشيخ الحمودي نائب طرابلس ، وهو اتقى سلطاناً لها بعد
(بدائع الزهور ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٢) .

(٣٩) صبح الأعيان ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٨ .

(٤٠) إنفاة الأمة بكشف الدمة (نشر زيادة والتشيال) ص ٤٥ - ٤٧ .

(٤١) معيد التيم ص ٣٥ .

(٤٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٦١٠ .

(٤٣) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤٤) ابن شاذان : زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ .

(٤٥) زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ .

(٤٦) غلط ج ١ ص ١٣٨ .

(٤٧) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٨ وصحح الأضنى ج ٤ ص ٤٥٨ .

(٤٨) يرجع أصل كلمة *Vassal* إلى الكلمة الكلتية *Gwas* بمعنى خادم أو ولد صغير ثم صارت في اللغة اللاتينية *Vassus* ، ويبدو أن كلمة *Vasalus* مشتقة من الصفة الكلتية *Gwasawel* بمعنى الذي يخدم ، وأخذت كلمة *Vassus* معنى العبد *Slave* خلال العصر البيروني . ثم أطلقت بعد ذلك على الرجال الأحرار التابعين لأسيادهم ، وتطورت دلالتها ، فصارت تدل على معنى التهذيب والرفقة *Gentility* ولكنها استعملت للبلاد إنجلترا الإقطاعية واستعمل مكانها وبمعناها بكثرة ، كلمة *Tenant* أي المستأجر أو المزارع ، ومن هؤلاء كبار المزارعين *Tenant in Chief* الذين حازوا أراضيهم من الملك مباشرة .
(Gunshoff, p. 5, Steph. p. 735 ; Dutailly, p. 67) .

(٤٩) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦١ .

(٥٠) هذا اللفظ *Rustici* لاتيني جمع والمفرد *Rusticus* بمعنى ريفي ، ويتضمن معنى العشوية والتخلف .

(٥١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٥ .

(٥٢) كان الرومان يعرفون أن الأرض سرعان ما تجهدها الزراعة المتوالية ، وسألوا علاجها تارة بأنواع من الفصيات (الأسمدة) وتارة أخرى ، زراعتها بأنواع معينة من المحصول شأنه تقوية الأرض ، غير أنهم فضلوا نظام الحقلين ، فيزرعون النصف ويريحون النصف الآخر وقد سارت هذه الطريقة في الصور الوسطى في كل جنوب أوروبا كوديان بلاد الغال الخصبية وبعض مناطقها الشمالية مثل بريتانيا ، ويلاحظ أن هناك طريقة الثلاثة حقول *The Three Field Cultivation* وهذا مستخدمها ألمانيا ، وبمقتضاها يترك ثلث الأرض كرايا من غير زراعة في كل سنة على حين يزرع الثلثان الآخران أحدهما في الخريف والآخر في الربيع ، وتعتبر من الطرق المتقدمة الناتجة في الزراعة لأنها ضمن إراحة قسم من الأرض كل سنة ، وثقوب مقام الدورة الزراعية وأعمال التسميد الحديث اللازمة لصون الأراضي (كويولاند - ترجمة الدكتور زيادة - ص ٢٦ ، ٢٨ ،
Stenton pp. 258 - 256

(٥٣) غلط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٤ .

(٥٤) المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٥٥) انظر المكابيل .

(٥٦) التفتلات هي المحارث الكبار ، والبرش الحرث (غلط ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦) .

- (٥٧) المصدر السابق ص ١٦٥ .
- (٥٨) الأبلوجة ميكيليسم قنطراً لما حوله من عصير القصب (خطوط ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦)
- (٥٩) المصدر السابق .
- (٦٠) خطوط ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٦ .
- (٦١) زبدة كشف المالك ص ١٢٩ .
- (٦٢) خطوط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ - ١٨٧ ، أنباء القمر ج ١ ص ٢٠١ ، وزبدة كشف المالك ص ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٨ - ٤٠ ، السلوك ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١١٢ و ٢١٧ - ١٢٢ .
- (٦٣) انظر الفصل التالي .
- (٦٤) خطوط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- (٦٥) يقصد بذلك الأمراء الأمير تنكز باعتباره كبير نواب الشام .
- (٦٦) تاريخ بيروت ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- (٦٧) درة الأملك مصور ج ١ ورقم ٢٧٣ ، حوادث الدهور ج ١ ورقة ١٧٩ - ١٨٣ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤٤ ، ٢٦٧ ، والنخبة السلية ص ١٠٣ ، انظر الخريطة .
- (٦٨) أورد صاحب النجوم إحصائية هذه المكلفة عند حديثه عن الوباء الذي حدث في سنة ٥٧٤٩ (١١٣٤٨ م) رأى إل فناء كثير من الفلاحين - أين تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١ .
- (٦٩) صبح الأضنى ج ٣ ص ٤٥٨ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٠ ، ٢٥٥ .
- (٧٠) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٠ - ٢٤٠ .
- (٧١) يقول القرظي ، قلبية فدان القمح بالصعيد إردبان ، وفي أسفل الأرض - أي الوجه البحري - يؤخذ عينا لاغلة ، (خطوط ج ١ ص ١٦٣) .
- (٧٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٠ - ٢٥٠ .
- (٧٣) خطوط ج ٢ ص ١٦٤ .
- (٧٤) يلاحظ أن تنكز مراد عنه كقوله تسخير الفلاحين (المراد ج ٢ ص ٤٧٨ - ٤٣٠) .
- (٧٥) التيسير والاعتبار ورقة ١٧ ، انظر مهمة قاضي الفلاحين بفصل المجتمع والمساكين باللاحق .
- (٧٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٤ .
- (٧٧) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٠٢ .
- (٧٨) بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٤ .
- (٧٩) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
- (٨٠) شرح فرائض التاج ورقة ١٩٣ - ١٩٤ .
- (٨١) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

- (٨٢) التحفة السنية ص ٨١ .
- (٨٣) التحفة السنية ص ١٥٢ .
- (٨٤) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
- (٨٥) كويلاند : الإقطاع والمصور الوسطى (ترجمة الدكتور زيادة ص ٣٤) .
- (٨٦) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٣١ .
- (٨٧) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٦٠ .
- (٨٨) قوانين اللواتين ص ٣٤٤ .
- (٨٩) غلط ج ١ ص ١٧٣ .
- (٩٠) كويلاند وقينو جيرانوف - ترجمة زيادة - ص ١٠٤ - ١٠٩ .
- (٩١) غلط ج ١ ص ١٤١ - ١٤٣ و ١٦٦ - ١٦٧ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ .
- (٩٢) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥١ .
- (٩٣) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٧١ ، زبدة كشف الممالك ص ١٣٢ - ١٣٣ .
- (٩٤) زبدة الممالك ص ٣٣ .
- (٩٥) صحح الأمشي ج ٤ ص ٦١ .
- (٩٦) السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٦ و ٣٤ .
- (٩٧) أنظر فصل المجتمع ومسائل التعذيب .
- (٩٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٢ ، ١١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .
- (٩٩) معية النعم ص ٤٤ .
- (١٠٠) غلط ج ١ ص ١٣٨ .
- (١٠١) معية النعم ص ٤٤ .
- (١٠٢) كان هذا القيد من التشريعات التي أصدرها الإمبراطور ثيودوسيوس (ت ٣٩٥م) حين نظم الزراعة في فلسطين، وينص التشريع وهنا لا يستطيع المزارع أن ينتقل حسب رغبته لكن بعد السوابق التي حدثت في الولايات الأخرى ، سيكون مرتبطاً بماك الأرض ولن يتمكن أحد من إيوائه وإلا دفع غرامة ، كذلك لماك الحربة الكاسلة والحق المطلق في إعادة الحارث
- قائلاً : . ; 250-300 pp ; Steph pp. 2-5 ; T. II , (H, G) , Seignobos
(107, 111 - 112) .
Loe, pp. 107, 111 - 112) .
- (١٠٣) Vinogradoff, p. 476 ; Seignobos, II, pp. 2-5 .
- (١٠٤) كويلاند (ترجمة الدكتور زيادة) ص ٢٤ - ٢٥ .

الفصل الثامن

المنافقات الإقطاعية

المصالح الجوهرية في منقولات الإقطاع وسلطة
ولي الأمر بين الشرق والغرب - الصور المختلفة
لانتقال الإقطاع - انتقال إقطاع السلطنة أو الحماص
الشريف لكل سلطان جديد - منقولات عامة يجرها
السلطان لمواضع سياسية - منقولات خاصة تتم بين
المقربين أنفسهم بالمقايضات أو التنازل أو البيع نظير
مبالغ من المال - ديوان العدل ومهمته في هذا الصدد -
التهبون - الأوراق التي تكتب بعدد المنقولات الإقطاعية
- تدبير حالة الإقطاع نفسه - زيادة الإقطاع أو إنقاصه -
الطرائقات وصورها - العزل عن الإقطاع - البطالون -
الانتقال بعد الوفاة ونظام الوراثة في الشرق والغرب -
المحاولات من الإقطاعات وإقطاعها - الحسابات عند الإقطاع -
المحلون في الإقطاع المملوكي ونظيره في الغرب .

المناقشات الإقطاعية تعبير ساد في مصطلح النظام الإقطاعي في مصر
 والشام على عصر السلاطين المماليك للدلالة على انتقالات الإقطاع الواحد
 من يد إلى أخرى حسبما يرى السلطان ، وانفرد النظام الإقطاعي بهذه الخاصية
 لارتباط الإقطاعيات بالوظائف والخدمات التي يؤديها المقطعون للدولة في
 شخص السلطان ، وما المقطعون على اختلافهم إلا موظفون في حكومة مركزية
 على أشد ما تكون المركزية ، وهذا على خلاف الإقطاع الغربي ، فهو وإن
 اتفق في بعض مظاهر النشأة أيام تأسيس الدول الجرمانية على أنقاض الإمبراطورية
 الرومانية ، إلا أنه صار من الناحية العملية ملكاً يتناقله الخلف عن السلف نظير
 حقوق والتزامات متبادلة بين السيد وتابعه ، ومع أن ولى الأمر في الإقطاع
 الأوربي - نظرياً - صاحب حق في استرجاع إقطاع تابعه إذا أخل بالتزاماته
 أو ارتكب جناية ، فالغالب أن يرفض التابع قرار ولى الأمر ، وحينئذ
 يكون السيف هو الفاصل بينهما^(١). أما الإقطاع السائد في عصر المماليك
 فهو إقطاع استغلال ، يقول السبكي : إن الإقطاعيات المعروفة في هذا الزمان
 إنما هي إقطاعيات إرفاق^(٢) ، وهذا الإقطاع لا يعطى المقطع رقبة الإقطاع
 وإنما حق الاستغلال ، أو الانتفاع أو الارتفاق فحسب ، ومع أن إقطاع
 التملك حدث في وجد في الأرض الموات والأرض العامرة ، إلا أنه ظل
 في حكم النادر ، فضلاً عن شرط إذن السلطان أو ولى الأمر في ذلك^(٣) ،
 ولذا نصت الوثائق الإقطاعية على أن الإقطاع من « صدقات السلطان »
 أو من مراحم مولانا السلطان وكرم الدولة . وأن السلطان تصدق وأنهم وحكنا
 على خلاف المعروف عن الإقطاع الغربي ، حيث يعتبر كبار الإقطاعيين
 أنفسهم أقراناً للملك ، بل إن من قواعد الصليبيين المعروفة حين استقروا

بالشرق الأوسط : « أن القادم الأول له الحق الكامل في ملكية كل قصر وكل مدينة بشرط أن يظل قادراً على حمايتها » ، ولما كان النبلاء الإقطاعيون هم الذين سبقوا في التأسيس لأنفسهم بالأرض المقدسة ، وأن الملكية لم تأت إلا كضرورة التنظيم ظل بروز سلطة النبلاء الخاصة الكبرى في النظام الإقطاعي بالملكة اللاتينية ، أما ما عرف في عصر المماليك من اصطلاح « الخشداشية »^(٤) وهم ازملاء أو الأقران ، فالفرق جد شاسع بين هؤلاء وبين الأقران في الإقطاع الغربي ، فالخشداشية هم الذين تربوا معاً عند سلطان أو أمير ، وعند ولاية أحدهم السلطنة ، وأكثر ما تفرق بالقوة ، يصبح لديه من القوة والمنعة بمماليكه ما يستطيع معه أن يستبد بالأمور دون غيره فيعزل ويولى من يشاء ويحرم متى رأى ذلك دون خشية من خشداشية أو نحوهم . يقول ابن إياس عن قطز : « فلما تسلطن قبض على جماعة من خشداشيته من الأمراء والخدام وأرسلهم إلى الحلبوس بشفر دمياط والإسكندرية ، فلما فعل ذلك استقامت أموره في السلطنة وصفا الوقت وأنشأ عصابة من الأمراء »^(٥) ، وما المناقلات بالإقطاعية التي نحن بصدها إلا المظهر الأكبر لهذه القوة والسيادة والتركيز .

وأول ما يسترعى النظر ، هو انتقال إقطاع السلطان إلى السلطان الجديد ، ولقد حرص أمراء المماليك أنفسهم على ألا تصيح السلطنة نفسها وراثية ، وبالتالي ينتقل إقطاع المرشح للسلطنة بعد تربيته على عرشها إلى أمير آخر ، وفي مثل هذه الأحوال تقوم حركة مناقلات إقطاعية كما فعل السلطان جقمق حين ولد السلطنة سنة ٨٤٢هـ - ١٤٣٨ م ، فخلع على الأمير قرقماش الشعباني واستقره أنابكاً لساكر مصر عوضاً عن نفسه وقرره في إقطاعية ووظيفة نظام المملكة التي كان يشغلها^(٦) ، وزاد عليه امرأة أربعين بدمشق ، وتلا ذلك طبعاً مناقلات إقطاعية أخرى^(٧) ، ولما تسلطن أحمد بن إينال سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠ م ، خلع على الأمير خشقدم الناصري أمير سلاح وقرره في الأتابكية عوضاً عن نفسه وأخرج له مكتوباً بإقطاع الأتابكية^(٨) .

وهناك مناقلات عامة تقتضيها عوامل سياسية فينتقل بعض المقطعين من جهة إلى جهة أخرى كما حدث في عهد كنجيا إذ عزل الأمير عز الدين الحموي نائب دمشق لسبب أمور صدرت منه سنة ٨٦٩٥ = ١٢٩٥ م ، وولى مكانه أحد مماليكه وهو الأمير غرلو وأعطى الأمير المزعول إقطاع غرلو في مصر^(٩) ، وحدث مثل ذلك في عهد الناصر محمد سنة ٨٧١٢ = ١٣١٢ م ، حين تبرم الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة من فقة المماليك السلطانية المقطعين بحماة ، فنقلهم الناصر إلى حلب ، وفي ذلك يقول أبو الفداء « سألتى السلطان عن أحوالى وما أشكوه منه فلم أفصح له بشيء ، فاطلع بعلمه الشريف وحده ذهنه وقوة فراسته على تغلق من الأمراء المماليك السلطانية المقيمين بحماة ، فلأنهم استجدوا بحماة لما خرجت من بيت التتوى الأيوبي ، فاطلع على تعبي مهمهم وأنهم ربما لا يكونون وفق غرضى ، فاقضى مرسومه الشريف فنقلهم إلى حلب مع استمرار إقطاعهم التى كانت لهم بحماة عليهم ، لى أن يتجلى ما يعرضهم به ، فتقدم مرسومه إليهم بذلك ووصل إليهم المرسوم على البريد بتوجههم إلى حلب ، فخرجوا عن آنهم بأهلهم وجندهم وكانوا نحو ١٤ أميراً ، بعضهم طبلخاناه وبعضهم أمراء عشرات ، ولم يبق بحماة غير من اخترت مقامه عندى ، واقضى هذا النقل تنظيمياً إقطاعياً جديداً فى السنة التالية ، إذ شعر الأمراء المقولون بصعوبة إدارة إقطاعهم والانصال بها ولاسيا وليس بحلب إقطاعات « محلولة » ، تكفيهم ، فرفعوا شكايهم إلى السلطان وأعطوا تبرمهم من صاحب حماة الذى تسبب فى النقل ، وطلبوا العودة إلى حماة ، واستجاب الناصر إلى هذه الشكوى بأن اتفق مع الملك المؤيد على نقل إقطاعات المعرة وبلادها من نيابة حماة إلى نيابة حلب ، وجاء المرسوم الشريف ، وذلك فى المحرم من سنة ٨٧١٣ - ١٣١٣ م^(١٠) ، وفى سنة ٨٧٢٩ = ١٣٢٩ م ، أمر السلطان الناصر بمبادلة إقطاع الأمير حسين بن جندر بمصر بإقطاع الأمير جوبان بالشام وذهاب ابن جندر إلى دمشق وحضور جوبان إلى القاهرة ، لأن الأول استأذن فى عمل (خوخة) بسور القاهرة

إلا أن الأمر عاد إلى هنا الفساد مرة أخرى حين تولى الأمير منجك اليوسف منصب الوزارة للسلطان صالح بن الناصر محمد ، وانطلقت يده في الأموال ، فكثرت الرشوة حتى صارت جميع أعمال المملكة وولاياتها لا يعين فيها إلا بالمال (١٤) ، وفتح باب الزولات والمقايضات ، فباع الجندى إقطاعه ، وتراوح المبلغ المدفوع في الإقطاع ما بين عشرين ألف درهم إلى ما دون ذلك ، للوزير منه جزء معلوم ، وازدادت الحال سوءاً أيام وزارة الأمير قبلاى سنة ٨٧٥٣ = ١٣٥٢م للسلطان صالح (١٥) ، فبيعت نقاد الحلقه ، أى إقطاعات مقدمى الحلقه ، وظهرت طائفة جديدة من المرتظين مرغوا باسم « المهيبيين » بلغت عدتهم نحو ٣٠٠ مهيبس ومهيمتهم الطواف على الأجناد وترغيبهم في الزول أو المقايضة بإقطاعات مقابل عمولة مقدارها مائة درهم على كل ألف درهم يتقاضاها المهيبس بعد إتمام صفقة البيع ، وبلغ الفساد أقصاه حين صارت رسوم كتاب ديوان الجيش في المقايضات موضع خفض ورفع ، فخفض الأمير شيخوخو العمري (١٦) على أثر تعيينه رأس نوبة سنة ٨٧٥٤ / ١٣٥٣ م ، في سلطنة صالح ، هذه الرسوم إلى ثلاثة دراهم بعد أن بلغت عشرين درهماً (١٧) .

ومن أمثلة التنازل عن الإقطاع ، ما حدث في إقطاعات أمراء العرب من بنى تنوخ بلبنان ، فنزل ناصر الدين الحسين عن إقطاعه لولده زين الدين صالح لما كبرسته ، ومضمون النزول وهو بتاريخ رمضان سنة ٨٧٤٩ / ١٧٤٨م « أنه ينزل عن إقطاعه بحكم أن يقضى ديونه ويقوم بكلفته وكلفة عائلته باقى عمره » (١٨) ، ونزل صالح هذا بدوره عن إقطاعه لولديه أحمد ويحيى وجعله بينهما بالسوية في منشور واحد بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٨٧٧٤ / ١٣٧٣م ، واشترط عليهما أن من يتوفى منهما أولاً يستمر نصيبه لأخيه من غير تجديد منشور ثان (١٩) ، ومن الواضح أن هذا النوع من نزول الوالد لولده عن إقطاع فيه معنى من معانى الوراثة ، وتعرف الوثيقة الإقطاعية التى تكتب بصد

التنازل أو المقايضة باسم « الإشهاد » وهي تقابل « المثلال » فيوقع ناظر الحديث على الإشهاد بتأشيرة تختلف عما يوقع به على المثلال ، واصطلاح على تسمية هذه التأشيرة باسم « الكشف » ، ومضمون هذه التأشيرة : « رافعه (الضمير عائد على الإشهاد) فلان أنهى ما هو كذا وكذا وسأل كذا وكذا ... » .
ويذكر حال الإقطاع المتنازل عنه أو المقايض به ، ثم يوقعها السلطان ، وتأخذ مجرى المثلال (٢٠) .

هذا والإقطاع نفسه دائم التحول من حالة إلى أخرى غير حالة المناقلات بين المقطعين ، كأن يكون الإقطاع في يد مقطوع ثم يستحيل إلى ملك حر أو وقف ، أو يحدث العكس ، كأن يتحول الوقف إلى ملك أو إقطاع وهكذا ، فليس هناك أى قيد يحول دون هذا التحول ، فهذه بلدة تقدوس^(٢١) بالشرقية ، وقف خوند والد الأشرف شعبان ، تحولت بعد وفاتها إلى إقطاع للمقطعين^(٢٢) .
وحدث العكس في سنديون بالقلبية ، فقد كانت من إقطاعات الممالك السلطانية والحلقة ثم تحولت إلى وقف للسلطان برسباى^(٢٣) ، وفي عهد قايتباى تحولت المنشية وجرف النجاة بالقوصية من أرض إقطاعية إلى غراب ، كما صار إقطاع مدينة سوهاي بالأعمال الإخمبية ملكاً للسلطان قايتباى وهكذا^(٢٤) .

ومن المناقلات الإقطاعية زيادة الإقطاع أو النقل إلى إقطاع أكبر ترقية للعاملين ومن يرى ولي الأمر ترقية لهم ، و نقص الإقطاع أو النقل إلى إقطاع أصغر عقاباً أو لطمع السلطان نفسه ، وهناك الإقصاص بسبب العجز عن الخدمة لكبر السن أو المرض ، ويستوى في هذا الصدد أن يأتي الإعفاء من جهة السلطان لتابعه بالعزل ، ويعطى مرتباً ثابتاً أو ينقل إلى إقطاع أصغر أو أن يأتي بناء على طلب المقطوع نفسه لإعفائه من الخدمة على أن يمنح إقطاعاً أصغر يقوم بأوده بقية حياته ، وهو في الحالين أشبه ما يكون بالحال على المعاش ، وطلب بعض الأمراء الإعفاء ، لاجزأ ولا مرضاً ولا تقدماً في السن ، بل فراراً من المسئولية ، وأحياناً يرى السلطان إحالة التابع على المعاش أو يهدده بالإحالة

لا لسبب من هذه الأسباب وإنما لهدف سياسي وضرورة يراها ولي الأمر ، وهذه الإحالة الإجبارية هي نوع من العقاب الخفيف ، ويطلق على الشخص في هذه الأحوال كلها اسم « الطرخان » والمزلة التي صار إليها هي منزلة « الطرخانية » (٢٥) .

والأمثلة على ذلك كله إنعام السلطان جقمق سنة ٨٤٤٨ / ١٤٤٤ م ، على الأمير انطينا للفاف بإقطاع زيادة على إقطاعه ، وحاز هذا الأمير عدة زيادات في عهد جقمق حتى بلغ مرتبة مقدمي الألوفا (٢٦) ، وزاد السلطان جقمق كذلك الأمير سنقر الخازندار إقطاعاً فضلاً عما بيده في سنة ٨٥٢ / ١٤٤٨ م (٢٧) ، بل إن هذا السلطان أنعم على حفيده وهو ولد ابنة الفخرى عثمان سنة ٨٥٦ / ١٥٥٢ م ، بتقدمة ألف زيادة على تقدمة ألف سابقة أي أنه صار بيده إقطاعان كبيران يعد الواحد منهما من أكبر الإقطاعات في الدولة (٢٨) وتصدر بهذه الزيادات منشائر جديدة لتثبيت حق المقطع فيما زيد له ، وتعرف باسم « منشائر الزيادات » وحكمها حكم المنشائر العامة من حيث الاختلاف تبعاً لمرتبة الأمير (٢٩) .

أما إنقاص الإقطاع فن أمثلته نقل الأمير كوندك نائب السلطنة عند السلطان السعيد بن بيبرس من منصبه وإقطاعه ، وهو إمرة مائة وتقدمة ألف ، في سنة ٨٦٨ / ١٢٧٩ م ، إلى إمرة أربعين بحلب ، وجاء ذلك نتيجة موقفه من بعض الخاصكية ، فقد امتنع عن تنفيذ أمر السلطان بإطلاق مبلغ قرره لهم (٣٠) ، وارتجع السلطان شعبان سنة ٨٧٦ / ١٣٦٦ م ، من أولاد يلبغا الأتابكي تقادمهم وأنعم عليهم بطبلخانات (٣١) ، ولما أمر السلطان جقمق بعزل الأمير سودون السوداني الحاجب عن وظيفته سنة ٨٤٦ / ١٤٤٢ م ، ونفيه إلى قرص شفع فيه فرسم جقمق بتوجهه « على إقطاعه من في طرابلس » ثم شفع فيه فأقام في القاهرة (٣٢) ، كذلك نفي جقمق الأمير أرزمك البشتكي سنة ٨٥٤ / ١٤٥٠ م ، فلما شفع فيه أعاده بعد أن أخرج من إقطاعه حصّة

بناحية المرصفا بالقلوبية (٢٣) ، وحدث مثل ذلك سنة ٨٨٥٩ / ١٤٥٢ م ، حين أخرج السلطان جقمق نصف إقطاع الأمير جانبك التوروزي (٢٤) .

ولما نظّم أهل قرية سرمين بالشام إلى السلطان قايتباي خلال رحلته سنة ٨٨٨٢ / ١٤٧٧ م ، من مقطعمهم ، أمر السلطان بإخراج هذه القرية من إقطاعه وأضافها إلى الذخيرة الشريفة ، وعوض المقطع مبلغاً من المال نظير ذلك (٢٥) .

ومن أمثلة الإنقاص لطمع السلطان نفسه ما فعله السلطان الناصر محمد سنة ٨٧٢٦ / ١٣٢٥ م ، حين أمر بإخراج قرية التحرير بالقرية بعد تعميمها إلى الإقطاع السلطاني وكانت ضمن إقطاع الأمير مستقر السعدى قتيب الجيوش (٢٦) .

ومن صور الطرخانيات ، المختلفة ما فعله السلطان علي بن شعبان سنة ٨٧٧٩ / ١٣٧٧ م ، حين أرتجع إمرة طينال المارديني وهي طبلخاناه ، وعوضه عنها إمرة عشرة ورسم له أن يكون طرخاناً (٢٧) ، كما سمح في سنة ٧٨١ / ١٣٧٩ م ، للأمير أيلمر الشمسي أحد المقدمين ، أن يكون طرخاناً ، ورتب له ما يكفي (٢٨) ، وجاء الأمير إياس الطويل نائب طرابلس في سنة ٨٨٧٦ / ١٤٧١ م ، إلى السلطان قايتباي وطلب الإعفاء لكبر سنه ، فرسم له السلطان بالعودة إلى إقطاعه بطرابلس يأكل منه وهو طرخان (٢٩) ، أي أنه لم ينقص إقطاعه أو إمرته ، وطلب سودون الأفرم من قايتباي إعفاءه من السفر لقمع بعض الخارجين ، فأخرج السلطان عنه التقدمة وأعطاهها للأمير فجماس الإصصاني ، ثم رتب لسودون إمرة عشرة وبقى طرخاناً حتى توفي بمصر سنة ٨٨٧٨ / ١٤٧٣ م (٣٠) . وتقدم الأمير لاجين الظاهري إلى السلطان قايتباي في عام ٨٨٥ - ١٤٩٠ م وذكر للسلطان أنه قد شاخ وكبرت سنه وعجز عن الحركة ، وطلب إعفاءه من إمرة مجاس ، فأعفاه السلطان ورتب له ما يكفي واستمر طرخاناً إلى أن مات (٣١) .

كذلك توفي الأمير بردبك الظاهري سنة ٨٨٩٢ - ١٤٨٦ م ، ويده
إمرة عشرة بأكلها وهو طرخان (٤٢)

ومن الذين طلبوا إنقاص إقطاعاتهم والحصول على منزلة الطرخانية
فراراً من المسئولية ، الأمير ترقماش ، إذ اعتذر عن السفر وأظهر العجز
للسلطان قايتباي وهو يستعد لحرب شاه سوارين دلقادر سنة ٨٧٣ / ١٤٦٨ م ،
على أن يكون طرخاناً في أي مكان يحدده السلطان ، غير أن قايتباي فطن
لحيثته فلم يجبه وأتبه وألزمه بالسفر (٤٣) .

ومن عوقبوا عقاباً خفيفاً بالإحالة إلى منزلة الطرخانية ، الأمير منجك
اليوسفي نائب حلب في عصر السلطان حسن ، فقد احتج هذا الأمير ثم قدم
على السلطان متوسلاً سنة ٨٧٦١ / ١٣٥٩ م ، فرق له السلطان ، لكونه لم يخرج
من بلاده ، ورسم له بإمرة طبلخاناه بدمشق وأن يكون طرخاناً بقم حيث
شاء ، وكتب له توقيعاً شريفاً (٤٤) . وعرض السلطان برقوق بعض ممالك
السلطان شعبان سنة ٨٧٨٤ / ١٣٨٢ م ، فعزل خمسة منهم عن إقطاعاتهم وجعل
لهم رواتب في مرتبة الطرخان (٤٥) ، بل إن السلطان الغوري توعد فريقاً من
أمرائه المقصرين في إعداد الممالك وتجهيزهم بالاباس الكامل والخيول الجيدة ،
أثناء العرض بإخراجهم عن إقطاعهم إلى الطرخانية (٤٦) .

على أن الطرخانيات ، لم تقتصر على أبواب السيوف ، بل سرت هذه
التسمية كذلك على رجال القلم الذين استعفوا من الخدمة ، إلا أن هذا النوع
قليل نادر (٤٧) ، ولبس في المراجع المتداولة هنا سوى طرخانية واحدة
أوردتها القلقشندی ، وهي عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون للقاضي
قطب الدين بن المكرم أحد كتاب الدرج بديوان الإنشاء حين اختار الإقامة
بالحجاز (٤٨) .

وجرى المصطلح على تسمية الوثائق الخاصة بهذه العملية باسم « مراسم بالطرخانيات لرجال السيف » و « توابع » بها لرجال القلم ، وهي من بعض نواحيها أقرب ما تكون إلى كتاب الشكر الذي يوجه عادة إلى من يستقبل لا من يقال أو يجبر على الاستقالة أو يحال على المعاش في العصر الحاضر بالطريق العادي ، وتبدأ الافتتاحية في الوثيقة من هذه الوثائق بالخطبة العادية ، وذكر عبارات الرأفة والرحمة والكرم والشفقة بالكهولة فيقال مثلا « الحمد لله اللطيف بعباده الرموف بخلقه ، المان بفضله ، الغامر بجوده ، الحائد برزقه المتفضل على العبد في الصبا وفي الكهولة بعفوه ، وفي الشيخوخة بعنته » ، ثم إن الطرخانية تشير بعد ذلك إلى حسن سيرة الشخص وخدماته وأنه وصل إلى مرحلة من السن تلتئم منه عندها البركات والدعوات مثل : « ولما كان فلان ممن توفر في الخدمة الشريفة قسمه وكبرت في الطاعة سنه ووهن عظمه وعجزت عن الركوب والزلول حركته ، ولم يبق إلا أن تلتئم بركته ، اقتضى حسن الرأي الشريف أن يضاعف إليه الإحسان . . فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء من البلاد الإسلامية المحروسة ، معاملاً بمزيد الإكرام والاحترام . . لا يطلب لخدمته في نهار ولا ليل ، ولا يلزم بالقيام بترك ولا خيل^(١٩) . . » ، وتطلب الطرخانية شكر الطرخان ودعائه لنعم ولى الأمر والدولة في عبارات مثل « وليشكر واقع هذا الحلم الذي سرى وسار كالمثل السائر في الوجود ، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة » . وقد تحدد الطرخانية معلوم الطرخان الذي يتناوله ولكن هذا لم يرد إلا في طرخانيات أرباب الأقطام إذ حددت طرخانية ابن المكرم راتبه بقدر النصف مما كان يأخذ وهو على كتابة الدرج ، بل ورثت هذه الطرخانية هذا المعلوم لأولاده ، وأولاد أولاده من بعده ، وهذا ما لم يتضح في طرخانيات أرباب السيوف(٥٠) .

أما العزل عن الإقطاع عقاباً وما يليه من نفي أو سجن فمن أسبابه الخروج

على السلطان سواء أخذ الخروج صورة الحياة الكبرى بالاتصال بالأعداء كما وقع من العربان من آل مهنا بالشام أكثر من مرة في عهد بيبرس والناصر محمد^(٥١) أو ثار المقطع في وجه سيده أكثر من ذلك ، قد يعزل القاشل من أعوان السلطان في قمع الثورة كما فعل برقوق ، وهذه الثورات أكثر من أن تحصى في عصر المماليك^(٥٢) ، كذلك كان للوشاية والسعايات أثرها في عقوبة المقطع بالعزل^(٥٣) ، بل إن من السلاطين من أوقع هذه العقوبة بمن عرفوا بسوء السيرة كشراب الخمر أو الاعتداء على حقوق الغير واستغلال مناصبهم^(٥٤) ، ومنهم من عزل ظلاماً لإثارة للمقربين لديه كما كان يفعل محمد ابن قايتباي^(٥٥). وأضحى السلطان الغورى في هذه الناحية، يقول ابن إياس : « ومن الحوادث الشيعة في هذا الشهر (جمادى الآخرة ٩٦٤ هـ) أن السلطان شرع يخرج إقطاعات أولاد الناس من أجناد الحلقة . . . فأخرج نحواً من ثلثائة إقطاع ورزقة من غير جنحة ولا سبب ، وصار ينعم بها على المماليك بمكاتبات ، وهذا الأمر ما سبقه به أحد من الملوك السالفة ، فحصل للناس الضرر الشامل ولاسيما أولاد الناس ، صارت المماليك يهجمون عليهم ويأخذون منهم مناشيرهم غضباً عنهم ويبدلونهم بالضرب وكانت حادثة هائلة لم يسمع بمثلتها ، وأنا من جملة من وقع له ذلك ، وخرج إقطاعي لأربعة من المماليك^(٥٦) » وكثيراً ما يتلو هذه الأحداث إيقاع « الحوطة » ومصادرة « الموجود » للمعاقب من مال وأثاث وثياب وسلاح^(٥٧) .

ويعرف أمثال أولئك الممزولين « بالباطالين » ، على أنه يحدث أن يطلب الأمير إعفاهه من الإقطاع والخدمة ليكون « بطالاً » ، دون سبب سوى اعتلال الصحة أو تقدم السن أو العجز عن الخدمة الحربية ، فيجيبه السلطان إلى ما طلب ، وربما أعطاه في هذه الحالة « معلوماً » من الرواتب السلطانية أو عوضه بطريقة ما أو أبى عليه إقطاعه وهو « بطال » .

ويشارك « البطال » في هذه الحالة مع الطرخان إلا أن الأخير - ومعناه

الأمير باللغة التركية - يظل محضاً بمنزلة الأديبة واحترام السلاطين له ، بل والتبرك به حتى ولو كان من المعاقين بهذه الحالة إلا أنه عقاب تخفيف ، بخلاف البطل الذي لا يكون إلا معاقاً في أغلب الأحيان . هذا وللبطالين المعاقين (٥٨) زى معين ، فضلاً عن رتبة أولى الأمر فيهم وصدور كثير من التشريعات ضدهم . فمثلاً أخرج السلطان علي بن شعبان الأمير بلاط أمير سلاح عن إقطاعه في سنة ٨٧٧٩ / ١٣٧٧ م ، على أن يكون بطالاً لكنه أنعم عليه بضيعة تغل ٢٠٠ ألف درهم (٥٩) ، وفي مسهل سلطنة برفوق في سنة ٨٧٨٤ / ١٣٨٢ م ، عرض المماليك الأشرفية ورقى أصحاب « الأعباز الثقال » إلى رتبة مقدمين بالحلقة وجعل بقيتهم ضمن الأجناد ، وكانت عدتهم نحو ٥٠٠ مملوك منهم : ٤٠٠ مملوك من أصحاب الإقطاعات بالحلقة و ١٠٠ من أصحاب الحوامك فأمر أصحاب الأعباز بالحلقة بلزوم دارهم وأكلهم الإقطاعات وقطع أبواب الحوامك وعين بدلا منهم من الذين اشتراهم ورباهم وقال : « هؤلاء نخوة ، خانوا أستاذهم الأشرف (شعبان) وأعانوا على قتله فلا خير فيهم (٦٠) » ، وبعد خلع برفوق وعسودة أمير حاج إلى السلطنة أفرج في سنة ٧٩١هـ-١٣٨٨م عن الأمير شيخ الصفوى و رسم له أن يتوجه إلى القدس بطالاً ورتب له ما يكفيه (٦١) ، كذلك نجد الأمير ملكنمر ولقبه سيف الدين تنقل في الخدم أيام شعبان وبطل في آخر وقت وأقام في القاهرة بيته بطالاً ، ويرجع سبب إخراج الإمرة عنه ، إلى أنه أقام بداره منقطعاً ، فقرر له برفوق بلدة بالدقهلية تغل ٣٠ ألف درهم فأقام يأكلها حتى وفاته في سنة ٨٧٩٤ - ١٣٩١م (٦٢) وشفع في عهد قايتباي في الأمير جاني بك وكان يقيم بالقدس بطالاً فحضر إلى القاهرة حيث رتب له السلطان ما يكفيه إلى أن مات (٦٣) .

ولما كبرت سن الأمير قندس الناصرى وكف بصره ، وكان أمير مائة ومقدم ألف ، عزله السلطان شعبان سنة ٨٧٦٥ / ١٣٦٣ م ، وعوضه بأن أعطى ابنه الأمير علي إمرة طبلخاناه (٦٤) .

وقد يستغنى الأمير المقطع من الوظيفة والإقطاع ليقيم بطالاً لسبب ما كالمرض كما فعل الأمير برسباي الناصري في سنة ٨٥١ / ١٤٤٧ م ، فقد طلب الإغفاء من نيابة حلب ، لتعلمه وطلب التوجه إلى دمشق بطالاً ، فوافق السلطان جقمق ، وعين بدلاً منه الأمير تميم بن عبد الرازق المؤيد نائب حماة ، وترتب على ذلك حركة تنقلات بين نواب صفد وغيرها (٦٥) .

ومن البطالين الذين حرّموا الراتب أو المعلوم : الأمير طشتمر القفاف الذى قبض عليه السلطان على بن شعبان في سنة ٨٧٩ / ١٣٧٧ م ، ونفاه إلى القدس بطالاً ، كما نفي جماعة من الطلبة خاتاه والعشرات لسبب ما أحذره من الفتن (٦٦) ، كذلك تتبع برقوق المماليك الأشرفية سنة ٨٧٨ / ١٣٨٦ م ، فشردهم قتلاً ونفياً إلى أن شفع في الباقيين فقطعت إمرتهم وتركوا بطالين لأنهم أرادوا الثورة عليه (٦٧) . وحدث في سنة ٨٥٣ / ١٤٤٩ م ، أن شكاه أهل طرابلس من سوء معاملة نائبها الأمير يشبك من جاهى بك المؤيدى الصفدى ، فعزله جقمق ورسم بقدمه إلى القاهرة ومنها إلى دمياط ليقيم بها بطالاً (٦٨) . ثم إن السلطان قايتباي رسم في سنة ٨٧٢ / ١٤٧٦ م ، بالقبض على أعيان المماليك الخشقدمية ومنهم مغلباى الذى أخرجه إلى القدس بطالاً (٦٩) ، ولما أراد قايتباي أن يعين قريبه الأمير ترمراز الشمسى في سنة ٨٨٥ / ١٤٨٠ م ، نائباً بالشام ، وامتنع ترمراز وادعى الفقر وعدم القدرة على إعداد لوازم السفر ، فوبخه السلطان فنزل ترمراز إلى داره وأغلق بابه وصرف نقبائه وحينئذ أرسل إليه السلطان : « توجه إلى مكة وأقم بها بطالاً (٧٠) » ، وقبض السلطان العادل على طومان باى على قلعج نائب الإسكندرية سنة ٨٩٦ / ١٥٠٠ م ، وأرسله إلى الشام بطالاً إذ كان من عصبة جان بلاط الخلع ، وهكذا (٧١) .

لما كان عدد البطالين كبيراً في أى وقت وكان يخشى منهم الفتنة ، فقد عمل بعض السلاطين على التخلص منهم بطردهم من القاهرة ، كما فعل برقوق في سنة ٨٩٣ / ١٣٩٠ م على أثر عودته إلى السلطنة إذ حدد إقامتهم

بدمياط ، وحذا حنوه يئنال سنة ٨٨٥٩ / ١٤٥٤ م وطردهم من القاهرة
وهدد من تأخر منهم ، بعد سماع المناذاة (٧٢) .

وكما وجد الطرخان من رجال القلم وجد البطال كذلك من هذا الفريق
إلا أن الكثرة من البطالين في هذا الفريق أوضح منها في أقرب أرباب
الطرخانات ، ومن أمثلة هؤلاء البطالين : الشريف علاء الدين البغدادي
شاد النواوين والصاحب فخر الدين بن غراب الوزير ، والقاضي سعد الدين
ابن إبراهيم نانار الجيش وناظر الخاص ، ، فقد قبض عليهم السلطان فرج
سنة ٨٨٠٢ / ١٣٩١ م ، ثم أفرج عنهم وأخرجهم إلى بيوتهم بطالين كما أن
السلطان جمعق أمر بإعادة القاضي عبد الباسط وكان منفياً بمكة ، فلما حضر
أكرمه وأقام في بيته بطالا ، وهو في غاية العظمة والعز ، ، ومنع السلطان
جمعق القاضي علم الدين صالح من السفر إلى القدس وأن يقيم بداره بطالا ،
وعرض السلطان قايتباي نواب الشافعية والحنفية وعنفهم بالكلام وأمر
بإبطال جماعة منهم ، وهكذا (٧٣) .

أما إذا ظل المقطع متمتعاً بإقطاعه مؤدياً لالتزاماته ومات على هذا النحو
سواء في حرب أو على فراشه ، عاد الإقطاع بأكله للدولة وتصرف إلى
الأمر فيه حسبما يرى ، لأن مبدأ الوراثة في الإقطاع في النولة الإسلامية
غير موجود إلا في إقطاع التملك ، أما إقطاع الاستغلال وهو السائد في العصر
الملوكي ، فلا وراثة فيه ، إذ كان النيج في أغلب الأحيان بخصوص أبناء
الأمراء المتوفين ، أن يعطوا الجوامك أو يمنحهم السلطان إمرة حسة ، وذلك
رعاية لأسلافهم ، وليس بموجب أي حق إقطاعي (٧٤) . وربما رأى السلطان
توريث الابن متى توفرت فيه صلاحيته لأن يلي سلفه ، وربما نظر في توريث
الإقطاع من ناحية أخرى على أنه من البر والصلة وفضلا عما فيه من تكريم
للمقطع السابق واعترافاً بخدماته وهنا بجانب العامل الأساسي في تدعيم القوة
الحربية والعامل الاقتصادي في تعمير الإقطاعات ، وهذه على أية حال قليلة
في عصر السلاطين المماليك ، والمعروف أن إحداث وراثة الإقطاعات في زمن

الممالك - على قلبها - كانت اقتداء بما فعله أسانذتهم الأيوبيون من قبل ، وهؤلاء اقتلوا بما سه نور الدين (٧٥) .

وتختلف هذه القواعد العامة في المناقشات الإقطاعية بعد الوفاة عند الممالك عنها في الإقطاع الأوربي الذي جرى على انتقال الإقطاع بكافة حقوقه والزاماته للولد الأكبر ، وهذا هو مبدأ الوراثة الذي تقرر منذ نهاية القرن العاشر الميلادي ، غير أن الوارث لا يحل محل أبيه حتى يقوم بمراسيم معينة في التبعية والولاء (٧٦) ، ففي براءة الملك هنري الأول لأتباعه حين تتويجه سنة ١١٠١ م ، تنص المادة الثانية على أنه « إذا مات أحد من رجال الذين يجوزون إقطاعهم مني ، على وارثه أن يدفع حلواناً مناسباً (٧٧) ، كذلك أتباع باروناتي يدفعون حلواناً مناسباً » . وفي المادة الثانية من « العهد الأعظم » الذي أصدره الملك حنا سنة ١٣١٥م « إذا مات البارون يرثه الراشد من أبنائه أو بناته على أن يدفع وارث البارون حلواناً قدره ١٠٠ جنبه ويدفع وارث الفارس ١٠٠ شلن ، وتنقص قيمة الحلوان بنسبة مساحة الأرض تبعاً لعادة الحلوانات القديمة » على أن المادة الثالثة من هذا العهد تعنى الوراثة التقصر من دفع الحلوان خلال مدة الوصاية حتى يتأهل لتسلم الإقطاع (٧٨) ، وتنظم بعض المواد الأخرى من هذه العهود : الوصاية وزواج الوراثة أو زوجة المقتلع المتوفى ، فتنص المادة الرابعة مثلاً عن « عهد الحريبات » على حقوق الزوجة في إقطاع زوجها سواء أكانت وصية على أولادها التقصر أو كان أحد الأقارب هو الوصي (٧٩) ، وتحدد المادة الرابعة من العهد الأعظم نصيب الوصي ، على حين نفيده المادة الخامسة « بالحفاظ على المنشآت التي بالإقطاع إلى أن يسلمها الوارث وهكذا (٨٠) . . » وإذا لم يكن هناك وارث للسيد في الإقطاع الغربي عامة ، حق ارتجاع الإقطاع ، والاستيلاء عليه ، في الإقطاعات الدينية فكان السيد يرجع الإقطاع بعد وفاة المقتلع الرمزي وهو الأسقف أو غيره حتى يعين بدله (٨١) .

ومن أحداث الوراثة على قلبها في الإقطاع المملوكي العربي . وماتد

يتبعها من وصاية ما وقع في عهد السلطان بيبرس، إذ أعطى في سنة ٥٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م ، إقطاع الأمير شهاب الدين القيمري نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية بالشام ، إلى ابنه بعد وفاته وكان بإمرة مائة (٨٢) ، وفي معنى الوراثة ما فعله بإقطاع الأمير شجاع الدين والى سمرين من أعمال حلب ، فقد أبقى إقطاعه بين إخوته وغلماؤه بعد أسره عند الصليبيين وكان ذلك كما يقول صاحب السلوك استجلاباً للقلوب (٨٣) ، والمعروف عن الناصر محمد أنه كان إذا مات أحد من أجناده وخلف صبياً لا يخرج إقطاع أبيه عنه فإن كان صغيراً جداً أعطاه صدقة (٨٤) ، وتوفي في عهد الأمير بدر الدين أحرار بن الفداء صاحب حماة سنة ٥٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م ، وترك من بعده ابنين صغيرين وبنيتين ، فأعطى صاحب حماه ، بما له من سلطة مخرولة من الناصر ، إمرة التتوفي وإقطاعه لابنه الطفل ، وعمره يومئذ ثلاث ثلاث سنوات وأقام لهم نواباً يباشرون أمورهم (٨٥) ، ولما توفي الأمير حسام الدين بن مهنا أمير العرب بالشام سنة ٥٧٣٤ هـ - ١٣٣٣ م ، أعطى الناصر الإمرة من بعده لولده الأمير مظفر الدين موسى (٨٦) ، كذلك سار السلطان جقمق على هذه القاعدة فكان ، كما ينعت ابن لباس ، لا يخرج إقطاع من له ولد إلا إلى ولده (٨٧) .

ومن أمثلة المناقلات العامة بعد الوفاة ، ما فعله الناصر محمد سنة ٥٧١٥ هـ / ١٣١٥ م ، حين منح إقطاع الأمير حسام الدين لاجين بعد موته (٨٨) ، كما أنعم في سنة ٥٧١٧ هـ / ١٣١٧ م ، على الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى سلاح دار بعد وفاته (٨٩) ، ولما توفي الأمير بكتمر ابن عبد الله الحسامي المعروف بالحاجب سنة ٥٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م وزع الناصر إقطاعه بين عدة أمراء زيادة عما بأيديهم ، فأكمل منه الأمير طرغاي الجاشنكير حتى بلغ إقطاعه إمرة مائة ، وأعطى ناحية جوجر (٩٠) من الإقطاع الشاغر للأمير يوسف بن الأسعد شاد الدولوين ، ثم أنعم كذلك بناحية منية زفا على الأمير قوصون الناصري . وبعد وفاة آتوك بن السلطان الناصر (٩١) أوائل سنة ٥٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م ، منح السلطان إقطاعه ٩١ للأمير قطلوبغا القهري (٩٢) ،

وفى عهد السلطان جقمق توفى الأمير بشبك السودانى المعروف بالمشد سنة ٨٨٤٩ / ١٤٤٥ م وكان أتابك العسكر بمصر ، فعين السلطان فى منصبه وعلى إقطاعه الأمير إرنال العلائى النوادر الكبير ، وتلا ذلك حركة مناقلات (٩٢) ، استفاد منها الأمير يونس السبى أقباي ، كما استفاد من وفاة الأمير تحراز القومشى سنة ٨٨٥٣ / ١٤٤٩ م ، وما تبع وفاته من مناقلات إقطاعية كذلك (٩٣) . ولما توفى دولاباى المومدى سنة ٨٨٥٧ / ١٤٥٣ م ، نقل السلطان إرنال تقدمته ووظيفته إلى الأمير خيربك المعروف بالأجرود ، وعلى أثر وفاة الأجرود سنة ٨٨٥٩ / ١٤٥٤ م ، انتقل إقطاعه إلى الأمير قائم خجا المؤيدى ، أما إقطاع قائم الذى شرفه بترقيته ، فقد أنعم به السلطان على الدولة بمساعدة لما عليها من الكلف (٩٤) ، كما أن إقطاعات الجنود الذين قتلوا فى حرب العثمانيين بقيادة أزلبك عام ٨٨٩١ / ١٤٨٦ م ، وزعها السلطان قايىباى فى ذلك العام ، وصار الأتابكى أزلبك هو المشار إليه فى هذا الأمر ، كما يقول ابن إرياس (٩٥) وقد يستولى المقطع الحديد على خلفات المقطع المتوفى ويتزوج أحيانا من زوجته ، ومثال ذلك ما وقع فى عهد الناصر ، إذ نفس بعض الأمراء على مكانة الأمير قوصون ومنزله من السلطان وحدث نزاع بينه وبينهم ، فأوضح قوصون وضعه قائلا : « أخذنى السلطان من شخص تاجر كنت فى خدمته ، فلما أخذنى السلطان ، اتفق أن فى ذلك اليوم توفى أحد من الخاصكية النقال (٩٦) فأنعم على السلطان بإقطاعه وبركه وبينه وصرت خاصكيا فى ذلك اليوم (٩٧) .

وحين توفى الأمير بكتمر الساقى سنة ٨٧٦٣ / ١٣٦١ م ، أنعم السلطان محمد بن حاجى حفيد الناصر محمد على الأمير بشتاك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله وغلاله ثم زوجته من زوجته بعد وفاء عدتها (٩٨) .

أى أن وفاة المقطع أو عزله لم تكن من المناسبات التى يفسح المجال فيها لترقية المقطعين أو إقطاع المرشحين للإقطاع فحسب ، بل كانت كذلك من القصر الثبينة التى يعاد فيها البطل إلى إقطاعه أو إقطاع جديد فضلا عن حاجة الدولة إلى المزيد من القوات زمن الحرب ، وما يقوم به بعض السلاطين من

عفو عن بعض البطالين ، بل إن مما ينصح به السلطان النظر في حال الجند
البطالين الذين طلبوا استخدامهم فلم يستخدمهم أو أعطاهم إقطاعاً لا يرضيهم
فإنهم يترصبون به الدوائر (١٠٠) ، وكثيراً ما قامت المشاحنات والفتن بسبب
الرغبة في الحصول على الإقطاع الشاعر ، كما حدث في سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩١ م
على أثر الطاعون الذي وقع في عهد قايتباي ، وهو ثالث طاعون يقع في عهد
ذهب صحته عدد كبير من المقتلعين ، فقامت فتنة حادة بين المماليك الجلبان ،
بسبب تفرقة الأقطاع (كلنا) ، التي توفرت عن المماليك الذين ماتوا
بالطاعون ، لأن قايتباي راسي ألا يخرج إقطاع المترقي من زملائه من أهل
طبقتة ، فلما لم تف الإقطاعات الشاعر لجميع المرشحين ثاروا في وجهه
مما اضطره لإرضائهم من أبواب أخرى ، وقد تراوحت عبرة الإقطاعات التي
منحها في تلك المناسبة ما بين ٣٠ و ١٥ ألف درهم ، كما وزع كثيراً من
خيول المتوفين ، واستغرقت هذه العملية نحو ثلاثة شهور (١٠١) .

ولم يقتصر الأمر على أمثال هذه الفتن ، بل ربما دفعت الرغبة الملحة
ببعض الراغبين في الحصول على الإقطاع الشاعر إلى الاتحار إذا رفض طلبه ،
فهذا جرياش الخينون من أجناد قايتباي تقدم إلى سيده في سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤ م
وكان من المرزبين في الرمي بالتشاب وطلب إقطاع شخص توفي ، ولما لم يجبه
السلطان ، عاد إلى داره وذبح نفسه بيده (١٠٢) ، ولما توفي الأمير ثم الضبع
أحد أمراء العشرات سنة ٨٩٠هـ / ١٤٩٥ م ، وقف الأمير ملاج بن ططخ
يطلب من قايتباي إقطاع ثم ، غير أن السلطان رفض ، فرجع ملاج إلى داره
وشق نفسه ، من شدة قهره (١٠٣) .

ومن أمثلة إعادة البطال إلى إقطاعه أو إلى إقطاع شاعر ، ما فعله بيبرس
على أثر ولايته للسلطنة سنة ٨٦٥هـ / ١٢٥٩ م ، فقد أرسل إلى نوابه لإحضار
« غشداشيتة البحرية » المفرقين في البلاد بطالين (١٠٤) ، كذلك أفرج السلطان
خليل في سنة ٨٦٠هـ / ١٢٩١ م ، عن الأمير زين الدين كتبغا ورد عليه إقطاعه
وخلال سنة ٨٦٩هـ / ١٢٩٢ م أمر خليل بإخراج الأمير بلر الدين بيبرس

فضلا عن حرمانه من إقطاعه ، يدفع هذا الرسم ، وهذا ما حدثا بالسلطان برسباي إلى أن يلغيه سنة ٨٨٢٥م - ١٤٢١م (١٢٧) ، وفيما يختص بالمقطع الجديد يتولى كاتب الجيش كتابة وثيقة جديدة تعرف باسم « الحوطة الجيشية » (١٢٨) ، وتتضمن اسمه وجهات الإقطاع وتاريخ التسلم ، وفي المصطلح « استقبال » الحوطة ويفصل ما استحقه الديوان من الموصول ، ثم ترسل الحوطة إلى « ديوان التصرف » ، وهو أقرب ما يكون إلى ديوان المحاسبة ، حيث يكتب المستوفى (١٢٩) ، رئيس الديوان باستلامها ، وثيقة يعلم الوصول تعرف باسم « الرجعة » ، ويسجل الإقطاع والمقطع بهذين الديوانين ، وكما حصل ديوان المرجع « غرامة من المقطع السابق المعاقب له أن يحصل على رسم آخر من المقطع الجديد بمناسبة تسلمه للإقطاع ، كرسوم دخول عليه ، ويشبه إلى حد كبير ما عرف باسم الحلوان (Relivium) في الإقطاع الغربي ودرجت مقاديره بحسب رتبة الأمير المقطع ، كما درجت مقادير الحلوان الغربي ، فأمير مائة ومقدم ألف يدفع عند حيازته للإقطاع الشاغر أو المحلول « من هذه المرتبة مبلغ خمسين ألف درهم ، ويدفع أمير الطبلخاناه عشرين ألف درهم ، وأمير العشرة « آلاف درهم ، وهذا الحلوان جديد في الإقطاع المملوكي إذ يرجع تقريره إلى القرن التاسع الهجري وأوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، في عهد السلطان فرج على يد الأمير بلبغا السالمي الأستادار (١٣٠) .

هوامش الفصل الثامن

(١) Ganshoff, pp. 10-12; Orton, p. 112; Scignobos, p. 1

(٢) رسالة في أحكام الرزق الصادرة من ولي الأمر ص ٢ - ٣ .

(٣) ملامحة التحريرية بالقرية كانت مقفلة لعشرة من أجناد الخلفة في عهد قلاوون، منهم شمس الدين السدي التتوي سنة ٨٧٢٧ - ١٣٢٦م فاستول هذا الأخير على قطعة أرض وجعلها إصطبلًا لدوابه فشكاه شركاؤه للسلطان فلما استجوبه قال : أريد أن أجعله جامعا فأذن له ، وتمت عمارة الجامع سنة ٨٦٨٥ - ١٢٨٦م ، وأنشأ بجواره بعض الخوانيث توارثها أهلنا من بعده ، ثم تصرفوا فيها بالبيع للأثير العمري وهذا أوقفها على الخانقاه والجامع اللذين يتلما في الصليبية (خطط ج ٢ ص ٤٠٣ ، التحفة السنية ص ٧٠) .

(٤) انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية .

(٥) بدائع الزهور ج ١ ص ٩٦ .

(٦) نظام الملكة اسم وظيفة المشير الأول في السلطة ، وهي وظيفة جقق بجانب أتابكية السكر أيام برسبای وابنه يوسف الذي تول بدده جقق (بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥) .

(٧) المصدر السابق .

(٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٦ .

(٩) عيون التواريخ ص ١٢٢ .

(١٠) تاريخ أبي القداء ج ٤ ص ٧١ - ٧٥ ، انظر نسخة المرسوم باللاحق .

(١١) السلوك ج ٢ ص ٢١٥ .

(١٢) خدم شجاع الدين لمرلو عند بعض الأمراء وولى الأشورين ونيابة الشوك والقاهرة وتفرغ إلى شعبان حتى صار شادا للبولوين ، ثم عزله حاجي بن التناصر محمد ، وحقق عليه الأمراء وانهى الأمر بقتله على يد حاجي سنة ٨٧٤٨ - ١٣٤٧م (النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢٩ ، ١٥٨ و ١٦١ و ١٦٧ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٨٧) .

(١٣) أعيان العصر مخطوط غير مترجم ، خطط ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(١٤) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٩٥ .

- (١٥) قبلاى بن عبد الله الناصرى أصله من ماليك الناصر محمد تولى وظيفة حاجب الحجاب السلطان صالح سنة ٨٧٤٩ - ١٣٤٨ م ، ثم نائباً لسلطنة سنة ٨٧٥٢ - ١٣٥١ م ، وكان نائب القية حين خرج السلطان لتقع ثورة بالشام ، وكانت وفاته سنة ٨٧٥٦ - ١٣٥٥ م (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٩٤ و ٢٦٢ و ٢٧٢) .
- (١٦) الأمير شيخو العمري نسبة إلى النابغ غواجبا عمر الذى باعه للناصر محمد ، ترقى بعد موت الناصر حتى صار أتابك المسكر وهو أول من نعى بالأمير الكبير ، توفى سنة ٨٧٥٨ - ١٣٥٦ م فى سلطنة الناصر حسن (النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٢٤) .
- (١٧) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٢١٦ ، غلط ج ٣ ص ٣٥٦ .
- (١٨) تاريخ بيروت ص ١٦٦ .
- (١٩) المصدر السابق .
- (٢٠) صحح الأمشى ج ١٣ ص ١٥٤ .
- (٢١) لا يوجد اليوم بالشرقية بلدة بهذا الاسم وإنما توجد بلدة « دقادوس » أتابعة لمركز ميث عمر بمحافظة المنيا (الدليل الجغرافى ، التحفة السنية ص ٢٧) .
- (٢٢) التحفة السنية ص ١٢٧ .
- (٢٣) التحفة السنية ص ١١ .
- (٢٤) التحفة السنية ص ١٩٠ - ١٩٢ .
- (٢٥) صحح الأمشى ص ٤٨ ج ١٣ .
- (٢٦) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٣٣ .
- (٢٧) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٨٣ .
- (٢٨) المصدر السابق ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
- (٢٩) انظر الفصل الثالث من هذا القسم .
- (٣٠) السلوك ج ١ ص ٦٥١ - ٦٥٥ ، سلاطين المماليك ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .
- (٣١) كان يلبغا أتابكاً لساكر السلطان شعبان ، واستبد بالأمر دوله حتى إنه أجبر السلطان على النزول عن عرشه ، وأجلس مكانه أتوك أعما السلطان (بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ١٦٨) .
- (٣٢) حوادث الزهور ج ٢ ورقة ١٤ .
- (٣٣) مساحة مرصفا ٢٧٨٥ فداناً وتعرف حالياً باسم « مرصفا وكفر أحد » ، (التحفة السنية ص ١٣ - حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢١٩ ، الدليل الجغرافى) .
- (٣٤) حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٢١٩ .
- (٣٥) القول المستطرف ص ٢٣ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٧٥ .
- (٣٦) بدائع الزهور ج ١ ص ١٦٥ .
- (٣٧) ترقى الأمير سيف الدين طينال الماردسى فى الخدمة حتى صار مقدم ألف أيام الناصر

حسن ، وتقلب في عدة وظائف إلى أن توفي سنة ٨٧٨٩ - ١٣٨٧م ، (السلوك مخطوط ج ٣ ص ٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٨٤) .

(٢٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٢٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ .

(٤٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٥٠ .

(٤١) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٤٢) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٤٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٠٦ .

(٤٤) ظهر متجك بشكل متواضع وهو لابس « بشت عمل وعلى رأسه مئزر صوف أبيض » والمئزر كل ما يستر (التجويد الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٠ - ٣١١ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، روض المناظر - مخطوط غير مرقم - ، الجوهر الثمين ورقة ١٥٧ ، السلوك مخطوط ج ٣ ص ٩٢ ، القاموس المحيط) .

(٤٥) السلوك مخطوط ج ٣ ص ٤٠٩ .

(٤٦) وقع ذلك العرض سنة ٨٩٠٦ - ١٥٠٠م ، بعد الاستعداد لحرب المماليك ، والملاحظ أن ذلك النوع من العقاب غل من الوسائل المستخدمة في أوائل العصر المماليك على الأقل ، بدليل ما قلناه خابر بك سنة ٨٩٢٨ - ١٥٢١م ، إذ قطع جوامك الكثير من الشراكة وأولاد الناس وجعل لكل واحد ألف درهم ، على أن يصير طرخاناً ، وهذا المعلوم هو نصف ما كان يتناوله قبل أن يكون طرخاناً ، وعلق ابن لباس على هذا الحادث بقوله : « فشق ذلك على الممالك الشراكة ، وكان فيهم من هو كفه للأسفار والتجاريد ومنهم من هو شاب » بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٩٥ - ٢٩٦) .

(٤٧) صبح الأعيى ج ١٣ ص ٥٢ .

(٤٨) صبح الأعيى ج ١٣ ص ٥٢ - ٥٣ ، ج ٧ من النسخة المخطوطة ص ٣١ - ٣٢ ، انظر نسخة الفرعانية باللاسق .

(٤٩) النزك العطن بالتيذك وهو ربح صغير (صبح الأعيى ج ١٣ ص ٥٢ حاشية - ١)

(٥٠) صبح الأعيى ج ١٣ ص ٤٨ - ٥٣ ، ج ٧ من النسخة المخطوطة ص ٢٨ - ١٣١ ، انظر الملاحق .

(٥١) أخبار الأعيان ص ٣٢٩ ، تاريخ أبي القداء ج ٤ ص ٩١ ، ٩٢ .

(٥٢) السلوك ج ١ ص ٧٧٤ ، عيون التواريخ ص ٨٥ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٥ -

٢١٦ ، ج ٢ ص ٣٠٦ ، الجوهر الثمين ج ٢ ورقة ١٨٥ ، نزهة الألبام ورقة ١١ ، أنباء النمر ج ١ ص ٤٥٥ ، انظر فصل المجتمع .

(٥٣) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، الأطلال الخفية ١٨٩ ،
بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٥٤) السلوك مخطوط ج٣ ص ٣٦٠ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٣٥ ، حوادث الدهور
ج٢ ورقة ٢٢٧ - ٢٢٩ - ٢٤٣ - ٢٧٢ .

(٥٥) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٦ .

(٥٦) بدائع الزهور ج٤ ص ١٣٦ .

(٥٧) عيون التواريخ ص ٨٥ .

(٥٨) عرف الأمير جمال الدين آقوش الأقرم الصغير نائب الشام على عهد بيبرس الجشتكير
أنه طلب الأمان من الناصر محمد حين تحرك من الكرك إلى دمشق سنة ٥٧٠٩ - ١٣٠٩ م ، فأنت
فدعل عليه وهو يبس « قاسية وثمة وسطه وتوشح بتصفية ، ويعلق أبو الحسن على ذلك بقوله
« أي أنه حضر جهة البطالين من الأمراء » (النجوم الزاهرة ج٨ ص ٣٦٤ - ٣٦٧) .

(٥٩) السلوك مخطوط ج٣ ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٦٠) يتقدم بأستاذهم السلطان الملك الأتربف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين
(السلوك مخطوط ج٣ ص ٤٠٩ ، بدائع الزهور ج١ ص ٢٢٢) .

(٦١) بدائع الزهور ج١ ص ٢٧٥ .

(٦٢) ابن الفرات ص ٣١٩ .

(٦٣) بدائع الزهور ج٢ ص ١٤٠ .

(٦٤) السلوك مخطوط ج٣ ص ١٢١ .

(٦٥) حوادث الدهور ورقة ٥٨ - ٥٩ ، التحفة السنية ص ١٠٣ .

(٦٦) بدائع الزهور ج١ ص ٢٤٠ .

(٦٧) أنباء القصر ج١ ص ٢٢٢ .

(٦٨) التبر المسبوك ص ٢٦٨ .

(٦٩) بدائع الزهور ج٢ ص ٩١ .

(٧٠) بدائع الزهور ص ٢٠١ .

(٧١) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٩٢ .

(٧٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٤٨ ، تاريخ ابن الفرات ص ٣٥٩ .

(٧٣) بدائع الزهور ج١ ص ٣٢١ و ج٢ ص ٢٩ و ٩١ و ٢٥٥ - ٢٥٦ ، حوادث
بدائع الزهور ورقة ٩٧ .

(٧٤) صبح الأمتى ج٤ ص ١٥ ، السلوك ج٢ ص ٣١٤ و حاشية - ٢ .

(٧٥) دأب السلطان نور الدين على توريث أجداده الإقطاعات لما في ذلك من تقوية
لروح المعنوية عند جنده وشبان ولائهم واستعدادهم كل وقت للجهاد في فترة استمر فيها النضال

الذين بين المسلمين والمسيحيين ، لذلك كان أجداده يقولون : « الإطعامات أملاكنا يرثها أولادنا : الولد من الوالد ، فمن تنازل عليها » ويملق القرظي على هذا بقوله : « وبه اتقى كثير من ملوك مصر » (السلوك ج ١ ص ٥٠٩ - ٥١٠ و حاشية - ٣ ، راجع الفصل الرابع) .

Season: p. 236 (٧٦)

Davies: pp. 27-28 (٧٧)

Stubbs, Select Charters, pp. 291-293 Davies, pp. 40-51 (٧٨)

Davies, p. 41 (٧٩)

Ibid, pp. 38-39 (٨٠)

Stenson p. 238 (٨١)

(٨٢) السلوك ج ١ ص ٥٠٩ و حاشية - ٢ .

(٨٣) المصدر السابق .

(٨٤) فتوح النصر ج ٢ ورقة ٢٨٠ .

(٨٥) انظر الفصل السابع .

(٨٦) تاريخ أبي الفداء ج ٤ ص ٩٨ .

(٨٧) تاريخ ابن الجزري ج ٢ ورقة ٣٨٧ .

(٨٨) السلوك ج ٢ ص ١٤٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤١ .

(٨٩) السلوك ج ٢ ص ١٧٧ .

(٩٠) جورج ثابتة لمركز سمندو بالقرية (السلوك ج ١ ص ٤٠٣ حاشية - ١) .

(٩١) السلوك ج ٢ ص ٣١٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٧٧ .

(٩٢) كان إقطاع الملوك من أكبر الإطعامات ومنه نال وطنان بالأعمال القلوية ومساحتها

٧١٣٤ فدانا ، وصيرتها ٤١٠٠٠ دينار ، تطور أمرها بعد عهد الناصر فقدت نال ضمن

إقطاع قاسم ابن السلطان شعبان وآل أمرها في عهد قايتباي إلى إقطاع الأمير يشبك الدوادار ،

أما طنان فدخلت في إقطاع علي بن شعبان ثم صارت في عهد قايتباي إلى الديوان المفرد (التحفة

السنية ص ١٣ ، الدليل الجغرافي) .

(٩٣) حوادث الدهور ج ١ ورقة ٤١ .

(٩٤) حوادث الدهور ج ١ ورقة ٨٨ ، التحفة السنية ص ٧٨ ، التبر المسبوك ص ٢٥٦ .

(٩٥) كان غازي بك أمير مائة ومقدم ألف بدمشق سنة ٨٥١ - ١٤٤٧ م ، في عهد جقمق

ثم ارتقى إلى أتابكية الساكر بها وإقطاعها ، على أثر وفاة الأتابك أيتان الششلي الناصري ،

و نقل إقطاع غازي بك إلى عشققدم الطاهري أحد المشرات ورأس نوبة بمصر ، ومنه ذلك مطرفة

عشققدم من عشرة إلى مائة ، وعشققدم هو الذي تسلطن سنة ٨٦٥ - ١٤٦٠ م .

(حوادث الدهور ج ٢ ورقة ٥٨ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٧٠) .

- (٩٦) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤١
- (٩٧) المقصود بكلمة النقال أصحاب الإطعامات الكبيرة .
- (٩٨) سيف الدين قوصون الساقى أمير أغور من المقرين لقناصر ، حتى إنه زوجته ابنته وأنتم عليه بيستان بیدان القوق سنة ٨٧١١ - ١٣١٤ م ، وقوصون مسجد المشهور الذى بدأ عمارته سنة ٨٧٣٠ - ١٣٢٩ م ، وليس المسجد انوجود حالياً باسم (قيصون) محرفاً هوكل مسجد بل بعضه (انجم الزاهرة ج٩ ص ٣٧ ، ٩٥ ، بدائع الزهور ج٢ ص ١٦٨) .
- (٩٩) السلوك ج٢ ص ٣٥٧ .
- (١٠٠) آثار الأولين ٤٠ .
- (١٠١) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٧ .
- (١٠٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٢٥ .
- (١٠٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٩٥ .
- (١٠٤) البلوهر الثمين ج٢ ورقة ١٠٦ ، بدائع الزهور ج٦ ص ٩٩ - ١٠٠ .
- (١٠٥) عيون التواريخ ص ٣٨ ، البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٢٠ ، السلوك ج١ ص ٨١٢ بدائع الزهور ج١ ص ١٢١ .
- (١٠٦) التحفة السنية ص ١٨٣ ، التحفة الملوكية ورقة ٥٧ .
- (١٠٧) التحفة السنية ص ١٨٣ ، التحفة الملوكية ورقة ٥٧ .
- (١٠٨) السلوك ج١ ص ٨٠٢ .
- (١٠٩) بدائع الزهور ج١ ص ١٦٨ .
- (١١٠) المصدر السابق ج١ ص ٤٤٨ .
- (١١١) حوادث الدهور ورقة ٧٥ .
- (١١٢) سلايا : نسبة للامير سلاو نائب السلطنة لبيرس الجاشنكير ، وقد نسب إليه كثير من الملابس .
- (١١٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٦١ .
- (١١٤) السلوك ج١ ص ٨٩٧ .
- (١١٥) أنباه القصر ج٢ ص ١٨٢ - ١٨٣ .
- (١١٦) بدائع الزهور ج٢ ص ١٦ .
- (١١٧) زبدة كشف الممالك ص ١١٠ ، صبح الأعشى ج٤ ص ٢٣ و ج٦ ص ٣٣ ، نهاية الأرب ج٨ ص ٣٠١ و ٣٠٣ ، السلوك ج١ ص ١٩٢ وحاشية - ١ و ص ٧١١ حاشية - ٤ ، بدائع الزهور ج١ ص ٢٦٨) .
- (١١٨) توفى السيد عبد الله المائز سنة ١٦٨١ م (١٢٨٢ م) السلوك ج١ ص ٧١١ .

- (١١٩) بدائع الزهور ج ١ ص ٦٦٨ .
- (١٢٠) السلوك ج ٢ ص ٣٦٩ .
- (١٢١) صبح الأعيى ج ١٣ ص ١٥٤ ، ١٦٠ .
- (١٢٢) مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٣٩٣ ، ٣٩٤ غلط ج ٣ ص ٣٥٣ .
- (١٢٣) غلط ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- (١٢٤) قوانين الدرارين ص ٣٤٤ و ٣٦٦ - ٣٦٧ .
- (١٢٥) زبدة كشف المالك ص ١٠٣ ، آثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ، السلوك ج ١ ص ٧٧٠ حاشية ٢ .
- (١٢٦) نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٠٠ ، مسالك الأبحار ج ٢ ورقة ٣٩٣ - ٣٩٤ ، زبدة كشف المالك ص ١٠٣ ، آثار الأول ص ٦٩ - ٧٠ ، معيد النعم ص ٤٣ - ٤٤ .
- (١٢٧) أنباء القصر ج ٢ ص ٣٢٧ .
- (١٢٨) الحوطة تشبه الخالفة في الدرارين والحوط المفظ .
- (١٢٩) مهمة المستوفى إرشاد الدرارين المختلفة إلى ما فيه للصلحة العامة من استخراج الأموال . نحوها من حقوق الدولة ومطالبة المختصين برفع الحسابات في وقتها والتحقق منها ، ويعاون المستوفى نائب يعرف باسم « المعين » يتكون بين يديه (نهاية الأرب ج - ٨ ص ٢١١ ، ٣٠١ - ٣٠٣ ، التصريف ص ١١٥ ، صبح الأعيى ج ٥ ص ٤٤٦ ، قوانين الدرارين ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٤ - ٣٥٥) .
- (١٣٠) استبد يلها بالمنطقة أيام السلطان فرج ، إذ كان أحد الأوصياء الذين عيّنهم يرفوق على ولده (أنباء القصر ج ٢ ص ٧٧٨ - ٨٧٩) .

الفصل التاسع

لجمع الاقطبي

خصائص المجتمع الإقطاعي — طبقاته — وصف
 الحياة الخاصة للطبقة الأولى — السلطان في أدرة الترفية —
 حريم السلطان وأبنائه — من صور البيخ الإقطاعي — ملحقات
 القصر السلطاني وهي البيوتات ، من شرائعها وطبخانها
 ونحوها — الأمراء في تصويهم وروعة مجالسهم ومواقعهم —
 الطبقة الثانية وهي طبقة رجال القلم ومنزلتهم — نظرة
 النبوكيم وتمييز الأشراف بزي معين — استشارة السلاطين
 لهم — أرباب الحرف وطوائفهم المتخلقة من (بيانس
 العامة) إلى (الحرافيش أو الزعر أو العميان) — استثناء
 أول الأمر لهم في الفن — الثورات الشعبية — الأزياء المميزة
 لكل طبقة — أزياء أهل النمة — أزياء النساء — وسائل
 التسلية — الأعياد والحفلات العامة وخاصة — التلميح ونظرة
 المماليك له — أحداث الأغلبة والأوبئة ووسائل علاجها —
 جرائم المجتمع الإقطاعي المملوكي — وسائل العقاب من
 تعذيب وتجريس وتوسيط — مظاهر الكراهية بين العرب
 والمماليك وأثرها — بدس جرائم أخرى — نظام القضاء .

المجتمع الإقطاعي حيثما يكون في الشرق أو الغرب مجتمع جامد طبق
البنيان والمظهر والمخبر ، وحقوق الفرد في هذا المجتمع تختلف بحسب الطبقة
التي ينتمي إليها الفرد نفسه ، والعلاقة بين الطبقات نفسها تختلف باختلاف
وضعها في المدرج الإقطاعي ، ولهذا استطاع السبكي والقلقشندي والمقرزي
تقسيم المجتمع المملوكي في سهولة ، ومن زوايا مختلفة ، فجاءت تقسيمهم
منشأة في عمومياتها ، فبينما تحدث السبكي عن هذا المجتمع من حيث أفراد
وعناصره ووظائف كل فرد ، وما ينبغي عليه مبتدئاً بالسلطان ومنهياً بأرباب
الحرف^(١) ، فصل القلقشندي في كثير من خصائص هذا المجتمع من حيث
الألقاب والملابس وأنواع الوظائف ، أما المقرزي وهو صاحب التقسيم
الاقتصادي ، فجعل المجتمع المملوكي سبعة أقسام ، وهي أهل الدولة ، وأهل
اليسار من التجار ، وأولوالنعمة من ذوى الرفاهية . والباعة ، وهم متوسطو
الحال من التجار ويقال لهم أصحاب البز ويلحق بهم أصحاب المعاش وهم السوق ،
ثم أهل الفلح وهم أهل الزراعة والحراث سكان القرى والريف . والفقراء
وهم جل الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ونحوهم ، وأرباب
الصنائع والأجراء أصحاب المهن ، وأخيراً ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال
الذين يتكفون الناس ويعيشون منهم^(٢) .

ويستخلص من هذه التقسيمات أن المجتمع المملوكي ثلاث طبقات كبرى
تضم كل منها فروعاً طبقية صغيرة ، وهذه الطبقات الكبرى هي : رجال
السيف أو الطبقة الحربية الأرستقراطية بعناصرها المختلفة ، ورجال القلم
من موظفي الدواوين والقضاة ورجال التعليم وأهل التصوف وطلاب العلم ،
وأرباب الحرف المختلفة بين تجارة وصناعة وزراعة .

ويقع المواطنون سواء من المصريين أو الشاميين أو الحجازيين أو اليمنيين ، وكذلك المستوطنون والواردون من الفرنجة والجنوبيين والبنادقة والمغاربة وغيرهم من الخاضعين للمماليك ضمن الطبقتين الأخيرتين (١٢) ، وغلب الجمود على هذا التقسيم ما عدا أن ينال فرد من طبقة ما شيئاً من خصائص طبقة أخرى ، فيجوز مثلاً أن ينال أحد العامة إقطاعاً حريباً ، لكنه لا يفتقد بهذا الإقطاع جندياً معلماً بفنون العسكرية ، وأكثر ما حدث ذلك في أوقات الأوبئة والفن والاختلال ، وربما منح السلطان عالماً أو شاعراً إقطاعاً من الإقطاعات على سبيل « الصدقة » أو « الرزقة » (١٣) أو أن يشتغل بعض أبناء الطبقة الحربية وهم « أولاد الناس » أو بعض أفراد هذه الطبقة نفسها بالعلم أو الفقه فيصير عالماً أو فقيهاً أو مؤلفاً (١٤) من غير أن يتفصل عن طبقته من حيث الإقطاع والمستوى المعيشي ، ومن أمثلة ذلك : بيبرس الدوادار المؤرخ ونائب السلطنة (١٥) والطنبغا الحاواي القارس الشاعر والفقير (١٦) وابن دقماق المؤرخ الفقيه وأمير دمياط (١٧) ، وابن تغري بردى المؤرخ (١٨) ، وجان تهر مؤلف كتاب النظم المملوكية (١٩) والبدري حسن بن الطولوني نائب القلعة والمؤرخ (٢٠) .

أما الحياة الخاصة لكل طبقة ، فأولها حياة السلطان في قصوره بالقلعة وهي الآدر الشريفة (٢١) والمشرف عليها طواشي بدرجة أمير طبلخاناه يعرف باسم « زمام » الآدر الشريفة ، وتحت يده عدة خدام وعمال من الطواشي بلغ عددهم في وقت ما نحو ٦٠٠ طواشي لكل منهم عمل خاص (٢٢) ، وكبير موظفي القصر هو « الأستاذ » ويشرف على نفقة القصور (٢٣) .

ويكون نظام الحراسة ، بالنوبة ، وهذه تضبط على ساعات رملية ، وقد جرت العادة أن يحتفظ السلطان لؤلؤ الحراس ببعض ألوان الطعام ، ليتشاغلوا بالمأكل عن النوم ، كما توجد المصاحف الكريمة لمن يقرأ والشطرنج لمن يريد اللعب (٢٤) .

وبالآدر الشريفة حريم السلطان ، وهن زوجاته ، وعدتهن أربع ،
 يلقين « بالخوندات » ولكن ذلك لم يطرد عند جميع السلاطين ، فمنهم من
 اقتصر على واحدة مثل السلطان إينال ، وللخوندات كما يقول ابن شاهين ،
 « أبهة عظيمة في ذاتهن (١٦) ، ففى مساكنهن بالقلعة التى تعرف باسم « القياح »
 وهى جانب من الآدر الشريفة(١٧) ، أقامت بعض الخوندات القاعة الكبرى
 المعروفة «بالعواميد» ، ومن جملة أثائها أوان من ذهب وفضة ونحوت منفضة
 من بينها تحت مرصع مذهب ، ومثارة من ذهب عليها جوهرة تضىء بالليل ،
 وحصرت ثروة بعضهن فبلغت أكثر من ٦٠٠٠٠٠ دينار(١٨) ، وإذا انتقلت
 الخوند من مكان إلى آخر فلا بد من إخلاء الطرقات التى يمر فيها موتها ،
 وذلك بطرد الناس وقتل الحيوانات(١٩) ، مثل ذلك ما حدث فى سنة ٨٣٢ هـ /
 ١٣٣١ م ، حين عاد السلطان الناصر محمد من إحدى جولاته بالصعيد ،
 إذا استدعى حريمه إلى الخيزة ، فطردوا سائر الناس من الطرقات وغلقت
 الخوانيت ، ونزلت خوند طوغاى زوجته وأم والده أتوك ومعها الأمير أيد عمش
 أمير آخور كبير ممسكاً بعنان فرسها بيده ، وحوفا سائر الخدم مشاة ، وعبرت
 النيل فى الخرافة ، ثم استدعى السلطان بعض خواصه من مماليكه بحريمهم ،
 وأقام بالخيزة عدة أيام ، وهكذا عاش السلطان الإقطاعى وزوجاته ، وتدخلت
 بعض الخوندات فى شئون الدولة كزوجة السلطان إينال التى حملت زوجها
 على أن يعهد لولده أحمد بالسلطنة (٢٠) .

واقضى السلطان الجوارى أو السراى ، ومتوسط عدتهن ٤٠ سربة ،
 على أن من السلاطين المكثرون والمقل فى هذه الناحية ، فيذكر عن الناصر محمد أنه
 مات عن ١٢٠٠ وصيفة مولدة سوى من عداهن من بقية الأجناس ، وبنى
 لهن القصر المشرف على الميدان بالقلعة وهو قصر السبع قاعات ، وهذا بالرغم
 من أن ما ينصح به السلاطين ، الإقلال من الحريم لأن الإكثار منهن ليس

من الإناصاف (٢١) ، وقامت بعض الحوارى بوظائف منزلية كالمراضع والبلانات (٢٢) والدايات ، ولعن رئيسة عليهاه القهرمانه وإلها الإشراف العام على شئونهن وتربية أولاد السلطان وعمل الأعراس السلطانية والحفلات ، ومن اشهر من القهرمانات : الست مسكة والست حلق أو حدقة بقصر الناصر محمد ، طال عمرها واتسعت ثروتها ، ولها أعمال بر ، وينسب لكل منهما أماكن محكرة ومساجد وتكايا ومدارس وأعمال بر (٢٣) .

أما أبناء السلاطين فأشرف عليهم مريون من الذكور غير الوصيفات ، يطلق عليهم اسم « اللالات » ، وجرت العادة بالآ يظهرهم حتى يجاوز الواحد منهم سبع سنوات ، وأضنى عليهم المصطلح ألقاباً ضخمة وهى : نجل المقام الشريف أو ولد المقام الشريف أو الأسياد أو أولاد الناس ، واشترك معهم فى اللقب الأخير ، أبناء الأمراء ، كما اشترك فى لفظ السيد أبناء الخليفة ، فإذا شب الواحد منهم ، وأخذ يختلط بالناس من طبقته الإقطاعية ، زادت ألقابه فى كتب المؤرخين على الأقل مثل « المقام الفخرى سيدى عثمان بن جضم » (٢٤) .

وأكثر ما يتضح البلىخ الإقطاعى فى المطبخ السلطانى الذى « لا تنفى النار منه أبداً » كما يعبر ابن شاهين (٢٥) ، سواء فى قائمة عدد موظفيه كالحوان سلاز والمردارية (٢٦) أم فى كيات الأطمسة والوانها فن ألوان الأطمسة التى اشهرت فى عصر المماليك الأقساوية التى تصنع من السكر والأفاويه المطية بماء الورد ، يقول التويرى : « إنها شراب جيد للهضم » ، والسفرجلية ، وحب الرمان والسنبوسك والمطجن والمشوى ، كرنب سبعة ألوان (٢٧) والأصمطة التى تخرج منه يومياً ، وعددها خمسة وهذه هى الأصمطة العادية ، وهى غير أصمطة المناسبات فى الحفلات وغيرها ، ولا بد من أن يتلوق

« الجاشنكير » الطعام قبل السلطان خشية من أن يدس له السم (٢٨) . فيذكر عن مخصصات مطبخ السلطان كتبنا من اللحم فقط ، أنها بلغت ٢٠ ألف رطل يومياً ، وبلغ عدد الدجاج الذى يذبح كل يوم للسباط السلطاني في عهد الناصر سنة ٨٧٣٩ / ١٣٠٨ م : ٧٠٠ طائر ، وهذا غير الخاصى التى يختص بها السلطان لنفسه وللمقربين من أمرائه ، وتكلف في بعض الأحيان من اللحم فقط ٢٦ ألف رطل في اليوم سوى الدجاج والأوز والرمان - صغار الضأن - والجدى المشوى والغزلان والأرانب وغيرها ، وبلغ راتب السكر أيام رمضان في عهده ألف قنطار ، وزاد هذا الراتب في عهد ابنه الصالح سنة ٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م، إلى ثلاثة آلاف قنطار ، وتسهلك الدور السلطانية من الحلوى في رمضان ٦٠ قنطاراً (٢٩) .

وفي غمار هذا البذخ الواضح ، أثرت حواشى القصور شأنها شأن الغالية من حواشى الطبقات الأرستقراطية؛ فيقال إن متحصل الحاج على الطباخ في سنة ٨٧٤٦ - ١٣٤٥ م ، أيام السلطان إسماعيل بن الناصر بلغ من « المعاملين » وهم المتعهدون في كل يوم ٥٠٠ درهم ولايته أحمد ٣٠٠ درهم ، وهذا عدا الأطعمة وما يصيبه في « المهمات » وهى الحفلات ، ففي « مهم » عمله للأمير بكتمر الساقى بلغ ما ناله فقط من ثمن الأكارع والرموس ومقط الدجاج والأوز : ٢٢٠٠ دينار ، ولما صودر وأوقعت « الحوطة على موجوده » ، وجدوا له ٢٥ داراً على شاطئه النيل (٣٠) .

هذا هو القصر السلطاني ومطابخه (٣١) ، ويطول شرح ملحقات القصر من المؤسسات التى تعرف بالبيوتات ، وهى عبارة عن مخازن وحظائر مثل : الشرايعات والطشت خاناه والفراش خاناه والطبلخاناه والإصطبلات وغيرها (٣٢) مما أفاض فيه القلقشندي والثويرى وابن شاهين وغيرهم إضافة دالة على المستوى

الإقطاعى المعيشى للسلطين ، وهو مستوى لم يحلم أحد من طبقات الناس أن يبلغوه ، غير أمراء الممالك ولكن على مقياس أصغر . والواقع أن قصور الأمراء صورة مصغرة من القصور السلطانية والأمير نفسه على حد تعبير القلقشندى : « سلطان مختصر » ، وتعرف مساكنهم باسم الدور أو البيوت أو القصور وهى منتشرة فى أحياء القاهرة ، كدار الأمير تنتكز قرب الأزهر وقصر يلبغا الحياوى وقصر الطنبغا الماردينى ، قرب القلعة ودار الأمير طاز بالصليبية وبيت يلبغا العمرى بالكهش (٢٣) .

ويلاحظ أن كل أمير يتخذ لوناً معيناً لطلاء داره ومؤسساته من مطايخ ومراكب وشون وغيرها ، كما يتخذ له رمزاً أو شارة تعرف باسم « الرنك » وهذا ينقش على فراشه وداره وسلاحه وأدواته المزلية من مشكاوات وأوان خزفية وفخارية وغيرها ، ومنهم من نقشه على عملته مثل السلطان بيبرس الذى وضع رنكه ، وهو صورة الأسد المتحفظ على نقوده ، ويمثل هذا الرمز معنى من المعانى التى يهاها الأمير كالشجاعة مثلاً التى يبدو أن بيبرس تمثلها فى الأسد ، كما تمثلها الأمير يشبك الدوادار زمن قابىباى ، فقد اتخذ صورة الأسد ورنكاً له عندما خرج لحرب شاه سوار بن دلغاور ، وتمثل مهنة الأمير كالدوادار الذى يتخذ الدواة والمقلمة شارته مثل الأمير طغيتمر الدوادار (٢٤) والساقى الذى يتخذ الكأس أو المنياب شارته مثل الأمير شىخون (٢٥) ، وربما ضم الأمير رمزين إشارة إلى أهم وظيفتين شغلها مثل طغيتمر هذا الذى اتخذ الكأس والدواة ، وهناك رمز « البوق » لعله شجرة الإمرارة إذ كان من شارات الإمرارة « البوق والعلم » ، أو لمهنة الأمير كأن يكون مشرفاً على فرقة الموسيقى التى تخرج مع الجيش مثل الأمير علم الدين الذى كان يحكم على الطباليين والزمارين والمنقرين فى عهد السلطان طومان باى (٢٦) ، ورمز الصوبخان ،

إشارة لمهنة الحوكاندار، وهو حامل الصولجان للعب الكرة ، أو لما يهواه صاحب هذا الرمز من أنواع الرياضة ، وأكثر الرموز وضوحاً هي رموز « السيوف » المختلفة الأشكال والأوضاع ، ووجد من اتخذ « بقجة القماش » رنكاً ، وهي إشارة لوظيفة العشتندارية وهكذا (٢٧) .

ومجالس الأمراء في قصورهم غاية في الروعة والترف ، كما أن محتوياتها من مشكاوات وأوان وأثاث وفراش وغيرها من التحف ، ليس فقط دليلاً على مستوى هذه الطبقة ، بل هي كذلك دليل قائم على براعة الصانع المصرى من رجال الطبقة الدنيا في ذلك المجتمع ، كذلك دلت أحمطهم على الترف الزائد : فيقال إن راتب سباط الأمير سيف الدين بشتك الناصرى من أمراء الناصر محمد بلغ ٥٠ رأساً من الغنم وفرساً كل يوم (٢٨) ، وضرب المثل بسباط الأمير يلبغا العمري فيقال « الصحن اليلغاوى » و « ضريبة » هذا الصحن عشرة أرتال لحم ضانى (٢٩) . والعادة أن يأكل الأمير وجميع أجناده حوله كما يأخذ غلمان أجناده الطعام من مطبخه كل يوم ، بل يغضب إذا علم أن أحداً منهم اشتهى لونهاً من الطعام ولم يأكله عنده (٣٠) .

ولقصور الأمراء « بيوتات » ملحقة مثل بيوتات السلطان ، غير أنها تتعت « بالكريمة » تميزاً لها عن بيوتات السلطان المنعوتة بالشريفة ، وتعت لإصطبلات الأمير بالسعيدة وشونه « بالمعمورة » ، كما يتعت رجال حاشية الأمير ومعاونوه بالألقاب التي تتعت بها حاشية السلطان مثل الدوادار والاستادار وغيرها (٣١) .

وكما بدت الروعة في قصورهم وأحمطهم ، برزت مواكبهم آية في الضخامة وإظهاراً للقوة ودليلاً على الجاه والثروة ، فلذا ركب أحدهم تقدمه أكابر أجناده من أرباب الوظائف كرأس نوية والدوادار وسار خلفه صغار

الجمندارية ، وخلف الجميع أمير آخور ومعه « الخنايب » والأوشاقية (٤٢) ، وذلك على مثال السلطان، بل إن الأمير يبلغا العمرى كان إذا توجه إلى القلعة لمقابلة السلطان شعبان ، اصطف مماليكه على خيولهم على طول الطريق من بيته بالكيش إلى القلعة (٤٣) .

وتضم طبقة رجال القلم العلماء على اختلافهم والقضاة والأئمة والصوفية ، ومن هؤلاء من شغل وظيفة رئيسية في الدولة ، كالوزارة وكتابة السر والحسبة ونظر الجيش ونظر الخواص الشريفة .

وقد قسم القلقشندى الوظائف التي يشغلها رجال القلم إلى قسمين : دينية وديوانية ، فالأولى مثل القضاء والإفتاء ووكالة بيت المال ونقابة الأشراف والحسبة ومشيخة الشيوخ (في الخاقان) ونظر الأحباس المبرورة ونظر البيمارستان والحطابة والتدريس ، والديوانية مثل الوزارة ونظر الدولة ونظر الخاوص ونظر الجيش ونظر بيت المال ونظر الإصطبلات واستيفاء الصحبة ونظر الأسواق وخزائن السلاح والأملاك السلطانية والموارث الحشرية (٤٤) .

على أن بعض المناصب لم تبق وفقاً على رجال القلم ، فقد شغلها بعض الأمراء مثل الوزارة والحسبة .

فتلا شغل الأمير منجك اليوسنى منصب الوزارة زمن السلطان حسن ، وأول محاسب من الأمراء الترك هو الأمير منكل بغا الشمسى الذى عينه السلطان المؤيد في ذلك المنصب عام ٨٨١٦ - ١٤١٣ م ، كذلك شغل الأمير ماماي السنى منصب الحسبة زمن السلطان أبى النصر طومان باى (٤٥) .

ويعتبر الخليفة رأس رجال القلم (٤٦) ، فوظيفته على النحو الذى آلت إليه في عصر المماليك دينية أدبية أكثر منها سياسية ، ولو أن بعض الخلفاء اشتغل بالسياسة ، وتولى أحدهم السلطنة لبضعة شهور ، لكنها سلطنة من غير سلطة حقيقية ، فلم تكن ولايته لها على يد الأمراء أنفسهم إلا ريثما يتمكن الطامعون المتنافسون منهم من تهية الأحوال لهم .

ومن اشتغل من الخلفاء بالسياسة ، واشترك في القنن والمؤامرات ، الخليفة الربيع سليمان خلال الفتنة التي اقترنت بعودة السلطان الناصر محمد إلى سلطته الثانية ، ولذلك نفاه إلى قوص هو وأسرته التي تتكون من نحو مائة نفس ، وظل الخليفة بقوص حتى توفي سنة ٥٧٣٦هـ - ١٣٣٥م . كذلك اشترك الخليفة المتوكل على الله في المؤامرة التي دبرت ضد السلطان برقوق واكتشفت عام ٥٧٨٥هـ - ١٣٨٣م ، كما اشترك الخليفة القائم بأمر الله في المؤامرة التي انتهت بعزل منصور بن جصمق وتولية السلطان إينال عام ٥٨٥٧هـ - ١٤٥٣م ، وكذلك فعل الخليفة المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز ، يوم استجاب لدعوة قانصوه خسمائة وحضر إلى القلعة ، كما حضر القضاة الأربعة ، وعزلوا محمد بن قايتباي وبايعوا قانصوه خسمائة بالسلطنة ، غير أنه لما انهزم قانصوه أمام محمد بن قايتباي ، عاد الخليفة ومن معه وبايعوا المنتصر ولم يكن هذا بدعاً في ذلك الزمن ، فقد درج الخلفاء على مبايعة المنتصر دائماً ، برغم مبايعتهم لمن شايعوه أولاً، ومن أبرز الشواهد : الخليفة المستجد بالله أبو المحاسن ، فقد بايع أحمد ابن إينال بالسلطنة بعد وفاة أبيه عام ٥٨٦٥هـ - ١٤٦٠م . فلما وثب خشقدم وعزل أحمد وتسلطن مكانه ، بايعه الخليفة ، وبعد وفاة خشقدم بايع من جاء بعده في السلطنة وهو بلباي ، ولما خالفه الأمراء وسلطنوا تحربغا ، بايع الخليفة السلطان الجديد ، لكنه خلع بعد شهرين على يد قايتباي ، فبايع الخليفة من جاء بعده ، وهكذا ، سيراً مع الحوادث .

أما ولاية الخلفاء للامانة ، وهي التي تحققت سنة ٥٨١٥هـ - ١٤٢٢م ، حين ولى الخليفة المستعين هذا المنصب ، بعد مقتل فرج بن برقوق ، فإن خلفاء بني العباس في مصر أدركوا حقيقة أن هذا المنصب محفوف بالمخاطر والمنافسات الدامية ، برغم أنهم طمعوا فيه فعلاً ، ولذلك أخذ المستعين الأيمان والمواثيق من الأمراء الذين بايعوه ، بعدم التعرض له ، وهذا برغم الفرحه الكبرى التي عمت البلاد بولاية الخليفة لهذا المنصب (٤٧) . غير أن المستعين لم يبق بمنصب السلطنة أكثر من ثمانية شهور (من محرم إلى شعبان سنة ٥٨١٥هـ

— ١٤١٢م) ، فقد خلعه المؤيد ، بحجة أن الدولة بحاجة إلى سلطان « تركي » قادر على إعادة النظام والأمن ، وخلعه من الخلافة كذلك وبجته بالإسكندرية إلى أن أطلق السلطان برسباي سراحه فيها بعد (٤٨) .

كذلك يمكن ضم طائفة الأشراف إلى طبقة رجال القلم ، وإذا علمنا أن لقب « شريف » (٤٩) كان يطلق في ذلك الوقت على العلوي والعباسي ، فلا شك أن الخليفة العباسي ، يضم إلى هذه الطائفة من هذه الناحية ، على أن أعمال الأشراف في عصر المماليك ، كانت أقرب إلى شئون الدين والعبادة والتعليم ، منها إلى السياسة والحرب ، ولو أن البارزين فيهم ، حكموا بعض الولايات الخاضعة للتفويض المملوكي ، مثل حكام الحجاز واليمن ، وتولى بعضهم مناصب إدارية ، كما حاز البعض الآخر منهم الإقطاعات والإمرة .
ومنزلة الأشراف محترمة في نظر المماليك ليس فقط إلا من ناحية احترامهم من سلالة آل البيت ، فهذا السلطان شعبان بن حسين يميزهم في سنة ٨٧٣م — ١٣٧١م ، بشعار خاص هو « الطراز الأخضر » (٥٠) ، وهذا السلطان الغوري يستقبل في سنة ٩٠٨م — ١٥٠٢م السيد أبا نجي بن الشريف بركات أمير مكة ولم يتجاوز سنة الثماني سنوات ، ويضعه على حجره ويقبل يديه (٥١) ومع ذلك لم تتعارض نظرة التبرك هذه بالضرب على من يعارض سلطانهم أو يعصى أوامرهم ولا سيما حكام مكة واليمن (٥٢) .

ولهذه الطائفة « نقابات » لتنظيم شئونها فيعين لها تقيب حيث وجدوا . فلهم تقيب بمصر ، وآخر بدمشق وثالث بجلب وهكذا ، ويصدر أمر التعيين من السلطان ، ويعرف هذا الأمر باسم « التوقيع » (٥٣) ، ويوصى تقيب الأشراف بعدم التشيع والبعد عن التطرف والخلد من الخوض فيما شجر بين الصحابة (٥٤) ، كما أن لهم أيماناً يقسمونها (٥٥) .

وقد شغل الأشراف بعض المناصب الدينية والإدارية ، كالأذان في بعض المدارس أو المساجد والتدريس ووكالة بيت المال والقضاء وكتابة الإنشاء ، ومن هؤلاء الشريف بلر الدين حسن العباسي مؤذن إحدى مدارس

دمشق (٥٦) ، كذلك على بن الحسن بن محمد بن الحسين الرئيس الشريف نقيب العلويين ووكيل بيت المال بالقاهرة وقاضي العسكر (٥٧) ، ومن الأشراف الذين تولوا كتابة السر الشريف شهاب الدين في عهد الناصر محمد (٥٨) ، ومن الذين تقلبوا في عدة وظائف مختلفة وحازوا إمرات وإقطاعات ، الأمير السيد الشريف علاء الدين على بن أحمد بن محمد العباسي (ت ٨٧٥٢ / ١٣٥١ م) ، كان أحد أمراء العشرات بدمشق ووالياً بالقدس ، ثم اتخذته تنكز نائب الناصر محمد بالشام استاذاراً له ، وتولى بعد ذلك وظيفة مشد الأوقاف ، وحين انضم إلى كبير الأمراء بالشام وهو الأمير قطلوبغا الفخرى ، فكر الأخير في إقامة خليفة بالشام وقال « عندنا واحد شريف عباسي نقيمه نحن خليفة ونبايعه وما يحتاج إلى أحد من المصريين (٥٩) » .

وتمتعت بقية عناصر هذه الطبقة كذلك باحترام المالك في أكثر الأحيان وكانت موضع الاستشارة من السلاطين في المسائل الكبرى ولاسيما مايمس (٦٠) الشرع منها كالحصول على الأموال بفرض ضرائب على الأملاك أو الأوقاف أو حل الأوقاف أو استبدالها أو في عقوبة خارجي نادر ، وهكذا . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فهناك استشارة قطز لم يصدد حرب المغول بقيادة هولانكو ، واستشارهم فرج في سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م ، لمقابلة خطر العثمانيين (٦١) ، وحين ازداد خطر سوار التركاني في سنة ٨٧٢هـ - ١٤٦٧م استشارهم قايتباي فاقترح كاتب السر الاستيلاء على بعض الأوقاف ، ولما مال الحاضرون إلى الموافقة اعترض شيخ الإسلام وهو أمين الدولة الأقصراني الحنفي ورفض هذا الاقتراح فانفض المجلس ، والسلطان حانت عليه (٦٢) ولما قبض على هذا الناصر سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م استفتى قايتباي هذه الهيئة في أمر عقوبته فأفتوا بإعدامه (٦٣) كذلك استفتاهم قايتباي في سنة ٨٩٦هـ - ١٤٩٠م ، بصدد خطر العثمانيين (٦٤) . هنا وقد لجأ السلاطين إليهم حتى إلى صغارهم يلتمسون البركة إذا نزل بالبلاد قحط أو وباء ، ليزيد النيل أو يرتفع الوباء (٦٥) .

وبرغم نظرة التبرك هذه وبرغم استمرار لجوئهم إليهم وحاجتهم إلى

استشارتهم وتعرض بعض القضاة لسخط العامة بسبب بعض فتاوى (٦٦) ، فإن ذلك كله لم يحل دون تجاهل فتواهم أو إهانتهم (٦٧) فلم يخرج السلطان قايتباي من ضرب الفقيه شهاب الدين العقيلي لكذب دعواه في اتهام أحد الفقهاء سنة ٨٧٩هـ - ١٤٧٤م ، كذلك لم تسلم هذه الطبقة من فرض الغرامات (٦٨) عليها مما أدى إلى اختفاء بعض القضاة ، كما ضرب البعض الآخر بأمر السلطان محمد بن قايتباي سنة ٨٩٠٣هـ - ١٤٩٧م (٦٩) :

وأرزاق هذه الطبقة مشاهرة من حيث الرواتب ، فكان راتب الوزير في الشهر ٢٥٠ ديناراً (٧٠) ، وهذا غير الخصصات من اللحم بتوابله أو من غير توابله ، بحسب مراتبهم ، ولم الخبز والعليق (٧١) ولا كبرهم السكر والشمع والزيت والكسوة في كل سنة ول بعضهم الأضحية (٧٢) . وهناك الأوقاف المرصدة وأنصبتهم منها ، كما أن لبعضهم إقطاعات (٧٣) ، ورغم ما يبدو في هذه الأرزاق من سعة ، إلا أنها لم تكن شيئاً مذكوراً بجانب ما ينعم به أمراء الممالك ، ومع ذلك حقد عليهم الممالك واستكروا أرزاقهم ، يقول السبكي : « ومن قباحهم (أي الممالك) استكثارهم الأرزاق وإن قلت على العلماء واستقلالهم الأرزاق وإن كثرت على أنفسهم ، ولو اعتبر الواحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده » (٧٤) .

ويتميز فريق أرباب الحرف بطوائف مختلفة تبعاً لما يزاولون من عمل ، فهناك الفلاحون بالقرى وميسير التجار من المواطنين والأجانب وأرباب الصنائع بالمدن ، وربما أطلق لفظ « العامة » على أصحاب الحرف الصغيرة كالحياطين والأساكفة والناطور (٧٥) وغاسل الموتى والطريقة ، وهم الباعة المتجولون ، كذلك شمل لفظ العامة المساكين من السؤال (٧٦) ، وميز كبار التجار وأثريائهم باسم « بياض الناس » كما نعت بذلك تجار سوق الحوائصين وتجار العنبر (٧٧) ، وإذا تعطل بعض أرباب الحرف الصغيرة عن العمل لسبب كساد أو فن أو مجاعة أو ركن بعضهم إلى البطالة وانصرف إلى العبث واللهو والنهب وقطع الطرقات في الأماكن المهجورة أو انخرط في « مناسر الحرامية »

منتهزاً فرصة الاختلال التي تفتاب المجتمع المملوكى بين آن وآخر ، عرف أمثال هؤلاء في هذه الحالات جميعها باسم « الحرافيش أو الزعر أو الزعرار أو العياق » . وأغلب أعضاء طبقة أرباب الحرف منظم بوصايا كغيرها من عناصر المجتمع ، وأفرادها خاضعون لإشراف العتسب وقوانين الحسبة ، وهذه الوصايا التي سجلها المعاصرون ، ونظام الحسبة القائم هي في الواقع القوانين الاجتماعية التي ينبغي أن يسير عليها كل فرد ، كما تدل من ناحية أخرى على مدى قف ذلك المجتمع للشعور بضرورة تنظيم أحواله .

وكأى مجتمع كثيراً ما وقع الخلف لهذه القوانين وكثيراً ما عوقب بأشد أنواع العقوبة أديباً ومادياً ، فمن مهام العتسب ارتياد الأسواق ومحال البيع على اختلافها (٧٨) ، والنظر في الأقوات والأطعمة التي تعرض للبيع للكشف عما يحدث فيها من غش (٧٩) . ومن المخالفات أن أعجيباً كان يصنع « السبوسك » فذبح كلباً سميناً وعمل منه هذا اللون من الطعام وباعه ، على حين تنص قوانين الحسبة على أنواع الذبائح ، بل تحدد كيفية الذبح وشروطه ، غير أن هذا البائع انتهز فرصة الاختلال والاضطرابات التي حلت بالبلاد خلال استعداد السلطان طومان باى لحرب سليم الأول ، وارتكب هذه المخالفة ، فكان جزاؤه القبض والضرب بين يدي الأمير مامى العتسب وشهر في القاهرة وفي عتقه كلب معلق (٨٠) .

ويلاحظ أن بعض السلاطين قد عمل على أن تظل هذه الطبقة في الوضع الذي اصطلاح المجتمع الإقطاعى على وضعهم فيه ، فلم يرق في عين الناصر أن يقتنى أثرياء العامة العبيد حتى لا يتشبهوا بالسادة فأمر حاجبه بأن ينادى في سنة ٨٧٢٨م - ١٣٢٧م ، « بالأل يباع مملوك تركى لكاتب ولاعى ، ومن كان عنده مملوك فليعه ومن عثر عليه بعد ذلك أنه عنده مملوك فلا يلوم إلا نفسه » (٨١) . كما لم يستغ ابنة السلطان صالح أن يركب الفلاحون الخيول أو يشتروها خشية التقوى بها أو مناظرة السادة في « مراكيهم » فرسم سنة ٨٧٥٤م - ١٣٥٣م « بأن فلاحاً لا يركب فرساً ولا يشتري فرساً » (٨٢) ، فلبث أغلبها أوفر حظاً

من غيرها بؤساً وشقاءً وأكثرها تعرضاً للنكابة والظلم ، يصلر السلاطين الأمر بتسخير العامة والفلاحين سواء أكان ذلك في الأعمال الخاصة أم العامة ، كما فعل قلاوون وابنه الناصر وحفيده حسن ، حيث كان يقبض على الناس في المساجد والأسواق (٨٣) ، بل لعل الأمير أقبغا عبد الواحد كان يرى مكرمة في تحديد يوم واحد للسخرة من كل أسبوع في بناء مدرسة سنة ٧٤٠ هـ (٨٤) مما قر به مصادفة لما قاساه الأتقان في الإقطاع الغربي باسم السخرة الأسبوعية (٨٥) . كذلك تعرضت هذه الطبقة بفروعها للمغارم فاقتمحت حواصل التجار في حضورهم وغيبتهم وقوضوا في موجودهم ، بأمر السلطان فرج استعداداً للقاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ - ١٤٠٠ م (٨٦) ، واضطرت امرأة لبيع شجرة نبق بمنزلها بالحسينية وفاء بما فرضه عليها قايتباي سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م ، لمواجهة الخطر العثماني وهكذا (٨٧) .

لهذا وغيره لم يقف الفلاحون أو العامة مكتوفي الأيدي حين حانت القرصة ، بل تربصوا بالظالمين الدوائر ، ويستوى في ذلك أعمال العبيان أو الانتقام أو التمرد أو النهب مما يدل على بعض الوعي وبعض الشعور بالظلم تهيؤاً لثورات الشعبية ، فلما جاز الأمير شمس الدين أحد أمراء الناصر محمد على الفلاحين في قسمة المحصول وتوعدهم ، أضمروا له الانتقام ولحقوا به وصبه في الطريق . يقول الشريف بدر الدين حسن العباسي وكان في صحبة الأمير : « فلما ركبنا ، لحقونا (كذا) الفلاحون وجابوا لنا بيسة أطعمونا ومن حيث أكلنا البيسة طربنا جميعاً ، ووصلنا إلى دمشق . وكانوا ستة نفر مات أربعة وتمثل اثنان » (٨٨) . بل امتنع الفلاحون عن دفع الخراج لرسول طومان باي سنة ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م ، والسلطان سليم في طريقه إلى مصر ، وقالوا : « ما نقتدر نعطي خراجاً حتى يتبين لنا إن كانت البلاد لكم أو لابن عثمان ، فنتيق نورد الخراج مرتين » (٨٩) ، كذلك كان شأن العامة بالمدن إذ وجدوا في إحداث الفتن والاضطراب خير متنفس لهم للانتقام من الممالك ، إذ أن الأمراء استأدوهم في هذه الفتن نكابة بمنافسهم ، وما كان أسرع تليبتهم لهذا الاستئداء لما

يظفرون فيه من غنّام منهبية ، استأدهم الأتابكي برقوق سنة ٧٨١هـ - ١٣٧٩ م
 لتهب بيت غريمه بركة (٩٠) ، واستأدهم الأمير منطاش في حربه ضد منافسه
 الأمير يلبغا الناصري سنة ٨٧٩١ / ١٣٨٨ م (٩١) ، ولم تسلّم المساجد أو المدارس
 من نهبهم ونحروهم خلال تلك الفنّ (٩٢) ، واستطاعوا في كثير من المناسبات
 أن يرفعوا أصواتهم إلى أولى الأمر وأن يقوموا بحركة احتجاج منظمة ضد
 تصرفات بعض كبار الموظفين ، وليس المهم نجاحهم الدائم في هذه
 المحاولات ، بل المهم شعورهم الضمئى بما لم من حق أو صوت فيمن يولى
 عليهم (٩٣). طلبوا عزل ولى القاهرة سنة ٨٧٤١ / ١٣٤٠ م فأجيبوا إلى طلبهم ،
 ونجمهروا في سنة ٨٧٧١ / ١٣٦٩ م ، أمام القلعة يرجون الناس ويحولون
 دون صعود الأمراء إلى السلطان شعبان ، فلما سلّم عن قصدهم أجابوا :
 « تسلّمنا علاء الدين بكك شاد الدواوين وولى القاهرة (٩٤) » ، واجتمعوا مرة
 أخرى في سنة ٨٨٠٠ / ١٢٩٧ م على عهد السلطان برقوق ومعهم المصاحف
 والأعلام طالبين الإفراج عن الأمير علاء الدين بن الطبلاوى ولى القاهرة (٩٥) .
 حقيقة لم يستجيب لهم ولى الأمر في كلتا الحالتين ، ولكن العبرة بالباعث
 أو الشعور الذى دفعهم في وقت لم يكن للرأى العام أى قيمة أو وجود .

ولذا كانت العبارة العامة القائلة بأن المصريين عاشوا خلال النظام
 الإقطاعى المملوكى حياة سعيدة هائلة وأن حكومة الأقلية الأنتوقراطية هذه
 لم يتم في وجهها أى منغص أو عقاب غير منطبقة على الواقع (٩٦) .

ومن حيث الملابس التى ميزت طبقات هذا المجتمع الإقطاعى ، اختص
 رجال السيف بزى معين عليه مسحة الفخامة والروعة والترف البالغ ، فضلا
 عن التعقيد والتنوع في مفرداته وألوانه ، فغطاء الرأس هو « الكلاوات »
 وتسمى كذلك « كلفة وكلفتاه » (٩٧) وتتخذ من الصوف الملطى الأحمر والأصفر .
 وهناك ما يعرف باسم « الشربوش » وهو غطاء للرأس كذلك مثلث الشكل
 يشبه الناج ، ويرخى الشعر مضافاً في كيس من الحرير الأحمر أو الأصفر (٩٨)
 وعلى الجسم قبا مان أعلاهما ملون ضيق الأكام (٩٩) ، وتشد أوساطهم بينود

أو مناطق من قطن يعلبكي يعلق بها السيف ، وربما حبطت « بالحوالص »
 الذهب (١٠٠) أو الفضة ، وفق أرجلهم خفان يعرف العلوى باسم « سقمان »
 من جلد بلغارى أسود وعليها تلبس المهاميز المكفتة بالذهب أحياناً ، ومن
 الملاحظ أنه لا يلبس المطرز من القماش الحرير ولا يكفت مهمازه بالذهب
 إلا أصحاب الإقطاعات (١٠١). ولما جاء قلاوون أبطل لبس الكم الضيق ، وعمل
 ابنه خليل على أن يلبس خاصكيتة الملابس المزركشة ، وأمر الناصر بلبس
 العمام الصغار فوق الكلوتات فعرفت بالناصرية ، واستجد الأمير سلا (١٠٢)
 قباء عرف « بالسلارى » ، وتميز الأمير يلبغا العمرى بكلوتات أكبر من
 العادية نسبت إليه وعرفت باسم « اليلغاوية » ، كما عرفت باسم « الكلوتات
 الطرخانية » ربما لأنها أشبهت ما تعود أن يلبسه الطرخان ، وزاد برقوق
 في حجمها ، وهذه هي « الكلوتات الجركسية » وشاركت الطبقة الحربية
 بنسائها طبقة العامة بنسائها وصيبتها في لبس « الطاقية » ، وانتشر هذا التقليد
 في دولة الجراكسة ، إلا أنه حدث في عهد فرج نوع من الطوائف كبير الحجم
 عرف باسم « الطوائف الجركسية » (١٠٣) .

أما خلعة السلطنة أو الزى الرسمي الذى يرتديه السلطان يوم توليته
 فهو الحبة السوداء والعمامة الملدورة (١٠٤) ، وبرغم هذه الروعة والفخامة والتنوع
 فإنهم لم يعجبوا المقرزى إذ يقول « ومع ذلك أشكالهم بشعة وملابسهم غير
 خالقة » (١٠٥) .

وأعجب ما يميز رجال القام هو « العمام » ويفرد لهم العمرى باباً سماه
 « زى ذوى العمام الملدورة » (١٠٦) ، ومنهم من يرسل ذؤابة بين كتفيه تلحق
 قريوس فرسه إذا ركب ، ومنهم من يلبس فرجية لها أزرار تشبه الحبة الخالية ،
 إلا أن السلطان شعبان ميز الأشراف سنة ٨٧٧٢ / ١٣٧١ م بلبس الطراز
 الأخضر والعصائب الخضراء فوق العمام ، ليمتازوا عن الناس جميعاً ، وهذا
 أول حدث من نوعه في هذا التمييز ، وقد حاز هذا الشعار رضا البعض ،
 لكنه كان محلاً لنقد البعض الآخر .

وعبر عن الرضا، الشاعر شمس الدين محمد بن بركة العمشق بقوله (١٠٧):
 أطراف تيجان أنت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
 والأشرف السلطان خصهم بها شرفاً ليفرقهم عن الأطراف
 أما الشاعر عبد الله بن جابر الأندلسي، فقد انتقد هذا التقليد بقوله (١٠٨):
 جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
 نور النبوة في كرم وجوهم نغس الشريف عن الطراز الأخضر
 والزى الرمعي للخليفة فرجية أو جبة سوداء وعمامة سوداء ، والسواد
 إشارة إلى العباس (١٠٩) .

وليس الفلاحون الزنوط والبرد السود والقمصان الكبيرة الأكام ،
 وفي هذا الزى تنكر كثير من المراكسة خلال عمليات القنح العثماني لمصر (١١٠)
 أما أهل الذمة من اليهود والنصارى ، فقد قيدوا في ملابسهم وركوبهم ،
 وصدرت عدة أوامر وفتاوى (١١١) في عهود مختلفة بضرورة التزام هذه
 الخلود ، وهي أن يلبس اليهودي العمامة الصفراء والنصراني العمامة الزرقاء
 وطول العمامة عشرة أذرع ، ومن وجد بعمامة بيضاء حصل دمه ، وعليهم
 أن يشدوا أوساطهم بالزنارات ، والزنار خيط غليظ من الإبريسم ، وهناك
 خيط الكستيج من الصوف أو الشعر الغليظ بقدر الإصبع ، وأن تكون شراك
 معالم متينة ، ولا يدخلون الحمام إلا بصليب في أعناقهم ، وفي عتق اليهودي
 خلخال ، وربما تغالى بعض السلاطين في هذه العلامات المميزة ، فيأمر بتعليق
 أجراس في أعناقهم عند دخول الحمام ، وحدثت محاولات لإرجاع أهل
 الذمة ، إلى لبس العمامة البيضاء ، منها ما وقع زمن الناصر محمد بن قلاوون ،
 حين عاد إلى سلطته الثانية سنة ١٣٠٩ / ٨٧٠٩ م ، حين تعهد أهل الذمة
 بدفع ٧٠٠ ألف دينار في السنة ، غير الحالية ، ولكن الشيخ تقي الدين بن
 تيمية انبرى للحيلولة دون ذلك ونجح ، فظل أهل الذمة على لباسهم المميز
 لهم (١١٢) :

وتعرض النساء لتدخل أولى الأمر في أزيائهن ، فكان نساء الشام يلبسن
 العمامة الكبيرة ، لكن السلطان خليل بن قلاوون أمر بإبطالها سنة ٩٠٠ هـ
 / ١٢٩١م (١١٣) ، وليس نساء مصر التمساح الكبيرة الأكام والأزر الحرير
 والخف المزركش والعصابة (المقنزعة) ، أي القصيرة ، فنع السلطان حسن
 كبير ، الأكام والأزر الحرير والأخفاف المزركشة (١١٤) سنة ٨٧٥١ / ١٣٥٠ م.
 وأمر السلطان برفوق في سنة ٧٩٢ هـ ١٣٩٠ م ، بقص أكام من ترى بأكام
 واسعة (١١٥) ، وكذلك أمر السلطان قايتباي ويشيك اغتصب في سنة ٨٧٦ هـ /
 ١٤٧١ م ، ببيع العصابات المقنزعة ، على أن يكون طول العصابة ثلث ذراع
 ومختومة الجانبين بخاتم السلطان ، وقد قلقت النساء من هذا التحجير ، فكن
 يلبسن العصابة الطويلة في خروجهن ، والمقنزعة في البيوت ، ثم أهملن هذا
 الأمر ، وعدن إلى ما كن عليه ، وتندر بعض الشعراء بهذا الحال بقوله :
 أسر الإمام مليكتنا بعصائب في لبسها عسر على النسوان
 فقلقسن ثم أظعنهن ولبسهن ودخلن تحت عصابات السلطان (١١٦)
 ومنع نساء أهل النعمة ، من مشابهة المسلمات ، فإذا خرجن في الطريق
 العام ، يشترط أن يكون خيف الواحدة منهن مختلف الألوان (١١٧) .

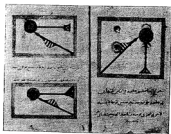
أما وسائل التسلية فأهم ما تسلت به الطبقة العليا : ألعاب الفروسية ،
 كالمبارزة بالرمح أو اللعب بالكرة والصولجان والصيد ولعبة القيق ، وهذه
 فضلا عن أساسها الأول وهو التدريب الحربي ، لأنها لم تخل من تسلية حقيقية .
 كذلك كان من وسائل التسلية الشطرنج ولعبة الحمام وخيال الظل ، والاستماع
 إلى بعض أنواع الأدب الفكاهي ، وهو البلايق .

وتعتبر ألعاب الفروسية أهم ما يجتمع الممالك شأن المجتمعات الإقطاعية
 في الشرق والغرب ، كما أن هذه الألعاب هي سبب الأستقرابية الحربية ،
 ولهذا فصلت جميع دقائق الفروسية على اختلافها في كتب كثيرة رفع بعضها
 للسلطين وبعضها للأمراء ، وتحتوى في جملتها وتفصيلها على دستور الفروسية
 أو قوانين الفروسية ، والتدريب عليها ، وكيفية ملاقات الفارس لخصمه ، وكيفية

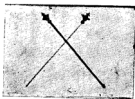
الركوب على القوس والتزول عنه ، وحمل الرمح ، واستعمال السيف والقوس والتشاب وأنواع القسي ، والمادة التي تصنع منها ، ومراعاة مناخ البلد في طول وتر وقصره ، وأكثر من ذلك في كيفية علاج القوس ونحو ذلك (١١٨) .

اهتم السلاطين المماليك وأمراؤهم بالفروسية على اختلافها ، واحتضلوا في خروجهم لممارسة هذه الرياضة الحربية فيما عرف باسم « موكب ركوب الميادين » (١١٩) ، ينزلون بالملابس الفاخرة والأسلحة المزركشة والخيول المزدانة بفاخر الثياب ، ومن دلائل النضج في فقه أهمية التدريب الحربي أنهم استعملوا في كثير من الأحيان رماحاً من خشب ، وأول سلطان أول لعبة المبارزة بالرمح كبير اهتمامه السلطان برقوق ، فكان يلعب ويأمر مماليكه بالحرص على مزاولتها دائماً (١٢٠) ، وإذا لعب السلطان الكرة والصولحان مع أمرائه ، انقسم اللاعبون إلى فريقين على رأس كل فريق « باش » أحدهما السلطان والآخر أتاكب العسكر ، ويكون اللعب بالكرة عادة مرتين في الأسبوع ، وهذا هو « موكب لعب الكرة » (١٢١) ، وتفترن هذه الرياضة بنوع من المداعبات كأن يقوم المغلوب بإعداد ولية فاخرة : فثلا لعب السلطان برقوق الكرة مع الأتابكي ابتعث الجاسي ٥٨٠٠ - ١٣٩٧ م ، بالحوش السلطاني وغلبه ، فأظهر الأتابكي استعداد له لعل الولية لكن السلطان تحملها عنه ، وجاءت غاية في السعة والترف إذ جمع فيها المغنين ، كما سمح للناس بدخول الميدان (١٢٢) ، واشتهرت هذه الرياضة حتى لعبها الأمراء في منازلهم ، بل نبغ فيها الكثير من الأمراء . وهواية الصيد والسرحدات مارسها السلاطين خلال فصل الربيع من كل سنة ، وجرت العادة أن يتكرر موكبه للصيد سبع مرات ، يخرج السلطان بخزائنه ومعه « مارستان » كامل إلى مواضع الصيد ، مثل منطقة الطرانة بالبحيرة ، وهي مشهورة بالطيور والغزلان ، أو بركة الحبش (١٢٣) قرب القاهرة لكثرة ما بها من طيور ، على أن ما يصاد يوزع منه على أتباع السلطان (١٢٤) .

أما لعبة « القيق » وهي من ألعاب القروسية للتدريب على إحكام



١ - لقيح



٢ - رمان من دماغ المبارزة

عن مخطوطة القرومية والمناسب الحربية الرماح
(مكتبة الحرم المكي الشريف)

الرمي (١٢٥) فارسها السلاطين والأمراء كذلك بميدان اتقيق خارج باب النصر ، وشجعوا عليها بمنح مكافآت لمن يصيب الهدف من رجاله كما فعل بيبرس سنة ١٢٦٦ / ١٢٦٧م ، إذ جعل مكافأة من الثياب للمفارقة ، وهم رجال الحلقة ، ومن الخيول للأمراء ، واهتم بها قلاوون وغليل (١٢٦) . ومن السلاطين من له هواية معينة « كلب الحمام » ، مثل السلطان حاجي الذي بالغ في التفقة على خامه والاشتغال به ، فيقال إنه أنفق ٥٠ ألف دينار عليه (١٢٧) بأن عمل له خلاخيل ذهب ووضع في أعنائه ألواحاً من ذهب كما جعل له مقاصر من خشب الأبنوس المطعم بالعاج وأقام الغلمان لخدمته ، وعلق بعض النقاد « اشتغل بلعب الطيور عن تدبير الأمور ، والنهي عن الأحكام بالنظر لئ الحمام ، فجعل السطح داره والشمس سراجها والبرج مناره ، وأطاع السلطان هواه ، وخالف من نهاه ، وخرج في ذلك عن الحد ، وصار لا يعرف المنزل من الحد(١٢٨) » .

واشترك جميع الطبقات في التسلية بلعبة خيال الظل ، فتقام الحفلات لعرضها إلا أن من السلاطين من كرهها وحرمها ، مثل السلطان جقمق ، إذ أمر في سنة ٨٨٥٥ / ١٤٥١م « بحرق شخص خيصال الظل جميعها وإبطالها » (١٢٩) ، ومنهم من شغف بها مثل السلطان محمد بن قايتباي (١٣٠) . ومن بين الحفلات التي أقامها هذا السلطان ، حفلة أقيمت بالجيزة سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م ، عقب الاحتفال بالمولد النبوي ، واستمرت ثلاثة أيام ، لعب فيها أسامة ، الرئيس أبو الخير ، صاحب خيال الظل ، كما غنى فيها « جوق مغاني العرب » وحضرها « برابوه ، رئيس المخططين » .

وطريقة عرض هذه اللعبة : ينشد الرئيس بعض الأناشيد المسجوعة الفكاهية مثل :

خيالتنا هذا لأهل الرتب والفضل والبذل وأهل الأدب . . . ثم ينادى :
يا طيف الخيال ، يا كامل الاعتدال ، فيخرج شخص أحدب . . . يناديه

الريس : قسماً بحسن قوامك الفتان ، يا أوحده الأمراء في الحدبان ، ثم يغنى
خيال الظل أزجالاً . . . (١٣١) .

: أما البلاغ ، فهي نوع من الأدب الفكاهي ، ينشده الشاعر أمام
السلطان ، ويقترن عادة بالفتاء والرقص ، كما يقترن بالفخر والتعريض ببعض
الشخصيات دعابة وتندراً . ومن ولعوا بهذا النوع من وسائل التسلية ،
السلطان حسن ، وبرز في عهده رجل يجيد صياغتها وإنشادها ، هو سراج
الدين عمر بن مولاها ، ألف عمر بلقية للسلطان حسن ، وعرض فيها بالأمير
يلبغا ، مما « غير خاطره من أستاذه » .

ومطلع هذه البلقية :

من قال أنا جندي خلق ، لقد صدق .

عندي قباء من عهد نوح ، على الفتوح ، لو صادفوا شمس السطوح ،
كان احترق .

كلوتني طار شحمها عن لحمها ، ولا يبق من رسمها ، غير الورق .
وكانت الإشارة بالجندي الخلق إلى الأمير يلبغا ، وهو واقف بين يدي
السلطان ، على حين كان السلطان حسن يضحك ويستعيدها (١٣٢) .

وللخمر والموسيقى والفتاء هواة كثيرون من السلاطين والأمراء ، فضلاً
عن أفراد الشعب ، ويذكر عن السلطان الملك المنصور محمد ، لما خلعه
الأتابكي يلبغا العمري سنة ٥٧٢٣ - ١٣٢١ م ، وأدخله دور الحرم بالقلعة ،
استمر هذا المخلوع « مقيماً في غبوق وصباح لا يفتق من السكر ساعة »
وعنده جواري مغنيات ، يدقون بالطارات عند الصباح والمساء (١٣٣) وكان
السلطان فرج بن برقوق يسكر حتى نصف الليل ، ويخرج إلى الحوش
ويتعرض المالك الذين في السجن بأبراج القلعة ، ويأمر بيطح الواحد منهم
ويذبجه بيده ويركله في وجهه ، وربما بال عليه ، أو صب عليه التبيذ (١٣٤) .
ويتبر السلطان المؤيد شيخ العمودي ، من هواة اللهو والطارب بل إنه
تعاطى المخدرات من « المصطلات » وقرب أبواب القنون ، هذا بجانب كونه

شاعراً غزلاً (١٢٥) . واشتهر من أرباب الغناء في عصر المماليك ناصر الدين محمد المازوني القاهري ، ويصفه ابن إياس بقوله إنه « فريد عصره ووحيد دهره ، وكان بارعاً في فن الغناء ويضرب به المثل في حسن النغم ومعرفة الفن ، ولم يجيء بعده من هو في طبقة إلى يومنا هذا (أيام ابن إياس القرن ١٦ م) وقد توفي عام ٨٦٢هـ - ١٤٧٦م زمن السلطان إينال : ومن المشهورين كذلك ابن رحاب المغني الذي طار صيته زمن خشقدم وقايتباي (١٢٦) .

والأعياد والحفلات على نوعين . خاص وعام . ومن أمثلة الخاص : الزواج وأعياد الميلاد والختان ، وليس في هذه الحفلات ما يلفت النظر سوى السرف الزائد والبذخ الذي أسمى سمته الطبقة العليا في المجتمع المملوكي ، وربما كان زواج الأمير شعبان بن الناصر محمد من ابنة الأمير بكتمر الساقى سنة ٨٧٢هـ - ١٣٣١م ، مثلاً فلذا في هذا الإسراف ، إذ بلغ صداقها مليون دينار وذبح أكثر من ٦٠ ألف رأس من الخيل والبقر والغنم ، وحمل له ألف قطار من الشمع ، كما عقد ١٨ ألف قطار حلوى سكرية (١٢٧) . ومن بين جهاز بعض بنات السلطان حسن ذكة من بللور عليها زير من بللور نقش بظاهره صور وحوش وطيور . وفي زفاف (١٢٨) « سقاية » بنت السلطان شعبان سنة ٨٧٩هـ - ١٣٨٨م للأمير منطاش ، حمل جهازها على ٥٠٠ حمل وعلق ديناران زنة أحدهما ٢٠٠ مثقال وزنة الآخر ٢٠٠ مثقال (١٢٩) .

وفي حفلات عيد الميلاد يستعد السلطان قبيل الوضع بإعداد ما تتطلبه الولائم ، وإذا حدث وجاء المولود أنثى تقاعدت سمته وقل عطاؤه ، أعلن السلطان خليل في سنة ٨٦٩هـ - ١٣٩٣م ، أن زوجته « خوند أردوتكين » قد دنا ولادها وقرب محاضها فلما وضعت أنثى ، علق بيبرس النوادر المؤرخ « أنه لما بشر السلطان بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » (١٣٠) ، وحول الحفل لختان أخيه محمد (١٣١) .

أما حفلات الختان فحيا البذل وفيها العطاء وبعم هذا السلاطين والأمراء وكبار رجال النولة عامة ، ويختن الطفل إذا بلغ سبع سنوات (١٣٢) ، وروى

أمر السلطان بختن بعض أبناء المقربين إليه مع ابنة ، وأنعم عليهم بكسوة على قدر مراتب آبائهم كما كانت تقدم الهدايا وتزين القلعة والقاهرة لمدة سبعة أيام. ويعتبر حفل ختان محمد بن قايتباي سنة ٨٨٩٥ - ١٤٨٩م مضرب الأمثال في الإسراف ، فقد أمر السلطان بجمع المغنين بالقاهرة وغروج الناس « في القصف والفرجة » ودخل عليه جملة هدايا ، ومشي القضاة والأمراء والأعيان في الموكب ، وابن السلطان يركب فرساً فرشت شقائق الحرير تحت حافره ، وعلى رأس الأمير خفائف الذهب والفضة ، واختن معه أكثر من أربعين ولداً من أبناء الأمراء والأعيان ، من بينهم ابن الخليفة ، ويبلغ ما حصله « المزين » خمسة آلاف دينار ، قسمه السلطان عليه وعلى بقية الرؤساء المزينين « وأمر بكسوة لمن اختن مع الأمير وأن يتوجهوا إلى بيوتهم في موكب (١٤٣) .

ومن أمثلة حفلات كبار رجال الدولة ما قام به كاتب السر القاضي ابن مزهر حين ختن أولاده ببركة الرطلي (١٤٤) سنة ٨٨٦٦ - ١٤٨١م ، فقد أمر بجميع سكان هذه المنطقة بإثارة منازلهم وأرسل إلى كل بيت عشرة أرطال من الزيت ، « وطبيلة » حافلة بألوان الطعام ، فاستجاب السكان واستمر الحفل ثلاثة أيام (١٤٥) .

أما الأعياد العامة فهذه يحفل بها السلطان وأمرأه ورجال الدولة ، كما يشترك فيها الشعب ويقرن غالبها بمواكب رسمية حافلة ، كما تقرن بالعطايا والصدقات وأعمال البر والهدايا للأمراء ورجال القلم ومشايخ الفقهاء وأهل الزوايا ونحوهم ، ومن أمثلتها الأعياد الدينية ، كالأحتفال بالمولد النبوي بالقلعة أو التربة (١٤٦) ، ومولد الأونياء في أضرحهم . يذكر المقرئى وابن لباس أن قايتباي أول من أحدث الأحتفال بمولد السيدة نفيسة (١٤٧) ، ويحفل بيلة النصف من شعبان وشهر رمضان بالقراءة والصدقات ، وكان السلطان يرقوق يذبح في كل يوم من شهر رمضان عشرين بقرة ويوزعها على الفقراء مع ألف رغيف (١٤٨) ، كما يعطى الفقهاء والعلماء « توسعة لم » في ذلك الشهر ، وتمنح التشاريف والأضحية في العيدين ، وقراءة البخارى أمر سار

عليه المالك إذ كان يجتمع بالقلمة طائفة من القراء والفقهاء لقراءته يحتم
 بحفل كل ثلاثة شهور، وفي هذا الحفل يطلع السلطان على القضاة ومشايخ العلم (١٤٩)
 كما تفرق « الصور » على الفقهاء . وكانت العادة القديمة أن يقرأ البخارى
 بالقصر بالقلمة ويحتم بالقصر الكبير ، ولكن الغورى أبطل ذلك وصار البخارى
 يقرأ بجامع القلمة ويحتم بالحوش، (١٥٠). وفي أول كل شهر عربى يتوجه الفقهاء
 وأهل الزوايا ورجال العلم لتهنئة السلطان بالقلمة ومباركة الشهر عليه ، فيحلق
 عليهم ، وهناك موكب دوران المحمل حيث يلعب الرماحة وتشهر الكسوة ،
 والمالِك هم الذين أحدثوا تقليد سفر المحمل منذ شجرة الدر واعتبر هذا بدعة
 لا عهد للسلف بها ، وهذه المناسبة ينادى فى القاهرة بالزينة ويرتدى الرماحة
 الزرى الأحمر على العادة ، ويتكون فريق الرماحة الذين يتولون اللعب بالرماح
 من رئيس يلقب بالمعلم ورتبته أمير مائة مقدم ألف ، ومعه أربعة معاونين
 يلقب الواحد منهم « بالباش » ، من رتبة أمير طبلخاناه ، ومعهم أربعون
 فارساً . وبعد أن ينتهى اللعب أمام السلطان فى موكبه ، ينزل هذا الفريق عن
 خيوله ، ويقبل الأرض للسلطان . وأول من أحدث تقليد تقبيل الأرض ،
 السلطان قايتباى عندما كان أميراً زمن السلطان خشقدم . والعادة أن يعقد
 السلطان هذا الحفل فى شهر رجب من كل سنة ، ويعتبر من المناسبات التى
 ينتهزها السلطان لعرض « فروسية عسكر مصر » أمام القضاة والأجانب كما فعل
 الغورى سنة ٩٢٠ هـ أمام القاصد العثمانى (١٥١) .

وبعد يوم « كسر التبل » أو « فتح السد » من الأعياد العامة التى يشترك
 فيها جميع الطبقات فينزل السلطان وجنوده فى موكب زمن التيفضان ويكسر
 السد لتجرى المياه فى الخلجان والترع ، وأحياناً ينيب السلطان عنه الأتابك
 أو أميراً من مقدى الألوفا ، لفتح السد (١٥٢) .

ومن أعياد الأقباط فى مصر « عيد النوروز والشهيد » ، وبرغم أنهما
 من الأعياد القبطية إلا أن أغلب الناس يشتركون فيهما ، ويقع فى هذين
 العيدين كثير من العبث واللهو . فأما عيد الشهيد فهو نسبة إلى بعض القديسين

السابقين ، ويعتقد الأقباط أن الإصحاح الموجود بصندوق مقفل في كنيسة شبرا ، هو إصحاح الشهيد وله أثر كبير في زيادة النيل فيخرجونه في ثامن شهر بشناس من كل عام ويفسولونه في النيل ، ويجتمع في هذا العيد شتى الأقباط من أقاليم مصر فضلا عن عامة أهل مصر من غنى و صعلوك ، وينصبون الخيام على شاطئ النيل بشبرا ، ويجتمع أرباب الملاعب وغيرهم ، وربما مات بعض الناس لشدة الزحام ، على حين يستفيد الباعة ، حتى أن فلاحى شبرا كانوا لا يفلقون خراج أطيانهم إلا بما يبيعونه على الناس في يوم عيد الشهيد ، وقيل كان يباع بشبرا في مدة ثلاثة أيام بألف دينار خمراً . ولكثرة ما يقع في هذا العيد من المعاصى والتسوق ، قرر الأمير صرغتمش رأس نوبة وأتابك العساكر إلغاء هذا العيد ، وأحرق الصندوق بما فيه وألقاه في النيل ، بحضرة السلطان حسن والأمراء ، وذلك سنة ١٧٥٩ / ١٣٥٨ م (١٥٣) .

وفي عيد النوروز وهو أول السنة القبطية يعمل موكب يسمى موكب أمير النوروز وأعضاء هذا الموكب من سافل الناس والعياق ، ويفرض هذا الأمير الإتاوات على الأكابر ويقف العياق في الطرقات يتراشون بالماء المنتجس ويتراجمون بالبيض النبي في وجوههم ويتصافعون بالأنطاع (١٥٤) والأخفاف ، مما يؤدي إلى قتل الحوانيت ، وهذا ما حدا بالسلطان برفوق إلى إبطاله سنة ١٧٨٧ - ١٣٨٥ م (١٥٥) .

أما التعليم ومؤسساته ونظمه ، فهناك حقائق كبرى عامة تبدو من دراسة هذا الجانب في المجتبع الإقطاعى المملوكى .

كانت نظرة المماليك إلى التعليم أنه من أعمال البر والخير التي يتقربون بها إلى الله أكثر من كونه ضرورة للمجتمع ، فكانت المؤسسة عبارة عن دار للعلم وموئل للعبادة ومبارة للمعوزين ، حيث يجد المعلم والمتعلم والعايد والمرئاد والمنقطع المأوى والغذاء المادى والروحى ، فضلا عن راتب معلوم سواء أخذت هذه المؤسسة اسم مدرسة أو زاوية أو خانقاه أو قبة أو تربة ، بل لم يحل المارستان من مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب ،

كما كان الشأن في مارستان قلاوون ، وهناك نسخة توقيع بتدريس الطب بهذا
البيارستان (١٠٦) .

إن أغلب المماليك الذين تربوا في مصر صغاراً (١٠٧) ، قد نالوا حظاً
من التعليم اللغوي والديني ، وإن لم يتوسعوا فيه ، وهم من أجل ذلك يدركون
قيمة التعليم ، كما يدركه غيرهم ممن جاءوا كباراً ولم ينل الكثير منهم أى حظ
من التعليم ، على أن تصرفات المسئولين منهم جميعاً كانت في كثير من الأحيان
لا تصدر إلا عن فتوى رجال العلم .

ثم لإن مؤسسات التعليم على اختلافها لم تكن من إنشاء السلاطين فحسب ،
وإنما ساهم فيها كذلك الأمراء وذوو اليسار من طبقات الشعب المختلفة ، ومن
بعض النساء .

وفيما يتعلق برجال التعليم ، لم نصائح وإرشادات تشبه ما نعرفه اليوم
باسم أصول التربية والتعليم ، كالتدرج في التعليم من السهل إلى الصعب ومن
البسيط إلى المعقد وهكذا (١٠٨) ، على أن مهنة التعليم في ذلك العصر قد اتسمت
بطابع الأرسطراطية ، وليس ذلك بغريب في مجتمع طبقي نحا غالباً نحو الجمود
إذ حرص المدرسون على ألا يتطرق إلى زمرة من رجل من العوام ، يقول السبكي :
« ومن أفتيح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ويجلس يلقها
ثم ينهض ، فإن كان غير قادر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس
ولا يعمل له تناول معلومه . . لأن هذا يطرق العوام إلى روم هذه المناصب ،
فقل أن يوجد عامي لا يقدر على حفظ سطرين ، ولو أن أهل العلم صالوه
أعطى المدرس منهم التدريس حقه ، وسأل وسئل واعترض وأجاب ،
وأطال وأصاب ، بحيث إذا حضره أحد من العوام أو المبتدئين أو المتوسطين ،
فهم من نفسه التصور عن الإتيان بمثل ما أتى به ، وعرف أن العادة أنه
لا يكون مدرس إلا هكلنا والشرع كذلك ، لم تطمع نفسه في هذه الرتبة
ولم تطمع العوام في أخذ مناصب العلماء (١٠٩) » .

ولا تعدو لائحة التنظيم الداخلي للمدرسة مراعاة شرط الواقف في الغرض

التي بنيت من أجله المدرسة ، إن كانت للذهب معين ، كالشافعي أو الحنفي أو للمذاهب عامة ، أو لقراءة القرآن أو الحديث (١٦٠) . فن المدارس المتخصصة المدرسة الحسامية للشافعية أنشأها الأمير حسام الدين لاجين ، في عهد السلطان قلاوون (١٦١) ومدرسة منكورتمر التي أنشأها سنة ٦٩٨هـ - ١٢٩٨م للمالكية والحنفية ومدرسة الأمير مغلطاي للحنفية بناها سنة ٨٧٣هـ - ١٣٢٩م ومدرسة الست بركة أم السلطان شعبان للشافعية والحنفية أنشأها سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩م ، ومن مدارس القرآن مدرسة الأمير إينال التي بناها على قبره سنة ٨٧٩هـ - ١٣٩٢م وهكذا (١٦٢) . ومن المدارس العامة لجميع المذاهب : (١٦٣) المدرسة الظاهرية افتتحها بيرس سنة ٦٦٢هـ - ١٢٦٣م ، وجعلها أربعة أواوين لكل مذهب إيوان خاص ومدرس خاص كما جعل للحديث إيواناً وللقرآيات السبع إيواناً ، ومدرسة الأمير طبرس الخازندار صهر بيرس الجاشنكير نقيب الجيوش في عهد لاجين أنشأها سنة ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م ، ويقال إنه لما فرغت عمارتها وجرى بأوراق الحساب استدعى بطشت وغسل الأوراق به من غير أن ينظر في الحساب وقال : (شيء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه) والمدرسة الأبقاوية للأمير أبقغا عبد الواحد أستاذ الناصر محمد . وكذلك كانت مدرسة السلطان حسن التي أنشأها سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م تجاه القلعة وبالغ في الثقة عليها (١٦٤) .

وربما رتب الواقف جدول العمل بالمدرسة من حيث توالي الدروس ، كما فعل الأمير جمال الدين عمود الأستاد بمدرسته التي افتتحت سنة ٨١١هـ - ١٤٠٨م ، فقد اشترط أن تكون الدروس الستة على هذا النحو: دروس الفقه الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ثم الحديث ثم التفسير (١٦٥) . أما نظام التدريس فهو أقرب ما يكون إلى النظام الجامعي من حيث أن هيئة التدريس بالمدرسة تتكون من : المدرس وهو أعلى عضو في هيئة التدريس ويليه المعيد ثم المفيد ثم المنتهى ، على أن يبدأ الدرس وينتهي بتلاوة بعض آيات قرآنية مناسبة من قارىء يسمى « قارىء العشر » (١٦٦) ، وإذا انتهى

المدرس من إلقاء درسه تولى « المعيد » إعادة ما ألقاه المدرس ، ومهمة المفيد التوسع في الدرس المشروح بحثاً وإفادة ، أما المنتهى فهو من الطلبة ومهمته المناقشة باستمرار خلال الدرس لأنه أكثر إلماماً من زملائه الذين لم ينتهوا بعد (١٦٧) .

والطلبة هم « الفقهاء » وينصحون بما ينصح به أقرانهم في العصر الحاضر كالمواظبة وعدم الحديث خلال الدرس « خشية النجاسة واكتساب الإثم » ، أو التشاغل بكتاب خلال الشرح أو الجلوس بعيداً عن المدرس وإلا « لا يستحق شيئاً من المعلوم ، ولا يفيد أن يطالع في كتاب وهو في الدرس » ، ولا بد من احترام شرط الواقف « فلو اكتفى الواقف منه - أى من الطالب - بذلك لما اشترط عليه الحضور » ، واختلف عددهم من مدرسة إلى أخرى ، وربما حدد الواقف عددهم كما هو الشأن في المدرسة الطبرسية (١٦٨) ، إذ حدد الأمير طبرس لكل مذهب مدرساً ومعيداً ، ومعهما خمسة عشر طالباً ، وحدد يرسباى في حجة وقفه عددهم بخمسة وعشرين ، ومن المدارس التي لم تحدد عدد الطلبة مدرسة الظاهر بيبرس ومدرسة السلطان حسن (١٦٩) ، ولحسن الضبط هناك موظف يسمى « كاتب الغيبة » لمن يتخلف من الطلبة « وإن سامح لجرد حطام يأخذ من الفقيه فهو على شفير جهنم » (١٧٠) .

ويتبع المدرسة خزائن كتب ، غالى بعض مؤسسى المدارس في مثلها بأنواع الكتب المختلفة ، فثلاثون مدرسة الأمير محمود الأستاذار المصاحف النادرة المخطوطة (١٧١) ، منها عشرة مصاحف حجم الواحد منها ٥١٠ أشبار ، ومن الكتب النفيسة عشرة أعمال ، ولهذا الخزائن عامل يسمى « خازن الكتب » مهمته إعادة الكتب وتفصيل فقراء الفقهاء ، ومراعاة شرط الواقف إذا كان قد نص على أن تكون العارية نظير رهن أم لا ، ومن مهامه فوق ذلك ترميم الكتب « وحبكها عند احتياجها للحبك » (١٧٢) .

وبجانب المدرسة ، وربما ألحق بها ، الكتاب ، ويكون للتعليم عامة أو لتعليم الأيتام ، ويعرف القائم بالتعليم فيه باسم « معلم الكتاب » أو معلم

الصية أو التقيه ، والكتاب لتعليم القرآن والخط ، والملاحظ أن معلم الصية خاضع لرقابة المحتسب فتقضى عليه قوانين الحسبة ألا يعلم الخط في المساجد حتى لا يبعث الصييان بالكتابة على جدرانها ، وألا يستخدم الصية في قضاء حاجاته (١٧٣) . ومن المدارس التي ألحقت بها كتاتيب : مدرسة القاهرة بپرس ومدرسة الأمير مغلطاي ومدرسة الأمير طبرس .

هناك مؤسسات أخرى كان من بين أهدافها التعليم بجانب التفرغ لشئون العبادة ، كالمساجد والخوانق والزوايا والربط والترب ، فترتبت فيها دروس في الفقه على المذاهب الأربعة والحديث وقراءة القرآن ، كما كان الشأن في خانقاه بپرس الجاشنكير التي بناها سنة ٥٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م ، و خانقاه شيخو التي تمت عمارتها سنة ٥٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م (١٧٤) ، ورواد الخوانق من الصوفية (١٧٥) بلغ عددهم في خانقاه الجاشنكير ٤٠٠ صوفي ، وفي خانقاه الناصر بسرياقوس مائة ، وكان الناصر قد بنى هذه الخانقاه عام ٥٧٢٥ هـ - ١٣٢٤ م (١٧٦) ، وربما تطوع بعض رجال العلم من الصوفية لإلقاء دروس على العامة في الطرقات أو التنقل في هذه المؤسسات ، غير مقيد بمكان معين أو موضوع معين ، ويطلق عليه في الطرقات العامة اسم « القاص » وفي هذه المؤسسات « قارئ الكرسی » ، ويختلف القاص عن قارئ الكرسی ، في أن الأول يقرأ من محفوظاته على حين يقرأ الثاني من كتاب (١٧٧) ، غير أن بعض الواقفين قد يشترط على الصوفية ألا يكون منهم قاص ، كما فعل الأمير شيخو (١٧٨) . وتكاد أمور التعليم تنصب في الزاوية على الأحاديث وروايتها ، فضلا عن أداء واجب الضيافة ، وروادها من المستحقين (١٧٩) ، ومن الزوايا المعروفة زاوية الأمير جبرك السلاحدار أحد أمراء قلاوون وهي التي بناها خارج باب زويلة عام ٥٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م (١٨٠) ، وأدت الربط ما يؤديه للملجأ للمحتاجين من الرجال والنساء ، مثل رباط الأمير أليك الأفرم أمير جاتنار بپرس ، بناه عام ٥٦٦٣ / ١٢٦٤ م ، ورباط البغدادية الذي أقامته السيدة « نذكارى باى خاتون » ابنة السلطان بپرس سنة ٥٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م ، ونسبته

إلى الشيخة الصالحة زينب البغدادية ، وجعلته للنساء الصالحات والمطلقات حتى ينزجن أو يرجعن إلى أزواجهن (١٨١) ، كما أن بالرباط دروساً في الفقه وحفظ الأوراد ، بجانب العبادة ، مثال رباط الآثار لصاحبه الوزير تاج الدين محمد بن محمد بن محمد بن صاحب فخر الدين محمد المتوفى عام ٨٧١٧م - ١٣١٧م . فقد كان بهذا الرباط دروس للفقهاء الشافعية وبه مدرس وعنده بعض الطلبة ، ولم تحل بعض الترب من أماكن للتعليم ، مثل تربة السلطان قايتباي ، فقد قرر سنة ٨٧٩م - ١٤٧٤م ، أن يكون بها « التدريس والعبادة » (١٨٢) . ويتصل بالتعليم بعض الحرف كالوراقة والنسخ والتجليد والتذهيب ، ولكل صاحب حرفة من هذه وصايا تنظم عمله وتوضح له حدود الدقة والأمانة (١٨٣) .

أما موارد النفقة على هذه المؤسسات فهي الأوقاف من ضياع وحوادث ودور وفنادق وحمامات ورباع ومطابخ سكر وطواحين وبساتين (١٨٤) ، فضلاً عن المنح والتخصصات والطعام ، وربما أضيف المسكن للمدرسين في بعض المدارس . ولذلك اختلفت رواتب المدرسين تبعاً لمقدار الأوقاف المرصود وشروط الواقفين ، فبلغ راتب المدرس في مدرسة الأمير جمال الدين محمود الأستادار ، كما قرره هو ٣٠٠ درهم في الشهر ، على حين كان راتب المدرس في المدرسة الطبرسية ٦٠ درهماً ، وراتب المعيد ٤٠ درهماً ، وربما روسى تقص الرب في المدرسة الأخيرة لامتياز آخر توفر لمدرسيها دون غيرهم ، وهو توفير سكن لهم فوق المدرسة (١٨٥) ، ونصت حجة وقف برسباي فيما نصت ، على أن يكون راتب رجل العلم ١٠٠ درهم في الشهر (١٨٦) . وقد يمنح المدرسون بعض هبات ، كما فعل السلطان المؤيد حين وزع على كل منهم عشرة دنانير بالإضافة إلى إردب من القمح (١٨٧) ، وربما حرموا من بعض التخصصات ، كما فعل قايتباي سنة ٨٧٣م - ١٤٦٨م حين قطع عنهم راتب اللحم (١٨٨) . وبلغ راتب الطالب في مدرسة الأستادار ٣٠ درهماً

في الشهر ، بجانب ثلاثة أرطال من الخبز في اليوم (١٨٩) ، وخصص مبلغ ٧٠٠ درهم في حجة برسباى لحمسة وعشرين طالباً (١٩٠) .

وكما كانت نظرة الممالك إلى التعليم والنفقة عليه ، على أنه من أعمال البر والخير ، كذلك لم تحل وسائلهم في مقابلة التوازل التي كثرت وقوعها ، من هذه النظرة ، إذ أن الطبقات الدنيا كانت أكثر الطبقات تأثراً بهذه المحن ، وهذا لا يعني عدم تأثر الطبقات العليا أحياناً ، وأمثال هذه التوازل ، خطر الهجمات والأغلبية التي كانت تعقب انخفاض النيل ، وخطر الأوبئة الحاصدة التي تلاحقت في تلك الحقبة ، على أن هذه الأحداث لم تقتصر على العوامل الطبيعية فحسب ، بل كان لسياسة بعض أولى الأمر أثرها في حوادث الغلاء بصفة خاصة ، كأن يفرض السلطان على « السوق » مبالغ من المال يحصلها له المحتسب باسم « المشاهدة » والجماعة ، وقد بلغت هذه المشاهدة في عهد قابقباى ألف دينار وأبطلها سنة ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م ، لكنها عادت على عهد الغوري ووصلت إلى ٢٧٠٠ دينار ، ثم ألغيت وأعيدت أكثر من مرة زمن الغوري (١٩١) .

وفي نظير ذلك يترك البيع حراً فيتغالى « السوق » في السعر لتوفية ما عليهم ويقولون : « علينا مال نورده كل شهر » وليس غريباً في ذلك المجتمع أن يكون على هذا البند من الإيراد جماعة من الأمراء المقطعين الذين لا إقطاعات لهم من أبواب الإيرادات الأخرى ، فكانوا يحالين على المحتسب بما يتحصل له من المشاهدة والجماعة ، وبمعنى آخر لعب الإقطاع دوره في حوادث الغلاء ، وكما كان الظلم من عوامل الغلاء كذلك كان العدل والعطاء من وسائل الرخاء (١٩٢) .

ويلاحظ أن متوسط أغلب الأسعار حتى أواسط القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) لإردب القمح مثلاً ١٥ درهماً ، وإردب الشعير ٩٠ درهماً ، وبقيّة الحبوب حول هذه الأسعار ، وتراوح سعر الرطل من اللحم من نصف درهم إلى ما فوق ذلك بقليل ، وجيد الدجاج من ٢ - ٣ دراهم للطائر ، والدون ، منه بدرهم واحد ، ثم ارتفعت بعد ذلك إلى نحو أربعة

أمثالا (١٩٣) ، فإذا كان متوسط السعر لإردب القمح ١٥ درهماً ثم علا إلى أربعة أمثاله (٦٠ درهماً) في تلك الفترة ، ثم عد من الرخاء في أواخر عصر المماليك أن يكون هذا السعر ٨٠٠ درهماً (١٩٤) وللشعير ٤٠٠ درهم (١٩٥) ، وفي الغلاء تراوح إردب القمح بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ درهم (١٩٦) ، فلا شك أن هذا يدلنا على ارتفاع مستوى الحياة عامة في أواخر العصر المملوكي وهذه حقيقة كبرى يرجع أنها نتيجة لكثرة ما تعرضت له البلاد من الطواعين وما ينتج عنها من قلة الأيدي العاملة ونقصها باطراد ، ولا سيما في الفلاحين والصناع ونحوهم ، ويرتبط على ذلك قلة الإنتاج وقلة المعروض ، حتى إنه جاء وقت خلال سنة ٨٥٤هـ - ١٤٥٠م عدت فيه الحضرات نهائياً (١٩٧) .

وكان الجانب السلبي أغلب ما استطاعته حكومة المماليك لمقاومة هذه المحن، كالاستسقاء (١٩٨) وتلاوة القرآن وقراءة الأحاديث ، وكذلك الاستعانة ببركات بنى العباس (١٩٩) ، أو اللجوء إلى رجال القلم من القضاة وأهل العلم للدعاء ونحو ذلك ، ثم الصدقات على الفقراء والمعوذين في تلك الظروف بمنحهم القوت الضروري ، أو جمعهم وتوزيعهم على الأثرياء ، والنحيم في الأسعار بتحديدتها ، وإن أغضب التسعير فريقاً من المجتمع وعرض المحتسب إلى خطر لا يحسد عليه . وقد يفتح بعض السلاطين مخازنه للبيع بسعر معتدل ، تخفيفاً لو طأة الغلاء ، وفي حالة الوباء وكثرة الموتى يتصدق البعض بالغسل والتكفين والدفن ، وهكذا من أعمال البر .

فلما انخفض النيل مثلاً في سنة ٨٥٣هـ - ١٤٤٩م ، وشرقت البلاد وارتفعت الأسعار (٢٠٠) ، رسم السلطان جقمق للناس بالخروج للاستسقاء ، فخرج القضاة الأربعة والخليفة المستكني ومشايخ العلم ، كما خرج أطفال المكاتب وعلى رموسهم المصاحف ، واليهود وعلى رموسهم التوراة ، والنصارى وهم يحملون الإنجيل (٢٠١) ، واستمرت موجة الغلاء حتى سنة ٨٥٥هـ - ١٤٥١م ، ثم انحط السعر قليلاً في سنة ٨٥٦هـ - ١٤٥٢م ، فعد ذلك رخاء (٢٠٢) ، وفي سنة ٨٦٦هـ - ١٤٦١م ، توقف النيل عن الزيادة فأمر السلطان جقمق القضاة

والمشايخ والعلماء بالتوجه إلى المقياس للمبيت عنده وتلاوة القرآن والحديث الشريف ورفع الأكف نضراً إلى الله تعالى لزيادة النيل ، ولما لم يزد النيل بعد عدة أيام وليال على هذا النحو ، استفتى السلطان بعض المشايخ فأفتوه بجمع نبي العباس رجلاً ونساء وأطفالاً ، على أن يضعوا في أفواههم شيئاً من الماء ثم يمجونه في إناء ويصبونه في « فسقية المقياس » ، ويقول ابن إياس : ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ، إذ توجه القاضي علم الدين صالح البلقيني وأقام ثلاثة أيام فزاد النيل وكان لعودته شاقاً القاهرة رنة فرح انطلقت النساء بالزغاريد له من العليتان (٢٠٣) .

ومن أحداث الطواعين ، نلاحظ أنها مقترنة دائماً بالغلاء ، وربما صادفت هبوط النيل في بعض الأحيان وشح بعض الأغنياء مما يضاعف في أثر المحنة .

في وباء ٥٧٧٥ - ١٣٧٣م الذي أعقب الغلاء الناتج عن قصور النيل عز وجود القوات الضروري ، ولم يقدر الأثرياء الظرف الراهن ، فلم يزيدوا أجره العمال من البناء والفعلة والحمالين ونحوهم ، مما أدى إلى موت الكثير منهم ومن الفلاحين والفقراء ، ولكن السلطان الأشرف شعبان لم يقف مكتوف اليدين أمام هذه المحنة وهذا التصرف ، فانتدب نائبه منجك ليقوم بجمع « الحرافيش » ، وهم الفقراء ، وتوزيعهم على الأثرياء من الأمراء وغيرهم من مياسير التجار ، فبعث إلى كل شخص عدداً يتناسب مع مرتبته وطاقته ، فأخذ أمير المائة مائة فقير وهكذا ، كما فرق على الدواوين والتجار وأرباب الأملاك والأموال عدداً يناسب طاقتهم ، ونودي في مصر والقاهرة بالآل يتصدق أحد على حرفوش وأبى حرفوش شحت صلب ، فأوى كل واحد فقراءه (٢٠٤) ، ولما اشتدت وطأة الوباء في رمضان من تلك السنة ، مات الكثير حتى بلغ عدد الطرحاء في كل يوم ٥٠٠ فقير ، فأنبرى بعض الأمراء أمثال الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أنبغا آص ، والأمير سودون الشبخوني وغيرهم ، ونادوا بأن من أتاهم بميت طريح ، أعطوه درهماً ، فأتاهم الناس بالأموات ،

قاموا بتسليمهم وتكفينهم ودفنهم (٢٠٥) ، وفشا الموت في الأغنياء (٢٠٦) بل إن السلطان برسباي لم ينج من المرض والإصابة في طاعون ٨٤١هـ - ١٤٣٧م ، فاحتلط عقله أو على حد تعبير ابن لياس « حصل له مالبخوليا » مما جعله يصدر أوامر غريبة كنى الكلاب إلى الخيزة وقتل بعض الأطباء ومنع النساء من الخروج (٢٠٧) .

وفي طاعون وغلاء سنة ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢١ / ١٤١٥ و ١٤١٨م ، استسقى الملك المؤيد « كما جرت العادة » لوزيخ الأغنام وير الفقراء (٢٠٨) ، وكان قايتباي يفتح شونه ويبيع بأقل من السعر الكائن رفقاً بالناس (٢٠٩) .

وبجانب هذه الوسائل للمكافحة ، نجد التسعير الجبري الذي لحق إليه ولاية الأمور وتشددوا في تنفيذه ضارين المثل بالبيع من مخازنهم بالسعر المحدد ، كما فعل بيبرس سنة ٨٦٢هـ - ١٢٦٣م ، إذ أمر بأن يباع من « أهراة » ٥٠٠ لدرم كل يوم بما قدر من « السعر » (٢١٠) ، وكذلك فعل قايتباي في سنة ٨٩٢هـ - ١٤٨٦م / ١٤٨٧م ، وزاد بأن « صار المحتسب يضرب الكثير من السوق على عدم بيع الخبز وإظهاره على الدكاكين » (٢١١) .

ومن المتناقضات أن يتعرض المحتسب أحياناً إلى الإيذاء سواء أدى واجبه على الوجه الأكمل أم قصر فيه .

فالتسعير الجبري يأمر به السلطان ولا يرضى عنه فريق من الناس ، والضحية في هذه الحالة هو المحتسب ، ثار المماليك الجلبان في سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م ، وتوجهوا إلى منزل بدر الدين بن مزهر المحتسب لحرقه بسبب تسعير اللحم والبضائع والخبز والخبز ، ولكنه اختفى فقتلوا إلى السوق وكسروا أبوابها ونهبوا القمح والشعير من شون السلطان والأمراء (٢١٢) .

وهذا السلطان قايتباي يأمر في سنة ٨٩٤هـ - ١٤٨٨م ، بإحضار المحتسب كسباي ويؤذبه ثم يأمر ببطحه على الأرض وضربه نحو ٢٠ عصا ، وذلك لأنه قصر في واجبه وأنه « لم ينظر في أحوال المسلمين ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار » (٢١٣) .

وجرائم المجتمع الإقطاعي المملوكي كثيرة ، أخطرها وأكثرها وقوعاً
 الفتن وحوادث المؤامرات والحيلانات ، وما تتضمنه من نهب وتخريب ،
 وهذا أخطر جانب أودى بالإمبراطورية المملوكية في نهاية الأمر ، ولذلك
 نجد أن أقصى عوامل الانحطاط وأشد ألوان التعذيب كانت تطبق على مثرى
 الفتن ، على أن وراء هذه الحوادث مجتمعة ومتفرقة يكن الإقطاع صاحب
 الدور الخطير ، فقد كان غاية وسيلة ، غاية للحصول عليه مهما كان الثمن ،
 والغدر أو الخيانة ثمن مألوف يسير يومئذ ، ووسيلة حين يستأديه الطامع
 أو الثائر لجلب الأنصار ، فتسمع في عمار الثورات والفتن عبارات : إن كل
 من جاب له رأس أمير كان له إقطاعه (٢١٤) ، أو من أراد الإقطاع والتفقة
 فليحضر (٢١٥) ، أو أن أميراً معيناً أغرى مماليك منافسه بالمال والإقطاعات ،
 وهكذا .

ورأس الفتنة جميعها النزاع على السلطنة ، إذا علمنا أن مبدأ الوراثة
 لم يكن معترفاً به ، بل إن قيام دولة المماليك في أول أمرها كان اغتصاباً ،
 وهذه سابقة خطيرة لحوادث الولاية والسلطنة ، وكانت السلطة لمن غلب (٢١٦)
 غير أن هذا لا يبنى ما وقع من أحداث الوراثة وإقامة الأوصياء للوارث
 الصغير ، ولكن وصول هذا الوارث إلى العرش ، اعتمد إلى حد كبير على
 مدى ما كان لسلفه من مكانة وقوة في نظر المماليك فضلاً عن رغبة المماليك
 أنفسهم في إقامة هذا الوارث ، نظراً للمنافسة وعدم الاتفاق فيما بينهم على
 من يلي السلطنة ، ولحل المشكلة مؤقتاً بيقام الوارث حتى ولو كان صغيراً ،
 ريثما يتمكن الطامع في الوقت المناسب من إقامة نفسه (٢١٧) ، ثم إن استمرار
 هذا الوارث في الحكم أو عودته إليه إنما يرجع إلى ما يتمتع به من صفات
 شخصية وما له من عصبية وقوة ودهاء تمكنه من العودة ، فضلاً عما يراه
 الأمراء المنافسون أنفسهم (٢١٨) .

ولذلك نجد معظم نشاط السلاطين في الأمور الداخلية ، موجهاً نحو
 تأمين عروشهم بإجراء حركة تطهير عند ولايتهم وبين آونة وأخرى (٢١٩) ،

ثم يجمع الفن وتجريد التجاريد للقضاء على المنافسين والخارجين عليه ، ويدلنا هنا من جانب آخر على أن رباط الولاء لم يكن ثابتاً وإنما تذبذب بين الأقبية والرأسية ، أو بين الولاء المستعرض المتبادل بين (الخشداشية) من الممالك أو الأمراء ، وبين الولاء القائم الرأسى نحو الأستاذ : أميراً كان أم سلطاناً .

فلا نقول : إن رباط التبعية وحقوق الأستاذية أو السيادة ، قد أحيطت بهالة من التقديس والاحترام ودلت فيما دلت على معاني و الهليب والرقه والدماثة ، كما تصوره الملاحم الإقطاعية في الغرب (٢٢٠) ، ولكنها أشبهت في كثير من تفاصيلها ما كان يقع في الإقطاع الغربى من فنن وحيوانات وخروج ، وما حوادث خلع السلاطين وصحبهم وقتلهم وحوادث الفنن والحيوانات بين الأمراء إلا التعبير العملى عن مدى هذا الولاء ، ومن أمثلة الولاء المستعرض بين الخشداشية خروج ممالك الأمير يلبغا في عهد شعبان سنة ٨٧٦٨ - ١٣٦٦ م عليه تعصبا لأحد خشداشيتهم إذ ضربه يلبغا بالمقارع وقطع أنفه ، فتعصبوا له ضد أستاذهم ووثبوا عليه وهو يتصيد مع السلطان في بر الحيزة ، فلاذ الأمير يلبغا بالفرار في زى فلاح (٢٢١) ، ودرجة الولاء الرأسى بارزة في معظم الفنن والثورات بين الأمراء أنفسهم حيث يعضد كل أمير مماليكه ، أو بين الأمراء والسلطان .

ولما كانت للأرقام دلالة تغنى عن كثير من التفاصيل ، فحسبنا هذه الإحصائية أو هذا البيان الرقمى دلالة على مدى ما ازدحم به هنا العصر من أحداث الفنن : بلغ مجموع من تولى عرش السلطنة المملوكية : ٤٩ سلطاناً منهم (٢٢٢) ٢٤ للدولة المملوكية الأولى و ٢٥ للدولة المملوكية الثانية : -

مات منهم على عرشه	:	١١	سلطاناً
خلع أو خلع وصين	:	٢٤	سلطاناً
قتل	:	١٣	سلطاناً
من تولى بالوراثة	:	٢٦	سلطاناً
من تولى اغتصاباً	:	٢٢	سلطاناً

ولعل في الجداول المرافقة وما فيها من مدد الحكم المتفاوتة ما بين أيام
إلى شهور إلى سنوات ومصير كل سلطان ، ما يلقى كثيراً من الضوء على
ما عينه من تعميم القننة والقوضى خلال عصر المماليك .

على أن الخارجين ومثري القننة والمغتصبين لقوا أشد أنواع التنكيل
والتعذيب ، متى تمكن منهم ولي الأمر (٢٢٢-٢٢٧) .

فعل أئر مقتل خليل في سنة ٨٦٩٣-١٢٩٣ م ، وتولية الناصر ، ضربت
رقاب بعض القننة وأحرقت جثثهم ، كما قبض على فريق آخر وقطعت أيديهم
وأرجلهم ثم صلبوا على الجمال وطيف بهم وأيديهم معلقة في أعناقهم (٢٢٨) ،
ولما ولي الناصر سلطته الثانية في سنة ٨٧٠٩-١٣٠٩ ، قبض على بيبرس
الحاشنكير الذي كان قد اغتصب الملك منه ، وأمر بحنقه بوتر حتى كادت
روحه تزهق ، لكنه تركه قليلاً إمعاناً في التعذيب ، وأخذ يسبه ويعنفه ثم حنقه
ثانياً حتى مات (٢٢٩) . وحدث أن خرج « بهادر » أحد ممالك المؤيد داود
صاحب اليمن الخاضع لسلطان المماليك ، وانتزع السلطنة من المجاهد بن
المؤيد ، فأرسل الناصر محمد جيشاً في سنة ٨٧٢٥-١٣٢٤ م ، انتهى بالقبض
عليه « وتوسيطه » بالسيف ، أي قطعه نصفين (٢٣٠) ، وقبض السلطان شعبان
في سنة ٨٨٦٧-١٣٦٥ م على اثنين من الخارجين عليه وأمر بقطع لسانهما
ونفيهما إلى الشام (٢٣١) ، ولما خرج الأمير على باي على السلطان برقوق في سنة
٨٨٠٠-١٣٩٧ م ، قرر السلطان « ضربه » ووضع العرمل في أنفه وعصر
رجليه إلى أن كسرها ثم ضربه على ركبتيه حتى تفتحتا ثم ضربه بدبوس في
صدره حتى مات ، وفي السنة نفسها عقب ابن الطبلاوي والى القاهرة بالعصر
في أكعابه والضرب بالكسارات وإسقائه الجير بالملح (٢٣٢) وفي خلال مرض
السلطان قايتباي في سنة ٨٨٢-١٤٧٧ م ، كثرت الأراجيف وتحركت
المطامع وأشيع موته ، وكل حدثه نفسه بتأييد شخصية في السلطنة ، ولما كان
برديك أحد الأمراء الآخورية بارزاً في هذا الصدد ، استجوبه الأمير يشبك

البدادار وأدائه ، ثم أمر بضربه وأحضر له «عمامة يهودية صفراء» وألبسه زياداً ، وشهره بالقاهرة على حمار بعد أن «جرسه بين يديه في الدوار» ، ثم «شكك في الحديد» ونفاه إلى الواحات . وفي زمن قايتباي كذلك عوقب شخص بالتسمير على لعبة من الخشب والتشهير بالقاهرة عام ٨٩١م - ١٤٨٦م ثم في وسط جزيرة القيل ، كما عوقب شخص آخر بقلع عينيه وقطع لسانه ، وهكذا (٢٢٢) .

وعد يعاقب الخارج بأكثر من عقوبة نظراً لقدرة الحرم الذي ارتكبه ، ولدينا شاه سواره التركاني ، أعظم أولاد دلتناهر ، فقد خرج أكثر من مرة وجرد المماليك ضده أكثر من حملة فلما قبض عليه في سنة ٨٧٧هـ - ١٤٧٢م ، وضع في عنقه «الحنزير» وجيء به إلى القاهرة (٢٢٣) حيث استشار قايتباي العلماء في أمره ، فأفتوه بأنه خارجي ولا ينبغي أن يبقى على قيد الحياة (٢٢٤) .

وحينئذ أمر السلطان بتشهيره في القاهرة مع إخوته ، بأن ألبسوه ملوطة بيضاء وجعل في عنقه طوق من حديد ، وفيه عامود من الحديد ينهي بجرس ، «وسمر» إخوته وطيف بهم على الجمال وهم عرايا ورعوسهم مكشوفة وأمامهم المشاعلية تنادي عليهم «هذا جزء من يخامر على السلطان» ، فلما وصلوا إلى باب النصر أمر السلطان «بتوسيطهم» فوسطوا واستمروا معلقين يوماً وليلة والناس ينظرون إليهم ثم أزلوهم وغسلوهم ودفنوهم (٢٢٥) ، ويقال إنهم «شكّلوا» أي شقروا بباب زويلة (٢٢٦) .

كذلك دلت مظاهر الكراهية العنصرية بين الرعايا العرب وسلاطين المماليك ، على أنها من أكبر أسباب الفتنة ، برغم أن طائفة الأعراب حازت كثيراً من امتيازات رجال السيف ، بل تمتعت باستقلال محلي محدود في مشيختها ووراثتها هذه المشيخات (٢٢٨) ، مما لم يصل إليه أمراء المماليك أنفسهم فلم ينس العرب الكراهية ولم يتخلوا قط عن الحقد الدفين فنشوا عنه في ثوراتهم وإفسادهم وتخريبهم المستمر ونهب إقطاعات الأمراء وقتل الفلاحين والاعتداء

على الحجاج والامتناع عن دفع الخراج (٢٢٢٩) ، بل التآمر عليهم مع منافسهم ، وقد بدأ ذلك واضحاً منذ قيام المماليك في السلطنة فقد « أنف » الأمير نجم الدين على زعيم عرب الجعافرة « من سلطنة المماليك الأتراك » وجمع رطله بمصر ، وثار في سلطنة أيك وكاتبه الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق (من الأيوبيين) . ولكن المماليك قبضوا عليه وقتلوه شقاً في عهد بيبرس (٢٤٠) .

وكما تفنن العرب في أنواع الإيذاء ، التخريب ، تفنن المماليك في ألوان القمع والضرب على أيديهم ، من تعذيب وتجريس وقتل شرقة ، وبنز الشفقة والانقسام بينهم وهكذا .. ، ففلا سمر السلطان إينال سنة ٨٥٨م - ١٤٥٤م شخصاً من العرب يقال له « الفضل » وأشهره في القاهرة مع أولاد عمه ثم أمر بسلخهم وإرسالهم إلى بلاد الشرقية ليكونوا عبرة لغيرهم من المفسدين (٢٤١) . وأنزل الأمير شبك اللوادار عقوبة الشوى بالنار والسليخ والدفن أحياء والخوزقة بالمفسدين من عربان الصعيد بصدد جمعه المحصول سنة ٨٧٤م / ١٤٦٨ م ، ثم إن طومان باي اكتسح عرب غزاة بالصعيد سنة ٩٠٤م - ١٤٩٨ م ، وكلبهم على أبواب المدينة ورجمهم بالحجارة وهكذا (٢٤٢) .

لذلك تربص العرب الدوائر بالمماليك ، وترقبوا كل نازلة تحيق بهم ، فكانت أخطر ثوراتهم على دولة المماليك ، ما وقع خلال اشتباك السلطنة في حرب خارجية ، فقد أقبل العرب بعضهم على بعض ، خلال انشغال قابلياي بحرب العثمانيين سنة ٨٩٣م - ١٤٨٧م ، وقالوا : « إن مصر ما يبق بها من العسكر إلا قليل » وعلق ابن إياس على هذا بقوله « وزاد طمعهم في الترك » ، مما جعل السلطان يشدد الرقابة عليهم (٢٤٣) . وأشد نكايته من هذا ، ما حدث عند خروج السلطان النورى لقتال السلطان سليم العثماني إذ انتهز عبد الدائم بن بكر شيخ عربان الشرقية هذا الظرف الساتح ، وقطع الطريق على القوافل الواردة من الشام ، وقتل جماعة من المماليك السلطانية ، واستولى على خيولهم وسلاحهم ، وعلى أثر وقعة الريدانية تشتت أمراء المماليك

الجراكسة في بلاد الشرقية ، فاستولى عبد الدائم على خيولهم وسلاحهم ، بل أخذ ما عليهم من الثياب ، يقول ابن لياس : لجمع أموالهم لم تجمع لآبائه ولا لأجداده ، بل نهب أموال العساكر وغيرهم من أموال المقطعين وعمل من المفاسد بالشرقية ما لم يسمع بمثله (٢٤٤) .

وبعد أن نفذت الجهود الجبارة التي بلغها السلطان طومان باي للاحتفاظ بسلطنة الماليك ، وبعد أن تشتت أنصاره ، لجأ إلى حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة فأمنه وأقسم له هو وإخوته على المصحف ألا يوحوا بسره ، وبرغم هذا تولى بعض مشايخ العرب مهمة القبض على أعوان طومان باي البارزين ، أمثال الأتابكي سودون الدوادر ، وأسرع ابن مرعى حائثاً في قومه ، وكافراً بأيادي طومان باي عليه ، يوم دفع ما تراكم عليه من ديون أيام الغوري ، وأرسل إلى السلطان سليم للقبض على من أوى إليه واثمته فأمنه ثم خانته (٢٤٥) .

ومن الجرائم الأخرى ، كثرة السرقات وتنظيم هذه الجريمة في جماعات أو عصابات ، تعرف باسم « مناسر الحرامية » وقد يصل عدد المنسر الواحد إلى مائة شخص وفيهم مشاة وركاب ، وشأن هذا الفريق كشأن غيرهم من أعداء المجتمع ، لا ينشطون إلا عند اختلال الأمن واشتغال أولى الأمر في حرب أو فتنه . حقيقة اقترنت الفتن السابقة بالسرقة والنهب ، ولكن ذلك كان أشبه ما يكون باستباحة كل ما يقع أمام الثائرين جهراً وعتقاً ، على خلاف هذه المناسر فلإنها قد امتهنت السرقة ، فسرق ونحتق .

والموظف المختص بتعقب هذه الطائفة والضرب على أيديها ، حفظاً للأمن والأموال ، هو والى القاهرة (٢٤٦) في العاصمة ، والولاية والكشاف بالأقاليم ، وخارج مصر التواب ومعاونوهم . والأمثلة على هجوم مناسر الحرامية ، أكثر من أن تحصى .

فتلا عندما خرج السلطان فرج في سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م ، لقمع فتنه بالشام وكثرت المناسر في القاهرة حتى صار في كل حارة مركز يفترونها

فى الليل من الحرابية وصاروا يحفظون العائم فى الحارات الظهر ، (٢٤٧) ،
وهجم « المنسر » فى عهد قايتباى على سوق باب الشعرية سنة ٨٩١هـ - ١٤٨٦م
وقتلوا البواب وفتحوا عدة دكاكين (٢٤٨) ، وازدادت سطوتهم فى عهد محمد
ابن قايتباى وكثر هجومهم ونهبهم للأسواق كسوق تحت الريح وسوق الحاجب
فى سنة ٨٩٠٣ / ١٤٩٧م ، يقول ابن إياس : « وكانت المناسر قد كثرت جداً فى
تلك الأيام ، وصاروا يهجمون على الأسواق ، والحارات ويعطعون فيها » (٢٤٩)
فما اضطر والى القاهرة لى محاربهم فضلاً عن اتخاذ تدابير وقائية كإنشاء أسوار
على بعض الأسواق (٢٥٠) أو تركيز جماسة من أحواله بالأماكن المهجورة
كحكر أقبغا بجانب الخليج بين مصر والقاهرة لكثرة « الزعار » الذين يقطعون
الطريق على المارة (٢٥١) .

ومن وسائل التعذيب والعقوبة اللى طبقت على اللصوص قطع الأيدي
والأرجل ، بل ربما أمر السارق بقطع يده ورجله بنفسه ، كما حدث فى عهد
محمد بن قايتباى فى سنة ٨٩٠٣ - ١٤٩٧م ، حين قبض والى القاهرة على
شخص من « السراق » ، فأمر السلطان بإلزام السارق بقطع يده ورجله
بنفسه ، ففعل بحضرة السلطان (٢٥٢) ، وقد يعاقب السارق بقطع اللسان وكحل
العينين بالنار كما فعل باللص المعروف بابن الوارث فى سنة ٨٩٠٤ - ١٤٩٨م
فى سلطنة قانصوه بن قانصوه الأشرقى (٢٥٣) .

وهناك جرائم أخرى كجريمة القتل ، والجرائم الخلقية ، وجريمة التجسس
وهى من الجرائم الخلقية والسياسية ، وكذلك الغش فى المعاملة ، وتزييف النقود
وقوبلت هذه الجرائم بما تستحق من حزم وعقوبة صارمة بجانب « التشهير
والتجريس » ، فهذه جارية بيضاء قتلت سيدها بالاتفاق مع غلام فى
سنة ٨٧٦ - ١٤٧١م ، فأمر السلطان قايتباى بشنقها وتشهيرها فى القاهرة على
جميلين (٢٥٤) ، كذلك صلبت جارية سوداء قتلت سيدها فى سنة ٨٧٧ /
١٤٧٢م (٢٥٥) .

ولما أبطل بيبرس الحُمور والحانات والحواطى ، وضمان الحشيشة وأعمال

القصاد الخلقى والشلوذ الجنسى فى سنة ٥٦٦٤ - ٥٦٦٥ ، أمر بصلب شخص
 صكير يقال له ابن الكازرونى بعد أن أقام الحد عليه ، وعلق فى عنقه الحجره
 والقدح ، وكان لهذا الحادث أكبر الأثر ، وتغنى به الشعراء (٢٥٦) ؛
 كذلك من الجرائم الخلقية ما لاحظته بيبرس سنة ٥٦٦٣ - ١٣٦٤ م ،
 حين سار متنكراً ليرى أحوال الناس بالقاهرة ، فأمر بقطع أيدى جماعة
 من نواب الولاة والمقدمين والخفراء وأصحاب الرباع (٢٥٧) ، وأمر قايتباى
 فى سنة ٥٨٧٩ - ١٤٧٤ م ، بقطع خصيتى شخص من الأتراك يقال له شاهين
 وهو خازن دار الأمير إنزال الأشقر لارتكابه جريمة خلقية ، وصادفت هذه
 العقوبة وجود شخص يهودى خبير بالإحصاء ، بمصر العتيقة (٢٥٨) ،
 ولما علم قايتباى فى سنة ٥٨٩٤ - ١٤٨٨ م بتجسس رجل من حلب يدعى
 أحمد بن الديوان إذ كان يكتب العثمانيين ، أمر بسلخه هو ووالده وتشهيرهما
 بالقاهرة على جمال (٢٥٩) .

أما جريمة الغش فى المعاملات بتزييف النقود ، فقد كثرت فى أواخر
 عصر المماليك ، وربما كان بعض السلاطين مشغولاً عن هذه الحالة ، وتعرف
 النقود المزيفة باسم « الزغل » ويطلق على صانعيها ومروجيها اسم « الزغلية » ،
 ومن الأمراء من مارس هذه الجريمة فبينما نجد السلطان إنزال فى سنة ٨٦٠ هـ
 - ١٤٥٥ م ، يقبض على عشرة أشخاص من الزغلية ويعاقبهم بالتوسيط ،
 إذ به فى السنة التالية يعقد مجلساً من القضاة ورجال العلم للبحث فى مسألة
 الغش ، وانفقوا على جمع نقود الدولة منذ عهد المؤيد شيخ ، إلى عهد جقمق
 وسبكيها من جديد ، وأبطلوا ما عداها من النقود المنتشرة فى مصر ، كالدمشقية
 والحلبية ، ولكن اتضح أنه لم يوجد « أكثر غشاً وفساداً من ضرب فضة
 دولة الأشرف إنزال » ، فوقف حال الناس ، مما دعاهم إلى رجوع ناظر الخالص
 الحاج يوسف بسبب ذلك ، لذلك رجع السلطان عما أمر وأعاد كل شيء على حاله
 فى المعاملة الحلبية والدمشقية وغيرها (٢٦٠) ، وكان الأمير مثقال الطوائى رأس
 نوبة النواب ، يمتلك آلة لضرب الدراهم الزغل فى داره ويعاونه تمربغا أحد

عماليتك الأمير أزيك ، فلما علم قايتباي بذلك في سنة ٨٨٩ هـ = ١٤٨٤ م ، قبض عليهما ونفى الأول إلى مكة وسجن الثاني (٢٦١) ، كذلك كان لسياسة الغوري في فرض الأموال على دار الضرب أثرها في أن أخرجت هذه الدار عملة مغشوشة لتوفية ما عليها (٢٦٢) .

أما نظام القضاء فينقسم إلى نوعين : قضاء شرعي وقضاء مدني أو « حكم السياسة » ، ونظم القضاء الشرعي برئاسة قاضي الشافعية ونوابه من الشافعية وبقية المذاهب ، ورأى السلطان بيبرس في سنة ٨٦٣ - ٨٦٤ هـ (١٢٦٤ م / ١٢٦٥ م) أن ينظم هذه الهيئة على أساس استغلال كل مذهب عن الآخر (٢٦٣) فعين ثلاثة قضاة آخرين من المذاهب الأخرى مستقلين عن القاضي الشافعي ، وظل هؤلاء جميعاً حتى تعيينهم لنوابهم بالبلاد المختلفة ، ويعرف هؤلاء الكبار الأربعة باسم « قضاة القضاة » أو « الحكام » ، ولكنه لم يحرم قاضي القضاة الشافعية من بعض الميزات ، فأبقى له المنزلة الأولى بحيث صار ترتيبهم على هذا النحو : قاضي الشافعية ويلاه الخنئي ثم المالكي ثم الحنبلي ، كما خصه بالنظر في أمر الأيتام والأوقاف وما يتعلق ببيت المال ، وظل هو خطيب الجامع الأعظم ، بالقلعة ، وعلى هذا الترتيب سار تنظيم القضاء بالتيابات الخارجية كدمشق وغيرها (٢٦٤) ، وحاول الخليفة المتوكل في عهد محمد بن قايتباي إعادة ما كان للقاضي الشافعي من سلطات سابقة ، فعين في سنة ٨٩٠٢ - ١٤٩٦ م ، الشيخ جمال الدين السيوطي الشافعي (قاضياً كبيراً) على جميع القضاة ، يعين ويعزل من شاء مطلقاً في سائر الماليك ، ولكن القضاة احتجوا واستخفوا عقل الخليفة ، وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ، ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيراً فرجع المتوكل عن هذا التعيين (٢٦٥) .

ويعتبر رؤساء المذاهب الأربعة أهل « الحل والعقد » ، ويتمتعون بمنزلة أدبية كبرى ، ولهم نصائح لمراعاة العدل والنزاهة ونحوها (٢٦٦) ، أما التواب في الأقاليم فزاد عددهم في مصر عن مائتي نائب قاض أو « نائب حكم » (٢٦٧)

وهؤلاء غير « وكلاء » دار القاضى الذين يقومون مقام الدفاع فى العصر الحاضر ، ومهمتهم كما يصفها السبكى « التضميم عن الموكل ومعرفة الواقعة والحق فى أى الطرفين ، وتعرضوا للمدح والذم تبعاً لمدى مراعاتهم لواجبهم (٢٦٨) وللقاضى كاتب وأمين ونقيب وحاجب ، ويقع هذه الهيئة طائفة الشهود أو العلول .

ومهمة الكاتب فحص حجج الأوقاف والوصايا وتفسير مدلولات ألفاظها ، وبشروط فيه حسن التهم ، حتى لا يضيع كثير من الوقف ، كما حدث نتيجة التسور عن فهم مدلولات ألفاظ الواقفين وشروطهم (٢٦٩) ، أما الأمين فهو الذى يستحفظ على أموال الأيتام والغائبين من المستحقين (٢٧٠) وينبه « النقيب القاضى على الشهود كما يرشد الشهود (٢٧١) » ، ويتولى الحاجب الاستئذان لذوى الحاجات ورفع الأمور إلى القاضى (٢٧٢) ، وعلى الشهود أو العلول مدار الحكم العادل فهم « قوام غالب المعاش والمبادلات » وشأنهم شأن وكلاء دار القاضى فى تعرضهم للسخط أو الرضا فى حالة الإساءة أو الإحسان (٢٧٣) ، ومن هؤلاء الشهود من يرقى إلى منصب قاضى الأقاليم كأن يكون قاضياً للفلاحين ، مثل خليل بن حسن بن حزب الله قاضى الفلاحين فى عهد السلطان برقوق ، إذ كان شاهداً فى بعض المراكز (٢٧٤) ، ومهمة هذا القاضى فنية أكثر منها شرعية أو تأديبية ، فهى تختص بأمور الفلاحة (٢٧٥) ، كما يختص المحتسب بقضايا التجار الخاصة بالمعاملات (٢٧٦) ، وهناك « قضاة العسكر » وعدتهم أربعة من كل مذهب قاض ، ويسافرون مع السلطان للنظر فيما يجد من أمور بين الجند ، كما أنهم يجلسون بدار العدل (٢٧٧) .

ورواتب القضاة من السلطان باعتبارهم من رجال القلم ، ومتوسط راتب القاضى ٥٠ ديناراً فى الشهر ، ونعم بجانب ذلك استحقاقاتهم فى بعض الأوقاف ، كما أن هناك أوقافاً مرصودة للقضاة بصفة خاصة ، كما فى دمشق مثلاً (٢٧٨) .

ومن حيث القضاء المدنى وهو مالا علاقة له بالأحوال الشخصية ،

كالاعتداء أو الظلم والضرب والشتم المتعلقة بالدواوين ، وهذا ما عرف باسم (حكم السياسة) ، كما أطلق عليه كذلك « النظر في المظالم » ، عالج السلاطين والأمراء هذه السلطة ، وعالجها كذلك القضاة بالاشتراك مع السلاطين في مجالس أو حين يفشل السلطان في أمر من الأمور .

اتخذ السلاطين والمدارس الصالحية (٢٧٩) مركزاً لجلوسهم للنظر في المظالم ، ثم انتقلوا إلى دار العدل التي بناها بيبرس سنة ٥٦٦١ - ١٢٦٢ م ، بالقلعة (٢٨٠) ، ومنه عهد برفوق سار مجلس السلاطين بالإصطبل السلطان بالقلعة حتى نهاية عصر المماليك (٢٨١) ، ويعقدون هذا المجلس يومين من كل أسبوع : الإثنين والخميس في أوائل عصر المماليك ، وحدد برفوق يوم الأحد والأربعاء ، وزاد ابنه فرج يوم الجمعة من بعد العصر (٢٨٢) ، وخصص المؤيد يوم السبت والثلاثاء أول النهار ويوم الجمعة بعد الصلاة (٢٨٣) ، وتبعه في ذلك برسباي (٢٨٤) وقايتباي (٢٨٥) .

وامتاز مجلس السلاطين للنظر في المظالم بليون دار العدل بالروعة والأبهة وحوله كبار رجال الدولة والحراس ، وعن يمينه القضاة الأربعة وعن يساره كاتب السر وحوله أمراء المشورة من أكابر الأمراء ذوي السن (٢٨٦) ، فقرأ القصص على السلطان وإذا احتاج أمر فيها إلى مراجعة القضاة واجتمعهم ، وما يتعلق منها بشئون العسكر تحدث مع الحاجب وناظر الجيش ، ويحكم بما يراه فيما عدا ذلك . أما جلوس السلطان في الإصطبل للنظر في المظالم ، فجزت العادة أن يتوجه إليه في موكب يعرف « بموكب الإصطبل » ، ويجلس بين يدي السلطان كاتب السر لقراءة الشكاوى (٢٨٧) .

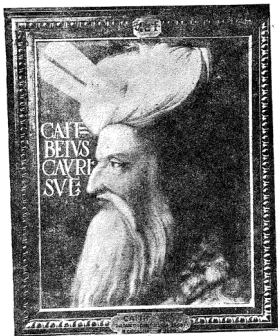
وللأمراء سلطة قضائية سواء أكانوا في نياباتهم أو ولاياتهم أو في إقطاعاتهم ، ومجلس الأمير للحكم في النيابات صورة مصغرة لمجلس السلطان بالإيوان بالقلعة (٢٨٨) ، ولأنابك العسكر سلطة قضائية يحكم منصبه ، وعنده أحد كتاب الدست لتسلم القصص المرفوعة إليه ، وجزت العادة أن يتصرف

كاتب الدمت في الأمور البسيطة من تلقاء نفسه ، وأما المسائل الكبيرة فلا بد من عرضها عليه وامتنال أمره فيما يرى ، ويوقع كاتب الدمت عن الأتابك على الحكم الصادر بالحرف المشهور من اسم الأتابك ، فكان يكتب عن برقوق مثلاً قبل سلطته حرف « ق » . (٢٨٩)

ويلاحظ أن للقضاة الشرعيين سلطة على تصرفات الأمراء القضائية تشبه إلى حد ما الاستئناف ، فثلاً بلغ قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة في سنة ٨٧٧٨م - ١٣٧٦م ، أن نائب السلطنة الأمير اقتمر الحنبلى جار في حكمه ، بأن أحضر صاحب دين وضربه بحضرة المدين ، فاستدعى برهان الدين دوادار الأمير ونهره وحط من شأن أستاذه ، فلم يستطع الدوادار أن يفعل أكثر من مداراة القاضى حتى خلس من مجلته « وقد ملء قلبه منه خوفاً » (٢٩٠) .

ولما كانت أحكام الأمراء محل رقابة ضمنية وفعلية من القضاة ، كذلك كانت أحكام القضاة والأمراء محل رقابة فعلية من السلطان ، تستأنف استئنافاً صريحاً أمام السلطان ، وربما عوقب القاضى أو الأمير ، فثلاً قرر قايتباى في سنة ٨٧٦م - ١٤٧١م ، بعد أن كثرت شكاوى الناس (٢٩١) إليه ، بالألا يشكو أحد للسلطان إلا بعد أن يرفع أمره لأحد الحكام ، فإذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان (٢٩٢) ، وحدث أن رفعت امرأة قصة للسلطان قايتباى في سنة ٨٩٥م - ١٤٨٩م ، تشكو فيها بدر الدين بن القرائى أحد نواب المالكية فأحضره السلطان وضربه وغرمه (٢٩٣) ، ومن حق سكان الأقاليم من الفلاحين أن يرفعوا ظلامتهم للسلطان إذا استشعروا ظلماً من الوالى أو الكاشف أو الأمير المقطع فإن أجمعت الآراء على إدائته استحق العقوبة أو العزل (٢٩٤) ، على أنه إذا فشل السلطان في التوفيق بين أمرائه ، قد يتوسط القضاة في الصلح بينهم ، كما حدث في سلطنة على بن شعبان في سنة ٨٧١م - ١٣٧٩م ، حين دب النزاع بين الأمراء فتوسط القضاة في الصلح (٢٩٥) ، وكذلك في عهد فرج في سنة ٨٠٤م - ١٤٠١م (٢٩٦) .

وأما رسوم القضايا ، فهذه يحصلها القضاة من « الأخصام » : الشاكي
والمشكو منه ، وللقاضي ومن يتبعه من الموظفين نصيب منها ، كما أن للسلطان
نصيباً آخر . ويحدد السلطان عادة المبالغ المطلوبة من القضاة ، كما حدث مثلاً
في سنة ٨٨٠٦هـ - ١٤٠٣م ، حين ورد مرسوم السلطان فرج إلى نائب دمشق
ليقبض من كبير القضاة بها ، وهو أبو اليقظة مائتي ألف درهم وهي التي جرت
عادة القضاة بدمشق يبلغها للسلطان (٢٩٧) ، وحدد السلطان محمد بن قايتباي
في سنة ٨٩٠١هـ - ١٤٩٥م ، الرسوم التي يحصلها القضاة من « الأخصام »
بالأزيد عن نصفي قضاة (٢٩٨) .



السلطان قابچای

(۸۷۲ - ۸۹۰ / ۱۴۶۸ - ۱۴۸۶ م)



السلطان قانسوة النورى
(٩٠٦-٩٢٢هـ / ١٥٠١-١٥١٦م)



السلطان داودان پاي

(٩٢٢ - ٩٢٣ - ٨٩٢٣ - ١٥١٦ - ١٥١٧ م)

معلق على باب زويلة بالقاهرة

(١١ ربيع أول ٩٢٣ - ٢٣ أبريل ١٥١٧ م)

عن ضلوع تركية في الملكية الأهلية بباريس .

جسورک رزم (۱) من توغوزا علی عروشم

ملاحظات	سنة الحكم	اسم السلطان	الوزر
انصب السلطنة لجليل قوچق .	۶۵۸ - ۱۲۵۹م - ۱۲۷۷م	بيبرس	۱
انصب السلطنة من سلاطین بن ایلر من وكان مدبر دوله .	۶۷۸ - ۱۲۷۹م - ۱۲۹۰م	قلاوون	۲
خلع برزین و تول السلطنة لاروت مولات (۱)	۶۹۳م و تول (۱۲۹۱م)	القاسم محمد بن قلاوون	۳
ول السلطنة بهد خلیج اوجی احمد و امر بقله .	۷۱۴ - ۱۲۹۲م - ۱۳۰۵م	السلطان ابراهیم بن محمد بن قلاوون	۴
تول و عزمه ۷ سنوات .	۷۷۸ - ۱۳۷۶م - ۱۳۸۱م	جل بن شهبان	۵
انصب السلطنة من اقلایه المسمین .	تول ۷۷۸م و تول ۸۰۱م	برقوق	۶
انصب السلطنة من احمد بن شیخ و كان مدبر دوله (۲)	۸۱۵م - ۱۴۲۱م - ۱۴۲۱م	الوزیر شیخ	۷
تول بهد خلیج اوجی بن ایلال .	۸۲۵م - ۱۴۲۱م - ۱۴۳۷م	عظیم	۸
انصب السلطنة من محمد بن طغر .	۸۶۵م - ۱۴۶۰م - ۱۴۷۲م	برقوق	۹
تول بهد خلیج اوجی بن ایلال .	۸۷۲م - ۱۴۶۷م - ۱۴۹۵م	عظیم	۱۰
تول بهد خلیج نوریما .	۸۷۲م - ۱۴۶۷م - ۱۴۹۵م	قلاوون	۱۱

(۱) ول محمد بن القلاوون السلطنة لأول مرة في سنة ۱۲۷۲م (۱۲۹۲م) ثم خلیج بهد سنة و حکم بعده كیتبا ولا یون لمدة أربع سنوات من ۱۲۹۱م الی ۱۲۹۸م - ۱۲۹۱م حکم کل شهبان سفین و ثم عاد الی الحكم للمرة الثانية لمدة عشر سنوات من ۱۲۹۸م الی ۱۳۰۷م - ۱۲۹۸م ، صرح في نهاية الله باسم ایلج و انصبک بالكرت لاستبداد حاکم ایلانکینجر - حکم بعده بیبرس - ایلانکینجر لمدة سنة واحدة ، و عاد القاسم محمد الی سلطنة للمرة الثالثة والأخيرة ، و ظل بها من ۷۰۹م الی وفاته ۷۴۱م - ۱۲۴۱م و قد حکم من اولاده و أسلافه اثنا عشر سلطانا .

(۲) خلف برقوق في ۷۹۱م (۱۲۸۸م) و حکم بعده الله السلطان اوجی صاحب بن شهبان مدة سنة ، و كان السلطان اوجی قبل برقوق و سلط على يد برقوق مدبر دوله ثم عاد برقوق .

(۳) یقال ان سلطنة رحی لم السلطان احمد بن شیخ قد دست له السیم .

جدول رقم (٢) من عظماء، أو عظماء وعبوداً، أو اسماؤا

الترتيب	اسم السلفان	سنة المنسك	عائلة بطر
١	طل بن لبيك	٦٥٥ - ٥٦٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ م	عائلة قوسون
٢	بركة بن بصرى	٧٦٧ - ٥٦٧٨ - ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م	طرزه تائب لاجين
٣	سلاط بن بصرى	ربيع اول - رجب ٥٦٧٨ (١٢٥٩ م)	عائلة قوسون بعد حكم ٥٩ يوما
٤	كبيسا	٦٩١ - ٥٦٩٦ - ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م	توبك ورضوه ٨٥ سنوات وعائلة الامراء
٥	ابو بكر بن عهد بن قلاوون	٧٤١ - ٥٧٤٢ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ م	امكن في الكرك لعائلة الامراء ورواسوا ابناء
٦	حكيم بن عهد بن قلاوون	صفر - ثوراك ٥٧٤٢ (١٢٤١ م)	إبراهيم
٧	أحمد بن عهد بن قلاوون	ثوراك - ذو الحجة ٥٧٤٢ (١٢٤١ م)	عائلة الامراء
٨	شيبان بن عهد بن قلاوون	٧٤٧ - ٥٧٤٨ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م	عائلة شيبان ورحمة بالقلعة
٩	سماح بن عهد بن قلاوون	٧٥٤ - ٥٧٥٥ - ١٣٥١ - ١٣٥٤ م	توبك ورضوه ١٤ سنة وعائلة يابينا مدبر الكرك
١٠	عهد بن حاضي بن عهد بن قلاوون	٧٦٢ - ٥٧٦٤ - ١٣٦٠ - ١٣٦٢ م	عائلة ثوراك بعينة مسيرت ورسك بدلا من تم علاج
١١	حاضي بن عهد بن قلاوون	٧٧٣ - ٥٧٨٤ - ٧٩١ - ٥٧٨٢ م	بر ثوراك ورماد حاضي تم علاج حاضي ورماد بر ثوراك
١٢	محمد البريزي بن بر طوقك	١٣٨١ - ١١٢٨٣ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ م	توبك ورضوه ١٠ سنوات يهود بن ابيه بعد علاج ابيه فرج ثم عائلة الامراء ورماد فرج
١٣	الكريمة السمين	شيبان سنة ٨٧١٥ (١٤١٧ م)	عائلة الكريمة شيخ ورحمة بالقلعة
١٤	أحمد بن شيخ	شيبان ٨٧٢٤ (١٤٢٦ م)	توبك ورضوه سنة ونصف وعائلة طاهر مدبر دولته

تابع جدول (۲)

ردم	اسم الامتياز	مذائق	ملاحظات
۱۵	عبد بن طاهر ...	در اقلية ۵۸۷۴ ربيع اول ۸۸۲۵ (۱۴۲۱ - ۲۱۴۳)	تولد و عمره ۲۰ سنة و حمله بر سبى مايزه دو لك . موتك .
۱۶	يوسف بن برسبى ...	قو اقلية ۸۱۱ - ربيع اول ۱ سے ۸۸۴ هـ (۱۴۲۷ - ۲۱۴۸)	تولد و عمره ۱۵ سنة و حمله چشك و صيه و مدبر موتك .
۱۷	چشك ...	۸۸۴ - ۱۴۳۸) ۲۱۴۳ هـ	خلع نغمه كرمه او اسبق
۱۸	مجان بن چشك ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	حمله الاكبر .
۱۹	ابنك ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	خلع نغمه كرمه او اسبق
۲۰	احمد بن ابنيك ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	حمله الاكبر .
۲۱	بابا بن الظاهري ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	حمله الاكبر .
۲۲	عمر بن الظاهري ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	حمله الاكبر .
۲۳	ناصره خسيه ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	حمله الاكبر .
۲۴	ناصره الاكبري ...	۸۸۷ - ۱۴۳۳) ۲۱۴۳ هـ	حمله الاكبر .

جدول رقم (٢٤) من قانون التأسيس

رقم	اسم الطائفة	عقود التأسيس	ملاحظات
١	أبيك	١٢٥٠ - ١٢٥٤ - ١٢٥٦ - ١٢٥٦	تلك شهيرة القبر .
٢	عقل	١٢٥٨ - ١٢٥٨ - ١٢٥٨ - ١٢٥٧	تلك بدير في مرفقة من ريفه عين جالوت
٣	خليل بن كاورث	١٢٩٠ - ١٢٩٢ - ١٢٩٢ - ١٢٩٢	تلك بدير .
٤	لاجين	١٢٩٦ - ١٢٩٦ - ١٢٩٦ - ١٢٩٦	تلك الأبرار .
٥	يونس ابانكجي	١٣٠٨ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ٧٠٨	تلك الأبرار .
٦	حاجي بن محمد بن كاورث	١٣٢٦ - ١٣٢٦ - ١٣٢٦ - ٧٢٧	تلك الأبرار .
٧	القاسم حسن بن محمد بن كاورث	١٣٥٤ - ١٣٥٤ - ١٣٥٤ - ١٣٢٧ ٧٧٢ - ٧٥٥ - ٨٧٢ - ٧١٨	عنده قرا حكر لينا انموه صالح ثم عاد فقلقه كاورث بانيها .
٨	شهبان بن حسين بن محمد بن كاورث	١٣٧٢ - ١٣٧٢ - ١٣٧٨ - ٧٦٤	تلك الأبرار .
٩	فراج بن ابرق	٨١٥ - ٨٠٨ - ٨٠١ ١٤١٢ - ١٤٠٥ - ١٢٩٨	تلك الأبرار . تلك الأبرار .
١٠	محمد بن قابيل	١٤٢٥ - ١٤٢٥ - ١٤٢٥ - ٩٠١	تلك الأبرار .
١١	جان بلاط بن بيك الأتراك	١٥٠٠ - ١٥٠٠ - ١٥٠٠ - ٨٩٢	تلك الأبرار .
١٢	القاسم طوطا بن علي	١٥٠٠ - ١٥٠٠ - ١٥٠٠ - ٩٠١	تلك الأبرار .
١٣	القاسم القوري (٢)	١٥١٦ - ١٥١٦ - ١٥١٦ - ٩٢٢	تلك الأبرار .
١٤	الأورث أبو القاسم طوطا بن علي (٣)	١٥١٦ - ١٥١٦ - ١٥١٦ - ٩٢٢	تلك الأبرار .

(١) ، (٢) القوري وطوطا بن علي : وهم أيضا اطلاق عدول جهادها ضد المماليك تلك شريفة ، إلا ان القوية هي نسبت دورها في نهاية حياة كل منهما .
تلك عناصر ضاربة بلك والنزاع ضد الأورث خلال مرجع طابن ، وبسببها ، وانفق ابن مرجع من العداوة .

الدولة المملوكية الأولى

(٦٤٨ - ٨٧٨٤ م — ١٢٥٠ م - ١٣٨٢ م)

تاريخ	أسم السلاطين
١٢٥٦-١٢٥٠ / ٦٤٨-٨٦٥٤	المرزبانك التركاني
١٢٥٨-١٢٥٧ / ٦٥٥-٨٦٥٦	المنصور علي بن أبيه
١٢٥٩-١٢٥٨ / ٦٥٧-٨٦٥٨	المنصور سيف الدين قنقري
١٢٧٧-١٢٥٩ / ٦٥٨-٨٦٧٦	الظاهر ركن الدين بيبرس التيمتقاري
١٢٧٩-١٢٧٧ / ٦٧٦-٨٦٧٨	السعيد أبوالمعالج محمد بركة بن بيبرس
ربيع أول - رجب ٨٦٧٨ - ١٢٧٩ م	العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس
١٢٩٠-١٢٧٩ / ٦٧٨-٨٦٨٩	المنصور سيف الدين قلاوون
١٢٩٣-١٢٩٠ / ٦٨٩-٨٦٩٣	الأشرف صلاح الدين خليل
تسطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل	(الملك الأوحده بيدرا)
١٢٩٣-١٢٩٣ / ٦٩٣-٨٦٩٤	الناصر محمد بن قلاوون
١٢٩٦-١٢٩٤ / ٦٩٤-٨٦٩٦	العادل زين الدين كلبغا بن عبد الله المنصورى
١٢٩٨-١٢٩٦ / ٦٩٦-٨٦٩٨	المنصور حسام الدين لاجين
١٣٠٨-١٢٩٨ / ٦٩٨-٨٦٠٧	(عودة الناصر محمد)
١٣٠٩-١٣٠٨ / ٧٠٨-٨٧٠٩	المنصور ركن الدين بيبرس الجاشنكير
١٣٤٠-١٣٠٩ / ٧٠٩-٨٧٤١	(عودة الناصر محمد)
١٣٤١-١٣٤٠ / ٧٤١-٨٧٤٢	المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد
صفر شوال سنة ٨٧٤٢ / ١٣٤١ م	الأشرف علاء الدين كجكف الناصر محمد
شوال ٧٤٢ - محرم ٧٤٣ / ١٣٤٢ م	الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد
١٣٤٥-١٣٤٢ / ٧٤٣-٨٧٤٦	الصالح علاء الدين إسماعيل بن الناصر محمد
١٣٤٦-١٣٤٥ / ٧٤٦-٨٧٤٧	الكامل شعبان بن الناصر محمد
١٣٤٧-١٣٤٦ / ٧٤٧-٨٧٤٨	المظفر حاجي بن الناصر محمد
١٣٥١-١٣٤٧ / ٧٤٨-٨٧٥٢	الناصر أبوالمحسن حسن بن الناصر محمد
١٣٥٤ ١٣٥١ / ٧٥٢-٨٧٥٥	الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد
١٣٦٠-١٣٥٤ / ٧٥٥-٨٧٦٢	(عودة الناصر حسن)
١٣٦٢-١٣٦٠ / ٧٦٢-٨٧٦٤	المنصور محمد بن حاجي بن الناصر محمد
١٣٧٦-١٣٦٢ / ٧٦٤-٨٧٧٨	الأشرف أبوالمعالج زين الدين شعبان بن حسين
١٣٧٦-١٣٧٦ / ٧٧٨-٨٧٧٨	ابن الناصر محمد
١٣٨١-١٣٧٦ / ٧٧٨-٨٧٨٣	المنصور علي بن شعبان
١٣٨٢-١٣٨١ / ٧٨٣-٨٧٨٤	الصالح أمير حاج بن شعبان

الدولة المملوكية الثانية

مدة الحكم	اسم السلطان
	الظاهر سيف الدين أبو سعيد بركة بركة بن أئس
٧٨٤-٧٩١ / ١٣٨٢-١٣٨٨ م	المهاني
٧٩١-٧٩٣ / ١٣٨٨-١٣٨٩ م	(عودة الصالح أمير حاج)
٧٩٣-٨٠١ / ١٣٨٩-١٣٩٨ م	(عودة بركة بركة)
٨٠١-٨٠٨ / ١٣٩٨-١٤٠٥ م	الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن بركة بركة
ربيع أول - جهاد آخر ٨٠٨-١٤٠٥ م	المصور عز الدين أبو الزعيد العزيز بن بركة بركة
٨٠٨-٨١٥ / ١٤٠٥-١٤١٣ م	(عودة فرج)
٨١٥-٨١٥ / ١٤١٣ م	أغلقية المستعين
٨١٥-٨١٥ / ١٤١٣ م	المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله الموصلي الظاهري
٨١٥-٨٢٤ / ١٤١٣ م	المظفر أبو السعادات أحمد بن شيخ
٨٢٤-٨٢٤ / ١٤٢١ م	الظاهر سيف الدين أبو سعيد طغر الظاهري
٨٢٤-٨٢٤ / ١٤٢٢ م	الصالح ناصر الدين محمد بن طغر
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الأشرف أبو النصر برسيب التقي الظاهري ...
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	العزيز أبو الحسن جمال الدين يوسف بن برسيب
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق الملائ
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الظاهري
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	المصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الأشرف أبو النصر سيف الدين زين العابدين الظاهري
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الملك المؤيد أبو الفتح شهاب الدين أحمد بن زين العابدين
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الظاهر أبو سعيد سيف الدين عثمان الناصري
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	المؤيد
٨٢٥-٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الظاهر أبو النصر سيف الدين بلباي المؤيد
ربيع الأول - جهاد أول ٨٢٥ / ١٤٢٢ م	(المجنون)
جهاد أول - رجب ٨٢٥ / ١٤٢٢ م	الظاهر أبو سعيد حميد الظاهري
تسلطن ليلة واحدة	(الظاهر غير بك)

(تابع) الدولة المملوكية الثانية

اسم السلطان	مدة الحكم
الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي الممقودي	٨٧٢-١٤٩٦م / ٨٩٠١-١٤٩٦م
الظاهرى	٩٠١-١٤٩٧م / ٨٩٠٣-١٤٩٦م
الناصر أبو السادات ناصر الدين محمد بن قايتباي	٨٧٢-١٤٩٦م / ٨٩٠١-١٤٩٦م
الظاهرى	٢٨-١٤٩٧م / ٨٩٠٢-١٤٩٧م
قائصوه ختمبالة	٩٠٢-١٤٩٨م / ٨٩٠٤-١٤٩٧م
عودة محمد بن قايتباي	٩٠٤-١٤٩٩م / ٨٩٠٥-١٤٩٨م
الظاهر أبو سعيد قائصوه الأشرفى	٩٠٥-١٥٠٠م / ٨٩٠٦-١٤٩٩م
الأشرف أبو النصر جان بلاط بن يشيك الأشرفى	٦ من جهادى الآخرة إلى شوال ٨٩٠٦م / ١٥٠١م
المادل طومان باي بن قائصوه (طومان باي الأول)	٩٠٢-١٥١٦م / ٨٩٢٢-١٥٠١م
الأشرف قائصوه القورى	٩٢٢-١٥١٧م / ٨٩٢٣-١٥١٦م
الملك الأشرف أبو النصر طومان باي الثانى	

عائلة بن أبي شيبة لسر الطبركية
 ٦٥٩ - ٨٢٣ / ١٢٦٠ - ١٥١٧ م

رقم	اسم العائلة	سنوات الخلافة	السلطان المأمور به
١	المتنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر . الظاهر بأمر الله أبو القاسم أحمد بن المنصور ابن أبي بكر بن الحسن بن علي بن المرحوم	٦٥٩ - ٦٦٠ / ٨٧٠١ - ١٢٦١ م ٦٦٠ - ٦٦١ م / ٨٧٠١ - ١٢٦١ م	بيزنس . بيزنس - السعيد - صلاح (ولما تفرس) - فلان و ، خليل ، القاضي ، القاضي (سلطنة الأول) كثيرا ، واجين ، القاضي ، (سلطنة الثانية) القاضي عمه (سلطنة الثانية) - ابن أبي بكر القاضي عمه (سلطنة الثالثة) .
٢	السكك بالله أبو الفرج سليمان ابن الحاكم	٧٠١ - ٧٠٣ / ٨٧٣٧ - ١٢٠١ م	القاضي عمه (سلطنة الثالثة)
٤	الرائق بالله أبو الفتح ابن ولد والده للمستكبر بن الحاكم	٧٣٧ - ٧٤١ / ٨٧٤١ - ١٣٣٦ م	أبو بكر ، كريك ، أحمد ، إسماعيل ، سليمان ، حاجي ، حسن (سلطنة الأول) ، صالح (الأولاد القاضي عمه) .
٥	أبو القاسم أحمد الحاكم بن علي السكك	٧٤١ - ٧٥٣ / ٨٧٥٣ - ١٣٤١ م	القاضي عمه .
٦	المتنصر بالله أبو بكر بن السكك ...	٧٥٣ - ٧٥٤ / ٨٧٦٣ - ١٣٥٢ م	صالح ، حسن (سلطنة الثانية) ، المنصور ابن يحيى .
٧	المرسل بالله أبو محمد عمه بن المنصور (أبو المنصور)	٧٦٣ - ٧٦٤ / ٨٧٨٤ - ١٣٦١ م	المنصور بن يحيى ، سليمان بن حسن ، علي بن سليمان (أبو القاسم أبو المنصور) الأول وصلاح أبو عبد المنصور الثاني وهو مولى أبو القاسم (

ردم	اسم التالیف	شمارات التالیف	السلامین المنصورون
۸	المصنف باقہ زکریا بن ابراهیم (مورثۃ النورکلی) ... قرائنی باقہ عمر بن ابراهیم ... (مورثۃ المصنف) ... (مورثۃ النورکلی) ...	۸۷۸۴-۱۳۲۸۲م (بقیہ ۱۵ یوما) ۷۸۴-۱۳۲۸۲/۸۷۸۵-۷۸۴ ۷۸۵-۱۳۲۸۲/۸۷۸۸-۷۸۵ ۷۸۸-۱۳۲۸۲/۸۷۹۱-۷۸۸ ۷۹۱-۱۳۲۸۲/۸۸۰۸-۷۹۱	جل بن شیمان جل بن شیمان - برقوق (اول سلاطین ایبراہیم) برقوق برقوق برقوق - حاجی بن شیمان (سلطنت اناطیہ) - برقوق (سلطنت اناطیہ) فرج بن برقوق (سلطنت الاکزل) فرج - شیخ
۱۰	المصنف باقہ العباس بن النورکلی ...	۸۰۸-۸۱۶م / ۱۴۰۶-۱۴۱۲م (دول السلطنت مع التالیف لئلا تخفیہ شہود من محرم آل شیمان (۲۱۴۱۲ م)) ۸۱۶-۱۴۱۲ / ۸۱۶-۱۴۱۲م	شیخ - احمد بن شیخ - مطر - حمد بن مطر - برقوق - یوسف بن برقوق - جقمق ، جقمق جقمق - میان بن جقمق - ایصال
۱۲	المصنف باقہ بن النورکلی ...	۸۴۵-۱۴۴۱ / ۸۸۵-۸۴۵م	ایصال ، احمد بن ایصال ، عظیم ، بلالی
۱۳	القائم بأمر الله بن النورکلی ...	۸۵۵-۱۴۵۵م	الغیرد ، عمریا ، غیر بک (سلطان یزید) ناجیہ
۱۴	المصنف باقہ بن النورکلی ...	۸۵۹-۱۴۷۹م / ۸۸۴-۸۵۹	

رقم	اسم التايقة	سنوات التايقة	الاطراف المتضررون
١٥	التبركلى مل بن يعقوب بن التبركلى ... التعمك ياق بن عبد العزيز بن يعقوب ابن التبركلى	١٤٧٣-١٤٧٧ / ٥٩٠٣-٨٨٤	تاييكي ، عمه بن تاييكي (سلطنة الاكول) وانصو، عبيدة . عمه بن تاييكي (سلطنة التاييغ) ، وانصو الاشرقي (مجال عمه) ، جايلاو ، طورمان باي الاكول ، وانصو، التوري وانصو، التوري ، طورمان باي اشرقي ، سلج المان - سايران ، التاييغ بن سلج المنيق
١٧	التبركلى مل الله بن التعمك	١٥٠٩-١٥٣٨ / ٥٩٤-٥٩١٤	

مراجع :

- ١ - ابن اياس : مجالع الزهور .
- ٢ - ابن حجر : إسمان الصفا .
- ٣ - السردمل : تاريخ الظلماء و الرجعة الأجنبيز به ، حسن المصورة .
- ٤ - القرطبي : المعطى والسلوك .
- ٥ - زابطور : معجم الأندلس (ترجمة الدكتور زكي عمه حسن وآخرون) .

هوامش الفصل التاسع

- (١) حيد التيم ص ١٤٣ ، ٧٢ ، وما يليها .
- (٢) إنفاة الأمة ص ٧٢ - ٧٣ .
- (٣) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، غلط ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
- (٤) راجع الفصل التاسع .
- (٥) غلط ج ٢ ص ٢٠٤ .
- (٦) تولي بيبرس التوادار نيابة السلطنة لناصر محمد سنة ٨٧١ - ١٣١١ م ، وتوفي سنة ٨٧٢ - ١٣٢٤ م . (النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٦٣ ، ٢٩٤ والأعلام) .
- (٧) كان الطبيباً معلوكاً عند الأمير علم الدين الجلولي بفترة . برز في القروية والشطرنج والورد ونظم اشعر الرقيق كما كان عارفاً بالفقه ، توفي بدمشق سنة ٨٧٤ - ١٣٤٣ م ، (الأعلام) .
- (٨) حارم الدين إبراهيم بن دقماق مؤرخ فقيه كان جده دقماق من أمراء الناصر محمد ، ومن مؤلفاته في الفقه ، كتاب طبقات الخلفية ، ويمتاز بالإتصاف في كتابة التاريخ ، غير أنه لم يجد اللغة العربية إجابة تامة ، ولإمرة دمياط وتوفي سنة ٨٨٠٩ - ١٤٠٦ م (أبناء النسر ج ١ ص ٧٢٩ - ٧٣٠ (الأعلام) .
- (٩) لابن تفرى بردي مؤلفات في التاريخ ، بعضها منسوخة والبعض مطبوع ، وكان أبوه من ماليك الظاهر برقوق ، توفي سنة ٨٨٧٤ - ١٤٦٩ م (الكورغون في مصر في القرن الخامس عشر) ص ٢٦ - ٢٧ (الأعلام) .
- (١٠) جان تيمر من أركاس من ماليك الطلياق في عهد السلطان الغوري وقدم كتابه « تذكرة الملوك إلى أحسن الملوك » ، لسلطان .
- (١١) كتب البدرى تاريخاً ، أشار إليه ابن إياس ، وتوفي سنة الفتح المئوية لمصر ٨٩٣ - ١٥١٧ م . (بدائع الزهور ج ٣ ص ٣١٠ و ج ٣ ص ١٠٧) .
- (١٢) من قصور السلاطين بالقلمة : قصر الأشرافية للأشرف خليل بنائه سنة ٨٩٢ - ١٢٩٢ م ، وقصر الدعبشة لصالح إسماعيل بن الناصر بنائه سنة ٨٧٤٥ - ١٣٤٤ م (وقصر البسرية لسلطان حسن بنائه سنة ٨٧٦١ - ١٣٥٩ م . (غلط ج ٣ ص ٢١٢ - ٢١٣) .

- (١٣) من هؤلاء السفاحون والزنان دارية وهم البيابون عند عرف الحرم السلطاني ،
والجدارية لإلباس السلطان ، والبشقرارية لحمل نعل السلطان .
- (زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩) .
- (١٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ .
- (١٥) مسالك الأبصار ج ٢ رقم ٣٩٠ .
- (١٦) زبدة كشف الممالك ص ١٢١ .
- (١٧) المصدر السابق .
- (١٨) المصدر السابق .
- (١٩) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٤ - ٧٥ .
- (٢٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦ .
- (٢١) آثار الأول ص ١١٩ - ١٤٠ وجاهش الخلفاء للسيوطي ص ١٢٩ ، زبدة كشف
الممالك ص ١٢٢-١٢٣ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢١٠ ، غلط ج ٢ ص ٢١٢-٢١٣ .
- (٢٢) لعل البلاغات عن الشرفات على العمامات السلطانية من لفظ بلان بمعنى حمام (القاموس
المهبط - زبدة كشف الممالك ص ١٢٢) .
- (٢٣) غلط ج ٢ ص ١١٦ ، الدر المنثور ص ١٦٣ - ٥١٢ .
- (٢٤) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٠٩ وحاشية - ١ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢٥ ،
التعفة السنية ص ١٤ ، ٣١ ، ٧٠ ، ٧٦ .
- (٢٥) زبدة كشف الممالك ص ١٢٥ .
- (٢٦) الخوان سائر كبير رجال المطبخ والمرقدارية من صبيته .
- (٢٧) زبدة كشف الممالك ص ١٢٥ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٠ ، نهاية الأرب
ج ٨ ص ٢٢٤ .
- (٢٨) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٩٠ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠ ، الألقاف الخفية
ص ١٧ - ١٨ ، زبدة كشف الممالك ص ٨٧ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٧٧ .
- (٢٩) غلط ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- (٣٠) غلط ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
- (٣١) تنصرف كلمة المطبخ في عصر المماليك إلى مصانع السكر كذلك ، ومنها ما يتبع
السلطان نفسه ومنها ما يتبع الحكومة فيقال للأول المطابخ السلطانية ولثانية مطابخ الدولة ، ومنها
ما يتبع الأمراء ، واصطلاح على تسمية إدارة المطابخ بالأمم الثاني بكلمة « الفولبه » (الانتصار
ج ٤ ص ٤١ - ٤٥) .

(٣٢) يلقب رئيس كل من هذه البيوتات باسم « الهنار » ما عدا الشكارخانة وهي حاضرة طيور الصيد فلشرف عليها « أمير شكار » ، ورأس الاصطبلات الشريفة « أمير أخور » ، ويسى عمال الشرايخانة « بالشرابدارية » وعمال الطشت خاناه بالمشطارية ، والرغوانية المشرفون على القماش ، وربما شملهم جميعا لفظ البارات ، وعمال القراش خاناه هم القراشون والعتلة أو الكناسون ، ووق الشكارخانة يحتم الخوقدارية والمطبون والشمسدارية والباردارية ، والاصطبلات أنواع ، منها ما يضم خيول الخاص الشريف المدة لركوب السلطان ، ووق المصطبح « المراكيب الشريفة » ومنها ما يخص الخيول الصعيقة ، وخيول القرب بالكرة ، واصطبلات البريد والنياق والقبيل والسباع ، وعمالها الأوجاقية أو الوشاقية ، وتخزن آلات الخيل و الركاب خاناه ، وعماله الركاب دارية والسجن دارية ، والمهزدارية والفلان (صح الأئشي ج٥ ص٤٥٨ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٩ - ٤٧١ ، نهاية الأرب ج٨ ص٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٥ زبدة كشف المالك ص١٢٤ و ١٢٦ - ١٢٧ انظر قاموس الألفاظ الاصطلاحية) .

(٣٣) بن الأمير شتكر داره وأوقفها على أولاده ، ثم سكنها قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة ، وأتفق في زعرقتها ١٧ ألف درهم ، ثم بيعت سنة ٨٨٠١ - ١٣٩٨ م أما الأمير سيف الدين طاز نائب حلب سنة ٨٧٥٥ - ١٣٥٤ م ، السلطان صالح بن محمد بن قلاوون فقد بن داره سنة ٨٧٥٣ - ١٣٥٢ م ، وأقام وجمية عند افتتاحها حضرها السلطان ، وهذه أول مرة يزور فيها سلطان أميراً في منزله ، أما الأميران بلغا والطنبا فهما من أمراء الناصر محمد المقربين ، وقد بن السلطان هما هذين القصرين ، وكان الأمير بلغا المعري أتاكك الساكر في عهد المنصور حاسي ، واثبت حياته بالقتل في عهد شعبان سنة ٨٧٦٨ - ١٣٦٦ م (خلط ج١ ص٥٤ و ٧٣ و ج٢ ص ٧١ - ٧٢ ، تنجيم الزاهرة ج٧ ص٣١١ - ٣١٢) .

(٣٤) الأمير طقيش بن عبد الله التنجسي ، كان داردارا للسلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وظل كذلك في سلطة أخويه شعبان وحاسي ، ويصير أول دودار أحد إمرة مائة ومقدم ألف ، وقتل بأمر حاسي سنة ٨٧٤٨ - ١٣٤٧ م ، وهو صاحب الخانقاه النجمية خارج القاهرة (تنجيم الزاهرة ج١٠ ص١٨٣ - ١٨٤) ، انظر ذلك على مشكاته .

(٣٥) الأمير سيف الدين شيخون بن عبد الله أتاكك المسكر ومدبر القولة للسلطان حسن ، وقد قتله أحد عمال السلطان سنة ٨٧٥٩ - ١٣٥٦ م ، لأنه رفض أن يمنحه إقطاعا (تنجيم الزاهرة ج١٠ ص٣٥٠) .

(٣٦) يدائع الزهور ج٣ .

(٣٧) انظر لوحة الرنوك ، وراجع في موضوع الرنوك : الدكتور محمد مصطفى : الرنوك في عصر المماليك (مجلة الرسالة عدد ٣٠٠ ص٢٦٨ - ٢٧١) ، مصر في عصر دولة

- المالِك الجِراكسة ، المؤلف من ٢٢٤ - ٣٣٠ ، السلوك ج١ ص ٦٧٢ حاشية ٤ ، ج٢ ص ٢١٥ ، صحح الأمشي ٤٠ ص ٦١ - ٦٢ ،
- (٣٨) حرف الأمير بشتك بثراته الواسع ، ومات قبل سنة ٨٧٤٢ - ١٣٤١ م (التجوم الزاهرة ج١٠ ص ٧٤ - ٧٥) .
- (٣٩) ينسب إلى بلخا ، كثير من آلات الحرب والملابس مثل الطرز الترامن اليابانوية ، توفي سنة ٨٧٦٨ - ١٣٦٦ م . (بدائع الزهور ج١ ص ٢١٩) .
- (٤٠) غلط ج١ ص ١٤٠ .
- (٤١) صحح الأمشي ٤٤ ص ٦٠ - ٦١ ، بدائع الزهور ج١ ص ٢١٧ - ٢١٨ .
- (٤٢) الجنتاب هي الخيول المرسجة غير المركوبة ، والأوشاقية من عمال الإسطبلات (الألفاظ) .
- (٤٣) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٦ - ٣٨٧ ، بدائع الزهور ج١ ص ٢١٩ ، صحح الأمشي ٤٤ ص ٦١ .
- (٤٤) صحح الأمشي ٦٤ ص ٢٨ - ٣٣ .
- (٤٥) بدائع الزهور ج٢ ص ٤ ، ج٣ ص ٨١ .
- (٤٦) كان الخلفاء العباسيون في مصر ، يقيمون بقلمة الكيش ، فلما جاء الناصر محمد أورد للقلمة داراً بقلمة الجبل ، وظلوا يقيمون بها ، ليكولوا تحت مراثة السلطان (السيوطي : الخلفاء ص ١٩٤ - ٢٠٥ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٧) .
- (٤٧) غير الشيخ ابن حبر عن هذه القرحة بقصيدة طويلة ، منها :
- المسك فيما ثابت الأساس بالمستعين المسادل العباس
وجئت مسكاة آل حم المصطفى لخلها من بعد طول تناسي
(راجع السيوطي : حسن المحاضرة ج٢ ص ٨١ - ٨٢ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٣٨) .
- (٤٨) السيوطي : الخلفاء ص ١٩٥ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٣٣٨ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٩ - ٣١١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، حسن المحاضرة ج٢ ص ٨٠ - ٨٢ ، طرخان : مصر في عصر دولة المالِك الجِراكسة ص ٣١ ، ٦٤ - ٦٥ .
- (٤٩) أطلق لقب هريث على كل من كان من أهل البيت النبوي سواء كان من سادات الحسن أو الحسين أم كان علويّاً بصفة عامة ، فيقال الشريف العباسي والشريف العقيلي والشريف الجعفري والشريف الزيدي . ولما جاء الفاطميون إلى مصر ، قصروا على ذرية الحسن والحسين ، يقول ابن حبر : الشريف ينفاد لقب كل عباسي وبمصر لقب كل علوي . ويعرف أتباع العلويين باسم الشيعة ، منهم المنتدك ومنهم المنتظف ، وفي عصر المالِك أطلق على المنتظرين من الشيعة اسم « أهل البدع » مثل التصيرية والإسماعيلية ، ولزيادة أترجم إلى القصد . وينسب رئيس طائفة الإسماعيلية في دولة المالِك بلقب « أنابك الجاهدين » وله وصية في الدعوات للملوكية ، لتأليف قلوب هذه الطائفة وسحبها على الجهاد . (الحزواي : مشارق الأنوار ص ١٠٨ ، رسالة الصبان ص ١٦٢ - ١٦٣ ، التعريف ص ١٥٦) .

- (٥٠) أبناء النمر ج١ ص ٥ ، مشارق الأتوار ص ١٠ ، إعران الصفاورقة ١٣٠ ،
انظر ما يلي .
- (٥١) دحلان : خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام ص ٤٩ (مكتبة الحرم المكي الشريف
رقم ٤٩ تاريخ) .
- (٥٢) خطط ج١ ص ١٤٧ .
- (٥٣) أميان المصر ج٤ غير مرقم ، صحح الأئشي ج٤ ص ٣٧ .
- (٥٤) التبريد ص ١٣٠ - ١٣١ ، أميان المصر ج٤ غير مرقم .
- (٥٥) صحح الأئشي ج٦ ص ٢٢٨ و ٢٢٤ .
- (٥٦) توفى هذا الشريف في سنة ٨٧٢٧ - ١٣٣٦م (تاريخ جليل مجله ٦ ورقة ٥٤٥ -
٥٤٦ .
- (٥٧) توفى هذا الشريف سنة ٨٧٥٧ - ١٣٥٦م (الصلبي ج٤ غير مرقم) .
- (٥٨) تول هذا الشريف كتابة عدة نائير بإقطاعات - (صحح الأئشي ج٣ ص ١٧٦ -
١٧٩ انظر للملاحق) .
- (٥٩) سلاطين الماليك ص ٢٩ - ٣١ - عيون التواريخ ص ١٢٠ - بدائع الزهور
ج١ ص ١٧٩ - ١٨٠ - أميان المصر ج٤ غير مرقم .
- (٦٠) كان هذا الاجتماع في سنة ٨٦٥٨ - ١٢٥٩م واقترع شيخ الإسلام عز الدين بن
عبد السلام ابن بنت الأخر بقوله : إذا أحضرت أنت وجميع العسكر وكل باقي بيوتكم ما على
نساءكم من الحلل الحرام وضربته على السكة ونفقته في الجيش وقصر عن القيام بكتفتكم أنا أسأل
الله تعالى في إظهار كنز يكتفيكم ويفصل عنكم . . (ميد الترم ص ٦٤ - ٦٥ ، بدائع الزهور
ج١ ص ٩٦ ، الجوهر الثمين ج٢ ورقة ١٠٦ السلوك ج١ ص ٤٢٧ ص ٤٢٩ ، النجوم الزاهرة
ج١ ص ٧٢ - ٧٣) .
- (٦١) بدائع الزهور ج١ ص ٣١٩ .
- (٦٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٦٦ - ٦٧ .
- (٦٣) المصدر السابق ص ١٣٧ ، انظر الجرائم وعقوبتها وما يتعلق بهذا الحارجي بعضه
خاصة فيما يلي .
- (٦٤) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٦٥) انظر ما يلي .
- (٦٦) بدائع الزهور ج٢ ص ١٧١ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ .
- (٦٧) ميد الترم ص ٦٠ و ١٣٢ - ١٣٣ .
- (٦٨) بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٤ .
- (٦٩) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٣ .

- (٧٠) صحیح الأضی ج ٦ ص ٥١ .
 (٧١) كانت یمول هذه الطبقة غیر مزدانة فی سروجها ، بل كانت عادية أو « ساذجة »
 فی المصطلح (غلط ج ٢ ص ٩٨) .
 (٧٢) مساک الأیصار ج ٢ رقم ٣٩٤ ، صحیح الأضی ج ٦ ص ٥١ .
 (٧٣) راجع اتصال التاسع .
 (٧٤) معبد التیم ص ٦١ - ٦٢ .
 (٧٥) الناطور هو العامل المنوط به حراسة الثياب فی الحمامات (معبد التیم ص ١٧٤ -
 ١٧٥) .
 (٧٦) غلط ج ٢ ص ٧٢ .
 (٧٧) لعل المقصود بالمعبر نوع من الحریر أو مبیوط من الحریر أو النزل القاصر .
 فقد ذکّر المقرئی بصدد حدیثه عن سوق المعبرین أنه کان ینتج من المعبر الخماذ والککال والسبور
 و غیرها ، . . . والککال یمع کفة وهو غشاء رقیق یخاط لیتوق به البعوض (التاموسية) (غلط
 ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ ، أقرب الموارد) .

(٧٨) تنوعت الأسواق فی محتوياتها وأسمائها ، واختص کل سوق بنوع معین من السلعة
 فهذا سوق باب الفتح به حوانیت الحلین - وهم تجار اللحم - وأخضرین ، وذلك سوق
 المهامیز قرب مارستان قلاوون لیبع آلات الخلیل من مهامیز وسلاسل ومخاطم و غیره . سوق الجمین
 به آلات التیم و غیرها بما یمنع من الجلد ، وهناك سوق الخلعین لیبع الملابس القديمة وهكذا .
 و فی معنى الأسواق القیساریات والفنادق والوکالات والحانات وهی عبارة عن ساحات
 ومؤسسات تؤدی بجانب مهمة البیع والشراء مهمة « النزل » و « مجال الإقامة » والمخازن لواردين من
 التجار وحفظ أموالهم ، وقد بُنی فوقها « رباع » تؤجر لسکنى العامة بصفة خاصة ، وأغلب هذه
 المؤسسات تابع للأمرام وأثریة الدولة والسلاطین .

فلا قیساریة المعبر عمرها قلاوون سنة ٦٨٠هـ - ١٢٨١م ، بعد أن كانت قبله مبنیاً وجعلها
 سوقاً للمعبر ، وقیساریة العسفر أنشأها الأمير علم الدین سنجر الشمروری المعروف بالمخاطم إمام
 الخلیل بن قلاوون فی سنة ٦٩٢هـ - ١٢٩٢م ، وقیساریة بیبرس الجاشنکیر بیاع بما جهاز
 المرانس والدجاج ، ومن الفنادق فندق الأمير طرطنای وینزله تجار الزیت الواردون من الشام
 ویطووه ریح کبیر ، وفندق الحصر للأمیر تنکر بیاع قیه بجانب الحصر الرطب والأهمات والزیتون
 الأخضر وفندق القصب ملک الأمير منبک الیوس وهكذا « أما الوکالات فمنها وكالة قوصون
 حیث ینزل تجار الشام عامة ، ومن الحانات أخان الخلیل نسبة إلی الأمير جهارکس الخلیل أمير
 احمور السلطان برقوق » .

والعادة أن یمتثل الفندق أو القیساریة أو الحان لحساب صاحبه ، وقد یوقفه علی أولاده
 کفندق الحصر الموقوف علی أولاد تنکر وقیساریة العسفر الموقوفة علی وریة علم الدین سنجر ،

وتؤجر الفنادق أو الموانئ التي بالمقاييس فكان إيجار فندق الملك السعيد بن بيرس نحو **١٠٠** درهم في الشهر ، وقد يستغل مثلها منصبه فيجبر التجار على استئجارها بالقدر الذي يحدد كما فعل الملائكة حين أجبر التجار على تعبير مقاييسه وجعل أجرة الموانئ تتراوح ما بين **٨** و **١٠** و **١٢٠** درهماً بحسب موقع الموانئ ونوع السلعة التي تباع فيه ، فمثلاً استأجر صناع الأقفال الموانئ الخارجية بسعر **٨ - ١٠** دراهم في الشهر وتجار جهاز الراس الموانئ الداخلية بمبلغ **١٢٠** درهماً نفرة العائون ، وقد أوقف هذه المقاييس على خلفائه .

ومن وسائل العناية بهذه الحال ، ما درج عليه تجار الأسواق الكبرى ، كسوق القصب ، وهو سوق العاصميين وضع أزيار أمام حوانيتهم لما عساه يقع من حرائق لإشغالها كما عليهم أن ياتوا بتداول ثقتهم في الليل (غلط ج ٦ ص ٩ - ٩٤ ، ٩٧ - ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، الانتصار ج ٤ - ٤٤) .

(٧٩) معالم القرية الباب ٥٢ ، ٥٣ ، عمدة الترمذ ص ٨٣ .

(٨٠) بدائع الزهور ج ٣ ص ٨١ .

(٨١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٩٢ .

(٨٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٩٢ .

(٨٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١١٩ - ١٢٠ و ١٢٤ و ١٢٧ ، السلوك ج ٢ ص ٤٢٣ .

٤٣٤ ، ٤٥٠ ، عيون التواريخ ص ٢٢ - ٢٣ ، بدائع الزهور ج ١ ص ١٩٠ .

(٨٤) السلوك ج ٢ ص ٤٨٨ .

(٨٥) عرفت هذه السخرة باسم « week work » وهناك سخرة فضلية أو حفصة موصية

Boon work كانت مفروضة على الفلاحين في زمن الخصال (كوبلانده وقينو جرانوف

ترجمة زيادة - ص ١١١ - ١١٢) .

(٨٦) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٣٠ ، أنباه القصر ج ١ ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٨٧) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٨٨) تاريخ جليل مجلد ٦ ورقة ٥٤٥ - ٥٤٦ .

(٨٩) بدائع الزهور ج ٣ ص ٨٨ .

(٩٠) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٩١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

(٩٢) المصدر السابق ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٩٣) غلط ج ٢ ص ٩١ .

(٩٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٩٥) بدائع الزهور ص ٣٠٨ .

- (٩٦) انظر الفنّ المختلفة والثورات فيما يلي ، وانظر : Précis, T. II P. 248 ، وانظر مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢٥٠ - ٢٧١ .
- (٩٧) السلوك ج ١ ص ٤٥٣ حاشية - ١ .
- (٩٨) بطلت عاد إرغاه الثمر سنة ٨٧١٥ - ١٣١٥ م ، حين تولى السلطان الناصر قانسطر لحق شعراء ، فبهمه الأمراء وظل الأمر على ذلك من بعده (السلوك ج ٢ ص ١٤٨) .
- (٩٩) يذكر المقرئى أن هذه الأتية الصبيقة الأكمام تشبه ملابس الفرنج في عصره (غلط ج ٢ ص ٩٨) .
- (١٠٠) هذه الحوائص سوق يعرف باسم سوق الحوائصين ، ومفردتها حيامة وهي اللقطة التي يشد بها الوسط (غلط ج ٢ ص ٩٧ - ٩٩) .
- (١٠١) صبح الأعشى ج ٤ ص ٧٩ - ٤١ .
- (١٠٢) الأمير سيف الدين سلاز من ممالك قلاوون ونائب لناصر محمد في سلطنته الثانية ، فاستبد بالأمور بعده ، لكن الناصر عفا عنه عند سلطنته الثالثة وتوفي ٨٧١٠ - ١٣١٠ م .
- (١٠٣) طول الطاقية العادية ذراع وأعلىها مسطح مدور ، أما الطاقية الجركسية فطولها لثنا ذراع وأعلىها كما يصغها المقرئى مقبب مدور ولونها ما بين أحمر وأخضر وأزرق وأسفل صبابة الطاقية زيتق من الفرو عرشفه ثمن ذراع (غلط ج ٢ ص ١٠٤) .
- (١٠٤) آثار الأول (بهاش الخلفاء للسيوطي ص ١٩٥) .
- (١٠٥) غلط ج ٢ ص ٩٩ (طبة بولاق) ، ج ٢ ص ٣٥٢ (طبة النيل) ، مساك ، الألبصار ج ٢ ورقة ٣٨٧ ، Mayers : Mamluke Costume O. p. 25-36 .
- (١٠٦) مساك الألبصار ج ٢ ورقة ٣٩٥ .
- (١٠٧) صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢ - ٤٣ .
- (١٠٨) أنباء الثمر ج ٢ ص ٢٥ ، شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٢٩ ، مشارق الأنوار ص ١٠٨ ، تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢ .
- (١٠٩) غلط ج ١ ص ٢٢٨ ، السيف المهند ورقة ٥٣ .
- (١١٠) بدائع الزهور ج ٣ ص ١٣٤ .
- (١١١) من هذه الأوسر ، ما أصدره الناصر محمد سنة ٨٧٠٠ / ١٣٠٠ م ، ٨٧٢١ م والجلشنكير سنة ٨٧٠١ - ١٣٠١ م ، والسلطان صالح سنة ٨٧٥٤ - ١٣٥٣ م) .
- (١١٢) غلط ج ٢ ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ، سلاطين المماليك ص ٨٤ - ٨٩ ، السلوك ج ٢ ص ٢٢٧ ، الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠١ ج ٢ ص ١٧٧ ،

الجوهر الثمين ورقة ١٥٤ ، الخراج ص ٧٢ - ٧٣ ، القدر في شرح القدر ج ٢ ص ٣٧٢ ، آثار الأول (يهاشم الخلفاء السيوطي) ص ١٩٥ ، ٤ ، ٦٩ - ٦٥ Mamluke Costume O. P.

(١١٣) عبود التواريخ ص ٤٧ .

(١١٤) بدائع الزهور ج ١ ص ١٩٣ .

(١١٥) أنباء القصر ج ١ ص ٣٢٣ .

(١١٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٢ .

(١١٧) الجوهر الثمين ورقة ١٥٤ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠١ ، الخراج ص ٧٣ ،

(١١٨) الأجياد في طلب الجهاد ص ٦ - ٨ و ١٢ - ١٣ ، التديرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية ورقة ١٤ و ٣٠ و ٣٢ ، علم القروسية وعلاج التوابه ورقة ٢٦٥ و ٢٦٨ و ٢٧٥ ، القروسية والمناسب الحربية مخطوط غير مرقم الصفحات ، للقروسية الشرعية ص ١٨ و ١٠٨ ، الفع Evans p. p. 38 - 42

(١١٩) من الهيازين المبروقة : الميدان الظاهري ببيرس ، وميدان سير قاقوس الذي أنشأه الناصر محمد . وميدان القيق (زبدة كشف الممالك ص ٨٦ ، غلط ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، مساك الأبيصار ج ٢ ورقة ٣٨٦) .

(١٢٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٦ ، انظر صورة الرمح فيما يلي . . .

(١٢١) يتولى حمل الصولجان للسلطان موظف يعرف باسم (الجوكاتافار) وهي كلمة فارسية بمعنى حامل الصولجان (صحیح الأمتى ج ٥ ص ٤٥٨ ، زبدة كشف الممالك ص ٧٨) .

(١٢٢) مما احتوت عليه هذه الوثيقة : ٢٠ ألف رجل ضابط و ٢٠٠ زوج أوز و ١٠٠ طير دجاج و ٢٠ فرسا للقتل و ٣٠ قطار من السكر ، ٢٠٠ علية فاكهة و ٢٠٠ مجمع حلوى و ٣٠ قطارا من الزبيب يرسم الأتمة و ٦٠ إردب دقيق يرسم البوزة (بدائع الزهور ج ١ ص ٣٠٩ و ج ٢ ص ١٧ - ١١٨ و ١٤٥ و ٣٤٧ ، أعيان مصر ج ٤ المخطوط غير مرقم) .

(١٢٣) كانت تقع جنوبي القسطنطينية نسبة لطائفة من الرهبان الحبش (النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٨١ - ٣٨٢) .

(١٢٤) مساك الأبيصار ج ٢ ورقة ٣٨٩ - ٣٩٠ ، زبدة كشف الممالك ص ٨٦ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٤٨ ، الألقاف الخفية ص ٢٣ - ٢٤ ، نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٢٦ .

(١٢٥) غلط ج ٢ ص ١١١ ، القروسية والمناسب الحربية غير مرقم ، انظر صورة القيق والألقاف الاصطلاحية .

- (١٢٦) عخط ج٢ ص ١١٢ - ١١٣ ، سلاطين الماليك ص ٢٣ .
 (١٢٧) هذا المبلغ هو ثروة الأمير يلينا الجيايوي نائب الشام التي صادرها السلطان لخروج
 عليه سنة ٨٧٤ - ١٣٣٦ م ، وأنتفها على الحمام (بدائع الزهور ج١ ص ١٨٨) .
 (١٢٨) بدائع الزهور ج١ ص ١٨٨ .
 (١٢٩) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٣ .
 (١٣٠) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 (١٣١) ابن دانيال الموصل : طيف الخيال ص ٨٠٥ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
 (١٣٢) المنهل الصافي ج١ ورقة ٣٠٤ - ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ج١ ص ٣١٧ .
 (١٣٣) بدائع الزهور ج١ ص ٢١٢ .
 (١٣٤) ذبح السلطان فرج شمر الدين بن حولا الماليك ومم مالك أبيه برفوق ، وسبب
 ذلك ، كثرة عروجهم عليه ، يقول المؤيد شيخ « ماصبر أحد من الملوك كصبر الملك الناصر فرج
 على مالك أبيه فإنه كان يقتل الواحد منهم ، حتى يكون ساعه مراراً عديدة وهم يندرون » (بدائع
 الزهور ج١ ص ٢ ، ٣) .
 (١٣٥) من شعر المؤيد :

فتنتنا سوائف وعساود وعبون نسوان وعساود
 أصرتنا الظباء وهن نساء وعصمتنا لها ونحن الأسود
 وأنا الخاصكي شيخ المؤيد نظم شعري جواهر وعقيد . . الخ

(انظر بدائع الزهور ج٢ ص ٨ - ٩) .

- (١٣٦) بدائع الزهور ج٢ ص ٦٢ ، ٧٦ - ١٢٤ .
 (١٣٧) أنشأ كتاب الصداق بحسب الدين عبد الله بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء بمصر ،
 وقرأ بالخط (درة الأسلاك ورقة ٥٠ ، تاريخ أبي الفداء ج٢ ص ١٠٩ ، النجوم الزاهرة
 ج١ ص ١١٩ ، بدائع الزهور ج١ ص ٤٦) .
 (١٣٨) عخط ج٢ ص ١٠٥ .
 (١٣٩) أنباء النسر ج١ ص ١٨٨ .
 (١٤٠) بعض آية ٥٨ من سورة النحل .
 (١٤١) أبو الفضائل ص ٥٦٥ - ٥٦٦ ، عخط ج٢ ص ١١٢ - ١١٣ .
 (١٤٢) أنباء النسر ج١ ص ٥٢ .
 (١٤٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
 (١٤٤) تنسب هذه البركة لشخص يصنع الأبطال الحديد ، وعمرت بالمساكن حول مكة
 وتدخل المراكب إليها من الخليج فإذا نصب الماء زرعت بالبرسيم وكانت من أماكن الهوى والترويح
 من النفس (عخط ج٢ ص ١٦٢) .

- (١٤٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٠٨ .
- (١٤٦) الألفاظ الخفية ص ٦٢ وما بعدها . بدائع الزهور ج ١ ص ٣١٥ وج ٢ ص ١٢٢ .
- (١٤٧) السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب توفيت سنة ٨٢٠٨م ويصبر مشيداً من المشاهد التي يتبرك الناس بزيارتها (غلط ج ٢ ص ٤٠) ،
- بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢١) .
- (١٤٨) تاريخ يشيك ورقة ١٠٥ و ١٠٦ ، بدائع الزهور ج ١ ص ٣١٥ ، ج ٢ ص ١٢٢ .
- (١٤٩) زبدة كشف الممالك ص ٢٦ - ٢٧ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٨٦ .
- (١٥٠) زبدة كشف الممالك ص ٩٠ - ٩٢ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٩٥ ، ٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٤٣ ص ٨٨ .
- (١٥١) زبدة كشف الممالك ص ٨٧ ، ٩٠ - ٩١ ، الإبداع في مسار الابتداء ص ٣٢٢ ، بدائع الزهور ج ٤ ص ٦٠ ، ٧٢ ، ٣٩١ .
- (١٥٢) زبدة كشف الممالك ص ٨٧ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١١٢ .
- (١٥٣) روض الناظر - مخطوط غير مرقم - ، بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- (١٥٤) النطع والنطع (بالكسر والفتح والتحريك) بساط من الأديم والجمع أنطاع ونطوع (التماسيح المحيط ، وتاج العروس) .
- (١٥٥) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٣ .
- (١٥٦) نهاية الأرب (مخطوط) ج ٢ ورقة ٢٨ ، ٣٢ غلط ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٠٨ . صحح الأمامي مخطوط ج ٦ ورقة ٧٠ - ٧١ .
- (١٥٧) انظر المخطوط ج ٢ ص ٢١٣ - ٢١٤ ، وراجع ما سبق .
- (١٥٨) من الترم ص ١٤٠ - ١٤١ .
- (١٥٩) معيد الترم ص ١٤٢ .
- (١٦٠) معيد الترم ص ١٤٤ .
- (١٦١) غلط ج ٢ ص ٣٨٦ .
- (١٦٢) غلط ج ٢ ص ٣٨٧ ، ٣٩٩ - ٤٠١ ، تاريخ أبي القفلاء ج ٤ ص ١٠٤ .
- (١٦٣) أول من أقام مدرسة عامة في مصر للذهاب الأربعة الصالح نعيم الدين أيوب ، في عام ٨٦٤١ - ١٢٤٣م أنشأها بجوار الأزهر ، وعرفت باسم المدارس الصالحية (غلط ج ٢ ص ٣٧٤ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠) .
- (١٦٤) غلط ج ٢ ص ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٤ ، الانتصار ج ٤ ص ٤٢ ، ٩٦ - ٩٩ ،
- عيون التواريخ ص ٣٦ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٢ .
- (١٦٥) غلط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣ .
- (١٦٦) معيد الترم ص ١٤٥ ، غلط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

- (١٦٧) معبد النتم ص ١٤٤ .
- (١٦٨) معبد النتم ص ١٤٤ - ١٤٥ .
- (١٦٩) الانتصار ج٤ ص ٩٦ - ٩٨ ، حجة وقف الأشراف برسباي مخطوطة غير مرقمة .
- (١٧٠) معبد النتم ص ١٤٦ .
- (١٧١) لم يزل معظم المصاحف الخاصة بسلاطين وأمراء المماليك باقية إلى اليوم وهي من أصناف مختلفة ومخطوطة رائعة والكثير منها ملهوب (معروض دار الكتب المصرية) .
- (١٧٢) معبد النتم ص ١٤٦ - ١٤٧ .
- (١٧٣) معبد النتم ص ١٧٠ ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، الباب ٤٦ .
- (١٧٤) مخطوط ج٢ ص ٤١٧ ، ٤٢٢ ، حسن الخاضرة ج٢ ص ١٦٠ - ١٦١ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٢٠٣ .
- (١٧٥) مخطوط ج٢ ص ٤١٥ ، ٤٢٢ ، انظر الألفاظ الاصطلاحية .
- (١٧٦) مخطوط ج٢ ص ٤١٥ ، ٤٢٢ .
- (١٧٧) معبد النتم ص ١٤٩ .
- (١٧٨) معبد النتم ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٤ - ١٦٥ بدائع الزهور ج٢ ص ٢٠٣ مخطوط ج٢ ص ٤١٤ و ٤١٦ - ٤١٧ السلوك مخطوط ج٢ ص ٢٦٨ .
- (١٧٩) معبد النتم ص ١٤٦ - ١٤٧ و ١٦٦ .
- (١٨٠) مخطوط ج٢ ص ٤٣٠ .
- (١٨١) مخطوط ج٢ ص ٤٢٧ - ٤٣٠ .
- (١٨٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٣ .
- (١٨٣) معبد النتم ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (١٨٤) مخطوط ج٢ ص ٣٨٣ ، ٤١٧ ، الانتصار ج٤ ص ٤٠ - ٤٤ ، ٩٢ - ٩٣ ، ١٠٢ - ١٠٤ ، أعيان مصر - مخطوط - غير مرقم .
- (١٨٥) الانتصار ج٤ ص ٤٢ و ٩٦ و ٩٨ عيون التواريخ ص ٣٦ .
- (١٨٦) حجة وقف الأشراف برسباي (غير مرقمة) .
- (١٨٧) السيف المتهتة ورقة ٤٨ .
- (١٨٨) مخطوط ج٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢ .
- (١٨٩) حجة وقف برسباي .
- (١٩٠) بدائع الزهور ج٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

- (١٩١) بدائع الزهور ج٣ ص١٢ - ١٣ ، ٥٩ ، ٩٣ ، ج٤ ص٧٧ ، ٢٠٤ .
 (١٩٢) بدائع الزهور ج٣ ص١٢٤ .
 (١٩٣) مسالك الأبيصار ج٢ ورقة ٣٧٨ ، صحح الأعمش ج٣ ص١٤٧ - ١٤٨ .
 (١٩٤) - (١٩٥) حوادث النهورج ١ ورقة ٩٥ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٥١ - ١٥٢ و
 ١٥٨ - ١٥٩ و ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٦ و ج٣ ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٢١ .
 (١٩٦) إنفاثة الأمانة ص٧٤ - ٧٥ .

- (١٩٧) حوادث النهورج ١ ورقة ٩٥ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٥١ - ١٥٢ و
 ١٥٨ - ١٥٩ و ١٦٢ - ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٦ و ج٣ ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٢١

(١٩٨) الاستسقاء انربا طلب السقيا ، واستسقاء السقيا منذ المائة كانتساق النبيذ
 أو قلة الماء بحيث لا يمكن ، عل أن يخرج جميع الناس بأحفظهم وتسايمهم ومواشيهم خارج المساكن
 إشارة إلى أن الجذب أو البلاء قد أسباب الجسيع ، وشروطه التوبة والصلوة وكثرة الاستغفار
 وقد أخبر القرآن الكرم عن استسقاء بعض الأنبياء ، ففي سورة البقرة يقول الله تعالى : « وإن
 استسقى موسى لقومه » ، « وجاءت الأخبار باستسقاء سليمان وعيسى وداود عليهم السلام والرسول
 (ص) وما جاء في استسقاء الرسول (ص) » اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ولا سخن ولا بلاء
 ولا هدم ، اللهم عل الطراب والأكام ، (الجبال الصغيرة والتلال) ومنايب الشجر ويطون
 الأودية ، اللهم حوالينا ولا علينا اللهم سقيا فينا متينا حنيئا مرتيا ، اللهم أنبت لنا الزرع وأبد
 لنا الفسح . . .

(الإحيد للززال ج١ ص٢٧٧-٢٧٨ ، شرح الخطيب ج١ ١٦٥ ، حاشية الشيخ الشرقاوي
 ج١ ص٣١٦ ، ٣١٧) .

(١٩٩) الأسئل التاريخي للاستعانة ببركات بني العباس ، ما وقع في عهد عمر بن الخطاب
 حين أصاب المدينة حط ، فاستسقى عمر بالعباس عم النبي (ص) ، ودعا « اللهم إنا كنا إذا
 تسطنا نتوسل إليك بنينا تسقينا ، وإنا نتوسل إليك بهم نيينا فاسقنا » وحينئذ توجه العباس
 للدماء بقوله « اللهم إنه لم يزل بلاء من السماء إلا يذهب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي
 القوم إليك المتكافة من نبيك (ص) ، وهذه أيدينا إليك باللثوب ونواصينا بالتوبة ، وأنت
 الراضي لا تهمل الفسالة ولا تدع الكسير بدار مضيق ، فقد خرج الصغير ورق الكبير وارفعت
 الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأذهب بنياك ، قيل أن يقتلوا ، فيهلكوا
 فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . فأتتم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال
 (الأحيد ج١ ص٢٧٨ ، شرح الخطيب ج١ ص١٦٦) .

(٢٠٠) صارت الأسعار عل هذا النحو : إردب القمح من ٤٠٠ - ١٢٠٠ - ١٥٠٠
 درهم الشحير ٤٠٠ درهم والفول ٧٠٠ درهم ، البطة العنق ١٣٥ درهم ، والفريق العلامة ٤٠٠

درهم ، والشم الصافي في نظفه ١١ درهم لقرطال ، والمقل ١٨ درهما ، والخضراوات لاجود لها ، وحمل الثبن من ٥٠٠ - ١٠٠٠ درهم ، وفدان البرسيم الأخضر من ٢٠ - ٣٠ أشرقا وحلة الحطب ١٠٠ درهم (حوادث الدهور ج١ ورقة ٩٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣) .

(٢٠١) بدائع الزهور ج٢ ص ٣١ .

(٢٠٢) لما انحط السعر هبط إردب القمح إلى ٨٠٠ درهم والشعير إلى ٥٠٠ درهم والقول إلى ٥٠٠ درهم وبينة التقيق العلامة ٤٨ درهما (حوادث الدهور ج٢ ورقة ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٠٧ - ٢٢١) .

(٢٠٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٧٤ .

(٢٠٤) هناك أمثلة كثيرة لهذه الحوادث وتكرر توزيع الفقراء وأعمال البر المنتومة (إضافة الأمة ص ٣٥ ، ٤٠ ، أبو القداء ج٤ ص ١٥٥ ، درة الاملاك (مصور) ج١ ورقة ٣٣ ، السلوك (مخطوط) ج٢ ص ٢٥٨ ، بدائع الزهور ج١ ص ٢٢٩) .

(٢٠٥) اشتهر بعض الأثرياء من ذوى القلوب الرحيمة بهذا العمل الخيري ، كسعد الدين ابن غراب كاتب السر ، إذ أنام مفلسا عند داره بجوار جامع بشتاك الناصري ، وذلك بصدد طاعون سنة ٨٠٧ - ١٤٠٤م ، ففصل وكفن من أمواله عددا كبيرا من الثرياء ، وعرف هذا الحادث باسم فصل ابن غراب ، كما اشتهر الأمير يشيك النوادر في عهد قايتباي بصدد طاعون ٨٧٣ - ٨٧٤م (١٤٦٨م - ١٤٦٩م) الذى أقرن جيوط النيل ، فأقام مفلسا يقرب مدفونة السلطان حسن من ماله . فحصل قناس بذلك غاية الرفق * (بدائع الزهور ج١ ص ٤٨ و ج٢ ص ١٠٠ و ١٠٧ - ١٠٨) .

(٢٠٦) أنباء الفرس ج١ ص ٤٤ السلوك مخطوط ج٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٤٥

(٢٠٧) بدائع الزهور ج٢ ص ٢١ .

(٢٠٨) أنباء الفرس ج٢ ص ١٣٢ - ١٣٣ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٥ .

(٢٠٩) بدائع الزهور ج٢ ص ١١٦ و ١١٨ .

(٢١٠) فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٦ ، بدرس النوادر مصور ورقة ٧٤ ، بدائع الزهور ج٢ ص ٥٤ .

(٢١١) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٤٢ .

(٢١٢) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٣٩ .

(٢١٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٥٨ .

(٢١٤) التنجيم الزاهرة ج٨ ص ٤٢ - ٤٣ عيون للتواريخ ص ٢٢٠ - سلاطين المالكة ص ٢٩ - ٣١ .

(٢١٥) التيجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣٥ .

(٢١٦) برزت هذه الحقيفة طوال عصر الماليك فالسلطان بيرس تسلطن بعد مقتل قطز ، وكثيها خلع الناصر وتسلطن مكانه ، وهذا طرده لاجين بعد ستين وتسلطن ، والأخير قتله الأمرء بعد فترة ، وهذا بلهيا المؤيد انصب السلطنة من أحد بن إينال بعد أربعة شهور من سلطته ، لكنه لم يدم في السلطة أكثر من ٥٦ يوما حتى طرده تمرينا الظاهري وهكذا .

(٢١٧) كان أكثر الأوصياء أومدبري القول ، على حد تعبير المصطلح ، هم الذين علموا المسلمين الأطفال بالتولوا مكانهم أوولوا من زرونه غير هم ؛ فهذا التزوير الأمور لعل بن أبيك لكنه علمه بعد ستين ومثالية شهور ، ثم إن قلاوون كان وصيا على سلامش بن بيرس لكنه علمه بعد ١٠٠ يوم وتسلطن مكانه ، وكذلك فعل طغر حين خلع أحد بن التؤديشخ بعد ٨ شهور ، وبرساي يوم خلع أحد بن طغر بعد أربعة شهور وهكذا .

(٢١٨) من علموا من الوارئين وعادوا ؛ الناصر محمد ، خلع مرتين وعاد إلى العرش حتى توفي ، وخلع الناصر حين مرة وعاد ثم قتل ، وخلع فرج بن برقوق مرة وعاد حتى قتل وهكذا ..

(٢١٩) راجع الفصل السابق .

(٢٢٠) ملحمة رولاته : Song of roland التي وقعت حوادثها التاريخية في عهد شارلمان من أروخ ما قبله تاريخ العصور الوسطى للدلالة على صدق الولاة والنبعية غير أنها ليست دقيقة من الناحية التاريخية Steph. pp. 273-78, Evans. pp. 38-50 المسلمون في فرنسا وإيطاليا (بحث المؤلف نشر بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦) .

(٢٢١) بدائع الزهور ج ١ ص ٢١٧ .

(٢٢٢) يشمل هذا المدد الخليفة المستين ، وأسقط منه الملك الأوحده بيد / الذي تسلطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل بن قلاوون ٨٦٩٣ ، وكذلك أسقط غير ذلك الذي تسلطن لمدة ليلة واحدة حتى جنح الظلام وتلقب بذلك الظاهر ، على أثر التقبض على تمرينا وقبيل وصولها بيتاي قد جب ٨٧٧٢ .

(٢٢٣) كان من بين من ماتوا ؛ الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وترجع وفاته في سنة ٨٧٤٦ - ١٣٤٥ م ، إلى شدة الفزع حين رأى رأس أخيه شهاب الدين أحد الذي علمه الأمرء بعد ٣ شهور ١٣ يوما ثم قتلوه ، ومنهم من سبق له الخلع كالناصر محمد و برقوق .

(٢٢٤) من هذا الفريق من خلع نفسه نفسه مثل بيتي و رولاته ، ومنهم من خلع وصحن ، مثل عبد العزيز بن برقوق والخليفة المستين ، ومن خلع وعاد ثم قتل ، مثل السلطان حسن .

(٢٢٥) من هذا الفريق من خلع قبل القتل مثل فرج بن برقوق ومن قتل في الحرب كالتفوري وطومان يلى .

(٢٢٦) غم في هذا الفريق الإخوة الذين ولوا العرش واحدا بعد آخر ، بعد خلع أو قتل إخوتهم السابقين ، فهذه وإن لم تكن وراثة صريحة بعدهم ، إلا أنها على أية حال تقسمت معنى الوراثه ، كونهم أبناء سلطان سالف .

(٢٢٧) غم الخليفة لمن تولوا العرش اختصاصا لو أن أرغم على ذلك (انظر الجدول للملحقه)

(٢٢٨) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٠ .

- (٢٢٩) النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٧٥ .
- (٢٣٠) القدر الكاملة ج١ ص ٤٩٩ .
- (٢٣١) السلوك مخطوط ج٣ ص ١٤٦ .
- (٢٣٢) أنباء النصر ج١ ص ٤٣٧ ، بدائع الزهور ج١ ص ٣٠٩ .
- (٢٣٣) بدائع الزهور ج٢ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٣٨ ، ٢٦٦ .
- (٢٣٤) أخبار النبوة في آثار الأول من ٣٢٩-٣٤٠ بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٦-١٣٩ .
- (٢٣٥) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٧ .
- (٢٣٦) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٢٣٧) تاريخ يشيك ورقة ١٣٧ .
- (٢٣٨) انظر الفصل التاسع .
- (٢٣٩) من أمثلة ثروات الميراث خلال عصر الماليك :
- عربان الصعيد : ٥٧٠١ م (١٣٠١ م) و ٥٧١٣ م (١٣١٣ م) و ٥٧٥٤ م - (١٣٥٣ م)
- و ٥٨٨٢ م (١٤٧٧ م) .
- عربان البحيرة : ٥٧٨٢ م (١٣٨٠ م) و ٥٧٨٣ م (١٣٨١ م) و ٥٨٧٥ م - (١٤٧٠ م)
- و ٥٩٨١ م (١٤٨٦ م)
- عربان الشرقية والغربية : ٥٨٠٦ م (١٤٠٣ م) .
- عربان الشام : ٥٧٦٧ م (١٣٦٥ م) و ٥٨٨٠ م (١٤٧٥ م) .
- (بدائع الزهور ج١ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٤٠ - ٢٤١ و ٢٤٨ ، ج٢ ص ٩٥ و ١٢٢ و ١٦٣ و ١٨٠ و ٢١٦ و ٢٢٨ ، النجوم الزاهرة ج٢ ص ٩ من ٣٦ و ٦٠ و ٦١ ، سلاطين الماليك ص ١٠٧ السلوك مخطوط ج٢ ص ١٣) .
- (٢٤٠) الأعراب ورقة ٩٣ .
- (٢٤١) بدائع الزهور ج٢ ص ٤٧ .
- (٢٤٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١١٢ - ١١٦ .
- (٢٤٣) المصدر السابق ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .
- (٢٤٤) بدائع الزهور ج٢ ص ٤٣ .
- (٢٤٥) امتد حقل العرب على من يق من الماليك حتى نهاية العصر العثماني ودخل نابليون مصر يوم أودع إبراهيم بك المملوكي أمواله وسرجه وأمن عليها بعض العربان جهة الصالحية ، وكان لقلوبهم ، لكنهم أفتوا سره لفرنسيين ، فبجائته حلة كاد إبراهيم بك ينتصر لولا أنه سمع بهيب العرب أمتعتهم وذاخرهم ، فترك القتال ومال عليهم بما شئت جهوده ، ويمكن لفرنسيين (بدائع الزهور الجبرق ج٢ ص ١٤ - ١٥) .
- (٢٤٦) كان إسـمـه « الوالي » يطلق في أول الأمر على نائب السلطان ، لكنه صار يطلق على من إليه « أمر أهل الجرامم من القصوص والحمازين وغيرهم ، وربما عرف باسم وال الحرب »

ومن واجبه كما يقول السبكي : « افحص عن المنكرات من الخمر والحشيش وليس له أن يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه ولا كبس بيوتهم بمجرد ائفال واثقال ، بل عليه أن يبحث سراً رجلاً ، مأموماً ، ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله ، وينتقد السبكي سياسة الولاية في عصره : « وما يفعله الولاية من إسراج العوام من بيوتهم ولذعاتهم ولذعاتهم وهتكهم ، كل ذلك من تعدى حدود الله أوظم وينصح الوال إذ ارتفع عقوبة بمنزب كالجلد مثلا ، أن يكون السوط معتدلاً بين التقصيب والحصار ، وألا يكون السوط رطباً ولا يابساً ، على أن يفرق السباط على الأضواء وينتق الوجه ، ويرى ابن تيمية أن الجلد الذي جاءت به الشريعة هو الجلد المعتدل - بالسوط الوسط ، فإن غيّر الأمور أسوأها ، قال على رضى الله عنه « ضرب بين ضربين وسوط بين سوطين ولا يكون الجلد بالصا ولا بالفارح » ، كما عليه ألا يقيم حد الخمر في السكر بل يؤخره حتى يفيق ، ومن الولاية من يأمر بالجلد ويشترط في الصلاة ويطلب فيها فيظل المضروب تحت المصا مادام الوال في الصلاة ، ومنهم من يجر بجفله ورجله على من يأتون منكرات ويشتدّهم ويفرض عليهم غرامات يسبها الولاية « التأديب والجنابات » ، وكل هذا مالا يعمد من الولاية . (معبد التمس ص ٥٤ - ٥٧ ، ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ٥٦ ، انظر وصية الوال باللاحق) .

(٢٤٧) بدائع الزهور ج ١ ص ٣٢٤ .

(٢٤٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢٤٩) العطلة : تابع الأصوات واعتلالها في الحرب أو حكاية صوت الفجان إذا قالوا عيط عيط ، ولعل القصد بها العيث والاستهارة بأمن الناس وأموالهم (القاموس المحيط) .

(٢٥٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٢٥١) غرر ج ٢ ص ١١٦ .

(٢٥٢) زاد خاير بك فيما يمد على عقوبة قطع اليد والرجل ، بأن كان يأمر بتطبيق يد السارق المقطوعة في عنقه ويشهره في القاهرة ، وقد طبق هذه العقوبة في أحد من العوام فسيط يسرق من جيب أحد الميانيين (بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٤٢ ، ج ٣ ص ١٧٧) .

(٢٥٣) بدائع الزهور ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢٥٤) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢٥٥) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢٥٦) بدائع الزهور ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ ، فتوح النصر ج ١ ورقة ١٠٩ .

(٢٥٧) فتوح النصر ج ١ ورقة ١٠٨ .

(٢٥٨) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٥٠ .

(٢٥٩) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٠ .

(٢٦٠) بدائع الزهور ج ٣ ص ٥٩ .

(٢٦١) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢٦٢) بدائع الزهور ج٣ ص ٥٩ .

(٢٦٣) يرجع هذا التعديل إلى غضب بعض الأمراء على كبير القضاة يومئذ الشيخ عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الأملج (المتوفى سنة ٨٦٦٥-١٢٦٦م) ، سبب عدم واقفته في حكم بريده ، فحسن السلطان هذا التعديل بحجة أن في هذا مصلحة وتوسعة للجساعير (النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٢٢ - ١٢٣ ، فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٨ ، الأعلام) .

(٢٦٤) دول الإسلام ص ٢٨ ، زبدة كشت الممالك ص ٩٠ - ٩١ ، معيد التيم ص ١ ، درة الإسلام ج٢ ورقة ٢٥ ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢٢ ١٢٣ ، فتوح النصر ج١ ورقة ١٠٨ ، ورقة ١٠٨ ، نهاية الأرب (مخطوط) ج٢٨ ورقة ٣٤ .

(٢٦٥) بدائع الزهور ج٣ ص ٣٠٧ .

(٢٦٦) زبدة كشت الممالك ص ٩٠ - ٩١ و ١٠٠ ، التصريف ص ١١٦ - ١١٨ ، معيد التيم ص ٧٠ - ٧١ .

(٢٦٧) أنقص هذا العدد في سنة ٨٩٢٧ (١٥٢٠م) زمن العباسيين في لياحة خاير بك في مصر ، إذ اتفق قضاة القضاة بأن يقتصر الواحد منهم على سبعة فواب بعدد أيام الأسبوع نظراً لفساد نواجم وأن يكون لكل نائب من السبعة شاهدان (بدائع الزهور ج٣ ص ٢٧٢ ، زبدة كشت الممالك ص ٩٠ - ٩١ .

(٢٦٨) مدحهم البعض بقوله : هم أناس نصبوا أنفسهم لئلا يحلوا حقوق الخلق . وذمهم البعض بقوله : هم أناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم (معيد التيم ص ٨٠) .

(٢٦٩) معيد التيم ص ٧٨ .

(٢٧٠) معيد التيم ص ٧٩ .

(٢٧١) المصدر السابق .

(٢٧٢) المصدر السابق .

(٢٧٣) ذمهم البعض بقوله .

فقوم إذا غضبوا كانت رماحهم
في الشهادة بين الناس بالسزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم
على السجلات والأملاك والسفور

(معيد التيم ص ٨٠ - ٨١)

(٢٧٤) توفى هذا القاضي سنة ٨٠١ (١٣٩٨م) .

(٢٧٥) التيسير والاختيار ورقة ١٧ .

(٢٧٦) معالم القرية الباب ٥٢ و ٥٣ (غير مرقم) .

(٢٧٧) صبح الأملج ج٢ ص ٢٠٤ .

- . (٢٧٨) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٢٩٤ .
- . (٢٧٩) غلط ج٢ ص ٧٧٤ ، ٢٢٤ .
- . (٢٨٠) غلط ج٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .
- . (٢٨١) غلط ج٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .
- . (٢٨٢) غلط ج٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٨ ، السلوك ج١ ص ٨٣٠ .
- . (٢٨٣) أنباء القمر ج٢ ص ١٠٤ .
- . (٢٨٤) السلوك مخطوط ج٢ ورقة ٣٢١ .
- . (٢٨٥) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٩ و ١٣١ و ١٥٤ .
- . (٢٨٦) مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٣٨٧ ص ١٢٩ و ١٣١ و ١٥٤ .
- . (٢٨٧) زبدة كشف الممالك ص ٨٦ .
- . (٢٨٨) الدر المنتخب ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
- . (٢٨٩) صبح الأعشى ج٦ ص ٢٠٨ .
- . (٢٩٠) السلوك مخطوط ج٣ ص ٢٦٨ .
- . (٢٩١) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٩ .
- . (٢٩٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٩ .
- . (٢٩٣) بدائع الزهور ج٢ ص ٢٦٥ .
- . (٢٩٤) التيسير والاختيار ورقة ١٧ .
- . (٢٩٥) بدائع الزهور ج١ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ و ٢٤٥ .
- . (٢٩٦) بدائع الزهور ج١ ص ٣٤٤ .
- . (٢٩٧) أنباء القمر ج١ ص ٦٣٧ .
- . (٢٩٨) بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٥ أنظر النقود في العروة الشامية .

الملاحق

القسم الأول

بعض ما كان يكتب في أوراق التوزيع الإقطاعي

أولاً - الدولة النورية

- ١ -

« منشور نور الدين محمود (الملك العادل) لكرامة بن بختر »

٥٥٥٦ - ١٦٦٠م^(١) وإمرة ٤٠ فارساً - « الحمد لله » (وهذه علامته)

لما لاذ بالخدمة وتقرب إليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخليفة بين يديها ، تقبل سعيه وأجيب إلى ملتصه ، ورسم له بإنشاء هذا المنشور ، مودعاً ذكر ما تائل له عن الإرعاء والاحترام والإعزاز والإكرام . . والعسنة أربعون فارساً وما أمكنه وقت المهمات الشريفة . .

وجهاته : غالب قرى العزب ، ومن غير العزب : القنيطرة^(٢) من البقاع ، ظهر حمار من وادي التيم ، ثعلبايا^(٣) من البقاع أيضاً ، برجة من صيداء المعاصير^(٤) ، ومنها : المعاصر القوقاء ، الدامور ، شارون^(٥) ، مجد لبغا وكفر عمية^(٦) . التاريخ سابع شهر رجب سنة ٥٥٦ هـ^(٧) :

ثانياً - الدولة الأيوبية

- ٢ -

« منشور صلاح الدين بحمال الدين بن حجي بن كرامة بن بحتر »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحمد لله على نعمائه »

(ومن مضمونه بعد الترجمة) :

« بإجراء الأمير جمال الدين حجي بن كرامة على ما بيده من جبل بيروت ، من أعمال الدامور ، لما وصل إلى الخيمة السلطانية وتحققنا ما جرى عليه من جانب الكفار ، نخلطم الله ، وهو ملكه ورثه عن أبيه وجده ، وهي : سر حمور وعين كسور ورمطون والدوير وطرذلا وعين درافيل وكفر عمية وذلك حبساً منا عليه واحتساباً إليه بمناصته ، وخدمته ونهضته في العدو المتأخر له . »

« وكتب بأرض بيروت في العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ٥٨٣ هـ »

(١١٨٧ م) (٨) . »

- ٣ -

نسخة توقيع بإقطاع العادل أبي بكر كتبها له صلاح الدين الأيوبي

سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) :

الحمد لله الذي جعل أيماننا حسانا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطاب
عقدنا أوراقتاً ، وأغصانا ، ورفع عهدنا لواء وجلدنا برهانا ، وحقق فينا قوله :
« سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً » .

نعمه على سبوغ نعمته ونسأله أن يجعلنا من الداخلين في رحمته ،
ونصلي على رسوله محمد الذي أيدته بحكته وعصمه من الناس بعصمته ، وأخرج
به كل قلب من ظلمته وعلى آله وأصحابه الذين خلفوه فأحسنوا الخلافة في أمته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة بأوى بعضها إلى بعض لمكان قربه ،
ويؤثر بعضها بعضاً من فضل شربه ، ونحن أهل بيت عرف منا وفاق القلوب
وداً ، وإيثار الأيدي رفداً ، وذلك وإن كان من الحسنات التي يكثر فيها إثبات
الأقلام ، فإنه من مصالح الملك التي دلت عليها تجارب الأيام ، وكلا هذين
الأميرين مشكورة مذاهبه ، محمودة عواقبه ، مرفوعة على رموس الأشهاد
مناقبه ، وما من أحد من أدانينا إلا وقد وسمناه بمعارف يختال في ملابسها
ويسر في كل حين بزفاف عرائسها ، ولم نرض في بل أرحامهم بمواصلة
سلامها دون مواصلة برها وإدناء مجالها ، ولإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ،
كما أن هم منا رحماً هو أقرب الأرحام ، وقد أمرنا بتجديد العارقة لأخينا
العادل الأجل السيد الكبير ، سيف الدين ناصر الإسلام « أبي بكر » أبقاه الله ،
لو لم نفعل ذلك قضاء لحق إخوانه الذي ترف عليه حوائى الأضالع ففضلناه
جزاء لدائع خدمه التي هي نعم النرائع فهو في لزوم آداب الخدمة بعيد وقف
منها على قدم الاجتهاد ، وفي لحمه شوايك النسب قريب وصل حرمة الوداد ،
وعنده من الغناء ما يحكم لآماله ببسطة الخيار ، ويرفع مكانته عن مكانة الأشباه
والأنظار ، ويجعله شريكاً في الملك ، والشريك مساو في النقض والإمرار ،
فكم من موقف وقته في خدمتنا ، فجعل وعره سهلاً ، وغار فيه برضائنا
وبفضيلة التقدم فانقلب بالهبة في إرضاء وفضلا ، ويكنى من ذلك ما أهلاه
في لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هياجه ، وتمادى في بلجائه ، ونزل
على ساحل البحر ، فأطل عليه بمثل أمواجه ، وقال : لا براح دون استفتاح ،
الأمر الذي عسرت معالجه رتاجه ، وتلك وقائع استضائنا فيها برأيه الذي
ينوب مناب الكمين في مضمرة وسيفه الذي ينسب من الاسم إلى أيضه ،
ومن اللون إلى أخضره ، ولقد استغنينا عنهما بنصرة لقبه الذي تولت يد الله

طبع فضله وعين يد السيادة برونق صقله ، فهو يغرى قلوب الأعداء قبل الأجساد ويسرى إليهم من غير حامل لمناط النجاد ، ويستقصي في استلابهم حتى ينزع من عيونهم لذة الرقاد ، وليس للحديد جوهر معدنه المستخرج من زكاه الحسب ، وإذا استجد قيل له : يا ذا المعالي ، كما يقال لسميه : يا ذا الشطب ، ولو أخذنا في شرح مناقبه لظل القلم واقفاً على أعواد منبره وامتد شأو القول فيه فلم ينته مورده إلى مصدره ، فهما خولناه من العطايا فإنه يسير في جنب غنايه ، ومهما أئنا عليه فإنه سطر في كتاب ثنائه .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقسم من الديار المصرية والشامية وبلاد الجزيرة وديار بكر ليكون له من كل منها حظ تفيض يده في أمواله ، ويركب في حشد من رجاله ، ويصبح وهو في كل جانب من جوانب ملكتنا كالطليعة في تقدم مكانها وكالريثة في إسهار أجنائها .

فليسلم ذلك بيد معظم قعدا ، ولا يستكثر كترأ ، ويحمل منها رفقها غيثاً أو بحرأ ، وكذلك قليعدل في الرعية الذين هم عنده ودائع وليجاوز بهم درجة العدل إلى إحسان الصنائع ، فإذا أسند هذا الأمر إلى ولاته ، فليكونوا نفاه لا يجد الهوى عليهم سبيلا ولا يحمد الشيطان عندهم مقبلا ، وإذا حملوا ثقلا لا يجدون حمله ثقيلا .

وقد فشا في هذا الزمن الرشوة ، وهي صحت أمر رسول الله (ص) ببنه ونهى عن أخذه وعن الرغبة في تداوله ، وهو كأخذ الربا قرنت اللعنة بمؤكله وآكله .

وأما القضاة الذين هم للشرعة أوتاد ، وإمضاء أحكامها أجناد ، ولحفظ علومها كتوز لا يتطرق إليها التفاد ، فينبغي أن يعول فيهم على الواحد دون الاثنين . وأن يستعان منهم في الفضل بنى الأيدي وفي اليقظة بنى اليدين ، ومن رام المنصب سائلا قليلمه ، وليفظ القول في تجرير ملامه ، وليعرف أنه ممن رام أمراً فأخطأ الطريق في استجلاب مرامه ، وأمر الحكام لا يتولاه من سأله ، وإنما يتولاه من غفل عنه وأغفله .

وإذا قضينا حق الله في هذه الوصايا ، فلتحفظها على ما يكون لها تابعاً
 ولتواعد الملك رافعاً ، وذلك أن البلاد التي أضفناها إليك : فيها مدن ذات
 أعمال واسعة ومعازل ذات حصانة مانعة ، وكلها يفترض إلى استخدام الفكر
 في تدبيره ، وتصريف الزمان في تعميره ، فول وجهك إليها غير وان في
 تكثير قلبها وترويض مخيلها ، وبث الأمانة على أوساطها ، وإهداء النقطة
 إلى أفئدة أهلها حتى تسمع باغتيابها وعند ذلك يتحدث كل منهم بلسان
 الشكور ، ويتمثل بقوله تعالى : « بلدة طيبة ورب غفور » .

واعلم أنه يجاورك في بعضها جيران ذوو بلاء وعساكر وأسرة ومناير
 وأوائل للمجد وأواخر ، وما منهم إلا من يتمسك منا بود سليم وعهد قديم ،
 وله مساعدة تعرف له حفا ، (والحق يعرفه الكريم) .

فكن لهؤلاء جاراً يودون جواره ويحمدون آثاره ، وإن سألك عهداً
 فابذله لهم بذلك وفي واقف على السن ، مساو بين السر والعلن ، ولا يكن
 وفاؤك تخوف تنق مراصده ، ولا لرجاء ترقب فوائده ، فانه قد أغناك
 أن تكون إلى المعاهدة لاجياً ، وجعلك بنا مخوفاً ومرجواً لا عائنماً ولا راجياً ،
 وقد زدناك فضلة في ملكك تكون بها على غيرك مفضلاً ، وقد كنت من قبلها
 أغر فأوفت بك أغر محجلاً وذلك أنا جعلناك على آية الخيل تقودها إلى حوض
 الغمار ، ربحرفها في منازل الأسفار ، وترتب قلوبها وأجنحتها على اختلاف
 مراتب الألوام . فنحن لا نلقى عدواً ولا نهد إلى بلد إلا وأنت كوكبتنا الذي
 نهتدي بمطلة ، ومفتاحنا الذي نستفتح المغلق يمين موقعه ، ونوقن بالنصر
 في ذهابه وبالغنيمة في مرجعه والله يشرح لك صدرأ وييسر لك منا أمراً ،
 ويشد أزرنا لك كما شد لموسى بأخيه أزرأ ، والسلام .. (٩) .



نسخة توقيع بإقطاع كتب بها لأمير طراً على الدولة الأيوبية ودخل في خدمتها

أما بعد ، فإن لكل وسيلة جزاء على نسبة مكانها ، وهي تتفاوت في أوقات وجوبها ومقابل ميزانها ، ومن أوجبها حقاً وسيلة الهجرة ، التي طوى لها الأمل من شقته ما طوى ، وبعث بها على صدق النية (ولكل امرئ ما نرى) ، فالأرطمان إليها مودعة ، والعلوات مرسمة ، والوجوه من برد الليل وحر النهار ملقعة ، وقد توخاها قوم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحفظوا في الدنيا باعتلاء المنار وفي الآخرة بعقبى الدار ، وقدموا على من آوى ونصر فقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، ثم صارت هذه سنة فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام ، واستبدل بأنام عن أنام ، وكذلك فعلت أيها الأمير (فلان) ، وفقك الله ، وقد نلتقيت هجرتك هذه بالكرامة ، وزخرفت لها دار الإقامة فما ابتغيت بها بغية إلا سهلت لك فجاجها أو عاج معاجها وحمد إليك تأويها وإدلاجها ، وأصبحت وقد وجدت خفصاً غب السرى ، وخيظت منك الخفون على أمن الكرى ، وتبوات كنف الدولة التي هي أم الدول إذ صرت إلى القرية التي هي أم القرى ، ونحن قد أدنينك منا إثناء الخليط والعشير ، ورفعناك إلى محل الاختصاص الذي هو المحل الأثير ، وآخينا بينك وبين عطايانا ، كما وصى بين الصحابة النبوية يوم الغدير .

هذا ولك وسيلة أخرى تعد من حسان المناقب ، وتوصف بالصفات الأطايب وما يقال إلا أنها من الأطواد الرواسي ، وأنها تبرز في اللباس الأحمر وغيرها لا يبرز في ذلك اللباس ، وهي التي تجعلك بوحدها في كثرة وتتأمر بها من غير إمرة ، وطالما أطالت يدك بمناط البيض الحداد ، وفرجت لك ضيق الكر وقد غص بهوادي الحياض ، وحسفتك العيون وقد رميت منك بشرق

القذا ونبوة الشهاد ، ومن شرف الإقدام أن العدو يجب العدو من أجله
ويضطره إلى أن يقر بفضلته ، ومد وصلت إلينا وصلناك بأمرنا الذين سلمت
أيامهم وثبتت في مقامات الغناء أقدامهم ، أوتوسنا بك الرجل الذي يزكو
لديك الصنيع وأنتك ستشفعه بحقوق خدمتك التي هي ثم الشفيح .

وقد عجلنا لك من الإقطاع مالا نرضى أن تكون عليه شاكرأ ، وجعلناه
لك أولاً وإن كان لغيرك آخرأ ، وهو مثبت في هذا التوقيع بقلم الديوان الذي
أقيم لغرض الهند كتابأ ، ولمعرفة أرزاقهم حسابأ ، وهو كذا وكذا .

فتناول هذا التحويل الذي خولته باليمن ، واستسك به استسك
الفضين ، واعلم أنه قد كثرت الحواسد لما مددنا من صنعك ووسطناه من ذرعك
فاشج حلوهم بالسعي لاستحقاق المزيد ، وارق في درجات الصعود والزمام
صفحة الصعيد .

والذي نأمرك به أن تعد نفسك للخدمة التي جعلت لها قرناً وأنت بها
وأن تنهى فيها إلى الأمد الأقصى دون الأدنى ، فلا تضم جناحك إلا على
قوادم من الرجال لا على خواف وإذا استنشرت فانقر بقال من الخيل وخفاف
وكن مذخورأ لواحدة يقال فيها : يا عزائم اغضبي ويا خيل النصر اركبي ،
وتلك هي التي تنظلم بها الجماجم من الضراب ، وتلاق فيها عصب الغريبان
والذباب ، ولا يحتاج مع هذه إلى منقبة تنجمل بتفويقها ، وتتكثُر بتعريفها ،
وتنتمى إلى تليدها باستحداث طرفيها .

والله تعالى يشد بك أزراً ، ويملأ بك عيناً وسدراً ، ويجعل الفلج
مقروناً برأيك ورايتك حتى يقال : • مكروا مكراً • وجردنا بيضاً وسمرأ ،
والسلام إن شاء الله تعالى . . . (١٠) .



نسخة توقيع بإقطاع في العهد الأيوبي لأحد الأمراء الصغار

وهي أقل مرتبة من النوعين السابقين

القلم والرمح قلماهما أسمر ، وكما تشابها في المنظر فكذلك تشابها

في الخبر ، غير أن هذا يركب في عسكر من القول ، وهذا يجعل في عسكر ،
وقد نطق أحدهما بالثناء على أخيه فأحسن في نطقه ، وأقر له بالفضيلة ومن
الإنصاف أن يقر لدى الحق بحقه غير أن هذه الفضيلة تعزى إلى من يقيم أود
الساعي بتقويم أوده ولا يرى لها سيلاً قصداً إلا بالوطء على قصده ، وهو أنت
أيها الأمير فلان أيدك الله .

وقد اخترناك لخدمتنا على بصيرة وأجريناك من اعتنائنا على أكرم
وتيرة ، ورفعنا درجتك فوق درجة الملل لمن سبقك وإنها لكبيرة .

ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو
كشف النطاء لم يجد اليقين من زيادة فطالما عجمت نبتك ، وتيمنت طلعتك
ولم تعرض سلعة الغناء إلا تنفت سلعتك ، ومثلك من تباهى الرجال بمكانه ،
وتحلى له فضله عنائه ويتسع ميدان القول في وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه ،
وما يقال إلا أنك الرجل الذي تقلد الجانب المهم بعزمك ، وترى برأيك
قبل رما سهمك ، وبك يحسر دجى الحرب الذي أعوزه الصباح ، ويحسى
عقابها أن يحصى له جناح ، فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد ، وأنت
الواحد المشار إليه ، ولا تكثر إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون بسم الله في صدر الكتاب ، وجعلناه
كالغمامة التي تأتي أولاً بالقطار ثم تأخذ في الانسكاب ، وخبر العطاء ما رب
بعد ميلاده وأنبع ثمره بعد جداده ، وإن صادف ذلك وسائل خدم مستأنفة
كان لها قراناً وصادف الإحسان منه إحساناً ، وقد ضمن الله تعالى للشاكرين
من عباده مزيداً ، ولم يرض له بأن يكون مبدئاً حتى يكون معيداً ، وكذلك
دأبه فيمن عرف مواقع نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم يعدها بسقمه .
ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم ، وألزم نفسه أن تتحل بخلقه
وإنه للخلق العظيم ، وعطاؤنا المنعم به عليك لم يذكر في هذا التوقيع على حكم
الامتنان بل إثباتاً لحساب الجند الذين هم أعوان الدولة ولا بد من إحصاء
الأعوان ، وهو كنا وكذا .

فأمدد له بدأ تجملاً من الشكر مواظبه ، ومن الطاعة مراقبه ، وكن في التأهب للخدمة كالسهم الموضوع في وتره ، وأصخ بسمعك وبصرك إلى ما تؤمر به فلا اتّهار لمن لم يصخ بسمعه وبصره .

وملاك ذلك كله أن تتكثّر من فرسان الغوار وحماة النعمار والذين هم زينة سلم ومفرغ حذار ، ومثل هؤلاء لا يضمهم جيش إلا تقدمه جيش من الرعب ، ودارت منه الحرب على قطبها ولا تدور رحى إلا على قطب ، وإذا صاروا خلف رايتك نشرت ذوائبها على غابة من الآساد ، وخفقت على بحر من الحديد يسير به طود من الحياذ .

ومن أهم الوصايا إليك أن تضيف إلى غنائهم غنى يبرزهم في زهرة من اللباس ، ويعينهم على إعداد القوة ليوم البأس ، ويقصر لديهم شقة الأسفار التي تذهب بزقات الشماس ، وينقطع دون قطعها الأتفاس ، وأى فائدة في عسكر يأخذ بعد المسرى في حوره ، ولا يزيد صبره بزيادة سفره ، ويكون حافظه وخفه سواء في انتساب كل منهما إلى شدة حجرة .

فانظر إلى هذه الوصية نظر من طال على صحبه بالكف الأوسع ، وعلم ما يضر فيهم وما ينفع ، والله بمنحك من لده توفيقاً ، وبسلك بك الحسنى طريقاً ، ويجعلك خليفاً بما يصلحك وليس كل أحد بصلاحه خليفاً والسلام^(١١) .

— • —

« منشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز سلطان دمشق^(١٢) لجمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي أحد أمراء الغرب ٨٦٥٠ = ١٢٥٢ م »

•
« الحمد لله على نعمائه »

جهاته : عرامون - عين درافيل - طردلا - عين كسور -
رمطون - قدرون - مرتغون - الصباحية - سرحمون - عيناب
عين عتوب - اللوير - تاريخه ٦٥٠ هـ (١٣)

ثالثاً - القول

- ١ -

منشور هولانكول جمال الدين حجي المذكور سابقاً في ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م
« مالك بسيطة الأرض هولانكو خان زبديت عظمته »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« توكلت على الله »

رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي السعيدى المجيدى زاد الله
في علالته وضاعف مواد نفاذه ومضائه ، أن يجرى في إقطاع الأمير الأجل
الأوحد الأعز المختار جمال الدين عمدة الملوك والسلاطين حجي بن محمد بن
أمير الغرب أدام الله تأييده وتمكينه وتمهيدته ما رسم له به من الإقطاع ما تضمنه
المنشور الناصري الذي بيده ، وتاريخه ٧ رجب سنة ٦٥٨ هـ (١٤) .

(جهاته المذكورة في المنشور السابق) .

رابعاً - عصر المسالك

أ - الإيمان

« بين شريف يستحلف بها للمبايعة العامة وتتضمن الولاية للسلطان والطاعة وأداء الالتزامات الواجبة » :

- ١ -

« أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وتالله وتالله وتالله ، وبالله وبالله وبالله ، والله العظيم الذى لا إله إلا هو البارى الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر والعلاية وما تحتى الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت والحازى لها بما عملت وحق جلال الله وقدرته الله وعظيمة الله وكبرياء الله وسائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، إني من وقى هذا وما منه الله فى عمرى قد أخلصت نيتى ولا أزال مجتهداً فى إخلاصها وأصفيت طوبى ولا أزال مجتهداً فى إصفاها فى طاعة مولانا السلطان (ويذكر لقبه ونسبه) خلد الله ملكه ، وخدمته وعبته وامثال مراسمه والعمل بأوامره ، وإني والله العظيم حرب لمن حاربه ، سلم لمن سألته ، عدو لمن عاداه ، ونى لمن والاه من سائر الناس أجمعين وإني والله العظيم لا أضمر لمولانا السلطان بنسبه سوءاً ولا غدرأ ولا مكرأ ولا خديعة ولا خيانة فى نفس ولا مال ولا سلطنة ولا قلاع ولا حصون ولا بلاد ولا غير ذلك ، ولا أسعى فى تفريق كلمة أحد من أمراته ولا بماليكه ولا عساكره ولا أجناده ولا عربانه ولا أكراده ولا استماله طائفة منهم لغيره ولا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولا نية ولا مكانة ولا مراسلة ولا إشارة ولا رمز ولا كتابة ولا تصريح . فإن جاء فى كتاب من أحد من خلق الله بما فيه مضرة على مولانا السلطان وعلى دوله لا أعمل به ولا أصغى إليه ، وأجعل الكتاب إلى بين يديه الشريفة هو ومن أحضره إن قدرت على

إسماكه ، وإننى والله العظيم أرى لمولانا السلطان بهذه العيين من أولها إلى آخرها لا أنقصها ولا شيئاً منها ولا أستثنى فيها ولا فى شىء منها ، ولا أخالف شرطاً من شروطها ، ومتى خالفها أو شيئاً منها أو استغثت فيها أو فى شىء منها طلباً لنقصها ، فكل ما أملكه من صامت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين وكل زوجة فى عقد نكاحه أو يزوجه فى المستقبل طالق ثلاثاً بتاتاً على سائر المناهب ، وكل مملوك أو أمة فى ملكه أو يملكهم فى المستقبل أحرار لوجه الله تعالى ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ، بمكة المعظمة والوقوف بعرفة ثلاثين حجة متواليات متتابعات كوامل حافياً حاسراً ، وعليه صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها ، وعليه أن يفك ألف رقبة مؤمنة من أسر الكفار ويكون يريئاً من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ومن دين الإسلام إن خالفت هذه العيين أو شرطاً من شروطها .

وهذه العيين يمى وأنا فلان والنية فيها بأسرها نية مولانا السلطان فلان ، ونية مستحلى له بها لانية لى فى باطنى وظاهرى سواها ، أشهد الله على بذلك وكفى بالله شديداً ، والله على ما أقول وكيل . .
(ويكتب الخالف اسمه فى الموضعين بخطه أو بخط من يكتب عنه إن كان ممن لا يكتب (١٥) .



- ٢ -

الزيادات التى تضاف إلى هذه العيين العامة إلى أبواب الوظائف المختلفة
حسب نوع كل وظيفة



يزاد فى تحليف :

- نواب القلاع :

• وإننى أجمع رجال هذه القلعة (يسمى القلعة التى هو فيها) على طاعة مولانا السلطان فلان وخدمته فى حفظ هذه القلعة وحمايتها : وتحصيتها والذب

عنها ، والجهد دونها والمدافعة عنها بكل طريق وإني أحفظ حواصلها
 وذاخرها وسلاح خاناتها على اختلاف أنواع ما فيها من الأتومات والأسلحة
 وإني لا أخرج شيئاً إلا في أوقات الحاجة والضرورة الداعية المتعين فيها
 تفريق الأتومات والسلاح على قدر ما تدعو الحاجة إليه وإني أكون كواحد
 من رجال هذه القلعة وكل واحد ممن يتبعني كواحد ممن يتبع أتباع رجال
 هذه القلعة لا أخصص ولا أمكن من التخصيص وإني والله والله والله لا أفتح
 أبواب هذه القلعة إلا في الأوقات الجارية بها عادة فتح أبواب الحصون وأغلقها
 في الوقت الجارى بها المادة ، ولا أفتحها إلا بشمس ولا أغلقها إلا بشمس ،
 وإني أطالب الحراس والدراجة وأرباب التوب في هذه القلعة بما جرت به
 العوائد اللازمة لكل منهم ، مما في ذلك جميعه مصلحة مولانا السلطان فلان ،
 ولا أسلم هذه القلعة إلا لمولانا السلطان فلان أو بمرسومه الشريف وإمارته
 الصحيحة وأوامره الصريحة وإني لا أستخدم في هذه القلعة إلا من فيه نفع
 هذه القلعة وأهلها الخليفة ، لا أعمل في ذلك بغرض نفسي ، ولا أرخص
 فيه لمن يعمل بغرض نفسه له ، وإني أبذل في ذلك كل الجهد وأشعر فيه عن
 مساعد الحد (١٦) .

• اللوادارية وكتاب السر

يزاد تحليفهم : • وإني مهما اطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان
 فلان - خلد الله ملكه - ونصائحه وأمر داني ملكه ونازحه ، أوصله إليه
 وأعرضه عليه ولا أخفيه شيئاً منه ولو كان على ، ولا أكتمه ولو خفت وصول
 ضرره إلي (١٧) .

• اللوادار

يفرد اللوادار : • وإني لا أؤدي عن مولانا السلطان رسالة في إطلاق
 مال ، ولا استخدام مستخدم ، ولا إقطاع إقطاع ولا ترتيب مرتب ،

ولا تجديد مستجد ، ولا شاد شاغر ، ولا فصل منازعة ولا كتابة توقيع
ولا مرسوم ولا كتاب ، صغيراً كان أو كبيراً إلا بعد عرضه على مولانا
السلطان فلان ومشاورته ومعاودة أمره الشريف ومراجعته (١٨) .

● كاتب السر

يفرد كاتب السر : إته مهما تأخرت قراءته من الكتب الواردة على
مولانا السلطان فلان من البعيد والقريب ، يعاوده فيه في وقت آخر فإن لم
يعاوده فيه بمجموع لفظه ، لطوله الطول الممل ، عاوده فيه بمعناه في الملخصات ،
وإته لا يجاوبه بشيء لم ينص المرسوم الشريف فيه بنص خاص ، ومالم تجر
العادة بالنص فيه لا يجاوب فيه إلا بأكل ما يرى أن فيه مصلحة لمولانا السلطان
فلان ومصلحة دولته بأسد جواب يقدر عليه ويصل اجتهاده إليه ، وإته مهما
أمكنه المراجعة فيه لمولانا السلطان فلان راجعه فيه وعمل بنص ما يرسم له
به فيه (١٩) .

● النواب

يزاد في تحليفهم : « ولا أصعب في تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته
الشريفة وعلى أن أبذل جهدي وطاقتي في ذلك كله وفي حفظ المملكة التي
استأبني فيها ، وصيانتها وحمايتها وما بها من القلاع والثغور والسواحل » .
ثم يأتي بعده : « وإن كاتبني أحد . . . الخ . . . » (٢٠) .

ب - الوصايا

نائب السلطنة

« يوصى » بتقوى الله وتنفيذ الأحكام الشرعية ومعاودة حكامها واستخدام السيوف لمساعدة أعلامها ، وأقصد العاكر المنصورة وعرضها وإنهاضهم لتوافل الخلدمة وفرضها ، والتخير للوظائف وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها وإطابة قلوب سكانها ومعاودة مباشرة الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها وتحسين ما لديه وتحسين كل ما أمره إليه واستطلاع الأخبار والمطالعة بها والعمل بما يرد عليه من المراسم المطاعة واتمسك بسببها وأنه مهما أشكل عليه يستضيء فيه بنور آرائنا العالية فهو يكتفيه ومن قتل من الهند أو مات وخلف ولداً يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بمخلفيه ويقال من هذا ما يقوم بهام الغرض ويوفيه» (٢١) .



وصية أستاذ الدار أو الأستاذار

« وليتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها وليرتبها في الخلدمة على ما يجب وينظر في أمورهم نظراً لا يتخفى معه شيء مما هم عليه ولا يحتجب ، وليبدأ بهم السباط المقدم الذى يندم وما يتنوع فيه من كل مطعم وما يمد فيه في كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارئ التى لا يبعدها الحد ، ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذى منه ظهور تلك الغنائى ووفاء ذلك الكرم المواقى ، والتقدم إلى الأبناء والمشرفين فيه بأمانة الإنفاق وصيانة المأكل مما يعاب على الإطلاق ، ثم أمر المشروب وما تعلق عليه أبواب الشربحاناه السعيدة من نطائف مأكول

ومشروب وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا عز المطلوب ومراجعة الأطباء
فيا تجرى عليه قوانينها وتشب لطبخه من جمر البواقيت كوانيتها ، وإفراز
ما هو للخاص الشريف منها وما هو للثفرة وما لا يصرف إلا بخط الطيب
ولا يسلم إلا إلى ثقة ، ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزنة اللباس وموضع
ما تبرز به من الزينة للناس وما يحتاج إليه من آلات التطيب وما يعين لها
من الصابون وماء الورد والطيب وغير ذلك من بقية ما هي مستقرة ويؤخذ
منها مستلثة ، ومن يستخدم بها ممن يرى من الرب يعرف بالعفاف والأدب
وعلم أنه من أهل الصيانة وعلى ما سلم إليه ومن خالطه الأمانة ثم الفراش
خاتناه وما ينصب فيها من الحيام وما يكون فيها من فرش تفر وتقام وشع
بفضض كافور كافورية أبنوس الظلام ، ثم غلمان الإصطبل السعيد والتجاية ،
وإن كان إلى سواء استخدامهم ولدى غيره مستقرهم ومقامهم لكنهم ما خرجوا
من عديده ولا يروقهم ويروعهم لإحسن وعده وحنن وعيده ، ثم المناجات
السلطانية وما بها من جمال وما يسرح فيها من مال وجمال ومن يستخدم
فيها من سيروان ومهمرد وما فيها من قطار مزوج وفرد ، فيوفر لهذه الجهة
نصيياً من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار وتفرقت كالسحب
يلزمها القطار القطار ، وليكونوا على باله فإنهم يسرقون الدرّة الكحل من
العين ومهم الذهب العين محملا بالقطار فليحسن منهم الارتياح وليتخير أرقهم
أفتة ، فإنهم بكثرة ملازمهم للإبل مثلها حتى في غفط الأكباد وطوائف
المعاملين والأبقار ومن عليها من العاملين ، وزرائب الغنم وخولتها ورعاها ،
وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها وتنفقات الأمراء المالك
السلطانية في إهلال كل هلال وما بصرف في كساويهم على جاري عاداتهم
أو إذا دعت إليه ضرورة الحال وما يأخذ عليه حظه من وصولات تكذب
واستدعاءات تحسب من لوازمه وهي للكثرة لا تحسب فليكن لهذا كله مراعيأ
ولأموره راعيأ ، ولما يجب فيه دون مالا يجب مستدعياً أو إليه داعياً ،

وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم وبأمره يؤخر من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم وعصاه على الكل محمولة ، على الرقاب مبسوطة في العفو والعقاب ومكانه بين أيدينا حيث نراه ويراه ولدينا قاب قوسين أو أدنى من قاب ، وعليه يتقوى الله فيها تمام الوصايا وكمال الشروط والأمر بها فعصاه محكمة وأمره مبسوط ، وكلما يناط بها من خاصة أمورنا في بيتنا عمره الله ببقائنا وزاد تعميره بتدبيره منوط ، (٢٢) .

• وصية مقدم المالك السلطانية •

« وليحسن إليهم وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يخيل إليهم بها أنه معهم وخلفها وبين يديهم ، وليلزم مقدم كل طبقة بما يلزمه عند هشيم صدقاتنا الجارية عليهم من ترتيب الطباقي وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ، ولا ينسى السواق وليكن لأحوالهم متعهداً ولأموارهم متفقداً ، وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيرة ، وليعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم إن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيرة ، وليأمر كلا منهم ومن مقدميهم والسواقين بما يلزمهم من الخدمة وليرتبهم على حكم مكانتهم منا ، فإن تساوا فليقدم من له قدمه ، وليعدل في كل تفرقة وليحسن في كل عرض وتفقة وليفرق ما لهم من التساوي ويسبل عليهم رداء الشفقة ، وليعد منهم لغابنا الحمى سباعاً تفرس العادية ، وليحمل النظر في أمر الصغار منهم والكبار أصاب الطبقات العالية ، وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتادة ، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العادة ، وليدبرهم في أوقات اليياكر والأسفار نطاقاً دائر الدهليز المنصورة . . ، وليأمرهم أمراً عاماً بالأا يركب أحد منهم إلا بلمستور ولا ينزل إلا بلمستور ، وليحرز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفاً بالخبر ويقم عليه الغلمان ، وليحرز على من دخل عليهم وخرج ولا يفسح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ولا يدع للرية مجالاً للاضطراب ، وليوص

مقدمهم بتفقد ما يدخل إليهم ، فإن الغش أكثره من الطعام والشراب ، وليدم مراجعتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب ويعمل بما تأمره به ولا يجد جوى في جوابه (٢٣) .

« وصية أمير آخور »

« وليكن على أكل ما يكون من لزاجة الأعذار ، والتأهب للحركات الشريفة في ليل كان أو نهار ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور والأبداً فالأبداً من تقديم مراكبنا السعيدة وتهيئة موكبنا المنصوب وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد وتحصيل ما تدعو إليه الحاجة على قدر الكفاية والزوائد والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة والحشارات السعيدة وخيل البريد والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد وما يجتمع في ذلك وينقسم وما يركب منها ويجنب مما يسم الأرض باليدور الأهلة من كل حافر ومنس ، وما هو برسم الإطلاق وما يعد لمالك الطباقي وخيل البلاد ، وما يجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويجيء من كل بلد من البلاد والمشتري مما يباع من الموارث ويستعرض من الأسواق وما يعد للمواكب والسباق . وليجعل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات أو الاحتراز في البلاد مما لعله يبدل ويقال : - هو هذا - أو يؤخذ بحجة أنه مات وليجهد في تحقيق ما تفق وليحرره على حكم ما يشق عنه لأجل ما اتفق ، وكذلك يكن فحسه عن يستخدم عنده من الغلمان ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان ، ولا يستخدم إلا من تشكر سيرته في أحواله وتعرف خبرته فيما يراد من أمثاله ، وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أئنة هذه الكرائم ، و التحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم ، والأوشاقية الذين هم مثل مماليكه وهم في الحقيقة إخوانه ، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه ، وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك ويعلمهم ما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك ولا يسمح لأحد منهم في أمر يفضي إلى إعتلال

ولا يقتضى فرط إدلال وليم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال ، وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطهم لما طار في أيام من تقدم على أمثالهم من سوء السمعة ويتخوف منهم السرعة فليكن لهم منك أعظم زاجر ، ومن شكا إليك منهم سارع إلى التكيل به وبادر وأشهر من فعلك بهم ما يوجب منهم الطمأنينة ولا يعود أحد بعده يكذب بيقينه ، وأمرآ آخورية الذين هم أتباعك وبهم يمتد باعك بحسب ما يجعلهم بصدده وما منهم إلا من يقدر يتعدى حده في مقام قدمه ويسط يده فأجعل لكل منهم مقاماً معلوماً وشيئاً يجعل له فيه تحكياً وتضمن الخيول المشرى والتفادم . قومها بأهل الخبرة تقويم عدل وقل الحق ولا يأخذك فيه لوم ولا عدل وما يصرف من العليق برسم الخيول السلطانية ومن له من صدقاتنا الشريفة عليق مر بصرفه عند الاستحقاق واضبطه بالعليق، وتصرف في ذلك كله ولا تنصرف إلى تصرف شفيق، وصته بأقلام جماعة الديوان ولا تقع في غير أوقات الضرورة برفيق عن رفيق وكذلك البراسيم السنوية أصلاً وزيادة ولا تصرف إلا ما تأمر به وإلا فلا تخرج فيه عن العادة ونزولا من إكراه العربان ، عاملهم بالجميل وزد في أخذ حواطيرهم ولو يبسط بساط الأتس لم فما هو قليل لتضاعف رغبتهم في كل عام ويستدلوا ببشاشة وجهك لهم على ما بعده من الإنعام ، وبغال الكوسات السعيدة والأعلام المنصورة وأبغال الخزانة العالية المعمورة اجعلها من المهمات المقدمة والمقدمات لتتأج أيام التصر المعملة ورتبها في مواقفها وأتمها آتم ما يكون من وظائفها ، فيها تثبت موائف العسكر المنصورة وإلها بأوى كل مستظل ورحى الحرب تدور ، وغير ذلك من قماش الإصطبلات السعيدة من الذهب والفضة والحريير وكل قليل وكثير باشره مباشرة من لا يتخلى وأحصه خرجاً ودخلاً وإياك والأخذ بالرخص أو إهمال القرص أو طلب فايت جرم أمهته حتى نكص (٢٤) .



« وصية أمير عرب »

« والتقوى درعك الحصين والشرع الشريف سيئك المين والحدود والقصاص بهما تمنع الحارم ، والجهاد فإن فيه شفاء لصدور الصوارم ، فاقتد بالإنصاف زمام زمانك واثن إلى الحق عنانك ، وفرغ فكرك لمصالح الإسلام وامنع كل طارق حتى الطيف في الأحلام ، ومزق بعزمك جلايب الديجور ، ومزق بقوتك والصبح بالكوكب الدرى منحور ، واستعلم أخبار العدا في طليعة كل صباح وتأهب لهم غرب يوم يجيء بوجه وقاح ، واثبت في اللقاء ثبات مجرب وتطلع إلى جموعهم اله، كم نأظر إليها مع الصبح نجم مغرب ، ولا تفارق من وجه البلاد وسيا ولا تشم من غير الطيبة نسيماً ، إذا نزلت على الباب فلا تطلب سوى البراعة له قسيماً ولا تستبدل بالفرات إرداً ، ولا تتبعك المناظر إذا أرسلت طرفاً إلى سواها رائداً ، واضرب قارعة الطريق خيامك وانشر للمعطين محامك وطب دخانك إلى السماء وابسط حزامك واقبل على الذكر الجميل فكل شيء غاد ورائح ، وأنزل بساحتك الضيوف وانحر لهم كوم الهجان وكل طرف سانح، واحفظ أطراف البلاد ممن يتولع بينها أو يترصد لمرايع أسودها أو مراتع غزلانها ، وخص الرعايا برعاية نبت لهم الزروع وتدر من سوائهم الضروع ، ولا تدخل إلى البرية إلا إذا لم يبق لك بالبلاد مقام ولا منزل بين شبح وهزام، وأما العرب فهو أميرهم المطاع وأمرهم وهم له أتباع ، وهو يعرف مقاديرهم وكيف يعامل كبيرهم وصغيرهم، فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما استطاع ولينعمهم من طبع الطباع وليصدقهم بالحق على حكم استحقاقهم في كل إقطاع واقطاع ، وهو بما يصلح لركابنا العالی من الخيل جد خبير وبما يناسب سرجنا الشريف ، من كل سابق وسابقة ما لها نظير، فلو أخذ نفسه وإخوته وبني عمه وأهله وعشيرته والأقربين بأن يكونوا بالجهاد إلينا متفريين ومتى وردت عليه مراسيمنا الشريفة بأمر سارع إلى العمل بحكمة أو اتصال متجدد .

وهذا تقليدنا الشريف حجة على من سمعه أو قصه، في خلافه تفریق

كل كلمة مجتمعة. ومرسومنا أن ينقل مضمونه إلى الآفاق ويعلم به كل مصعد إلى الزمان وينحدر إلى العراق ليحلو به كل حاد والركاب تساق ويسمر به في كل حي سامر ، يشجاذب حواشي حديثه الرفاق ، ويتناجى كل راكب مطية وفارس مطهمة عناق ، فن باعنا أنه حاد عن أمره أو تأول في نقصه لرفعة قد . فأسف أسبق شيء إلى نحره والموت أعجل إليه لأنه فتح من فقه ما كان مسدودا من باب غيره ... (٢٥) .

• وصية مقدم الأكراد •

• فليجمع شتات هذه الفرق وليجمع من شملهم ما افترق وليؤلف قلوب أكابرهم بمن نذر ونذهب بأس بينهم ليكون بأسهم فيمن كفر وليخلص أظفار بعضهم من بعض لخلص الظفر ، وليقرر عندهم أن إحساننا إليهم غير مزور وأن أقل شر أقطعناهم من الأرض خير لم عند الله وعند أنفسهم مما لم من أقصى العجم إلى شبرزور ، وأن أكتافنا الموطأة لم خير من تلك الجبال الموعرة ، وأن بلادنا الآمنة أقر لم من تلك البلاد التي لا تزال محاصرة أو محصرة. ويعرف حتى قبائلهم على اختلاف الشعوب وأنواع الطوائف التي لو انفقت كلمتها لما وجدت خلا تكفيها في الركوب . منهم ذوو البيوت الكريمة والإمرة القديمة والأصول التي بلغت السماء فروعها ، وحلت لمعان الشمس سيوفها المبرمة ودروعها ، وليعلم أن صدقاتنا العبيدة غير قليلة وأن رعايتنا الشريفة ستعهم وتوقد نار كل قبيلة ، وإننا لا ينقص عندنا تحت بختي ولا تنسى خدمة ديني ولا يحل أزد . زرزارى إلا لتلبسه الملبس السني ولا نسهر طرف سهري إلا لنام قرير العين ، ولا ننعب رائد وادي ما فيهم ذوى الخويصرة ولا فيهم إلا من هو ذو البدن ، وكذلك يقبل أنفاسهم الذين ألفهم الإحسان وعرفهم الجود بما أوجب لبلادهم ومن خلفوا فيها من أولادهم للنسيان وأنت عليهم الأمير والجامع لهم بمشيئة الله على الطاعة وهو على

جمعهم إذا يشاء قدير» (٢٦)، فأعرف منهم ساكن كل عمود وجدار ومن قربت به أو بعدت الدار وضمهم إلى كتف الأكتاف وألفهم بكلمة الائتلاف وكن بهم على انتظار ما صرفنا إليه الوجه من الجهاد والتأهب بلبس الحلد للجلاد واتخاذ أكابر فيهم لتصل منهم بذلك بالبنان، ويشند بهم كما يشند بكعوب الرماح المثقفة السنان ، واسبرهم بخوض الساريت وارمهم في البر والبحر ولا تخف فإنهم عفاريت، والزم بالخدمة الدائمة الخبزة ولا تلزم غير الخبزة وميز بعضهم من بعض إلا في الأوقات التي يختصن فيها الذكور بأيدي الرجال ولا يعرف المميزة من غير المميزة ، ومن مات من نوى الإقطاع أنه خبزه بين لغيره خبزه ، وكذا العاجز وتأن حتى يتحقق عجزه وما يجب على أصحاب المشاية من حق هو حق أقوام ورزق طوائف أخرى من العساكر المتصورة مضت عليه السنون ولم في أعدائه أيام عمل بما جرت العادة به في استخراجه بالرفق من غير ترك شيء منه ينسى في الأجل وينسب إلى التخصير إذا أخره وقت استحقاقه في العاجل ، كذلك مبرات من مات منهم ولا وارث به إلا بيت المال ، والعمل في ذلك بتقوى الله فهي العدة للمال» (٢٧).



« وصية مقدم الركمان »

« فليجمع لنا طوائف الركمان وليأمرهم بالاستعداد للجهاد فإنهم تركوا الإيمان، ولا يدع منهم إذا رسمنا له من يلتم سهمه الوتر ومن إذا جر قوسه رأى منه طالعاً في العقرب العمر ، وليجمع طوائفهم على كثرة أفرانهم وبعد ما بين بيوتهم وأرزاقهم وليؤلفهم التي بها التقدم ويسلبها صدد سمهرته وتقوم، وسهامهم هي التي تتيق وسيوفهم هي الأراقم التي لا تلين للرقى ، وما برحت ترفع لهم القباب وتشفع لهم إلينا وصائل الأسباب ووسائل الأسباب وليأمر أمراؤهم بإقامة وظائف الإمرة ودق الطبلخانات كل عشية وما يظهر فيه التفاوت بين كل ذي همة وصبغة وهمة عليه، ومن مات من الخبزة أتى إلينا أو إلى أقرب إليه من نوابنا خبزه، وألزم من طلب إقطاعه من خلفه بما عليه

من التقلعة المقررة ، ومن لم يترك وارثاً لإلايت المال ، حفظ له حقه الموروث فإنه مال الله المقسوم ولكل مسلم فيه حق معلوم ، وما هو على السائمة من الزكاة يساعد على استخراجها ولإيصال الحق إلى مستحقه ، وإلى كل مقطع على حكم مشوره الشريف أو إمرأه ، وتقوى الله سبب مزیده فلا يزال متمسكاً بذلك السبب وليقم منها بما وجب ، (٢٨) .

• وصية والى حرب •

• وهو يعلم ما علق بدمته من أمر الجمهور وقبل فيه قوله من ستر المهتوك وهتك المستور وما يجمعه سواد البلد من عناء السبل وما يعطى عليه دجى الليل من الويل ، فليجعل هذا منه بيال وترفع أوراق الصباح حتى لا يحنى عليه ما يستره سواد الليالى ، وليخمد نواثر العامة فلئها أظير شراراً من النيران وليرعهم هيبه السلطان فإن « الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ونحن نوصيه أنه لا يعلق باباً مفتوحاً ولا يفتح باباً مغلقاً ولا يقتل عقرباً يمكن كف شرها بالرقى وليتبع المفسدين لإقامة ما أمر الله به من الحدود ، وليراجع الشرع الشريف إذا بهم عليه المقصود ، وليتغافل عن ستر بداره فى جنح الليل إلا نائق ، وليعلم نسل الحمر فلئها أم الخبائث ، وليرق ما ظفر به من أجلاها وليؤدب تجارها وبئس التجار ، ويبالغ فى آدابها وينصب الأرصاء على من دخل بها أبواب المدينة أو أتى البيوت من غير أبوابها ، وكذلك أنصها فى مخامرة العقل وشقيقتها فى التأديب إن لم يكن الحد لعدم الثقل وهى الحشيش التى يعرف أكلها دون الناس بعينه وتفتضيه من سكر اللدام ما فاته من دينه وتبدو صفراء فى وجهه وسوداء فى جسمه خضراء فى فم حمراء فى عينه مثلما تجمره الضرب المبرح من دمه ، فلئها هى وأنصها لإبليس واستدعاها وأخرج بها لسوائمه الضالة مامعا ومرعاها ، وليخلص من الحقوق ما رفع إليه ويطالب به من مطل به وقد أوجه الحق عليه ، ولينتقد أرباب الرغل نقد الصيارف لزيقهم المردود وليقم عليهم السياسة إذا لم تحض عليهم الحدود ، وليتفقد الجبوس فى كل حين

ويتعرف أحوالها ليعرف ما يفعلُه عن يقين ، وليستعد لطوارئ المهمات ، عوادي الملمات ، ولا بيت كل ليلة إلا وهو متأهب لإطفاء كل نار وإخماد كل لهب ، وأولها نار القنن وما يطير فيها من شرار ، وإن وقع ، والعياذ بالله ، حرق في قطر من أقطار المدينة ، يجعل إليه انبدار ويعجل بهدم أبيته وهدم ما حوله حتى لا يؤخذ الحار بالحار ، ولكن عنده من طوائف السقاين ، القصارين من لا يجد في خوض الماء مشقة ولا تطول عليه شقة ولا يرى جذراً دبت في أجزائه النار إلا ويطفي بما عنده من الماء ما عنده من الحرقه ، الحذر ممن في بابه فإنه لا دواء لدائهم العضال ولا استقامة لمن حاد منهم ، حاد إلا بأخذ الروح والمال ونحن منه بمرأى ومسمع ، فليثق الله وليحذرنا في هذا وهذا الخبير أجمع (٢٩) .

•
« وصية أتاك المجاهدين وهو رئيس طائفة الإسماعيلية »

وأنت ابن ذلك الأب حقيقة وولد ذلك الوالد الذي لم يعمل له إلا من دماء الأعداء حقيقة ، وقد عرفت مثله بثبات الحنان ، وصلت بيدك ووصلت إلى ما لم يصل إليه رمح ولا قدر عليه سنان ، ولم يزاحمك عدو إلا قال له : « أيها البادي والمقاتل - كيف تراحم الحديد ولا سمى اسمك الحجار إلا قال : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلم بها الخالم إلا وبات يردد خيفة ، فلأخذ هذا الأمر بزمه ويعمل لله وإمامه وليرم في حب البقاء الدائم بنفسه على المثبة ، ولينادم على معاقره الدماء زهور سكاكينه الحنية ، وأطع منهم زيراً تطاول السيوف بسكاكينها وأغلظها الأسود في عرينها وتمتد كأنها آمال لما تريد وترسل كأنها آجال ، ولهذا هي إلى كل عدو أقرب من جبل الوريد وأذك منهم شعلاً إذا دعيت لأحسابها لا تجهد إلا متحامياً ، وارم منهم سهاماً إذا دعيت بأسابها الإسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان رامياً ، وفرج بهم عن الإسلام كل مضيق وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق ،

وصرف رجالك الميامين وتصيد بهم فلاهم صقور ومناشرهم السكاكين، وانخطف
 بهم الأبصار، فبأيمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف، واقطف الرموس
 فلأنا ثمرات أينعت لقاطف، واعرف لهم حقهم وضاعف لهم تكريماً وآدم لهم
 بنا برعباً وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله وفضل الله المجاهدين على
 القاعدین أجراً عظيماً، واعلم أنهم مثل الوحوش فرد في تأنسهم وأشكر لإقدامهم
 فطلما اقتحموا على الملوك وما هابوا بفضلة حراسهم، وارفع بعضهم على بعض
 درجات في نفقات تساقيرهم وقعود مجلسهم ولا تسو بينهم فاهم سواء،
 ولا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله
 بأموالهم وأنفسهم، وأصل هذه الدعوة ما زالت تنتقل بالمواريث حتى انتهت
 إلينا حقوقها وأومضت بنا حيث خلعت هياكلها بجرعاه الحمى بروقها، والله
 تعالى يوفقه ويرشده ويطول بآع له لما قصرت عنه سواعد الرماح ووصلت
 إليه يده (٢٠) .

ج - القصص

ملخص قصة تظلم بسبب الإقطاع

رفعها الأمير ناصر الدين الحسين أحد أمراء الغرب إلى تنكز نائب السلطنة بالشام عقب روك الشام في سنة ٥٧١٣ هـ في عهد الناصر محمد .



بسم الله الرحمن الرحيم

« المملوك (٢١) الحسين بن أمير العرب يقبل الأرض وينهى أن المملوك وأقاربه ملتزمون بحفظ ثغر بيروت المحروسة وهم مجتهدون في خدمة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - وغالب إقطاعاتهم بخدمون عليها أملاكهم الثابتة بالشرع الشريف وهي معهم الآن بعدة ٣٠ فارساً وكانت لأبائهم بثلاثة أرماع (٢٢) إلى حين أقطعت أملاك الجبلية ، ، وإنه متى دخلت هذه الملكيات الروك يهلك المالिक ولا ينتفعون بغيرها لأنها مساكنهم وبها رجالهم وعشيرتهم ، وسؤلهم من صدقات مولانا ملك الأمراء (٢٣) التصديق عليهم بمطالعة على يد المملوك إلى الأبواب الشريفة ، ومهما اقتضاه رأى مولانا ملك الأمراء من إزامهم بزيادة عدة تحملها طاقهم الزمه المالिक وما لم إلا الله تعالى ، ومراح مولانا ملك الأمراء عز نصره - أنهى الحال والرأى أعلى وأسمى والحمد لله (٢٤) .



د - المناشير الإقطاعية

• النوع الأول من المناشير •

أ - مناشير أولاد الملوك

نسخة منشور كتب بها عن الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩ هـ - ١٢٧٩-١٢٩٠ م) لابنه الناصر محمد - من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

الحمد لله الذي زين سماء الملك بأنور كوكب بزغ ، وأعز ملك نبغ ، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذوو الاكتهال من اختيار شرف اللحال وما بلغ .
نحمده حمداً تزيد به النعماء وتتمى ، وتهمل به الآلاء ونهمل ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب واقصة كل عيب ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعث الله تعالى بمكارم الأخلاق ومعاداة ذوى النفاق وساوى بين الصغير والكبير من أولى الاستحقاق ، في الإرفاد والإرفاق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما رقى نسيم وراق ، وما خصفت أوراق .

وبعد، فإن الموائف أبين ما تشدو إذا حفت الرياض بها من كل جانب والسماء أحسن ما تبدو إذا تزينت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب ، والسعادة أحمد ما تحلو إذا خصصت بمن إليه ، وإلا ما تشد الركائب ، وعليه وإلا ما تنش الحقائق والحقايب ، ومن هو للملك فلة كبدته ونور مقلته وساعد يده ومن تبيمن السلطة بملاحظة جبينه الوضئ وتستبر بالأتور المضئ ، ومن تغضب الدنيا لغضبه وترهى إذا رضئ ، ومن نشأ في روض الملك من غير أصل زكى ، وفاحت أزاهره بأعطر أرج وأطيب نشر ذكى ، وطلع في سماء السلطة نجماً ما للتبرين ما له من الإضاءة، ويزيد عليهما بحسن الوضاء ، ومن تشوف

النصر له من مهده ، وتشوق الظفر إلى أن يكون من جنده ، واستبشرت السلطنة بأن صار لها منه فرع باسق وعقد متناسق وزند وار وجناح وارف وفخار تليد وعز طارف ، وطرفان معلمان تنشر فهما المطارف .
ولهذه المعاسن التي تشرتب إلى قصدها آمال الخلائق المنتجة ، اقتضى حسن البر الوصول وشرف الإقبال والقبول إن خرج الأمر العالی - لا يرحم مراسمه مزينه زينة السماء بكواكبها . ومزاحمة سلك السماء بمناكبها أن يجرى في ديوان الحجاب العالی المولوى للملكى الناصرى (٣٥) .

ب - مناسير الأمراء مقسدى الألوفا

- ١ -

نسخة منشور للأمير بدر الدين بيدرا أستاذ دار الملك المنصور فلاوون من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر الحمد لله الذى جعل بدر الدين تماماً على الذى أحسن وإيماناً يقتدى التجوم منه بالفضياء الأبين والنور الأزين ، ونظاماً يجمع من شمل النرى ما يغدو به حماه الأحمى وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تغدو وتبدو عند الذب وفى القلب مكانها الأمكن ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ورضى عن آمن به وعن آمن .

وبعد : فإن غير النعماء ما أتى به على التبرج ، وأتى كما باتى العيث بالقطر والقطر لإنبات كل زوج بهيج وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة فينا يقال : هذا خليج يمد البحر إذ يقال : - هذا بحر يستمدته كل خليج . يقال : هذا الأمير ، إذ يقال : هذا المميز ، وبيننا يقال : هذا الللال إذ يقال : هذا هو البحر المنير .

ولما كان - فلان - من هذه الدولة بموضع الغرة من الخلة . وكان الراحة من بين ، وله سوابق خدمة لا يزاحمه أحد فى طرق صررتها ،

ولا تستكثر له زيادة بالنسبة إلى موجبات حقوقها ، وهو من التصوى بالمحل
 الأسمى على غيره من الطراق والمكان الأسمى الذي مكانه منه - وإن كان أمير مجلس -
 صدر الرواق ، وله الكرامات التي ترى الخلود لها صغر : وكتمقت من سم العداة
 دافعة الدمع وكتم قابل ثورة نار أفضارت برداً وسلاماً ، وكتم تكلم على خاطر فشاها الناس
 منه شيخاً من حيث الشبية أجل الله قدره غلاماً ، فهو المعاهد للكفار ، وهو المهجد
 في الأسمار ، وهو حاكم الفقراء وإن كان سلطانه جعله أستاذ الدار : وهو صاحب
 العصا التي أصبح يحملها مضافة إلى السيف يتشرف ومعجزها لا يستكثر له
 أنها لكل حية تلتف ، وهو الذي تحمد الكشوف والسيرف فتوحه وفصحه . والذي
 يشكر يده عنان كل سابع وزمام كل سبحة وكتم أسال يديه من دماء الأعداء
 ماء جرى ، وعمل بين يديه للفقراء ماجرى وكتم ولي لله خلق شخصه فأظهر محضه ،
 فقال الولي : وما أدري درا لولا بيدرا اقتضى حسن الرأي الشريف أن
 يعمل إحسان الدولة القاهرة له عملاً وأن يحسن له علا ونهلاً وأن يختاره إذ هو
 صاحب العصا كما اختار موسى قومه سبعين رجلاً .

وخرج الأمر العالی - لا زال ظله ظليلاً بامتداد التيء بعد التيء ، وعطاؤه
 جزيلاً بتنويل الشيء بعد الشيء - وهو ذو الكرم والكرامات وصاحب العصا
 بالأستادارية : ولا يستكثر لصاحبها سحر الحيات (٢٦) .

- ٢ -

نسخة منشور كتب بها للأمير سعد الدين مسعود بن الخطيبى
 من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء - أيام الناصر محمد بن قلاوون
 الحمد لله على نعمه التي زادت سعوداً وضاعفت سعوداً ، وكتمت
 في أبايتنا من لا حاجب له عن أن تمنحه من إنعامنا مزيداً ، وقدمت بين أيدينا
 الشريفة من أولياتنا من غدا قدره خطيراً وحظه لدينا مسعوداً .
 بحمده على أن أنجز لأصفياتنا من وفائنا وعوداً ، ونشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له شهادة محمد مخلصها صدوراً ووروداً ، وتلقى مؤمنها بالبشر
إذا جمع الموقف وفرداً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف بإنجاده
مطرداً وأردف بالملائكة جنوداً وأوصل به حقوقاً وأقام حدوداً ، وحجب
ببركاته وفتكاته الأسواء ، فعدا العدل موجوداً وأضحى الحكم مقصوداً .
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من كان بالؤمنين رحيماً وعلى
المشركين شديداً .

أما بعد، فنعمنا إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفيماً وهبت
مزبدها وأتالت، وإذا أقبلت بوجه إقبالها على مخلص تتابعت إليه المسرات
وانتالت ، لا سيما من أطابت الألسنة الثناء عليه وأطالت ، وجلبت بهاباه
على العدل والمعرفة فاحافت ولا مالت ، وأوصلت رأفته منا المستضعفين
وعلى المهجرين سطوته صالت ، فيبين مقاصده هانت الخطوب وإن كانت
فتكاته في الحروب كم هالت ، وهمه في السلم قد جلت، ويوم الروع كم
جالت، وعزائمهم كم غارت فأغارت وللمعتدين كم غالت ، وكم سبق إلى خدمتنا
صاحب الشمس وكيف لا وهو البلدر ولكنه لم يزل وإن هي زالت .

وكان فلان هو الذي نقلناه في درجات التقديم حتى كمل بدهه ، ووقلناه
في مراتب التكريم حتى أصبح وهو المسعود حظه الم محمود ذكره، وبخولناه
مواهب جودنا العميمة فاشتد باعه واشتد أزره .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يبرح إنعامه بجل عن الحصر ودونته
يخدمها العز والنصر ، وإكرامه يقضى بمسرات الأولياء بالجمع ويقضى إلى
أعمار الأعداء بالقصر . . (٢٧) .

— ٣ —

نسخة منشور كتب بها لعلاء الدين أيديمخش أمير آخور الناصري (٢٨)
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء في الدولة الناصرية - محمد بن
قلاوون .

الحمد لله الذي زاد علاء دولتنا الشريفة ، وأفاد النعماء التامة من قام

بين أيدينا أتم قيام في أتم وظيفة، وأجاد الآلاء المتواليه بمن أعة الحيايد بإشارته مصرفة ، ومنة الحسود بسفارته مصروفة وأراد الاصطفاء لأعز همام : في قلوب الأولياء له محبة وفي قلوب الأعداء منه خيفة ، وأباد أولى العناد بفتكاته التي بها الغوائل مكفية والطوائل مكفوفة ، وشاد الملك الأعز بإرفاد ولي له الشجاعة المشكورة والطاعة المعروفة .

نحمده على أن جعل اختياراتنا بالتسديد محفوظة وبالتأييد محفوفة، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة السرائر لإخلاصها ألوقة، والضمائر على اختصاصها معطوفة ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نسله من النبوة المنيفة ، وأرسله بالشرعة الخنيقة وفضله بالرفعة على ظهر البراق إلى السبع الطبايق وجنود الأفلاك به مطيفة صلى الله عليه وعلى آله ذوى المهيم العلية والشيم العنيفة، ورضى الله عن أصحابه الذين لو أتفق أحد مثل أحد ذهاباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفة ، صلاة تبيض بالأجور الصحيحة وتعرض بالفوفور من ميزاتنا الجليلة بفكرتنا الجميلة اللطيفة ، وسلم تسليمياً كثيراً .

أما بعد ، فكرنا يسبح المواهب والمناجح ونعمنا تبلغ المآرب والمناجح ، فلا نبرح ننقل في درجات الصعود من هو في خدمتنا يبارح ، ويتكفل صالح نظرنا الشريف صلاح حال من أجمل النصائح وأثل المصالح، فكم راض لنا من جامع وخاض بحر الوغى على ظهر سايح، وحسى رواق الإسلام من رغبة يذب ورمى أعناق الكفار من غضبه يذابح ، وأصمى المائل بكل نابل يستجن في الجوانح، واتمى إلى مسعدة سلطاننا الناصر الفاتح وسيا عزم إعلائه بقربيه وإدانته إلى السماك الراسح ، طالما سس الكفار النسر إذ بالماديات الضوايح ، وأحس كل منهم بالدمار لما ظن أنه لحربه يكابد ولحزبه يكافح ، وصحبهم بإغاراته على الموريات قدحاً فأغرى بهم الخطوب القوادح ، وطرحهم بالفتكات إلى الهلكات فصافحت رقابهم رقاب الصفائح ، وأخلى من أهل الشرك المشارب والمسارح وأجلى أهل الإفك عن المطارد والمطارح . ولما كان (قلان) هو الذى استثار إليه شأن هذه المدائح وسار بذكره وشكره كل غاد ورائح :

خرج الأمر الشريف : لأبرح سبيل هداة الواضح، وجزيل نداء يفلو
كالغواذى بالعائد والبادى من فصله وهو الناصح (٢٩) . . .

— ٤ —

نسخة منشور كتبها للأمر شمس الدين منقر البكتوق الشهير بالمساح

الحمد لله الذى أجزل المواهب وجدد من النعم ما تزال به الألسنة تتحدث
عن بحرها بالمعائب، وأطلع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تستمد من أنوارها
الكواكب .

نعمده على نعم يتوالى درها توالى السحاب، ويغالى درها عن أن تطوق (١٠)
به الأذنان والتراتيب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تخص قائلها من درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسمى المراتب ،
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى اصطفاه من لؤى بن غالب، وصان بيعته
الشريفة رداء التمسك عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب وصبر الإيمان
بنور هدايته واضح السبل والمذاهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة
لا يمضى جزء من الدهر إلا ووجودها فيه وجود الفرض الراتب، وسلم تسليماً
كثيراً .

وبعد، فإن أحق من حلى من النعماء بأفضل العقود، وخص بأضنى ملابس
الإقبال وأضنى مناهل الأفضال : فاستعذب من هذه الورد ، واختال من
هذه فى أجمل البرود، ومنح من الإقبال بكل غادية تحجل السحاب إذ يجود ،
وإن رقمت بها الأقلام سطوراً فى طروس أزرت بالزهر اليناع والروض
المجود ، ونقل قدره من منزل عزلى منزل أعز فكان كالشمس تنتقل فى منازل
الشرف والسعود — من ظهرت مكارم سماته واشتهرت بحاسن صفاته وطلعت
فى سماء العجاج نجوم غرصاته ولعت فى دجى الشفق بروق ظلماته ، وقدم على
الجيش والجهافل فظهرت نتائج التأيد والتسديد من تقدمه وتقدماته، وهم

جيوش الأعداء في مواقف الهيجاء بثبات أقدامه في إقدامه ووثباته ، وتجرد في المهمات والمهمات تجرد الماضيين من سيوفه وعزماته .
ولما كان (فلان) هو الموصوف بهذه الأوصاف الحليمة ، والمنعوت بهذه المحاسن الجميلة ، والمشار إليه بهذه المحامد والممدوح التي ترهق على زهر الكواكب وتسمو بما له من جميل المآثر والمناقب - أوجب له الاختيار المزيد، وقضى له الامتنان بتحويله نعماً وتحويله متناً: وتضحى هذه عقداً في كل جيد، وتسمى هذه مقربة له من الآمال كل بعيد - واقضى حسن الرأي الشريف أن يمنح بهذا المنشور : ليخص من الأولياء بالسعد الجديد والجد السعيد .
فلذلك خرج الأمر الشريف . . . (٤١) .



نسخة منشور كتب بها للأمير خاص ترك في الروك الناصري (٤٢)

الحمد لله على نعمه التي سرت إلى الأولياء ركائبها ، وهمت على رياض الأصفياء سحابها ، وتوالت إلى من أخلص في الطاعة بفرائب الإحسان رغائبها ، وتكفلت لمن خص بأسمى رتب البر الحسان مكارمها العميمة ومواهبها ، ونحرت محار كرمها الزاهرة من يحدث عن شجاعة ولا حرج كما يحدث عن البحور التي لا تفي عجائبها .

نحمده على نعمه التي إذا أغبتنا صحائب الندى أعقبت صحائب ، وخصت الخواص من درج الامتنان بمراتب تراحمها الكواكب على نهر الهجرة بالناكب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة لا يزال الجهاد يرفع ألويتها ، والجلاد يعمر بوفود الإخلاص أنديةها، والإيمان يشيد في الآفاق أركانها الموطدة وأبنيها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أيده الله بنصره وخصه بجزية التقدم على الأنبياء مع تأخر عصره ، وآتاه من المعجزات ما تكل أسنة الأقلام عن إحصائه وحصره . صلى الله عليه وعلى وصحبه الذين حاطوا دينه بالمحافظة على جهاد أعدائه ، وأبدوا ملته بإعادة حكم

الجلاد في سبيل الله وإيدائه، صلاة لا يزال الإيمان يقيم فرضها ، والإيقان يملأ
بها طول البسيطة وعرضها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من ضوعفت له النعم ووطدت له الرتب التي لا تترك
غاياتها إلا بسوابق الخدم ، وأشرقت به مطالع السعد ، وحقت له مطالب
الاعتلاء والصعود ، ورفعت مواقع الإحسان إلى أسنى المراتب التي هو مل
بارتقائها ، وتولت له هوامع البر والامتنان انتقاء فرائد النعم التي هو حقيق
باختيارها وانتقائها ، وبلغته العناية بأجل مما مضى قدراً واستقبلته الرعاية من أفق
الإقبال بما إذا حقق التأمل وجد هلاله بدماءً - من ربي في ظل خدمتنا التي
هي منشأ الآساد ومرتب فرسان الجهاد ، وعرين ليوث الوغى التي آجامها
عوالي الصعاد ، وبرايتها مواضئ السيوف الحداد ، وفرائسها كفاة أهل الكفر
وحماة أرباب العناد ، فكفم له في الجهاد من مواقف أعزت الدين ، وأذلت
المعتدين ، وزلزلت أقدام الأبطال وزحزحت ذوى الأقدام عن مواقف المهال ،
وحسكت صفاته في القمم وأنبئت صفاحه في منابت الهمم ، وفرقت ما لأهل
الكفر من صفوف ، وأرثهم كيف تعد ألوف الرجال بالآحاد وآحاديها بالألوف .
ولما كان (فلان) هو الذي أشير إلى مناقبه ، ونبه على شهرة إقدامه
في كل موقف بمن عواقبه ، وأوىء إلى خصائص نوصافه التي مازال النصر
يلحظها في مشاهد الجهاد بعين ملاحظة ومراقبة - اقتضت آراؤنا الشريفة
أن نجد اعتلاء مجده ونزید في أفق الارتقاء إضاءة إقباله وإنارة سعده ...
فلذلك خرج الأمر الشريف لا زال . . (١٣) .

●
- ٦ -

نسخة منشور كتب به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين آقوش
الأشرفي المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحب (١٤) .

الحمد لله مفرح القلوب ومفرج الكرب ومبجج النفوس بذهاب
غياهب الخطوب ، ومبلغ من تقادم عهده في حفظ ولائنا نهاية المرغوب ، وغاية

المطلوب، الذي أعاد إلى المخلصين في طاعتنا النعمة بعد مشرودها، وعرضهم عن تقطيع الأيام بابتسامتها وعن خوفنا بعودها، والتي على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن تتصف بإنكار حقوقه وجودها .

نحمده على ما وهبنا من الأناة والحلم . وخص به دولتنا من المهابة التي تخشى يوم الحرب والمواهب التي ترحى يوم السلم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكفلت بالنجاة لقاتلها ، وأغنت من حافظ عليها عن ضراعات النفوس ووسائلها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث برعاية الذم ، والمتعوت بحسن الرأفة التي هي شعار أهل الوفاء والكرم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما تلافى الأقدار نفوساً من العدم ، وتوافت الأماني والمناجح فأظفرت من أخلص نبتة الجميلة برد ضالة النعم ، صلاة تفضى على الأولياء حلال القبول والرضا، وتضفى من الأكدار مناهل سرورهم، فكان الخطب أبرق وأومض ففضى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من انتظمت بعد الشتات عقود مساره ، وابتسمت بعد القلوب ثغور مباره ، واستملت عواطفنا عليه فجلبت أسباب منافعه وسلبت جلباب مضاره ، واحتضلت عوارفتنا بالملاحظة لعهد الوثيق العرا ، والمحافظة على سالف خدمته التي ما كان صدق ولائها حديثاً يفترى ، وسبق له من الاختصاص في الإخلاص ما يرفعه من خاطرنا مكانة عالية الذرا - من أضفى من السابقين الأولين في الطاعة، والباذلين في أداء الخدمة والنصيحة لدولتنا جهد الاستطاعة . والمالكين للممالك بحسن الخلة وجميل الاعترام، والمحافظين على تشييد قواعد الملك بآرائه وراياته التي لا تأسى ولا تسام، وأسسى حوالئ الذي لا يشاركه أحد في إخلاص الضمير في موالاتنا وصفاء النية، ولا يساهم ولي فيها اشتعل عليه من صدق التعبد وجميل الطوية، والمخلص الذي انفرد بخصائص الحقوق السابقة والآتية . وامتاز بموجبات خدم لا تجحد عاقلانها الثالثة والطارقة وطلعت شمس سعاده في سماء مملكتنا فلم يشها الغروب، وأضاء بدره في أفق عزه فكان سراره مذهباً لأعين الخطوب .

ولما كان (فلان) . . (٤٥) .

تعالج مناسخ اصحاب الانقلاب المختلفة

(من مقدي الألو ف)

- ٧ -

نسخة منشور لمن لقبه « سيف الدين »

من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله العمري

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله
لمزيد النعم متقاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً وعيشه
راضياً .

نحمده على نعمه التي تسر موالياً وتسوء معادياً ، وتقدم من أوليائنا من
يقوم مقامنا إذا سمع منادياً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة كم أروت في موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورت هادياً ، ورفعت
من أعلام الأعيان هادياً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن
بصفاته حالياً ، وأحلنا ببركة المشاركة في اسمه الحمدي مكاناً علياً ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه صلاة لا يبرح كل إنسان لها تالياً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تجدد إنعاماً وتزيد إكراماً ، وتضاعف
لكل من أضحي ناصرنا بحقيقة ولائه لإجلاله وإعظاماً ، ليترقى إلى أعلى
الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج . ومن رأى التقرب
إلى الله تعالى بمراتبنا الشريفة فقترب إليها ، وأقبل بقلب مخلص عليها ، وأشبه
البدر فوافقه توجهاً ، وحكى السيف بارق ثغره لما أومض في حومة الحرب
منقسياً وأقدم حين لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت
أستنها الكواكب بها درية ، والحملات التي تفر العدا لفعاليتها أنها بها درية ، كم
له من محاسن وكم عرفت له من مكامن وكم له من صفات كالعقود يصدق
بها من قال « الرجال معادن » . كم له من همة تترقى به إلى المعالي ، كم له من عزيمة
يروى حديثها المستند عن العوالي ، كم به أمور تناط وكم جمهور يحاط ، كم له

من احتفاء واحضال، وكلمة من قبول وإقبال وكلمة من وثبات ووثبات، وكلمة له من صفات وصفات، وكلمة له إمامة كفاة، كلم له من مناقب تصبغ وتمسى، وكلم له من معارف لما علم بها ملكه - غلذ الله ملكه - قال الملك : « اتقوني به استخدمه لنفسى » .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالمة تعقد له فى كل وقت رأيه، وتسعى به إلى أبعد غاية، وتبغ له عناية، بعد عناية حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور، وعلم منشور، وبطل لا يرد عن الصميم تصميماً ولا تعد أكابر الأمراء إلا ويكون على العساكر مقدماً وعلى الجيوش زعيماً، ليعلم كل مأمور وأمير، وكل مماثل ونظير، أن حسن نظرنا الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحساناً، ويوجب على من وجد الميسور بهذا المنشور امتناناً « ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً » (٤٦) .

ولما كان (فلان) هو المعنى بهذه المقاصد، والمخصص بهذه المعادح والمحامد، والواحد الذى ما قدم على الألف إلا وكالألف ذلك الواحد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زالت أيامه موصولة الخلود مرسومة بزايا الخلود أن يجرى فى إقطاعه . . . (٤٧) .

- ٨ -

نسخة منشور لمن لقبه « شمس الدين »

« كتب به فى النولة الناصرية - محمد بن فلاوون »

لحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مطلع كل قمر منير ومجمع كل مأمور وأمير، وموقع كل صحاب يظهر به البرق فى وجه السحاب المطير الذى شرف بنا الأقدار وزاد الاقتدار، وجعل بمالكنا الشريفة سماء تشرق فيها الشمس والأقمار .

نحمده على نعمه التى نختال أولياؤنا بها فى ملابسها، ونختص بنفاسها،

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجرد سيف الدين لإقامتها
وتحافظ بوقائمه في الحرب على إدامتها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
خصه بمزية التقرب وشرفه على الأنبياء بالمكان القريب . صلى الله عليه وسلم
وعلى آله الذين عظمهم بقربه وكرمهم بحبه ، وقدمهم في السلف الصالح
إذا جاء كل ملك بأتباعه وكل ملك بصحبه ، وسلم .

وبعد فإن أولى الأولياء أن تشملها صدقاتنا الشريفة بحسن نظرنا الشريف ،
وبرفعة قدره المنيف ، ليم له إحسانها ويزيد إمكانها ، حتى ينتقل هلاله إلى أكمل
مراتب البلور ، ويمتد بحصنه المستظله كثير من الجمهور ، ويتقدم في أيامنا
الشريفة إلى الغاية التي يرجوها ، ويقدم قدمه إلى مكانة أمثاله التي حلوها ،
وتتكمل بنا نعمة الله ، وإن تعلموا نعمة الله لا تحصوها (٤٨) .

الناصرى بحقيقة ولائه : البهادرى شجاعة في لقاؤه : من تكفلت صدقاتنا
العميمة بما لم يكن في أملة ، وجعلت حمايتنا الشريفة بأهسى مما ينسجه الربيع
من حله ، وتوسعتا فيه من معرفة تقرب إلى مراضينا الشريفة بهادريا ، وهمة
جردنا بها منه سيفاً بهادرياً ، وطلعة أطلعت منه بالبهاء كوكباً درياً مع تحول
فيه من زمننا الشريفة وقام به في أبوابنا العالية من أحسن القيام في كل وظيفة .
ولما كان (فلان) هو الذي أشرنا إليه ونهنا مقل النجوم عليه ، فاقترضت
آراؤنا الشريفة أن نبلغه أقصى رتب السعادة ونعجل له بحظ الذين أحسنوا
الحسنى وزيادة ليعد في أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكروا ، والمقدمين
على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مهم شريف أو ابتدروا ، ليعلم كل أحد
كيف يجازى شكرهم ، وكيف يتحلى بنعمنا الشريفة كل سيف مشهور ، وكيف
نذكر واحداً منهم فيندو في زعماء العساكر المؤيدة وهو مذكور ليبدلوا
في عدلنا أبوابنا الشريفة جهدهم ، ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العميمة
التي تحقق قصدهم .

فلللك خرج الأمر الشريف . . (٤٩)

سخة منشور كتب به في الدولة الناصرية - محمد بن قلاوون -

لمن لقبه « صلاح الدين »

الحمد لله الذي أتحف الممالك الشريفة من سعيد تدبيرنا بصلاحها وصرف
حميد تأثيرنا بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسعف طوامح أمانهم : من اقتراهم
من خواطرنا الشريفة في بعدهم وتدائهم بإجابة سؤالها وإصابة اقتراحها .

نحمده على أن جعل نصر دولتنا الشريفة قريباً من نصاحها ، ونشكره على
أن وصل أراجهم بأرباحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تحسن المال والعاقبة للنوى الإخلاص كما أحسنت في ابتدائها وافتتاحها ، ويؤذن
حسن اعتنائها لأحوال أولى الاختصاص بإصلاحها ونشهد أن سيدنا محمداً
عبيده ورسوله الذي عمت مواهبه بإيراق سبأها وإغداق سباحها ، وسمت
مناقبه بائلاق غررها وإشراق أوضاعها ، وأمت مواكبه ديار العدا فشدت
عليهم مشهور قراعها ومنصور كفاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
أصاب أكنهم في السلم بمسغات أقلامها وصالت أيديهم في الحرب بمرفعات
رماحها ، ماجرت الأقدار بمناحها وسرت المبار لمناحها وظهرت آثار الإقبال
التام على من له نخدمتنا اهتمام واحتفال فلاح على مقاصده معهود فلاحها ،
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن أولى من شمه نظرنا الشريف حيث كان ، وحجة فكرنا الحسن
الجميل فتحه الإجمال والإحسان ، من لم يزل شكره أرجأ بكل مكان وذكره
بهجاً تسرى به الركائب وتسير به الركبان ، وصدوره الرحيب مستودع الأسرار
فلا تصاب إذا كانت فيه تصان وقدره عندنا المحفوظ المكاتة ، فإن بعد فهو
قريب دان ، وأمره منا الملحوظ بالإعانة ، فلا تزال نوليه البر ونعل له الشان .
ولما كان (فلان) . . (٥٠) .

نسخة منشور كتب بها لبعض الأمراء

الحمد لله رافع الأقدار ومجزل المبار وجاعل بين كرمنا مبسوطة باليسار ،
نحمده على غيث فضله الدار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة سرت الأسرار ، وأذهب نورها ما كان للشرك من سرار ، ونشهد أن
محمداً عبده ورسوله الذي أئجد له في نصر الحق وأغار ، وأرهب من سيف
النصر الغرار صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم ، من كان ثانياً اثنين في الغار ،
ومنهم من سبقت له دعوة سيد المرسلين من سالف الأقدار ومنهم من كرم الله
وجهه فكان لهن أعظم الأنصار .

وبعد ، فإن العطايا أيسر ما تكون تنويلها ، وأسر ما يلقى تحويلها إذا وجدت
من هو لرايتها متلقياً وفي ذرا الطاعة مترقياً ، ومن إذا صدحت حماهم التأييد
كانت رماحه الأغصان ، وألويته الأفتان ، ومن تردى ثياب الموت حمراً فباقي
لها الليل إلا وهي بالشهادة مخضرة من سندس الجنان ، وإذا شعر غضبه أرضى
ربه ، وإذا هز رجمه حمى سرجه وإذا أطلق سهماً قتل شهماً ، وإذا جرد
حساماً كان حساماً ، وإذا سافرت عزائمها لتطلب نصراً حلت سيوفه فجمعت
بالأوجال جمعاً وبالأجال قصراً .

ولما كان (فلان) هو الذي جمع هذه المناقب الجملة وامتاز بالصرامة
وعلو الهمة . استحق أن ينظر إليه بعين العناية . وأن يجعل ابتدأؤه في الإمرة دالا
على أسعد نهاية .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال يرفع الأقدار . ويجزل المبار ،
أن يجرى في إقطاع . . (٥١) .

نسخة منشور لمن لقبه « زين الدين »

الحمد لله وهب هذه الدولة من أوليائها أحسن زين من أمراء الطلبة خاتناه
ومنحها منهم من يشكر السيف والعنان منه اليدين . ومن مملأ ولاؤه لآفة القلب
وشاؤه السمع وبهاؤه العين .

نحمده على نعمه التي نقت عن نور الملك كل شيء من شين . وأبقت له
من كمانه وحماته من لا في إخلاصه ريب ولا في محافظته مين . ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة متبرئ من اتخاذ اليدين اثنين ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله شهادة متمسك من هذه وهذه بعروتين . صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه صلاة دائمة ما جمع المسافر من الصلوات بين الأختين . وما جلس
خطيب بين خطبتين وسلم تسليمًا كثيراً .

وبعد فإن خير من رقى خطيبه إلى أرفع رتبة وأنجح في تحويل النعم على
كل طلبية ورغبة ، لا بل أهديت إليه عرائس النعماء موقة ابتدأت هي بالخطبة ، وكثر له
في معروف أصبح يبذله معروفاً وأعين على جود أمس به موصوفاً ، وذلك
له قطوف إحسان كم ذلل الأولياء من أجله في مراضى الدولة ومحابها قطفواً
فقطوفاً - من الخلف الملك أحسن الخلف ومن له يفعل الخير أعظم كلف ،
ومن يشهد له بالشجاعة الخليل والليل والبيداء والسيف والرمح والأعداء فلا
غزوة إلا وله فيها تأثير وأثره ولا ندوة إلا وبها من وصفه بالذكر الحميل ، سمر .
تتشوف إلى ملاحظة غرته كل عين وبتبين لحياطته في الوجود كل أثر ما أثار
وجهه في نهار سلم إلا وقيل الشمس ولا بدا في ليل حطب إلا وقيل القمر .
ولما كان (فلان) هو بدر هذه الحالة وجل هذه الخلالة ونور هذه
المقلة ولا بس هذه الحلة - اقتضى حسن الرأي الشريف أن تكثر لديه النعم
وأن يجرى بتمية الإحسان هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برح يجود وبالخيريات يعود - أن
يجرى في إقناعه . . (٥٢) .

نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه

وتتضمن معنى الوراثة في الإقطاعات

الحمد لله الذى يجعل سماء كرمنا على الأولياء هامية السحاب وعوارف
نعمنا جميلة العقبي للأعقاب وعواطف أبا من الشريفة تجزل العطاء وتجبر
المصاب .

نحمده على نعمه التى ما مضت العيون إلا أقرتها ، ولا اكتأبت النفوس
بعلمة إلا سرتها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربيع
الأنس بها معموراً وصدع النفس بها مجبوراً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذى أصبح شعث الإيمان به ملموماً وحزب الطغيان به مهزوماً وداء البهتان
بجسامه محسوماً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان هو بدر السيادة
وكانوا نجوماً صلاة لا يبرح ذكرها فى صفائف القبول مرقوماً وسلم تسليماً
كثيراً .

ويعد فإن أولى من درت أخلاف جودنا خلفه ، ورعى كرمنا خدم سلفه ،
ونقلنا هلاله من قربنا إلى منازل شرفه ، وأجراه أحلتنا على جميل عوائده ،
وسوغه ، نوالنا أعذب موارد وجمع لنا إنعامنا بين طارقه ونالده من
استمسك من سبب إخلاصنا بأ كده ، وحذا فى ولاتنا أحسن حلو ولاغرو أن
يخون القفى حلو والده ، واشتهرت بالشهامة التى أغنت بمفردها عن الألوفا .
وعرف بالإقدام الذى طالما فرق الجموح واخترق الصفوف ، ما دلا من الأعداء
إلا دنت منهم الحنوف ، ولا أظلم ليل النقع إلا جلته أنجم الصفاد وأهله السيوف .
ولما كان (فلان) هو المملوح بجميل هذه الشيم والمنوح جزيل هذه
النعم ، والشبيه فى موالاتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .
فذلك خرج الأمر الشريف لا يبرحت سحب كرمه هاطلة الأتواء شاملة
الآباء والأبناء - أى يجرى فى إقطاعه . . (٥٣) .



التوع الثاني من المنشور

(أ) مناشير أمراء العشرات

- ١ -

نسخة منشور للأمير عشرة

أما بعد حمد الله على نعمه التي يبديها ويعيدها ويفيها ويقيدها، وبدعها على من شكر ويزيدها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكة السماء وجنودها وأخذت على الإقرار بنبوته موثيق الأملاك وعهودها، وعلى آله وصحبه الذين هم أمناء هذه الأمة وشهودها .

فإن أحق من تغلب في إنعامنا، وتقدم في أيامنا، وتوالت إليه آلاؤنا ترى ، وتكررت عليه نعمائنا مرة بعد أخرى، من ظهرت آثار خدمته ، وصحت أخبار نجاته، وشكرت مساعيه الحليمة، وحمدت دواعيه الجميلة وكان له من صفاته الحسنى ما يبئله من الدرجات الأعلى، ومن المطالب الأسنى .

ولما كان (فلان) ممن زانته طاعته، وقدمه إقدامه وشجاعته، وشهدت له مواقف الحروب أنه مجلي الكروب وأقر له يوم الوضى بإبادة من بقى وكان له مع الشامة الرأي الثاقب والسهم الصائب يصيب ولا يصاب . جلع القرعجة رابط الحأش عند تغير الأذهان الصحيحة - اقتضى حسن الرأي الشريف أن ترفع درجته، وتعل رتبته، وينظم في عقود الأمراء به، ويسلك به جادة الكبراء لترقيه في درج السعادة وتبلغ رتبة السيادة .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت هامية غوادى آلائه سابقة ملابس نعماله أن يجرى في إقطاعه . (٥١) .



- ٢ -

نسخة أخرى :

أما بعد حمد الله على جيوش كثرها وجيوب لعدا بالأسنة زورها ، وجنوب بالتوم على فرش الأمن الوثيرة أثرها، والصلاة والسلام على سيدنا

محمد الذي أيد الله به الأمة وظفرها، وثبت مواقفها ونصرها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تستمد الأيام والأنام من رقبها أصلها وبكرها ، فإن من ورد البحر أغناه بمده، ومن تعرض لسقيا السحاب جاد له برفده، ومن جاور كوكب السعد فاض عليه من سعده، ومن تيمم ناد التدى كان أدنى إلى نيل قصده ومن يمت بخدمه كان من حقه رعاية عهده :

ولما كان (فلان) هو الذي قدم خلعاً شهدت بها غرر الأيام ، ولسان كل ذابل وحسام وكل كمي لوت إلى فؤاده من يده طيور سهام ، وجربناه فخدمنا بالتجريب . ودربناه حتى تأهل للتأبير بالتجريب واستحق المكافأة على ماثره وكانت له خدمة عندنا كالحسنة له عنها عشرة .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال بمد أوليائه ويسعدهم ويقرب أخصاءه ولا يبعدهم ، أن يجرى في إقطاعه . . (٥٥) .



(ب) مناشير أبناء الأمراء

الذين أمروا في حياصة آبائهم

- ١ -

أما بعد حمد الله الذي جعل سيف دولتنا للدين المصطفى ناصرأ وجمع شمل أعز الأولياء والأبناء في خدمتنا على إنعامنا الذي أضحي بن الأنام مثلاً صائراً ، وأقر الأحمين من خزارى أصفياتنا بما يلقوق الدرارى التي غدا نورها في ألقها زاهياً زاهراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أيدته الله من أوليائه بعشيرته الأقربين وشده أزره من أصحابه بالأبناء والبنين ، وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال بها في درج النصر مرتقين ، ولا يبرح لنا بها حسن العاقبة بالظفر على الأعداء والعاقبة للمتقين - فإن أنمى الغروس من كان أصله في درج الولاء ثابتاً ، وأزهى الثمر ما كان في أغصان الوفاء ثابتاً ، وأبهى الأهله ما بزغ في سماء الإخلاص ، وطلع آمناً من السرار والانتفاص. وأعز الأولياء من نشأ

في ظل القرب والاختصاص وتلقى ولاءنا عن أبوة كريمة جمعت له من العلياء شمل طارفه وتالده وحذا في عبوديتنا حلو والده ولا غرو أن محلو القتي حلو والده وتحلى بطريقته المثل في الموالاة التي عدم فيها المضاهي والمائل ولاحت على أعطافه تحايل الإخلاص فيعرف فيه من تلك الحايل .

ولما كان (فلان) هو جوهر ذلك السيف المشكور بالمضاء عند الانتضاء ونور ذلك البدر المشهور في أفق العلياء بالغناء والثناء كم لأبيه في خدمتنا عند تزلزل الأقدام من مواقف وكم أسلف في طاعتنا من مخالصة عند الاختلاف وهو عليها عاكف ما تقدم في كتيبة الإقدام إلا والنصر له معاضد ولا جرد في مهم إلا أغنى واستحق أن ينشد . ولكن سيف الدولة اليوم واحد .

اقتضى حسن الرأي الشريف أن ننضد لسعادتهما عقداً متضداً ، وأن نخص كلا منهما بإمرة حتى يغدو لنا من هذا والداً من أعز الأنصار ومن هذا ولداً .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يرح يفرأولياته من الإحسان المدد ، ويكثر لأصفيائه ، من الأعوان على الطاعة العدد ، ويشمل بره ومعروفه الوالد والولد (٥٦) .



- ٢ -

أما بعد حمد الله الذي زين سماء دولتنا من ذراري أولياتنا بمن يفوق الدراري إشراقاً ، وأثار مطالع مواكبنا المنصورة من كواكب أصفيائنا بمن يهر العيون اتلاقاً واتساقاً ، وجمع شمل السعادة لأهل بيت اتسقت عقود ولائهم في طاعتنا فحسنت في جيد الدهر انتظاماً واتساقاً ، جاعل سيوف دولتنا في مراضينا مرهفة الغرار مرتقبة الأعداء ، فما جردت عليهم إلا أرتهم مصارع الاغترار ، والشهادة له بالوحدانية التي نطق بها لسان التوحيد والإقرار ، وجعلت

وسيلة إلى الخلود بدار القرار ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنجده الله من خاصته بالأعوان والأنصار ، ورفع لواء نبوته حتى صار منشور الأعلام في الأمصار، وعلى آله وصحبه الذين ميزهم الله بشرف قربه ، وجعل للآباء منهم فضل المزية من قلبه ، ورفع أقدارهم بأن جعل منهم حبه وابن حبه - فإن أولى من جمع شمل السعادة في إزاره ، ورفعت راية الإمارة لفخاره من نشأ على إخلاص الولاء الذي أشبه فيه أباه ولمعت يروق أسننه التي كم أعمدها في رقاب عداه كم جرد النصر لنا من أيه سيفاً في مواقف التأيد وأمضاء ، كم زكا فرعه السابى في رياض الإخلاص وأهدر هلاله المشرق، في مطالع الاختصاص .

ولما كان (فلان) هو الذي نشأ في خدمتنا وليدأ وغذى بلبان طاعتنا فأسمى حظه سعيداً ، وأضحى رأيه حميداً ، ولم يزل لأبيه أعزه الله حقوق ولاء تأكدت أسبابها ومدت في ساحة الاعتداد أطنابها ، وحسن في وصف محافظتها إسباب الألسنة وإطنابها .

اقتضى حسن الرأي الشريف أن نرقى هلاله إلى منازل البهور وأن نطلعه في سماء عز بادية الإنارة واضحة السفور وأن يعلى من ذلك قدره إلى محل الإمارة وأن نتوجه منها بما يكون أعظم دليل على إقبالنا وأظهر أماره . فلنلك مخرج الأمر الشريف - لا زال . . (٥٧) .

- ٣ -

أما بعد حمد الله منور الأهله في آفاقها ، ومنول عوارفه بإرفاقها ، ومكمل عطايها بإطلاقها ، ومنشئ ذراري الأولياء كالدرارى في إشراقها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جمع القلوب بعد افتراقها وشفع في الخليفة إلى خلائقها ، وعلى آله وصحبه البحور في اندفاقها والبهور في اتلائقها ،

فإن أبناء الأولياء أشبال الأسود . وعليهم عاطفتنا تجود . قد أنشأت نعمنا
آبائهم فأصبحوا للدولة أنصاراً، وأحفانهم بهم في التقديم فأمرؤا أبصاراً، وكان
من ترعرع ناشباً وغدا فرعاً زاكياً، وتدريب على الصهوات يمتطيها وتأهل
بالحازل النعم برضا مفضيها، ودلت حركاته على أن الشجاعة بحبة طبايعه، وأنه
تروى بلبان الطاعة من وقت رضاعه ، وأن أباه أجله الله أحسن مرباه .
فأشبهه بجميل اتباعه ، وهو فلان المنتخب في الدولة الناضرة ، المشبه في الإضافة
التجوم السافرة .

فلذلك عرج الأمر الشريف . . (٥٨) .

النوع الثالث من المنشور

منشور العربان

- ١ -

« منشور لأمبر عرب »

الحمد لله الذى أرسل ديم كرمنا دائمة الإمداد وشمل بمجدنا كل حاضر وباد ، وجعل أيماننا الشريفة تحمض بطولها كل طيب التجار طويل التجاد ، نحمده حمداً بحلاه يزدان ومن جداه يزداد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمهد لقاتلها خير مهاد ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم الأجداد ، الرحيب الناد ، أرسله لإصلاح الفساد ، وإزباح الكساد وكشف العناء وإزالة العناد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أرهفوا فى جهاد أعداء الله البيض الحداد وأرغفوا السمر الصعاد ، وعلى أصحابه الذين كاتوا يوم الفخار السادات ويوم النزال الآساد ، وسلم تسليماً كثيراً . . .

وبعد ، فإن أولى من عمرنا بكرنا مربعه وناديه وأمطرنا ثرى أمله بغادية مغاديه ، وسفر له وجه إحساننا عن واضح أسرته ، وقابلة إقباله فقدمه على قبيله وميزه على أسرته ، من أعطص فى طاحتنا ضميراً واتبج جادة مولانا فأصبح بتجديد نعمنا جديراً وحذا فى خدمتنا أحسن حذو وعرف بمجمل الخفاصة فى الخضصر والبسو ، واشتهر بالشجاعة التى طالما فرقت جموعاً وأقفرت من الأعداء ربوعاً ، واتصف بالإقدام الذى ما ألف عن محارب رجوعاً كم أهل متصفاته فى دماء التحور ، وأشرع صعاذه فأوردتها الأوردة وأصدرها فى الصدور ، ورفع من أسننها فى ليل النقع ناراً قرارها لحوم العنا وأضيفها الآساد والتسور .

ولما كان (فلان) هو الممنوح هذا الإتمام الفهر والممدوح في مواقف
الحروب بإقدام عمرو .
فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت شاملة مواهبه ، هاملة صحابته -
أن يجري في إقطاع .. (٥٩) .

٢ - مناشير أمراء آل تنوخ (أمراء الغرب)

١ - الأمير سعد الدين خضر .

•
- ١ -

نسخة منشور له من المزيك التركمانى (٦٠)

بتاريخ ٢٧ ربيع الأول سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م)

العلامة : « حسبي الله »

جهاته : من الشوف : المعاصر القوقازية - بعلران - عين ماطور (٦١) -

بطلون - عين أوزيه - كفر نرج - أبريج (٦٢) - عريفه .

ومن وادى التيم (٦٣) : تنوره - ظهر حماره .

ومن إقليم الحروب : برجه - بعاصر الشحيم (٦٤) .

ب - الأمير جمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن حجي :

•
- ٢ -

نسخة منشور له من الملك الظاهر بيبرس

بتاريخ رجب ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م)

العلامة : « المستعان بالله »

جهاته : عالية - مجدليا - شارون - عرامون - عنرافيل - طردلا -

دقون - عين كسور - قلدرون - شمالان - مرتقون - سرجمور - بطلون

عيناب - اللوير - بناثر - ييصور - كفر عميه - عينات (٦٥) .

الأمير شمس الدين كرامة بن بختر بن صالح

المتوفى سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ م)

« ويتضمن المشاركة في الإقطاع »

نسخة منشور له من الناصر محمد

جهاته : عرامون - يبصور - كينون - ثلث عيناب - ثلث عين

عنوب - ثلث بناثر - ثلث كفر عميه - ثلث حصّة الملك - مجلده - حرف

شالا (٦٦) مرتعون - بركة شطرا (٦٧) من الفريديس فدان (٦٨) .

قائمة بالناشير التي كتبت بعد روك التمام

في سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)

في عهد الناصر محمد بن قلاوون لأمرام العرب من آل تنوخ

- ١ -

الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد الدين أمير الغرب
(أمير عشرة)

« المجلس السامي الأمير ناصر الدين الحسين بن سعد أمير الغرب لخاصته
وعشرين طواشياً من بيروت » : -
« عرامون - حرف شالا - كيفون - يبصور - ثلث عين عنوب -
ثلث عيناب - ششوم - ثلث كضر عميه - ثلث بناثر - بركة - شطرا -
مرتقون - ثلث حصّة مجلدا - مفدلا - من الفريديس فدان (٧٩) .

- ٢ -

« الأمير عز الدين حسين بن شرف الدين علي »
(أمير عشرة)

« مجلس الأمير عز الدين بن حسين بن شرف الدين علي : لخاصته
وعشرة طواشياً :
نصف عيناب - نصف دقوق - نصف مجدليا - نصف شمالال -
نصف عين عنوب (٧٠) - نصف سرجمور - نصف عين دارفيل - ثلث
بناثر - ثلث عيناب - ثلث قطع أرض في العمروسية - ثلث حصّة الملك
في خلدا - ثلث كضر عمية - من الفريديس فدان (٧١) .

« الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف »

(أمير عشرة)

« مجلس الأمير سيف الدين مفرج بن بدر الدين يوسف بن زين الدين صالح لخاصته وعشرة طواشية :

نصف عينات - نصف دقوق - نصف مجدليا - نصف شمالال -
ثلث عين جنوب (٧٢) - نصف عين دار فيل - ثلث بتائر - نصف سرجمور -
ثلث عيناب - ثلث قطع أرض في العمروسية - ثلث كفر عمية - ثلث حصة
الملك في خلدا - من الفريديس فدان .



« الأمير عز الدين الحسن بن سعد الدين »

(أمير خمسة)

« الأمير عز الدين الحسن بن سعد الدين أمير الغرب لخاصته وخمسة
طواشية :-

نصف عالية - نصف الحربية (٧٣) - عنأ - نصف اللوير - نصف
السباحية - نصف درب المعية - ربع قلدرون - نصف قطع أرض بقرشية -
ربع طردلا - ربع مرطون - ربع عين كسور (٧٤) .



(الأمير علم الدين سليمان بن علاب)

(أمير خمسة)

« الأمير علم الدين سليمان بن علاب لخاصته وخمسة طواشية :-
نصف الحربية - نصف اللوير - نصف السباحية - من درب المغيبة

النصف - ربع قدرون - نصف قطع أرض بقرنية - ربع طردلا - ربع مرطون - ربع عين كسور (٧٥) .

●
- ٦ -

« الأمير سيف الدين إبراهيم بن نجم الدين محمد »
(أمير خمسة)

« الأمير سيف الدين إبراهيم بن نجم الدين محمد بن حجي لخاصته
وخسة طواشبة : -

ربع بطلون - ربع الظفرانية - نصف القبي (٧٦) - نصف بجواره -
نصف مستون - ربع الدوير - نصف مزرعة أفتو . . . » (٧٧) .

●
- ٧ -

« الأمير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجي »
(أمير أربعة)

« الأمير شمس الدين عبد الله بن جمال الدين حجي لخاصته وأربعة
طواشبة : -

نصف قدرون - نصف رمطون - نصف طردلا - نصف عين
كسور (٧٨) .

●
- ٨ -

« الأمير عماد الدين موسى بن مسعود »
(أمير ثلاثة)

« الأمير عماد الدين موسى بن مسعود بن أبي الجيش ، لخاصته وثلاثة
طواشبة : -

نصف أدقول - نصف التسبقين (٧٩) - نصف شطر - نصف دير
قوبل - نصف عين حجبة (٨٠) .

٥ - من كتب إقطاعات التملك

١ - مكتوب جامع بالتملك

« لبلاد قيسارية التي فتحها بيبرس ٦٦٣ هـ (١٢٦٤ م) (استولى عليها من الصليبيين » (حين وزعها على الأمراء المجاهدين من نوع إقطاع التملك) .
و أما بعد حمد الله على نصرته المتتالية المعرودة ، وتمكينه الذي رفعت به الملة الإسلامية في أصنى البرود ، وفتحته الذي إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقته علمت لأمر ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار بالسيف البتار ، وأعلمهم لمن عقى الدار ، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعيشى والإبكار . فلأن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تحاذل الملوك ، وتهاون الناس فأكرم بها نعمة وصلت للأمة الحمديّة أسباباً ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً ، وهزمت التار والقرنج العدوين ، وربطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ، وجعلت عساكر الإسلام تذل القرنج بغزوهم في عقر الدار ، وتجووس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار ، وتقود من فضل عن شبح السيف الساعب إلى حلقات الإسار . ففرقة منها تنقل للقرنج قلاعاً وتهدم حصوناً ، وفرقة تبنى ما هدم التار بالشرق وتعليه تحصيناً وفرقة تسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة وتنسج هضاباً سامقة . فهي بحمد الله البانية المادمة والقاسمة الراحمة . كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففري ، وحملت رياح النصره ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكونته السعادة ملكاً إذا رأته في دسبها قالت تعظيماً له ما هذا بشراً . وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس . جعل الله سيوفه مفاتيح البلاد ، وأعلامه أعلاماً من الأسنة على رأسها نار بهيابة العباد ، فإنه آخذ البلاد ومعطيها وواهبها بما فيها .

وإذا عامله الله بطفه شكر وإذا قدر عني وأصلح فواقه القدر ، وإذا أهديت إليه النصره فتوحات قسمها في حاضرها لديه متكرماً ، وقال الهدية لمن حضر ، وإذا خوله الله تحويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار ، والدمار للبتار والرقاب للإسار والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار . ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة في الصحائف لصفاحه من الأجور ، وما تطوى عليه طويات السير التي غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه الثغور .

فتى جعل البلاد من العطايا فأعطى المسدن واحترق الضياعا سمعنا بالكرام وقد أرانا عياناً ضعف ما فعلوا سمعنا إذا فعل الكرام على قياس جميلاً كان ما فصل ابتداعا ، ولما كان بهذه المثابة وقد فتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه، وله أولياء كالنجوم ضياء، وكالأقدار مضاء، وكالعقود تناسفاً وكالويل تلاحقاً إلى الطاعة وتسابقاً ، رأى ألا يفرد عنهم بنعمة ولا يشخص ولا يستأثر بمنحة غدت بسبوفهم تستنقد . وبزازمهم تستخلص . وأن يؤثرهم على نفسه . ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه ويبقى للولد منهم وولد الولد ، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد، ويعيش الأبناء في نعمته كما عاش الآباء وشيخ الإحسان ما شمل ، وأحسنه ما خلد فخرج الأمر العالی - لا زال يشمل الأعقاب والنوارى وينير إنارة الأنجم الدرارى - أن يملك أمراؤه وخواصه الذين يذكرون ، وفي هذا المكتوب يسطرون ما يعين من البلاد والضياع ، على ما يشرح ويبين في الأوضاع :-

وهو الأتابك فارس الدين أقطاي الصالحى عتيل بكالها ، الأمير جمال الدين أيدغددي العزيزي النصف من زينا ، الأمير بدر الدين يسرى الشمسى الصالحى نصف طور كرم ، الأمير بدر الدين ييليك الخازندار نصف طور كرم ، الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زينا ، الأمير سيف الدين بن قلع البغدادي ربع زينا ، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى أفراسين بكالها ، الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحى باقة الشرقية بكالها ، الأمير عز الدين أيلمر الحلبي الصالحى نصف قلنسوة ،

الأمير شمس الدين سنقر الروى نصف قلنسوة ، الأمير سيف الدين قلاوون
 الألقى الصالحى نصف طيبة الاسم ، الأمير عز الدين ايغان سم الموت نصف
 طيبة الاسم ، الأمير جمال الدين أقوش النجيبى نائب سلطنة الشام أم القم
 بكالها من قيسارية ، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحى بنان بكالها ،
 الأمير جمال الدين أقوش المحمدي الصالحى نصف بورين ، الأمير جمال الدين
 أيدغدى الحاجبى الناصرى نصف بيزين ، الأمير بلر الدين بيليك
 الأيدمرى الصالحى نصف بيزين ، الأمير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث
 ثلث حلبة ، الأمير شمس الدين سلاز البغدادى ثلث حلبة ، الأمير صرام الدين
 صراغان ثلث حلبة ، الأمير نائر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر ، الأمير
 سيف الدين بلان الزينى الصالحى نصف البرج الأحمر ، الأمير سيف الدين
 إرتامش السعدى نصف بما ، الأمير شمس الدين أقسقر السلاح دار
 نصف بما ، الملك المعاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة ،
 الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابة ، الأمير بلر الدين محمد بن ولد
 الأمير حسان الدين بن بركة خان دبر القصون بكالها ، الأمير عز الدين أيك
 الأقرم أمير جاندار نصف الشويكة ، الأمير سيف الدين كرمون أغا الترى
 نصف الشويكة ، الأمير بلر الدين الوزيرى نصف طبرس ، الأمير زكى الدين
 منكورس الدويدارى نصف طبرس ، الأمير سيف الدين قشمر
 العجمى عراز بكالها ، الأمير علاء الدين أنخوا الدويدار نصف عرعا ،
 الأمير سيف الدين قنجه البغدادى نصف عرعا ، الأمير سيف الدين دكجل
 البغدادى نصف فرعون ، الأمير علم الدين سنجر الأركشى نصف فرعون ،
 الأمير علم الدين طرطج الأسدى أقتابة بكالها ، الأمير حسام الدين إرتامش
 ابن أطلس خان سيذا بكالها ، الأمير علاء الدين كتدغدى الظاهرى أمير
 مجلس الصفر بكالها ، الأمير عز الدين أيك الحموى الظاهرى نصف أرتاح ،
 الأمير شمس الدين سنقر الألقى نصف أرتاح ، الأمير علم الدين طبرس
 الظاهرى نصف باقة الغربية ، الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية ،

الأمير عز الدين الأتابك القمخري القنبر بكالها ، الأمير علم الدين سنجر
 الصيرفي الظاهري أخصاص بكالها ، الأمير ركن الدين البيبرس المغربي نصف
 قطين ، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلي أميرهمندار نصف كفر راعي ،
 الأمير علاء الدين كشتغلي الحيشي مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعي ،
 الأمير شرف الدين بن أبي القاسم نصف كستا ، الأمير بهاء الدين يعقوب
 الشهرزوري نصف كستا ، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور استادار
 العالية نصف برنيكية ، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الغزاوي نصف برنيكية ؛
 الأمير علي الدين سنجر نائب أمير جاتدار نصف حانوتا من أرسرف ، الأمير
 سيف الدين بيدغان الركني فرديسيا بكالها من قيسارية ، الأمير عز الدين
 أيلدر الظاهري نائب الكرك ثلث حبله من أرسيف ، الأمير جمال الدين
 أقوش السلاح دار الرومي ثلث حبله ، الأمير شمس الدين ستقر جاه الظاهري
 ثلث حبله ، الأمير بدر الدين بكتاش القمخري أمير سلاح ثلث جلجولية ،
 الأمير علاء الدين كشتغلي الشمسي ثلث جلجولية الأمير بدر الدين بكتوت بجكا
 الرومي ثلث جلجولية .

ملحوظة : - (وكتب من كتاب التملك الشرعي الجامع نسخ وفرقت
 على كل أمير نسخة وطلع على قاضي دمشق وعاد إلى بلده (٨١)) .

٢ - ملخص تقليد بتملك قلعة الصبية وما هو مضاف إليها
 للأمير بدر الدين بيدوا (٨٢) الأشراف، نائب السلطنة الشريفة

أيام خليل

صورة التقليد

والحمد لله ذي النعم التي ،

أجملت للمحفوظ الارتفاع وأحسنت في التخصيص بالأجناس والأنواع ،
 وغولت كلما يرفع القلم المحول به والمحول له عن مجازاة قلم الجود بالإقطاع
 بحمد حمداء . ونشهد . . .

ولما كان الحناب العالمى الأميرى المولى الولدى البدرى بدر الدين بيدرا الملكى الأشرقى نائب السلطنة الشريفة ، أجله الله . له حقوق كرم ، وخدمة عظمت ، اقتضى شريف الاختصاص أن يكون الكرم على قدر الأكارم . ولذلك خرج الأمر الشريف . . أن يجرى فى ملكه قلعة الصبية المحرومة وخاصها المضاف إليها على ما كانت عليه بيد الأمير بدر الدين بيليك الخازندار الظاهرى بما جمعت عليه أسوارها وما حوته أقطارها . ليصبح هذا التملك فى الاستيلاء والنفاذ . . فليصرف فيها تصرف الملاك فى أملاكهم ويسمو بتملكها إذا سما الأولياء بالإقطاعات من سلاطينهم وأملاكهم ، فقد وجب تملكها له وملكه لها وجوباً شرعياً مستوعباً بالمعرفة والإيجاب والقبول والتخلى والتسليم وصار ذلك حقاً مرعياً . . . فليمرد صرحها . . . وليجعلها بالعمارة محسنة . . . فهذا إنعام إذا نشرت صحف المناشير بالإقطاعات ، طوى بما لهذا الملك من الانتفاعات . . والخط الشريف السلطانى . . حجة . . وبه قد أصبح حقاً واجباً ، وما هو إلا معروف بأنه صدقة ومعروف ، وليثبت ذلك بالدواوين المعمورة بمصر والشام . . . (٨٣) .

و - بعض أوراق التنظيم الإقطاعي

- ١ -

خلاصة مرسوم شريف بإخراج المعرة وضواحيها عن حماه وإضافتها إلى مملكة حلب لسبب عدم وجود إقطاعات محلولة بحلب تكفي الجنود المنقولين إليها من حماه

بتاريخ ١٩ محرم ٧١٣هـ (١٣١٣ م)

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أن يستقر بيده (بيد أبي القداء صاحب حماه) حماه وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع وقربا وجهاة وأمور ومعاملات، وغير ذلك من كل ما ينسب إلى هذين الإقليمين ويدخل في حكمهما. يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية وإقطاع إقطاعات الأمراء والجنود وغيرهم من المستجدين من أرباب الوظائف ، وترتيب القضاة والخطباء وغيرهم ، ويكتب بذلك مناشير وتواقع من جهته ويجرى ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه ويقم على هاتين الجهتين ٥٠٠ فارس بالعدة الكاملة من غير نقص ، ويطلق حكم ما عليهما من المناشير والتواقع الشريفة والمساحات والمحسوب ، وكل ما هو مرتب عليهما للأمراء والجنود والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الإنعام بهما على المشار إليه ، على قاعدة الملك المظفر صاحب حماه ، وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة ، وإفرادها عن حماه وبارين ، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية استقرار الدر في أسلاكها والدراري في أفلاكها ، يتصرف في أحوالها بين العالمين بنهيه وأمره ، ويجرى أمورها بين المتوجبين بإنعامه وبره ، ولا يمتضى فيها أمر بغير مشوره الكريمة ، ولا يجرى

معلوم ولا رسم إلا بمرسومه الجاري على سنن سلفه القديم ، وليفعل ذلك بجميع ما راد وكيف أراد ، ويتصرف على ما يختار فيها تحت حكمه الكريم ، وبحكمه من مصالح العباد والبلاد ، والله تعالى يعلى بمفاخر عباده ويجعل التأيد والنصر قرين لإصداره وإيراده ، والخط الشريف حجة بمضمونه إن شاء الله تعالى .

كتب في تاسع عشر المحرم سنة ٧١٣ هـ (٨٤) .



تحويل السنين

« ملخص نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية أو السنة الخراجية إلى الهلالية » كتب سنة ٧٥٠ هـ في عهد السلطان حسن في سلطته الأولى (٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٨ م - ١٣٥١ م)

وهي : -

« الحمد لله الذي جعل الليل والنهار آيتين ، وصور الشهور والأعوام لابتداء المدد وانتهائها غايتين . ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل برئته على توفية الأوقات حقها من الأفعال التي يحصل بها الاعتداد ويحسن بها الاحتساب »
نحمده على ما خص أيامنا الزاهرة من إنعام النظر في مصالح خلقه
وبعد فلذا لما انتصنا الله تعالى به من البرفر على مصالح الإسلام
نتبع كل أمر فسد خلقه .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سنين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل به ميقات القوت الذي قال الله تعالى فيه « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » (٨٥) وقمرية لا يعول في أحكام الدين إلا عليها ولا يرجع في تواريخ الإسلام إلا إليها . . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام في المدد ، واختلاف الشهور الهلالية في العدد ما يلزم

• منه تدخل مغل في مغل ونسبة شيء راح وانقضى إلى ما أدرك الآن وحصل،
ويؤدي ذلك إلى إبقاء سنة بغير خراج . . .

اقتضى حسن الرأي الشريف أن تحول هذه السنة التي يحصل بها الكبس..
نظراً بذلك في مصالح الأمة . . .

فلذلك رسم بالأمر الشريف . . . أن يحول مغل سنة ٧٤٩ هـ بالديار
المصرية المحروسة لمغل سنة ٧٥٠ هـ ويلقى اسم مغل السنة المذكورة (وهي
سنة ٧٤٩) من الدواوين المعصورة ، ولا ينسب إليها مغل بل يكون مغل
سنة ٧٥٠ تالياً للمغل سنة ٧٤٨. وتستقر السنة حيثئذ هلالية خراجية بحكم دوران
السنين . واستحقاق هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث اتفقا مبدأ
السنين الشمسية والقمرية ووقوع الإغفال عن هذا المهم في الدول الماضية
لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما قعد عنه من مضي من الدول . . لما في
ذلك من المصلحة العامة . . .

فليعتمد حكم ما قرراه . . . وليثبت ذلك في الدواوين . . . وليسقط
ما تحلل بين هاتين السنين من المغل الذي لاحقيقة له ، وليترك ما بينهما
من التفاوت الذي لا تعرف الحسابات معده ، وليصح اسم هذه الأيام من
الدفاتر.. فليس المغل سوى للعام الذي وجد فيه سببه . وليبطل ذلك من الارتفاعات
بالكلية ويسقط من الجرائد . : ولا يذكر مغل السنة المدحوضة في سجل
ولا مشروح ، ولا مشهود يندو حكم وبيروغ ، ولا سكتات تودمها الأعلام
شيئاً على الجواز وهو في الحقيقة مطروح .

والاعتماد فيه على الخط الشريف - « أعلاه الله تعالى ... » (٨٦)

سنة ١٧٥٠ هـ .

ملخص نسخة تذكرة سلطانية تكتب لثائب السلطنة عند سفر السلطان
إلى خارج البلاد

« تذكرة نافعة ، للخيرات جامعة ، يعتمد عليها المجلس العالى الأميرى
الترينى كتبها المتصورى نائب السلطنة الشريفة - أدام الله عزه - فى مهمات
الديار المصرية وأحوالها ومصالحها وما يترتب بها وما يفتصل فى القاهرة
ومصر المهروسيتين وسائر أعمال الديار المصرية . . وما تستخرج به المراسيم
للشريفة المولوية السلطانية الملكية الصالحة الفلانية . . فى أمورها وقضاياها
وولاياتها وولائها وحمولها وحفيرها وحفظها ومتجدياتها على ماشرح فيه :-
فصل الشرع الشريف :

يشد من حكامه وقضائه فى تنفيذ قضاياه وتصريف أحكامه والشد منه
فى تقضه وإيرامه .

فصل العدل والإنصاف والحق :

يعتمد ذلك فى جميع المملكة الشريفة . . .

فصل الدعاء :

يعتمد فيها حكم الشرع الشريف. ومن وجب عليه قصاص يسلم لغريمه
فيقتص منه بالشرع الشريف ، ومن وجب عليه القتل يقطع بالشرع الشريف .
فصل :

الأمر المختص بالقاهرة ومصر المهروسيتين حرسهما الله تعالى : لا يتجوه
فيها أحد ولا يقوى قوى على ضعيف ، ولا يتعدى أحد على أحد جملة كافية .

فصل :

يتقدم بأن لا يمضى أحد فى المدينة ولا ضواحيها فى الحسينية والأحكار
فى الليل إلا لضرورة . . والنساء لا يصرفن فى الليل . .

فصل الحبوس :

تحمس وتحفظ بالليل والنهار ، وتخلق لى الأسارى كلهم من فرنج

وأطباكين وغيرهم ويتعهد ذلك فيهم كالما تنبت ، ويمتاز في أمر الداخل إلى الجبوس . . وتقام الضيافة التقات على الخاندارية الذين معهم ولا يستخدم في ذلك غريب ولا من فيه ربية . ويضاعف الحرس في الليل على خزانة البنود .

فصل :

يرتب جماعة من الخند مع الطواف في المدينة لكشف الأزقة وغلق الدروب وتفقد أصحاب الأرباع وتأديب من يحل بمركزه من أصحاب الأرباع .

فصل :

الأماسن التي يجتمع فيها الشباب وأولو الدخارة ومن يعاني العيب والزنطرة لا يفسح لأحد في الاجتماع بها في ليل ولا نهار . .

فصل :

يرتب المحرودون حول المدينتين بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة وكذلك القرافة وخلف القلعة وجهة البحر وخارج الحسينية . . ولا يفارق المحرودون مراكزهم إلا عند السفور وتكامل الضوء .

فصل :

يتقدم بأن لا يجتمع الرجال والنساء في ليالي الجمع بالقرافتين . . .

فصل :

مهمات الغائبين في اليكار المنصور تلحظ ويشد من نوابهم في أمورهم ومصالحهم ، ويستخلص حقوقهم لنوابهم وغلماهم ووكلائهم ، ومن كانت له جهة يستخلص حقه منها ، ولا يتعرض إلى جهاتهم المستقرة فيما يستحقونه ويقوى أيديهم وتؤخذ الحجج على وكلاتهم بما يقبضونه ، حتى لا يقول موكلوهم في اليكار ، إن كبت وكلاتنا وردت بأهم لم يقبضوا لنا شيئاً ، فيكون ذلك سبباً لرد شكواهم .

فصل :

خليج القاهرة ومصر المحروستين يرسم بهمله وحفره وإتقانه في وقته

بحيث يكون عملاً جيداً متقناً من غير حيف على أحد ، بل كل أحد يعمل ما يلزمه عملاً جيداً .

فصل :

جسور ضواحي القاهرة يسرع في إنقاذها وتعريضها . . ويجعل الأمراء في جرائفها ومقلقاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة في أمر الجسور القريبة والبعيدة .

فصل في الأعمال والولايات :

تنجز الأمثلة الشريفة السلطانية المولوية الملكية الصالحية الفلانية . . يلتفتان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والترايع . . وإصلاح ما تشعث من أبوابها . . وتعتمد المراسيم الشريفة من أن أحداً لا يعمل بالجاه ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة في الأيام الصالحة . ويؤكد على الولاية في مباشرتها بتفوسهم وأن لا يتكلموا على المشدين وأى جهة حصل فيها قصص أو خلل كان قبالة ذلك روح وإلى ذلك العمل وماله . . وتتخذ خطوط الولاية . . بأن الجسور قد أتقن عملها على الوضع المرسوم به .

فصل :

يتقدم إلى الولاية ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه في الأيام الظاهرية أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء ينزلون بيوت شعر على الطرقات على البلدين ، يخفرون الرائح والغادى . . ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها .

فصل - الثغور المحروسة :

بلا حظ أمورها ومهماتها . . واستجلاب قلوب التجار . . ومعاملتهم بالرفق والعدل حتى تتواصل التجار وتعمر الثغور ، ويؤكد عليها في المستخرج وتحصيل الأموال . . وأصناف النخائر . . ومهما وصل من الممالك والبحار والحرير والوبر والأطلس والقضة الحجر وأقصاب الذهب المغزول يعتمد في تحصيله العادة .

فصل :

يؤكد على ولاية الأعمال في استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها ومباشرة أحوال الأقسام ومعاصرها في أوقاتها .

فصل - أموال الخراج الديوانية :

يعتز عليها وترتب وتسمى، ولا يطلق منها شيء إلا بمرسوم شريف من . .

فصل - حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والهند وجاهتهم :

يستخلص أموالهم وكلاءهم، ويوجد الشهادات بما عليهم من غلقتودراهم، وغير ذلك، ولا يبرج الركلاء إلى شكوى منهم بتصل بمن هو في البيكار . . .

فصل - يتقدم إلى الولاية والنظار والمستخدمين بعمل أوراق بما يتحصل للمقطعين الأصلية (٢) في كل بلد ولتقطع الجهة ، ولئن أفرد له طين بجهة ولئن جهته على الرسوم :

ليعلم حال المقطعين في هذه السنة الجيشية والجهاتية وما تحصل لكل منهم ولا يحصل من أحد ، الولاية مكاشرة ولا إهمال ، ولا يطمع في الوكلاء لأجل غيبة الأمراء والمقطعين في البيكار ، ولا يجوز أحدهم المقطعين إلى شكوى لسبب متأخر ولا ظليمة ولا إجحاف .

فصل :

إذا خرج جاتندار من مصر إلى الأعمال لا يعطى في العمل أكثر من

درهمين نقرة ويوصل الحق الذي جاء فيه لمستحقه ، فإن حصل منه قال وقيل أرحيف أو تمت يرسم عليه ويسير الحق مع صاحبه منه ويطلع بأن فلاناً الجاتندار حضر وجرى كذا وكذا . . .

فصل :

إذا سير أحد من الولاية رسولا بسبب خلاص حق من بعض قرى أعماله فيكون ما يعطى الجاتندار عن مسافة سفر يوم نصف نقرة وعن يومين درهم واحد لا غير ، وأي جاتندار تعدى وأخذ غير ذلك يؤدب ويصرف من تلك الولاية .

فصل :

تكتب الحجج على كل يوكل يقبض لخدمه شيئاً من مغلّه أو جهته من الديوان أو الفلاحين ، ولا يسلم له شيء إلا بشهادة بمحجج مكتبة عليه تحلّد منها حجة الديوان المعمورة بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحجج حاصلة حتى إذا شكّا أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بمن يشكو من تأخر حقه ، يطالعوننا بأمر وكيله وما قبض من حقه . وتسير الشهادة عليه طى مطالعته ويحترز من الشهادات بما وصل لكل مقطع حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصل المقطعين من البلاد والجهات مفصلاً ، وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأخر لكل منهم ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمقطعين وأحوالهم ، ويزيل شكوى من تجب إزالة شكواه ، وتعلم أحوالهم على الحلية .

فصل :

تقرأ هذه التذكرة على المناير فصلاً فصلاً ، لسمعها القريب والبعيد ، ويلغها الحاضر والغائب ، بمضمونها كل أحد ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخير بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا والسلام (٨٧) .

نسخة مرسوم شريف بالمساحة بالبواقي في ذم الحند والرعايا بالشام كتب به في الدولة الناصرية - محمد بن قلاوون في شهر سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢م) بخط العلامة كمال الدين محمد الزمלקاني من إنشائه وقرئ على المنبر بالجامع الأموي بدمشق المحروسة وهي :-

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً ، وسمع نداء كل حي راقية وحلماً ، وخص أيامنا الزاهرة بالإحسان فأنتجح فيها من عدل ، وخاب من حمل ظلماً ، وزان دولتنا بالفضو والتجاوز فهي تعدد المسامحة بالأموال الجسيمة غنماً إذا اعتدتها الدول غرماً .

نحمده على نعمه التي نمرت رعايانا بإدامة الإحسان إليهم ، ونحمرت بمالكتنا بما نتعاهد به أهلها من نشر جناح الرأفة عليهم .

وبعد فإن الله تعالى لما خص أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا ، في مهاد أمها .. وعمت بالدعة السكون قاطبهم وراحلهم .. رأينا أن نفسح لهم مجال الدعة والسكون .. وأن نشفع العدل فيهم ، كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم ، وتسامعهم بالأموال التي أمملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، وتغضيم من الطلب بالبواقي التي تسوها كالأجال وهي مقلمة بين يديهم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف .. أن تسامح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها من البواقي المساقاة في النواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوجة بالخط الشريف ، وجملة ذلك (٨٨) من الدراهم (٨٨) ألف ألف وسبعمائة ألف وستة وأربعون ألفاً ومائة ألف وخسة

وأربعون درهما ، ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف وأربعمائة واثنان
وأربعون غرارة ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ، ومن الغنم
خمسائة رأس ومن الفول اذ سبائة وثمانية أرتال ، ومن الزيت ألفان وثلاثمائة رطل ،
ومن حب الرمان ألف وسبائة رطل .

فليتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد . . وسبيل كل واقف على هذا
المرسوم الشريف اعتماد حكمه والوقوف عند حده ورسمه ، ويعنى آثار هذا الباقي
المذكور بمحو رسمه واسمه . . والخط الشريف شرفه الله تعالى وأعله حجة
بمقتضاه » (٩٠) .



- ٢ -

« نسخة »

« مسموح » منحه السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) للأمير
بكتاش الفخرى أمير سلاح حين تنازل عن إقطاعه وطلب مساعته بما عليه
من ديون .

« رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالی المولوى
الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من
تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها من غير طلب تفاوت ولا تقاوى ،
ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره ، مسامحة وإنعاماً عليه
لما سلف له من الخدمة وتقادماً الهجرة مسامحة لا رد فيها ولا رجوع عنها بحيث
لا يطالب بشيء . قل ولا جل لما مضى من الزمان ، وإلى يوم تاريخه لتزوله
عن إقطاعه حسب سؤاله » (٩١) .



- ٣ -

« ملخص »

« نسخة مسامحة بمكوس على جهات مستبحة بالملكة الطرابلسية

وإبطال المنكرات ، كتب به في الدولة الناصرية - محمد بن قلاوون ، ٧١٧ هـ .
(١٣١٧ م) .

والحمد لله الذي جعل الدين المحمدي في أيامنا الشريفة على أثبت عماد ::
نحمده على نعم بلغت من إقامة منار الحق المراد :: .

وبعد فإن الله تعالى منذ ملكتنا أمور خلقه :: ألعننا إعلاء كلمة الإسلام
ولما اتصل بعلومنا الشريفة أن بالمملكة الطرابلسية آثار سوء ليست في غيرها
ومواطن فسق لا يقدر غيرنا على دفع ضررها وضيرها . :: .

ومما أنهى إلينا أن بها حانة عبر عنها بالأفراح قد تطاير شرها ...
ومنها - أن المسجون إذا صحت بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين
الطلب ، وإذا أفرج عنه ولو في يوم انقلب إلى أهله في الحسارة بشرمقلب ...
ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سكانها يعرفون

بالنصيرية لم يبلغ الإسلام لهم قلباً .. يخلطون ذبائحهم بذبائح المسلمين ، ومقابرهم
بمقابر أهل الدين وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعاً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف :: أن يبتطل من المعاملات بالمملكة
الطرابلسية ما يأتي ذكره :-

جهات الأفراح المحلورة بالفتوحات خارجاً عما لعله يستقر من ضمان
القرح الخ :: :: وتقديرها :: ::

أقصاب للأمرء بحكم أن بعض الأمرء كان لم جهات زرع أقصاب
وقرروا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل وتقدير ذلك ::
هبة الشاد بنواحي الكهف لشد فيها كان يستأدى من كل مدير ، وتقدير
منحصله ...

السجون بالمملكة الطرابلسية خارجاً عن صحن طرابلس بحكم أنه أبطل
بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتقديرها :: ::

عناية الشام بكور طرابلس واقفة والسرون ومامعه بحكم أن المذكورين
كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر ، فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة قرر
على ذلك في السنة :

ضيان المشعل بطرابلس مما كان أولاً بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر
بالديوان المعمور في شهور سنة ٧١٦ هـ ، وتقديره . . .

حين الأقباص المحدث بأمر أقباص الديوان المعمور التي كان فلاحو
الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أعفوا عن العمل ، وقرر عليه السنة . . .

حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عن كان معا
في حصتها وتقدير متحصل ذلك . . .

المستحدث إقطاعاً من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم تجر به عادة .
من حشيش وملح وضيافة وتقديره . . .

فليظل هذا على ممر الأزمنة والدهور . . .

ويقرأ مرسومنا هذا على المنابر . . .

وأما النصيرية فليعمروا في بلادهم بكل قرية مسجداً ، ويطلق له من أرض
القرية رقعة أرض تقوم به وبمن يكون فيه من القوام بمصالحه على حسب
الكفاية بحيث يستفز الجناب الفلاني نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية والحصون
المهروسة ضاعف الله تعالى نعمته من جهته من يتق إليه الأفراد الأراضي
وتحديدها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة ، وفصلها عن أراضي المقطعين
وأهل البلاد المذكورة ، ويعمل بذلك أوراًفاً وتخلد بالديوان المعمور حتى
لا يبقى لأحد من المقطعين فيها كلام ، وينادي في المقطعين وأهل البلاد
المذكورة بصورة ما رخصنا به من ذلك .

فلنعتمد مراسمتنا الشريفة . . . (٩٢) .

ح - من كتب المناقلات الإقطاعية

الطرخانيات

(أ)

« طرخانيات أرباب السيوف »

(المرتبة الأولى)

نسخة مرسوم شريف بلرخانية لأمير

« الحمد لله اللطيف بعباده الرؤوف بخلقه ، المان بفضله الغامر بمجوده
الجائد برزقه، المتفضل على العبد : في الصبا بصفحه ، وفي الكهولة بعفوه ،
وفي الشيخوخة بعفته .

نحمده على أن جلنا على اصطناع الصنائع ، وخصنا برفع العوائق
وقطع القواطع ، وألمنا عطف النسق وإن كثرت مما سواه التوابع ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسكن الرحمة في قلب قائلها ، وترفع
سطوة الغضب عن متحلها في أواخر السطوة وأوائلها ، ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله أفضل نبي أوعد فعفاً ، وأكرم رسول وعد فوق . صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا في المعروف سنته ، ونهجوا في الإحسان
إلى الخلق نهجه فكان لهم في رسول الله أسوة حسنة، صلاة تقبل العثرات، وتتلو
بلسان قبولها « إن الحسنات يذهبن السيئات » وسلم تسليماً كثيراً . .

وبعد فإن أولى من رفعته المراحم الشريفة، بعين عنايتها، ولحظته العواطف
المنيفة بلحظ رعايتها (من أهله لإخلاصه في الخدم لأن يقوم مقاماً) ما لا يقارقه
ولا يباين وأن لا يحط من قدره العالی بسبب ما اتفق ، إذ كل مقدر كائن ،
وأن يصرف اختياره من الإقامة حيث شاء من الممالك المحروسة والمدائن ؛
فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السماح ومن كرمه بلوغ النجا

والتجاح ، ومن نعمه الصّبح عن الذنب المتاح ، حتى يحفظ على الأنفس
 النفيسة الأموال ويريح لها الأرواح (ولا يرح يولى) من قسمة المكرمات
 ما ينسى به الذنب فكأنه كان برقاً أومض ولمح وراح - أن يكون المشار إليه
 طرخاناً يقيم حيث شاء وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملاً بمزيد
 الإكرام والاحترام ، وأوفر العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسم الشريفة
 في ذلك عندما شملته الصدقات العميمة والمراحم الشاملة بالعضو الشريف والحكم
 المتين والإقبال والرضا والصفح عما مضى ، لما رأيناه من ترفيه خاطره
 وقرار قلبه برفع التكليف عنه وقره ناظره ، ولما تخلفت به أخلاقنا من التيمن
 الذى ألبسه أبواب الأمان وجلبت عليه طباعنا من الرأفة والرحمة ، والراحمون
 يرحمهم الرحمن ، ولما مهده له عندنا اعترافه الذى هو له فى الحقيقة أقوى
 شفاعة ولما تحققناه من أنه لم يفعل ذلك إلا لوفور الطاعة التى أوجبت له الإرهاب
 إذ الحرب من الملوك طاعة ، وكيف لا وقد تبين سطنتنا الشريف وعلم وخشى
 مهابتنا الشريفة ومن خاف سلم .

فليتقلد عقود هذه المنن التى طوقت جيده بالحدود ، وليشكر مواقع
 هذا الحلم الذى سر وسار كالمثل السائر فى الوجود ، وليقابل هذا
 الإقبال بالدعاء لأيامنا الزاهرة وليحظ بمواهبنا العميمة وصدقاتنا
 الباهرة ، وليحظ علماً بأن إحساننا العميم قد أعاد إليه ما لفته من الإسعاد
 والإصفاة ، وأن صفحنا الشريف قد أضرب عما مضى والماضى لا يعاد
 فليقم حيث شاء من البلاد المحروسة ، متفتياً ظللال مواهبنا التى يغدو وسرائره
 بها مأنوسة ، واردةً بحار عطايانا الزاهرة ، متمتعاً بمجلايس رضانا الفاخرة ، طيب
 القلب منبسط الأمل منشرح الصدر بما عمه من الإنعام ، وشمل مرعى الجناب
 فى كل مكان ، معظم القدر على توالى الأزمان مبهجاً بغمدا غرض من ذلك
 التقطيب مستبشراً بإقبالنا الذى يلذ له عيشه ويطيب ، والله تعالى يديم له
 عوارفنا المطلقة ، ونعمائم كرمنا المغدقة ، ومواهبنا التى انتشرت له فى كل قطر
 فهى لأنواع العطايا مستفرقة ، ومنتنا التى تسير معه حيثما سار وتقيم لديه أنى

أقام فلا تزال عنده غيمة في الأماكن المتضرقة والاعتقاد على الخط الشريف
أعلاه الله تعالى أعلاه « (٩٣) .

المرتبة الثانية

- ٢ -

« نسخة مرسوم بطرخبانية »

« أما بعد حمد الله على نعمه التي قد أوزعتنا بالإحسان إلى عباده أداء
شكرها ، وآلائه التي ألهمتنا بالتخفيف عن برية اقتران محامده بذكرها ،
ومنته التي وفق بها دولتنا الشريفة ، لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجرته
بفكرها ، وأحق ما أمرته بذكرها ، والصلاة والسلام على رسوله الذي أوضح
سبل المعروف وشرع سنن العدل المألوف ووصفه الله تعالى بالرأفة والرحمة
فيه يقتدى كل رحيم ، وبه يأم كل رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا
منار العدل لسالكه ، وقربوا منال الفضل لآخذه ، وبينوا الحيف والاشتطاط
لتاركة ، فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل
والإحسان وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد النعم الحسان ، فلا تزال
نعم النظر في أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم وجمهورهم ،
ليتأموا من عدلنا في مهاد الدعوة ، ويبيت ضعيفهم من مراحمتنا الشريفة في آم
رأفة وفقيرهم في أوفر سعة .

ولما كان (فلان) هو ممن فر في الخدمة الشريفة قسمه ، وكبر في الطاعة
سنه ووهن عظمه وعجزت عن الركوب والنزول حركته ، وذهبت مواقف
حربه ولم يبق إلا أن نلتمس بركته - اقتضى حسن الرأي الشريف أن يضاعف
إليه الإحسان ، ويعامل بوافر البر وجزيل الامتنان .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يوالى المن ويولى الأولياء من
المعروف كل جميل حسن - أن يستقر المذكور طرخاناً لا يطلب لخدمة
في نهار وليل ، ولا يلزم بالقيام بترك ولا تخيل ، فليمض حكم هذه الطرخانية

لا تتأول أسنة الأقلام في نصه ، ولانتطرق أوهام الأفهام إلى اعتراض ما من إعفائه بنقضه ولا نفضه ، وسبيل كل واقف عليه اعتياد مضمونه والوقوف عند حكمه والانتهاه إلى حده واتباع رسمه إن شاء الله تعالى (٩١) .

- ٣ -

« طرخانيات أرباب الأقلام »

نسخة طرخانية كتب بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضي قطب الدين بن المكرم أحد كتاب الدرج الشريف بالأبواب الشريفة عند إقامته بالحجاز الشريف . بأن يستقر طرخانا بنصف معلومه الذى كان له على كتابة الدرج الشريف وأن يقيم حيث شاء .

« رسم بالأمر الشريف - لا زال يأمر فيطاع ، ويصل فيعين على الانقطاع ، ويرى على اقتراح الأمل جوده المكرر المكرم ، فالأمل يقترح ما استطاع - أن يستقر للمجلس السامى القضائى (قطب الدين) بن المكرم - نفع الله به من معلومه على كتاب الدرج الشريف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر على الأدعية الصالحة لهذه النولة القاهرة ويقوم حيث شاء ثم يستقر ذلك لأولاده من بعده ثم لأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه ، واستعانة بمحاضر الجود ودون غائبه ، وإكراماً بلغانه وطالباً وجه الله تعالى يعان على الفور بكنوز مطالبه .

وما كنا لتسمح ببعده عن أبوابنا الشريفة، ولا نجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفة، لأنه ما يدرك أحد من أبناء عصره مده ولا نصيفه، ولديوان إنشائنا جمال بعقود كتابته التنظيمية ومعاني ألفاظه التنظيفية، وإنما لإقباله على الآجلة وإعراضه عن العاجلة ، واستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والتافلة، أسعفتنا سؤله بالإجابة ، وأعتاه على الإنابة ، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابة ، ومن أحسن سبيلا ممن أخذ لنفسه قبل الحين ، ونفض يديه من الدنيا

فراح بالخير مملوء اليدين ، فنظر إلى معاده فأقبل على الله قرير العين ، وها نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولددين .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المتزايدة ، والصلوات العائدة والإحسان إليه وإلى بنيه جملة واحدة ، وليدع لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قائماً ، وحين يقول ناطقاً وحيث يفكر صامتاً ، وعند فطره من صومه ، وفي أعقاب الصلوات في ليله ويومه ، وليوصل إليه هذا المرتب ميسراً لا يكدر مورده بتأخير ، وليصرف إليه مهتماً لا يشان طوله بتقصير ولا ينجوح إلى عناء وطلب ، ولا يلجأ في تناوله إلى كد وتعب ، بل يرفه بخامله عما فاز به من حسن الثقلب ، والله تعالى يمد به منته وفضله وينجب فرعه ببركة أصله ، والخط الشريف أعلاه حجة فيه ، إن شاء الله تعالى . (٩٥) .

ط - كتب مختلفة

« التزايد »

- ١ -

ملخص

تقليد من الناصر محمد بن قلاوون بتولية الملك المؤيد إسماعيل أبي القداء
الأيوبي نيابة السلطنة بحماه (كتب سنة ٧١٢ هـ - ١٣١٢ م) :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عضد الملك الشريف بحماه وأورث الحد السعيد سعادة
أجداده وبلغ ولينا من تباهى باباه ملوك بني الأيام غاية مراده . . . فأصبح
جامع شملها ورافع لواء فضلها . . . نحمد الله على أن صان بنا الملك وحماه
وكف بكف بأسنا المتطاوول على استباحة حماه . . . ونشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله . . .

أما بعد فإن أولى من عقد له لواء الولاء ، وتشرفت معه أسرة الملوك
وذوى المنابر ، وتفرقت أحكامه فيما يشاء من نواه وأوامر ، وتجلى في سماء
السلطنة شمس ، ققام في دسها مقام من سلف ، وأخلف في أيامنا الزاهرة من درج
من أسلافه إذ هو بيقائنا إن شاء الله خير خلف من ورث السلطنة لا عن كلاله
واستحقها بالأسالة والإئالة والجلالة ، وأشرقت الأيام بزهة وجهه المنير
وتشرفت به صدور الخافل ، ومن أصبح لسماء المملكة الحموية
وهو زين أملاكها ، ومطلع أفلاكها ، وهو المقام العالی العمادي
ابن الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان الملك المظفر تقي الدين
ولد السلطان المنصور ولد السلطان الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن
أيوب وهو الذي ما برحت عيون مملكته إليه متشوقة ولسان حال يتلو ضمن
الغيب « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء » (٩٦) إلى أن أظهر الله ما في

غيه المكنون وأتمجز له في أيامنا الوعود وصدق الظنون ، وشيد له من الملك بأرفع عماد ، ووصل ملكه بملك أسلافه وسبقني في عقبه إن شاء الله إلى يوم التناد .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى الباهرى - لازالت الممالك مغمورة من عطائه ، والملوك تسرى من ظل كنفه تحت مسيول عطائه ، أن يستقر في يد المقام العالى العمادى المشار إليه ، جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها وما هو منسوب إليها ومباشرها التى يعرضها قلمه وقسمه ومنابرها التى يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه ، وكثيرها وقليلها وحقيرها وجليلها ، على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين محمود إلى حين وفاته . . . وقلدناه ذلك تقليداً يضمن للنعمة تحليداً وللسعادة تجديداً . والله تعالى يؤهل بالنصر مناته ويجعل ببقائه صورة الدهر هو معناه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه . . .

وكتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧١٢ هـ حسب المرسوم الشريف . . . والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وصحبه وسلم (٩٧).

- ٢ -

ملخص مرسوم بعض الملوك الصلاحية في إلزام أهل النعمة بالشروط الشرعية التى حددها أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) أيام الصالح بن الناصر محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله . . .

أما بعد ، فأحكام الشرع الشريف أولى بوجوب الاتباع ، وذمام الدين الحنبلى يتر من عصي وجبر من أطاع ، وحرمان الملة المحمدية أحق بأن تحفظ ولا تضاع ، ومن المهمات التى تصرف إليها المهمة . . . اعتبار أحوال أهل الملتين من أهل النعمة . . . وهم المعنيون بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون

بأنه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق
من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرين . . .

ولما فتح الله تعالى ببركة سيدنا رسول الله (ص) ما فتح من البلاد . .
حدد لهم (عمر) من الآداب حداً لا يجوز أن يتعدى .. ولما طال عليهم الأمد،
تمادوا على الاغترار وتعادوا إلى الضر والإضرار . . .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الصلاحي
الصالحى لزال أمره الممثل المطاع . . أن يعتمد جميع طوائف النصرى
واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع البلاد المغروسة الإسلامية وأعمالها
من سائر الأقطار والآفاق ما أخذ على سالفهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضى الله عنه . . . وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديراً
ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يحدوا فيها ما ضرب، ولا يمنعوا
كتابهم التى عهدوا عليها . . أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال
يطعموهم . . ولا يكتموا غشاً للمسلمين ولا يعلموا أولادهم القرآن . . وإن
أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه ، وأن يوقروا المسلمين وأن يقوموا
فى مجالسهم إذا أرادوا الجلوس وألا يتشبهوا بشيء من المسلمين فى لباسهم .
قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ، بل يلبس النصرانى منهم العمامة
الزرقاء عشرة أذرع . . واليهودى العمامة الصفراء كذلك وتمنع نساؤهم من
التشبه بنساء المسلمين . ولا يتسموا بأسماء المسلمين ولا يركبوا الخيل ولا البغال،
ويركبون الحمير بالأكف عرضاً من غير تزين ولا يتخفوا شيئاً من السلاح
ولا يبيعوا الخمر . . ولا يضعوا أيديهم على أراضى موات المسلمين ولا غير
موات ولا مزروع ، ولا ينسوه لصومعة ولا دير . . ولذلك رسمنا أن كل
من مات من اليهود والنصارى والسامرة الذكور والإناث منهم ، يحاط عليهم
من ديوان الموارث الحشرية بالديار المصرية وأعمالها ومسائر البلاد الإسلامية . .
وإذا ثبتوا ذلك ما يستحقونه يعطوه بمقتضاه ويجعل ما فضل لبيت المال
للمعور ومن مات منهم ولا وارث يستوعب حمل موجوده لبيت المال

ورسمنا ألا يخدم نصراني ولا سامري ولا يهودي في دولتنا .. ولا عند أحد
من أمراتنا ... (٩٨) .

- ٣ -

نسخة طغرى السلطان المملوكي

التي تصدر بها المكاتبات للملوك الكفار (٩٩)

« من السلطان الأعظم الملك القلافي العالم العادل المجاهدى المرابط المشاعر
المؤيد المظفر المنصور الشاهنشاه فلان الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين
محيي العدل في العالمين وارث الملك ، ملك العرب والمعجم والترك ، ظل الله
في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، إسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر والأسرة
والنخوت والنيجان ، واهب الأقاليم والأمصار ، مييد الطغاة والبغاة والكفار ،
حامي الحرمين ، خادم القبليتين ، جامع كلمة الأيمان ، ناشر لواء العدل
والإحسان ، سيد ملوك الزمان ، إمام المتقين قسيم أمير المؤمنين ، أبي فلان ،
فلان ابن السلطان الشهيد الملك الناصر ، والد الملوك والسلاطين أبي المعالي
محمد خلد الله سلطانه ونصر جيوشه وأعوانه » .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

«

«

هوامش الملاحق

القسم الأول

(١) كتب هذا المثلث بخط العماد الأسباني (ت ٥٥٩٧) (انظر النجوم الزاهرة ج٦ ص٧٣ - ٧٤ ، ١٧٨) .

(٢) القنيطرة : ضيعة صغيرة من أرض البقاع أهلها من المتأولة .

(٣) تلبايا : قرية صغيرة بقرب تمنابيل وأنتورة بالبعاع ، وأهلها من العرب المسيحيين .

(٤) برجة : قرية مشهورة بزيتها ، المعاصر أو البعاصير بقرب الشحيم ، كانت كلتاها من مقاطعة الحروب على أن هذه الناحية صارت فيما بعد تابعة لقضاء الشوف .

(٥) ، (٦) شارون ومجد لبنا وكلر حبة ثلاث قرى معروفة بمقاطعة الجرد (حواشي ص ٤٨ - ٤٩ من تاريخ بيروت) .

(٧) تاريخ بيروت ص ٤٨ - ٤٩ .

(٨) تاريخ بيروت ص ٥١ - ٥٢ .

(٩) صحح الأضنى ج١٣ ص ١٢٢ - ١٢٨ .

(١٠) يرجع أن نسخة التوقيع هذه قد صدرت في عهد صلاح الدين أوبد وقلته بفترة قليلة لا تتجاوز عام ٥٥٩٧ ، لأن أسلوبها يوضح أنها من إنشاء القاضي الفاضل (ت ٥٥٩٦) أو العماد الأسباني (ت ٥٥٩٧) ، والراجح أنها من إنشاء القاضي الفاضل نظراً لأنه كان الوزير المجل في عهد صلاح الدين وبعده (صحح الأضنى ج١٣ ص ١٤٨ - ١٥٠ ، النجوم ج٦ ص ٥٢ - ٥٣ ، ٧٣ - ٧٤ ، ١٢٤ - ١٧٨) .

(١١) صحح الأضنى ج١٣ ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(١٢) هو الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازي بن صلاح الدين ، كان ملكاً على حلب ، فدعا أهل دمشق لولاية مدينتهم فدخل دمشق سنة ٥٦٤٨ (١٢٥٠ م) ولما ظهر التتار أغلقت حلب ففر هارباً إلى غزة ثم شخص إلى هولاكو فأكرمه أولاً ثم أمر بقتله وقتل أخيه الملك الظاهر غازي ٥٦٥٩ (١٢٦١ م) (تاريخ بيروت ص ٥٥) .

(١٣) أغلب هذه القرى في مقاطعة الغرب الأسفل والشوف ، ومرتكبون كما أفاد الأمير شكيب أرسلان مزروعة واقعة شرق غلدا كانت قديماً مأهولة وكانت من أملاك الأمير مصطفى أرسلان . (تاريخ بيروت ص ٥٥ - ٥٦ حاشية - ١) .

(١٤) بمد غزوة هولاءكو قائده جيش انتشار لبلاد الشام ، توجه جمال الدين حسي
إلى دمشق، وكانت قد وقعت في يد كتبنا نائب أستاذة فلاورون (هولاءكو) فاجتمع به وكتب له
المشور المذكور عن هولاءكو . وتوفى هولاءكو سنة ٥٦٦٤ (١٢٦٦م) (تاريخ بيروت
ص٥٦ - ٥٧) .

(١٥) التعريف ص١٤٦ - ١٤٨ ، صبح الأمشى ج١٣ ص٣٠٧ - ٣٠٨ .

(١٦) التعريف ص١٤٩ - ١٥٠ ، صبح الأمشى ج١٣ ص٣٠٩ .

(١٧) التعريف ص١٥٠ ، صبح الأمشى ج١٣ ص ٣١٠ .

(١٨) التعريف ص١٥٠ ، صبح الأمشى ج١٣ ص٣١٠ .

(١٩) التعريف ص١٥٠ - ١٥١ ، صبح الأمشى ج١٣ ص٣١٠ .

(٢٠) صبح الأمشى ج١٣ ص٣١٠ (نقلا عن التلغيف) .

(٢١) التعريف ص٩٢ - ٩٣ .

(٢٢) التعريف ص٩٦ - ٩٨ .

(٢٣) التعريف ص٩٨ - ٩٩ .

(٢٤) التعريف ص٩٩ - ١٠١ .

(٢٥) التعريف ص١٠٩ - ١١١ .

(٢٦) سورة الثوري ، بعض آية - ٢٩ .

(٢٧) التعريف ص١١١ - ١١٢ .

(٢٨) التعريف ص١١٢ - ١١٣ .

(٢٩) التعريف ص١٠١ - ١٠٣ .

(٣٠) التعريف ص١٠٣ - ١٠٤ .

(٣١) الملوك : لفظة مستمدة في الرسائل القديمة إشارة إلى تلال الكاتب كما يقال حديثا

العبد الفقير (تاريخ بيروت ص٩١ حاشية - ٣) .

(٣٢) لعل المقصود بثلاثة أرياح التقدم بخدمة ثلاثة فرسان .

(٣٣) ملك الأمراء لفظ أطلق على نائب السلطنة بالشام (بدمشق) إذ يعتبر أكبر التواضع

بالشام .

(٣٤) تاريخ بيروت ص٩١ - ٩٢ .

(٣٥) صبح الأمشى ج١٣ ص١٦٧ - ١٦٩ .

(٣٦) صبح الأمشى ج١٣ ص١٦٩ - ١٧٠ .

(٣٧) صبح الأمشى ج١٣ ص١٧٦ - ١٧٧ .

- (٢٨) الأمير علاء الدين أيدغوش بن عبد الله الناصري أمير أخور كبير الناصر محمد ،
توفى سنة ٥٧٤٣ (التيجوم ج١٠ ص ٩٩ - ١٠٠) .
- (٢٩) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- (٤٠) المراد بالتطويق هنا مطلق التحلية وكان الأول ، أن تقرط به الأذنان وتطوق به
الأصقان وتحمل به التراب (الناشر) .
- (٤١) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٧٩ - ١٨١ .
- (٤٢) سيف الدين خاص ترك بن عبد الله المنصور من عماليك الناصر الحاصكية ، وكان
مقدم ألف ، توفى ٥٧٣٤ (التيجوم الزاهرة ج٩ ص ١٣ ، ٣٠٤) .
- (٤٣) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٨١ - ١٨٢ .
- (٤٤) جمال الدين آقوس الأشراف ، من عماليك قلاوون ، وأصافه إلى ولده الأشراف خليل
وجعله أستاذاره فقتل إليه ، ولاء نيابة الكرك لما تسلطن ، وفي سلطنة الناصر الثانية ، سمجه
بالقلعة سنة ٥٧١٢ عند ما عرف ميله للأميرين الخارجيين على الناصر وهما : قراستغر والأفرم
اللذان فرأ إلى التناز ، ثم أفرج عنه سنة ٥٧١٥ ومنحه إقطاع الأمير حسام الدين لاجين الأستاذار
بند وفاته وهو إقطاع ١٢٠ فارسا ، وكتب له هذا المنشور ، وتوفى ذلك بعد صحنياً بالإسكندرية
سنة ٥٧٣٦ . (التيجوم الزاهرة ج٩ ص ٣٣ - ٣٤ ، إلى ، ٢٣٢ - ٢١٠) .
- (٤٥) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٨٣ - ١٨٤ .
- (٤٦) سورة المدثر : بعض آية - ٣١ .
- (٤٧) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (٤٨) سورة النحل آية ١٨ .
- (٤٩) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٧٢ - ١٧٤ .
- (٥٠) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٧٥ - ١٧٦ .
- (٥١) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٨٤ - ١٨٦ .
- (٥٢) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٥٣) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- (٥٤) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٩٠ - ١٩١ .
- (٥٥) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٩٢ .
- (٥٦) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٩٢ - ١٩٤ .
- (٥٧) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٩٥ - ١٩٦ .
- (٥٨) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٩٧ .
- (٥٩) صبح الأعيى ج١٣ ص ١٩٩ .
- (٦٠) يطلق صاحب تاريخ بيروت على هذا المنشور بقوله : إنه يشك فيه لأن أبيك كان

- سلطان مصر ، ولم يحكم الشام التي كانت عاصمة حينئذ للسلطان الناصر يوسف آخر ملوك بني أيوب بالشام وكان بين أبيك والناصر حروب وعداوة (ص ٦١) .
- (٦١) لهل يريده معاصر الفخار من قرى الشوف ومن هذه المقاطعة بطران وعين ماطور (تاريخ بيروت ص ٦١ حاشية ٣) .
- (٦٢) بطلون بلفة العامة بطلون ، ويقال لعين أوزية : وزية وأبرج عند العامة بريج (نفس المصدر ص ٦١ حاشية ٤) .
- (٦٣) وادي النيم مقاطعة لا تدخل في لبنان وتهد من جبل الشيخ وتقع شرقي دمشق ومن قراها عين تنور أما ظهر حارظم يستدل عليها ولعلها المعروفة بظهر الأحمر (نفس المصدر - والصحيفة حاشية - ٥) .
- (٦٤) الخروب : من مقاطعات لبنان شمال شرق صيدا ، وغربي الشوف ، والشحم قاعدة هذا الإقليم ، وبقرها بعاير أو الماير . (نفس المصدر والصحيفة حاشية ٦ و ٧) .
- (٦٥) عين جنوب وسرجور وعرايون وعين كسور من الغرب الأسفل ، أما عالية ويصور وشبلان ، ويقال لشبل عيناب: ومجدليا من الغرب الأعلى ودفون وعين دراقيل بالشحار بقاعيتها أعينها، وكفرعية: النوير-بطلون شاردون: من الجرد الجنوبي والقاعدة وعينات فيها بتائر ، أما قدرون والصباحية فلم يستدل على موقعهما . (تاريخ بيروت ص ٥٦ وحاشية - ٢ ص ٦٧) .
- (٦٦) حرف شالا : مزرعة في أراضي قرية كفر مبي بجوار مزرعة رمطون (تاريخ بيروت ص ٨٦ حاشية - ١ بنظر الخريطة) .
- (٦٧) بركة شطرا : مزرعة غير مأهولة قريبة من يصور ومجدليا (لس المصدر - والصحيفة حاشية - ٢) .
- (٦٨) الفريديس : قرية إقليم العرثوب (نفس المصدر والصحيفة حاشية - ٣) .
- (٦٩) تاريخ بيروت ص ٩٢ - ٩٣ .
- (٧٠) في أخبار الأعيان ص ٢٢٣ ثلث عين جنوب .
- (٧١) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٧٢) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٧٣) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٧٤) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٧٥) تاريخ بيروت ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٧٦) الطفرانية بالجرد والقي بالشحار (تاريخ بيروت ص ٩٤ وحاشية - ١) .
- (٧٧) تاريخ بيروت ص ٩٤ .
- (٧٨) تاريخ بيروت ص ٩٤ .

- (٧٩) في أخبار الأعيان - دفون والسائق والأخيرة: من قرى الغرب الأسفل قرب من مسود (أخبار الأعيان ص ٢٣٤) .
- (٨٠) تاريخ بيروت ص ٩٤ ، أخبار الأعيان ص ٢٣٤ .
- (٨١) السلوك ج ١ ص ٥٣٠ - ٥٣٤ .
- (٨٢) كان يديرا نائب السلطة أيام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وقد خرج على أستاذه وقتله سنة ٨٩٢ - ١٢٩٢ م ، وتسلطن بعده وتسمى بالملك الأوحده ، لمدة يوم واحد تقريبا حتى قتله خاصكية خليل وعلى رأسهم زين الدين كينغا الذي تسلطن بعد سلطنة الناصر الأول (التنجيم الزاهرة ج ٨ ص ١٩) .
- (٨٣) ابن عبد الظاهر : الألفاظ الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية ٣٦ - ٢٩ ص ٣٦ .
- (٨٤) أبو القداء ج ٤ ص ٧٤ - ٧٥ .
- (٨٥) سورة الأنعام : بعض آية ١٤١ .
- (٨٦) نظراً لوقوع طاعون جارف في سنة ٨٧٤٩ ، التي حولت إلى سنة ٨٧٥٠ على الفلقتشي بقوله « مات كل شيء حتى السنة لإفاتها » صبح الأعيان ج ١٣ ص ٧٥ - ٧٩ .
- (٨٧) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٩١ - ٩٨ .
- (٨٨) لعله « من التناوير » وحيث أنه يستقيم الكلام (حاشية الناشر) .
- (٨٩) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٢٨ - ٣٠ .
- (٩٠) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٢٨ - ٣٠ .
- (٩١) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٣٠ - ٣٥ .
- (٩٢) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٤٨ - ٥١ .
- (٩٣) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٤٨ - ٥٠ .
- (٩٤) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٥٢ - ٥٣ .
- (٩٥) صبح الأعيان ج ١٣ ص ٥٢ - ٥٣ .
- (٩٦) سورة آل عمران آية - ٢٦ .
- (٩٧) أبو القداء - تاريخه ج ٤ ص ٧٠ - ٧١ .
- (٩٨) مرسوم بعض الملوك الصلاحية (مصور في مجلد رقم ٤٣١٤ تاريخ بدار الكتب ، صبح الأعيان ج ١٣ ص ٣٧٨ - ٣٨٧) .
- (٩٩) التتريف ص ٨٣ - ٨٤ ، صبح الأعيان ج ١٣ ص ١٦٣ .

القسم الثاني

١ - قاموس الألفاظ الاصطلاحية

أبواب الغزاة :

لفظ اصطلاحى أطلق في العهد الفاطمى على إقطاعات الأسطول (١) .

الارتفاع والعمل :

العمل نوع من القوائم يعمله الكتاب في الدواوين، فيقال عمل بما تحصل من الغلال في الناحية الفلانية لمغل سنة كذا وكذا الخراجية، عمل بما بيع من الغلال ، عمل بما وجب من مال الجوائى ، عمل بما تعين من أموال الخدم (٢) ، وجاء في كتاب ابن عمر إلى شرف الدولة البويهى (بلغنى أن ابن طاهر عمل عملاً بضياعى بعشرين ألف ألف درهم (٣)) فالعمل هو قائمة بالارتفاع والارتفاع هو تقدير أو تخمين الحاصلات مقدماً. وقد بلغ ارتفاع الصوافى على عهد عمر بن الخطاب ٩ آلاف ألف درهم (٤) على أن اللفظين قد اندجبا في العهد المملوكى ، واشتهرت كلمة الارتفاع في الشام وشملت فوق معنى المال أو المحصول المقدر، نفس القائمة ويقابلها في مصر (التالى) إلا أن التالى كان لما دون السنة في حين أن الارتفاع للسنة كلها ، أى لتقدير الحاصلات على طول السنة ، وكذلك استخدم المصريون لفظة (الملخص) لتقابل الارتفاع (٥) .

الأرصاء :

يقابله الوقف (٦) . عن المقرئى : والذي يتحرر كان ذلك (إقطاع تميم

الدارى) إرصاءً له وذريته إلى آخر الدهر .

الأرض العادية :

أى التديمة التى ترجع إلى عهد عاد، وأطلق هذا اللفظ على كل أرض

قديمية بصفة عامة ولا يشترط أن تكون على عهد عاد بالذات. عن الرسول

(ص) عادى الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم من بعد^(٧) وقد تجمع أرض على أرضين .

الأستاذ والأستاذار :

لغويًا بالضم المعلم والمقرئ والمدير والعالم وأستاذ الصناعة ، واصطلاحاً الأستاذار بمعنى السيد ، المقابلة لكلمة « لورد Lord » في الإقطاع الغربي إلا أنها أشمل من لورد في اصطلاح الممالك لأنها تضمنت معنى السيد صاحب الحق المطلق في مملكته الذين اشترأهم ورباهم . ومن الأستاذ جاءت كلمة « أستاذار » أو « أستاذ الدار » بمعنى ناظر الدار وهي كلمة فارسية معربة من الأصل الفارسي (استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ماسك) وهو المشرف على الشؤون المالية لقصور السلطان أو الأمير والبيوتات الملحقة بها كالشراخانات والطشت خاناه الخ . ويقال لأستاذار السلطان « أستاذار العالي » وله كامل التصرف في جميع الإقطاعات التابعة للديوان المفرد، وهي المنعصبة لجوامك الممالك السلطانية، وربما عظمت سلطة بعض الأستاذارية واتسع نفوذها فظني على السلطان مثل الأستاذار جمال الدين محمود البجاس ، أيام السلطان فرج بن برقوق إذ أضاف إليه سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) الوزارة ونظر الخاوص والكشف بالوجه البحرى، كما استقر مشيراً للدولة، فصار السلطان لا يعقد أمراً بدون بل لا يخرج إقطاعاً إلا بإذنه مهما كانت مساحة هذا الإقطاع ، وزادت سلطته حتى كان الأمير لا يستطيع التصرف مع فلاحيه حتى يشاوره . وأستاذار الأمير يشبه في سلطته واختصاصه أستاذار السلطان لكن على مقياس أصغر ومهمته الأساسية بحث شؤون إقطاع الأمير مع الفلاحين والنوابين الحكومية^(٨) .

الاعتداد :

لفظ أطلق على عهد الدولة الفاطمية ليدل على إقطاعات العربان في أطراف البلاد وعبرتها دون عبدة إقطاعات الأجناد^(٩) .

الإقطاع :

ما يقتطعه ولى الأمر لنفسه أو يمنحه لغيره من أرض أو أى نوع من المال الثابت أو المتقول ، وتسمى الأرض المقطعة بالقطيعة والجمع قطائع أو إقطاعاً والجمع إقطاعات ، وتطلق القطيعة أحياناً على الضريبة كما حدث فى العهد الأيوبي . مثلاً كانت قطيعة الفدان الإقطاعى من القمح ٣٥٠ إردباً ومن الشعير ٢٥٠ إردباً ومن الحمص ٣٥٠ إردباً وهكذا (١٠) ، وأطلق لفظ المقاطعة أحياناً على كتاب الإقطاع فى العصر العباسى ، وشملت أيضاً المال الذى دفعه المقاطع كما حدث أن قاطع الخليفة الراضى عماد الدولة البويهى على ما بيده من بلاد فارس بمبلغ ثمانمائة ألف ألف درهم فى السنة (١١) . ومن الإقطاعات ما هو مرتجع . الذى يسترجه ولى الأمر أو يقبضه ثانياً أو يرده المقطع نفسه ليعتاض غيره .

وتطلق كلمة (الإقطاعية) على الجنود المقطعين وذلك حين عممت الإقطاعات العسكرية (١٢) . وهناك الإقطاعات المحلولة وهى التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع بعد (١٣) .

الأكرة :

هم عمال الأرض من الفلاحين، ووردت أمثلة كثيرة فى القطائع تدل على أن المقطوع تألف الأكرة والمزارعين ، وأنه يحسن بصاحب الضيعة أو الإقطاع أن يحسن معاملة الأكرة . يقول ابن الفرات : (أحسنت إلى بعض الأكرة والمزارعين فى ناحية كحلة من طسوج الأبار) (١٤) وكثيراً ما ينوه بحسن معاملتهم فى كتب الإقطاع .

الإلحساء :

أن يلجئ الضعيف ضيعته أو أهل القرى قراهم لبحار قوى ذى جاه أو سلطان أو لولى الأمر نظير حمايته لهم ثم يستر دونها ثانياً إقطاعاً على أن يكونوا مزارعين له وأكثر ما يحدث هذا حين يحتل الأمن أو ينتشر الظلم .

الأوشاقية :

عمال بالإصطبلات السلطانية أو إصطبلات الأمير ومهمتهم ركوب الخيل للتسيير والرياضة (١٥) .

الإيغار :

ومعناها أن يدفع صاحب الأرض عنها قدرأ من المال مرة واحدة . فيعنى من الخراج ، ويعبر عن ذلك بأنه قد أوغر الأرض ، والفعل أوغر ووغر والعامل والخراج استوفاه أو هو أن يوغر الملك الرجل الأرض فيجعلها له من غير خراج أو هو أن يؤدى الخراج إلى السلطان الأكبر فراراً من العمال ، وقد يسمى ضمان الخراج إيغار - وهي لقطة مولدة (١٦) .

البسابا :

لقب أطلق على جميع رجال الطشت خاناه من البيوت السلطانية ومهمتهم غسل الملابس الخاصة بالسلطان ، ويتصحون بالحرس على إزالة نجاسة الثياب عند غسلها ، وأصله رومى ، ومعناه أبو الآباء يقول القلقشندى ، وكأنه لقب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه عندومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته أشبه بالأب الشفوق فلقب بذلك (١٧) .

البرق أو البرق :

أمتعة المسافرين ومهمات الجيوش حدث في سنة ٥٩٢٤ (١٥١٨ م) أن أرسل خاير بك نائب العثمانيين بمصر إلى الأمير أوزمك الكاشف أحد الأمراء المقدمين ٤٠٠ دينار وقال : خذ هذه نفقة سفرك فاعمل بها بركة فاعتلر الأمير أوزمك قائلاً : ايىس يكيفنى هذا القدر لسمل برق السفر (١٨) .

البشمقدار :

حامل زمل السلطان أو الأمير . من لفظين (بشمق تركية بمعنى نعل ودار فارسية بمعنى ماسك) (١٩) .

البطسال :

من الأجناد والأمراء وهم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها نتيجة غضب السلطان أو كبر السن أو اضطراباً إلى الاعتكاف والاختفاء ،

أو مجرد حب الانزواء والابتعاد ، وقد يعاد البطال إلى الخدمة والإقطاع وقت الحاجة ، ففي سنة ٥٧٧ هـ (أنفق صلاح الدين في البطالين وجردهم إلى الثغور) (٢٠) .

البلايق :

مفردها بلقية أو بليق وهي نوع من الأدب الفكاهي يعرض فيها المنشد بمهته أو مهنة من يريد مداعبته ، وربما جاءت المداعبة قاسية ؛ ومن أمثال البلايق بلقية ابن مولاها التي أنشدها أمام السلطان حسن . ومنها : « والقوس عندي في انكسار لا للحصار يصلح لأكبش أو حمار إذا نهق » ، « ورمح أخضر سيبان بأستان نطقن رفاق التركان ، ما ينخرق .. الخ » . ومن بلقية ابن الحياط التي عارض فيها بلقية ابن مولاها :

« عندي جلود بلاورق ، كتب عتق من درسها قلبي ، احترق بنار فكر ولي دوا من الصدف على الصدف ؛ تحبها عندي سرف ؛ ولي وسادة من حجر نومي هجر ، فكم برأسي من أثر منو ظهر . الخ » (٢١) .

البلائات :

لعلهن المشرفات على الحمامات السلطانية من لفظ بلان بمعنى حمام ؛ وهذه الطائفة من الجوارى اللاتي أكثر منهن سلاطين المماليك (٢٢) .

البيكار :

بمعنى الحرب ، كان السلطان يسأل في توزيع برامات الإقطاع « كم بيكاراً » ؟ رأما المقطع ليسعوق من خبرته الحربية ، وجاء في « التذكرة » المكتوبة عن السلطان علي بن قلاوون التوصية بمساعدة نواب الأمراء ووكلائهم ومتحصل حقوقهم أثناء غياب الأمراء « في البيكار المنصور » (٢٣) .

الثاني والتناء :

وهم المستوطنون المستقرون من أصحاب الضياع ، وقد يتعرض التناء إلى ظلم الولاة والعمال والسلاطين ، ففي عهد معز الدولة البوسني حين أقطع السواد لأنصاره ، (أنت الجوائح على التناء) وقد اشتكى بعض التناء من ظلم

أمر مقطع لعدة بلاد ، وقعت ضيعة في إقطاعه ، فحبسه لتراكم الخراج عليه. وحدث ذلك في عهد عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٢ هـ عن بعض التناء حصلت ضيعة في إقطاع .. (٢٤)

التجاريد :

مفردتها تجريدة بمعنى الحملة الحربية (٢٥) :

التسبب :

رزق الشخص الذى يعطاه نظير قيامه على عمل غير مستديم كعمال المصالح وجباة الخراج، وإذا أقطع به جهة ليستغلها لا يسمى هذا إقطاعاً وإنما يسمى تسبياً وحوالة، وذلك يحصل له حين يعمل موعداً دفع الخراج وموعداً تناول رزقه من ذلك ما أمر به الخليفة المعتضد من استخدام (الطبقة الدون) من العساكر وإرسالهم إلى أعمال الخراج لمساعدة في جمع الأموال، وأمر بأن يسبب بأموالهم على التواشى (٢٦) .

التسعينية :

هم طائفة عسكر الخاصة، وعرفوا بهذا الاسم في العصر العباسى ، نسبة إلى أن شهرهم ٩٠ يوماً (٢٧) .

التسويق :

ومعناها الإعفاء من بعض الخراج أو الحقوق الخاصة ببيت المال على ضيعة ، أو الإعفاء من كل الرسوم وقد ورد هذا اللفظ في بعض مقاطعات العباسيين وحبيلات الفاطميين .

التشريف :

مجموعة من الملابس الفاخرة يمنحها السلطان؛ فثلاً أرسل الناصر محمد في سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) تشريفاً لابن أبى الفداء صاحب حماة مكوناً من قطعتين : عليا وسفلى من أطلس أحمر وأصفر مزركش وشربوش مكمل باللؤلؤ (٢٨) :

التضمين :

أن يضمّن شخص دفع الخراج على جهة معينة بمبلغ معروف يتفق عليه مع أولى الأمر، ويقوم بجمع الخراج كالاتزام في العصر العثماني ، ووصف عمل عثمان بن عفان في تصرفه في أرض السواد أنه كان تضميناً لاتمليكاً، ويرادف أيضاً الإيجار (٢٩) على أن التضمين غير مستحب في الإسلام لأنه ضمان للأموال بقدر معلوم يقتضي الاقتصار عليه وذلك بتملك الضامن ما زاد ، ويفرم مانقصر ، وهذا مناف لحكم الأمانة فيكون باطلا وقد جاء رجل إلى ابن عباس يتقبل منه إيلة بمائة ألف درهم ، فضربه مائة سوط وصلبه حياً تعذيباً وأدباً (٣٠) .

التقليد والتقاليد :

استخدم هذا اللفظ في الإقطاع ليدل على معنى الاستغلال لا التملك (٣١) ويشبه التضمين . واستخدمت أيضاً لتدل على معنى التولية على ولاية أو عمل ، ولها أسلوب خاص وافتتاحية خاصة في العهد المملوكي (٣٢) .

الجاشنكير :

موظف في قصر السلطان أو الأمير مهمته تلوق الطعام قبل سيده خشية أن يفسد له السم فيه ، ومن الذين شغلوا هذا المنصب بپيرس الذي تسلطن خلال سلطنة الناصر محمد . وهذا الاصطلاح من كلمتين فارسيّتين « جاشنا بمعنى اللوق وكبير بمعنى المتعاطى » وربما اختصرت إلى الششني (٣٣) .

الجاليش :

بمعنى الراية ومقدم الجيش، وجرت العادة أن يعلق الجاليش إيداناً بالسفر في حرب ويستعرض السلطان جيشه ويستمر جاليش معلقاً حتى يخرج السلطان للحرب ، وبالمعنى الآخر جاءت الأخبار أن جاليش عسكر هولاءكو ملك التتار قد وصل إلى أطراف دمشق ونهبوا البلاد (٣٤) .

الجامكية :

هي الرواتب المربوطة للشهر أو أكثر، وهي الرواتب عامة ، وفي القلقشندی

(صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٧) ، أن نفقة ممالك السلطان كانت عبارة عن جاميكيات وعلف وكسوة وغير ذلك (٣٥) .

الجشرات :

جشر والحشر إخراج الدواب للرعى ، والجشار صاحب مربع الخيل وخيل بحشرة مرعية ، والجشار مكان الرعى مثلاً ، وهجم على جشارهم فأخذ منها من الخيل أربعمائة رأس ومائة من البقر ، ومن وصايا أمير أخور « النظر في جميع إصطبلاتنا الشريفة والجشرات السعيدة » وتدل كذلك على الخيول والبقر التي تساق مع الجيش . فتلا نهب السلطان غازان سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠م) بلاد حلب ولما توجه إلى دمشق أرسل الله عليه ثلوجاً وأمطاراً « ووقع في خيول عساكره وجملهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثني عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفي فرس » (٣٦) .

الجمالة :

هو المال الذي يتناوله من يرتزق على عمل مستديم فرزقه في هذه الحالة يجري مجرى الجمالة ، ولا يكون إقطاعاً ، فيكون جعل الخراج له في أرزاقه مثل التسبب والحوالة (٣٧) .

الجسدار :

الموظف من الممالك الذي يقوم بمساعدة السلطان أو الأمير في لبس ملبسه من الكلمة الفارسية (جاما بمعنى ثوب ودار بمعنى ماسك) ومن شغلوا هذا المنصب الأمير أقطاي الذي نقاه بيبرس خشية بأسه (٣٨) .

الجنايب :

هي الخيول المسرجة الملجمة التي تسير في موكب السلطان أو الأمير زينة وتفاخراً من غير أن يركبها أحد ، وهذا مما عابه السبكي على الممالك فذكر : ومن القبايح ركوبهم والجنايب تقاد بين أيديهم مسرجة ملجمة غير مركوبة ، ومعهم في ذلك المحتاج (٣٩) .

الحياصة :

الأصل الحواصة، وهو سير يشد به حزام السرج، واستعملت بمعنى المنطقة التي يشدها الأمير في وسطه ، وهي من المنح السلطانية، وتكون من الذهب أو الفضة ، بحسب رتبة الأمير فحوائص الأجناد من الفضة ووزنها ٤٠٠ درهم وعمل قلاوون حوائص الأمراء والكبار وتقدر بثلاثة آلاف دينار ولأمراء الطبلخاناه حياصة بمائتي دينار، وحياصة مقدمي الحلقة من ١٥٠-١٧٠ ديناراً وكان الحياصكية يلبسون حوائص من ذهب ، ولهذا الحوائص سوق لييعها تعرف باسم سوق الحوائصين (٤٨) .

الخبز :

بمعنى إقطاع فيقال خبز فلان أو إقطاع فلان (٤٩) .

الخراج :

ضريبة الأرض ، وأصلها فارسي ، وهو ماوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها وتقديره موقوف على اجتهاد الأئمة ، وفي لغة العرب اسم للكراء والغلة (٥٠) ويقال إن أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة هو أنوشروان على أثر تجوله يوماً قرب بستان لامرأة فسمعها تمنع طفلها عن تناول ثمار حتى يأخذ الملك نصيبه في المقاسمة ، وقد وضع على كل جريب عامر وغامر مما يناله الماء قفيزاً ودرهماً ، وهناك أرض خراجية وهي التي فتحت عنوة ولم يسلم أصحابها فيوضع عليها الخراج ، وحين فتح السواد على عهد عمر واصطفى أموال كسرى وأهل بيته مسح الأرض ووضع الخراج . فثلاً وضع على جريب الرطبة ٥ دراهم و ٥ أفضة ، جريب الشجر ١٠ دراهم وعشرة أفضة (٥١) .

الخشداشية :

جمع خشداتش وهو معرب اللفظ الفارسي خواجهاتاش أى الزميل . والخشداشية في عصر المماليك هم الأمراء الذين نشأوا بمالك عند سيد واحد فنمت بينهم رابطة الزمالة القديمة ويقابلها في الفرنسية (Camarade) . ومن

القواعد المعروفة عند الممالك أن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده (٥٢) .

الخمس :

هو خمس التيء والغنائم، وهذا من حق ولي الأمر، ومصرفه نص عليه القرآن (واعلموا أنما غنمتم من شيء . . .) ، (ما أفاء الله على رسوله . . .) ولما كان بعض الخلفاء من بنى أمية لا يضع الخمس حيث نص القرآن فقد كتب عمر بن عبدالعزيز بجمعه مع التيء ليصرف في مصالح المسلمين عامة (٥٣) وبدل معنى الخمس كذلك في العهد الأيوبي والملوكي بصفة خاصة على ما يستأدى من تجار الروم الواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه ، وربما بلغ ما يستخرج منه عما قيمته مائة دينار ما يتاخر ٣٥ ديناراً ، ومن كئاس الروم ما يستأدى منه العشر، إلا أنه لما كان الخمس أكثر معرفة وتداولاً كانت النسبة إليه أشهر واعتبر الخمس من المعاملات السلطانية أو الجهات الديوانية منذ العهد الأيوبي فصاعداً (٥٤) .

الحواجا :

من ألقاب كبار التجار والأعاجم وهو لفظ فارسي (٥٥) .

الحوانق أو الخوانك :

كلمة فارسية معناها « بيت » وقيل أصلها خوفناه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، وحدثت الحوانق في الإسلام حوالى القرن الخامس الهجرى حيث يحتل الصوفية للعبادة والتبتل ويسمى رئيس الخانقاه « بالشيخ » أو شيخ شيوخ العارفين . ويعين بتوقيع من السلطان، وأول من لقب بهذا اللقب شيخ خانقاه سعيد السعداء التى بناها صلاح الدين، ولقب الناصر محمد، شيخ الخانقاه التى بناها بسرياقوس سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) بهذا اللقب . ولهذا الحوانق أوقاف للنفقة عايناً فضلاً عن مخصصات روادها من الصوفية وللواحد منهم في اليوم - رطل لحم ضانى و ٤ أرطال خبز ورطل حلوى ورطلان زيت زيتون ، رطلان صابون وفي الشهر ٤٠ درهماً فضة وفي السنة ثمن كسوة وتوسعة في رمضان

والعبيدین ومواسم عاشوراء ورجب وشعبان، وكلما ظهرت فاكهة، صرف لم يبلغ لشرائها وتبيض قنورهم في رمضان . وبالخانقاه مخبز ومطبخ وخزانة للسكر والأشربة والأدوية، وبها الطبائمی والجراحي والكحال ومصلى الشعر . ومن الخوانق المشهورة خانقاه ابن آقوش بناها خارج باب زويلة سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) و خانقاه الأمير يشك بناها سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٥ م) و خانقاه الوزير مغلطای الجمالی بناها سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) و خانقاه يرقوق التي بناها سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) وهكذا (٥٦) .

خوند أو خاوند :

لفظ فارسی يطلق على الذكر أو الأنثى بمعنى مالك أو صاحب ومنها خوندكى بمعنى الأكبر واستعملت في عصر المماليك بمعنى الكبير أو صاحب المقام الرفيع ، ولقب به السلطان وزوجاته (٥٧) .

درستا :

لفظ فارسی بمعنى « كاملا » . فمثلاً أقطع السلطان خليل سنة ٦٩٢ هـ (١٣٩٢ م) الأمير بيسرى الشمسى منية بنى خصيب درستا أى بدون استثناء ، وإذا كان في الإقطاع شيء موقوف أو ملك حر لا تذكر هذه الكلمة في مناشير الإقطاع (٥٨) .

درك :

لغوياً بمعنى اللحاق ، واصطلاحاً حماية الأطراف أو الثغور في الدولة . ودلت كذلك على معنى المسامحة في الحرب وحماية الأمن الداخلي ، والدرك في نظام الإقطاع المملوكي، من الالتزامات المفروضة على المقطعين من العربان والتركمان والأكراد، ويسجل في ديوان الجيش أمام اسم المقطع إن كان عليه درك أو غيره ، فمثلاً حاز بنو تنوخ العرب لإقطاعهم نظير دركهم على بيروت، وكان أمراء التركمان في كسروان قد تدركوا ألف رجل إلى قبرص للحرب، وهناك « المتدرك » وهو المستأجر الكبير لأراضي الدولة أو أراضي الخاص السلطاني (٥٩) :

درموفة :

مركب كبير لنقل الغلال من وإلى الأهرام السلطانية ، وحواليها خمسة آلاف إردب (٦٠) .

دزدار :

كلمة فارسية معناها ماسك التلعة أو عافظ التلعة أو مستحفظ القلعة وقد اشتغل نجم الدين أيوب « دزدار » على قلعة تكريت من قبل بهروز الخادم في العهد السلجوقي قبيل سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م) ولما ارتحل ودخل في خدمة زنكي، عمل أيضاً « دزدار » لقلعة بعلبك (٦١) .

الدمتور :

بمعنى الإذن، فثلاً أعطى السلطان قلاوون في سنة ٦٧٩ هـ (١٢٨٠ م) دستوراً للعسكر الشامية خلال حرب التتر (٦٢) .

الدكة :

تشبه السرير والدكك في المجتمع المملوكي من بين جهاز العرس لبنات الطبقة العليا ، وجرت العادة أن تجهز العروس بسبع دكك عليها دست طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وبالدست سبع قطع كبرها نحو إردب قمع ومختلف عن بعضها من فضة - كفت نحاس - خشب مدهون - صيني - بلور - كدهي - والأخيرة مصنوعة من ورق مدهون من الصين ، ومن الدكك العادية التي يجلس عليها الأمراء والسلاطين ، فثلاً كان قايقباي يجلس على دكة بالاصطبل عند النظر في المظالم (٦٣) .

الرباط :

لغوياً : ما تربط به الدابة من خيل ونحوه ، ويقال لفلان رباط من الخيل ، واصطلاحاً : الرباطات المبنية للفقراء وتؤدي معنى انتظار الصلاة بعد الصلاة ومن شروط وادها وقطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب ومواصلة الليل والنهار بالعبادة وملازمة الأوراد ، ويؤدي الرباط ما يؤديه

الحوائق. والربط أصل يرجع إلى الصفة التي كانت لفقراء الصحابة ومنها ما كان خاصاً بالنساء (٦٤).

رباع :

مساكن تبنى فوق الحوائط في الأسواق والقيسارات والفنادق ويسكنها العوام (٦٥).

الرزق والأحباسية :

الرزق هي الأقطان التي أعطاه الخلفاء والملوك والسلاطين إلى بعض الناس بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية رزقة بلا مال أي بدون مال خراج ، وبمعنى آخر معفاة من الضرائب . وتعرف هذه الأراضي باسم « الرزق » أو « أراضي الرزق » (٦٦) .

وكثرت هذه الرزق خلال عصر المماليك ، وروى في التوزيع الإقطاعي استثنائها من المساحات المقطعة . كأن يقال مثلاً : بإقليم الشرقية : مدينة الدهتمون من كفور العلامة مساحتها ٤٩٠ فداناً بها رزق ٦٠ فداناً وهي من إقطاع الأمير يشيك (٦٧) . وطلخا بالغربية مساحتها ٦٢٠ فداناً بها رزق ٢٥ فداناً (٦٨) ، ومساحة أبسوم بالبحيرة ٢٢٨٠ فداناً غير الرزق التي تقدر مساحتها بـ ٤٨ فداناً (٦٩) وهكذا في كل الأقاليم (٧٠) . ومعنى الأحباسية حبس هذه الرزق أو غيرها أو وقف ريعها على جهات معلومة محدودة (٧١) على أن منها ما هو ليس موقوفاً فيصرف ريعه للمستحقين أصحابها ، والرزق التي من هذا النوع تتحل بانقراض أصحابها ، ولذلك أرتجع الناصر محمد في روكه الرزق من واضعي اليد عليها ، وهي التي كانت بيد بيبرس الجاشنكير وصيه (٧٢) . أما الموقوف منها فيصرف ريعه أو يحبس على المساجد وغيرها من الجهات الخيرية وأعمال البر بحسب شروط الواقف (٧٣) .

وقد بلغت الرزق الأحباسية في عهد الناصر محمد ١٣٣ ألف فدان ويشرف عليها دواذر السلطان ومعه ناظر الأحباس الذي يلقب « بناظر الأحباس المبرورة » (٧٤) ولها ديوان يديرها . قيل إن أول من دون ديواناً

للأحياس في عصر الإمام الليث بن سعد؛ إذ أفرد لها ديواناً مستقلاً عن ديوان الجيش (٧٥) وتعرضت هذه الرزق الموقوف منها وغير الموقوف للحل والإقطاع أكثر من مرة خلال عصر الماليك (٧٦).

ووقعت محاولات لحلها في العصر العثماني واستفتى العلماء، ثم استقر الأمر على إبقائها على ما هي عليه دون حل أو إنقاص (٧٧).

الرساق :

أسماء أماكن أطلقت على أراضي العراق ومثلها طسوج .

السرترك :

لفظ فارسي معناه لون واستخدم بمعنى الشعار أو الشارة التي يتخلعها الأمير أو السلطان المملوكي لنفسه وعند تأمير السلطان للأمير علامة على وظيفته في الإمارة .

ويرجع الأصل في الرنوك أو الرموز التي اشتهرت في عصر سلاطين الماليك إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب، حين أمر مملوكه أيك وعينه جاشنكير، إذ جعل شارة وظيفته المنضدة المدورة وتسمى في المصطلح « خونجا أو خانجا » (٧٨) ولذلك دلت الرنوك في أغلبها على وظيفة صاحبها . وبين هذا الحدول بعض أصحاب الوظائف ورنوكهم :

صاحب الوظيفة	رنكه	صاحب الوظيفة	رنكه
الصلاح دار	الليف	البيشته دار	حذاء
الحمدار	البقجة (٧٩)	أمرأه الجيش عامة	السيوف
أمير أخور	نعلة	الطبادار	طبلة وعصا
	القرس (٨٠)		
الساق	الكأس	الطشتدار	إبريق أو بقجة
الجوكاندار	العصا والصوبجان	العلمدار	عامان
			وهكذا ...

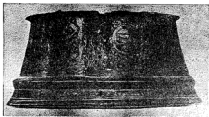
(٢)



(١)



- ١ - ذلك السبع للسلطان بيبرس على آنية من الفخار .
٢ - ذلك الكأس والدواة على رقبة مشكاة من الزجاج للأمبراطور الرومانوس ، وهو دوادار
الملك الصالح إسماعيل بن ناصر محمد بن تانكروث ، قبل سنة ٧٤٨ - ١٣٤٧ م .
(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)



قاعدة شمعدان من نحاس ، مفقودة رقبته التي توضع فيها الشمعة ، ويوضع الشمعدان عادة على كرسى خاص في القصر أو المسجد ، وأحياناً يوضع بجانب المرأة . وعلى هذا الشمعدان اسم الأمير بهادر (٨٩٠ - ١٣٨٨ م) ، وعليه ذلك السيف في الشطب .

(من متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

(١)



(٢)



١ - ذلك البوق على آنية فخارية وهو شارة البلاديار أو رئيس المزميرين والمنقرين .

٢ - ذلك الصولجان على آنية فخارية شارة المحوكتدار

(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)



١ - رنك سينين وبينهما هلال



٢ - رنك سيف على بقجة



٣ - رنك سينين بينهما بقجة

السيف عامة شارة الأجرة ،
والهلال رمز للهدف والبقجة
رمز للشهادر

(من متحف الفن الإسلامي)



مشكاة موحدة بالميناء باسم الظاهر أبو سعيد برقوق ، ويظهر على عنقها رنكة المكتوب داخل
خرطوش مستطيل ، ونصه (عز مولانا الملك) ، وفي أملاء (الظاهر) وفي أسفله (عز نصره)
وحول الرنك كتابة نسخية كبيرة نصها (الله نور السموات والأرض ، الآية ...) ، وعلى
بدن المشكاة كتابة نصها (عز مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد ، نصره الله)
(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)



مشكاة عليها كتابة نسخية موهبة بالبناء ، وتظهر على البدن حول الرنك المركب من النواة يملوها
 السيف ، وفي أسفل النواة رنك الساق يحيط به قرنا البارود ونفس الكتابة : * الله نور
 السموات والأرض ، مثل نوره * وتكلمة الآية الكريمة على بدن المشكاة ، وحول عنق المشكاة
 كتابة نسخية باسم الأمير قان بای الجركسي ونصها : ما عمل يرسم المقر العال السيق قان بای
 الجركسي نصام (سخطا وصحتها نظام الملك) * . (عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

(٢)



٢ - ذلك الشرقى يونس الدوادار (دوادار
برقوق) به كأسان ومجبرة .

(١)



١ - ذلك وجد على سبيل في حارة الشرقى
بدمشق ، ويرى فيه فرعان في أعلا ذلك
بينهما بقجة ، وفي الوسط كأس مكتوب عليها
(الله) ، وفي الجانب الأيمن قرن بارود ،
وفي الجانب الأيسر مجبرة ، وفي أسفل ذلك
فرعان بينهما كأس .

(٥)



٥ - ذلكان هما ثلاث كنوس وثلاث
مخابر وزهرة زئبق . وقد وجد رقم ٤ على ثلاثة
بنزة .

(٤)



٤ - ذلك مركب الأمير سيف الدين طاز في
أعلاه مجبرة وفي الوسط عصوان البوارو وكركان
بينهما كأس وفي أسفل زهرة الزئبق .

(٣)



(من متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

(٢)



(١)



١ - رنك النسر لسلطان إيتال

٢ - نسر له رأسان نقش على نسيج من الحرير الأزرق واللعب ووجدت بمخالبه عبارة (عن مولانا السلطان عز نصره)

(٥)



(٤)



(٣)



(٦)



(٦ ٤ ٥ ٤ ٤ ٤ ٣)

بعض أشكال متنوعة
لرنك النسر

(من متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)



حشوة من الخشب مزينة برنك السلطان قانصوه النورى فى عرشوش عل شكل دائرة ، مقسمة إلى ثلاثة أنسام : فى النسم الأول (أبو النصر قانصوه النورى) ، وفى النسم الأوسط وهو الشطب (عزملولانا السلطان الملك الأشرف) ، وفى النسم الأسفل (عز نصره) . ويحيط بالرنك زخارف من الأرابسك من فروع وأوراق نباتية ، ويبدو أن هذه الحشوة كانت مستعملة فى أحد جوانب (دكة) المقرئ فى مسجد أو لكرسى فى قاعة العرش ، وربما لذلكه لآى كان يجلس عليها النورى بالحوش فى القلعة . (من متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)

على أنه ليس من الضروري أن يدل الرنك على وظيفة صاحبه، بل ربما دل على ما يهواه ويمثله من مثل رنك الأسد ليبرس، ويبدو أنه اتخذ رمزاً للشجاعة وقوة البأس . ومن الرنوك ما يعجب الناس فينقشونها على ثيابهم وأوانهم ، وربما جعلوها بالوشم على معاصمهم ، ويرجع هذا في أغلب الأحيان إلى سيرة الأمير وحسن معاملته ، مثل رنك الأمير جمال الدين آقوش الأقرم نائب دمشق وهو عبارة عن سيف أحمر داخل دائرة ملونة بالأبيض والأخضر، ووضع الرنك على مؤسسة أو ثياب أو سلاح أو مركب يدل على تبعية هذا الملك إلى صاحب الرنك ، وقد هدد خاير بك والى مصر من قبل العثمانيين سكان القاهرة في سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) بأن من لا يستقر في مسكنه سوف يضرب عليه رنكه فيصير ملكه (٨١) .

الزعر :

لغوياً الزعارة : شراسة الخلق وزعرور سبي* الخلق وفي المصطلح كذلك إذ استعمل هذا في عصر المماليك ليدل على المفسدين وقطاع الطرق واللصوص الذين يتعرضون للعارة ، ولا سيما في الأماكن المهجورة ، يذكر القريري عن حكر الأمير أقبغا الكائن في الطريق بين مصر والقاهرة أنه كان مهجوراً « وقد كثر فيه الزعار » وهؤلاء ينشطون في أوقات الفتن وينهبون ما تقع عليه أيديهم (٨٢) .

السراخور :

المشرف على العلف بالإصطبلات السلطانية أو الخاصة بالأمير (من لفظين فارسيين . سرا بمعنى كبير وخور بمعنى العلف (٨٣)) .
السحوط :

لعله مادة مخدرة أو مؤذية كانت توضع في الأنف تعذيباً للمجرمين (٨٤) .

السلارى :

ما ينسب للأمير سلار نائب السلطنة في عهد بيبرس الحاشنكير من

ملابس وأسلحة وآلات خيل وظلت تنسب إليه حتى نهاية عصر المماليك
والأميرسلار تترى من مماليك على بن قلاوون وكانت له ثروة ضخمة (٨٥) .
الشحنجية :

والشحنجية هي رياضة الشرطة ، ويسمى متوليها صاحب الشحنة وكان
| بهروز الخادم النجفيء صاحب الشحنة ببغداد بين سنتي ٥٠٢ و ٥٤٠ هـ (١١٠٨
و ١١٤٥ م) (٨٦) وهناك أمثلة كثيرة لمن تولى هذه الوظيفة وما تعرضوا إليه
من نقمة الجماهير أحياناً كما حدث في عهد السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي
إذ ثار أهل همذان على العبيد وقتلوا شحنة البلد (٨٧) .
الشربوش :

لباس للرأس مثلث يشبه التاج ، ومنح مع الخلع السلطانية وللشرايش
سوق تعرف باسم (سوق الشرايشين) (٨٨) .
شكارة بذار :

أن تستغل جزءاً من أرض تكون ملكاً لغربك وغلبها في الغالب قليلة .
وقد ورد في منشور من صاحب صيدا القرنجي أنه أعطى حجج أحد أمراء
بني الغرب شكارة بذار وثلاثة أمراء قمح في قرية الدامور ملكاً له ولولده
ولن يقوم مقامه بتاريخ ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ - ١٢٥٧ م) (٨٩) .
الصفايا :

ما يصطفيه الإمام أو ولي الأمر لنفسه أو لبيت مال المسلمين كصفايا
الرسول (ص) التي حازها بحقه في خمس النوى والغنائم . وكذلك هناك صوافي
عمر بن الخطاب في السواد ولم يقطعها وإنما استصفها لبيت المال فصارت
في حكم الوقف لا تباع ولا تشتري ولا تورث (٩٠) .
الصفقة :

بمعنى زمام وحقوق ، فثلا بلدة النخلة من صفقة البدرشين بالحيزة وبلدة
المطرف من صفقة دهشور ، والغارات من صفقة نيا وهكذا (٩١) .

الصلة :

هي ما يصل به ولي الأمر من مال أو عقار نظير عمل معين ، ويطلق هذا اللفظ كوصف للإقطاع الذي يمنح للمستحقين وذوى الحاجات وأرباب المصالح ، كما يقال عن أرض تباع (معاوضة) كأن يكون الثمن عوضاً عن العين (٩٢) .

الصوفي :

من التصوف ولبس الصوف ، وقيل نسبة إلى صفة مسجد رسول الله (ص) ، وقيل من الصفاء كما قيل من الصف، أى أنهم من الصف الأول بقلوبهم وعموماً هم رجال أفرغوا أنفسهم للعبادة والتفقه ، ومن شروط انحراطهم في هذا المسلك ألا يكون دخولهم الخوانق إلا لسد الرمق للتقوى على العبادة ، وألا يتخلوا من الخوانق كما يقول السبكي « أسباباً » والدلوق المرقمة طرائق للدنيا والزور وأكل الحشيش ، وعلى الصوفي احترام شرط الواقف، فثلاً اشترط الأمير شيخو على رواد خاتقاه بالصليبة ألا يتزوج منهم إلا طائفة حددها من كل مذهب (٩٣) .

الطرخان أو الترخان :

الأمير في اللغة التركية، أو الأصيل والشريف، أو اسم للرئيس الشريف باللغة الخراسانية ، والجمع طراخنة واستعملت في مصطلح الممالك بمعنى المنزول عن الإقطاع والوظيفة أو المتقاعد عن السل تجرى عليه الدولة ما يقوم بأوده بقية أيام حياته ، وينطبق على رجال السيف ورجال القلم إلا أنها غلبت على رجال الطائفة الأولى (٩٤) .

الطسوج :

معناه الناحية ، ويؤدى معنى آخر من حيث أنه يساوى (ربح) دائق وهو لفظ معرب (٩٥) .

طسوق :

مكيال أو ما يوضع على الجربان (جمع جريب) من الخراج أو شبه
ضريبة معلومة وهو لفظ مولد أو معرب (٩٦) .

الطغراء أو الطغار :

هي علامة ولي الأمر التي توضع على وثائق الإقطاع وهي كلمة
أعجمية (٩٧) .

الطين :

الأرض الزراعية التابعة لبلد من البلاد، فيقال مثلاً من فاقوس المقطعة
أنها لم يكن لها طين، وقد رت عبرتها بمبلغ ٣٥٠٠ دينار، وربما جاءت العبرة
هذه عن رسوم أخرى على مساكن أو حوانيت أو صناعات وغيرها (٩٨) .

العبرة :

وتعني مقدار الدخل لجهة معينة وهي مثل الارتفاع .

العناية :

دلت في عصر المماليك على طائفة من أسرى العثمانيين الذين أسرمهم
المماليك في حروبهم ضد الدولة العثمانية على عهد قايتباي وقائده المظفر أزيك
- المنسوبة إليه الأذربكية - وكلمة عثمانى الملحقه باسم يرفوق ترجع إلى التاجر
« الخواجا عثمان » الذي باعه . وفي أوائل العصر العثماني في مصر دلت كلمة
« عثمانى » أو عثمانية على أرطال من نحاس أقرها العثمانيون ، وزنة الرطل
٩ دراهم (٩٩) .

المرافقة :

لفظ يطلق على طائفة من الجند (من عشرة إلى خمسة عشر رجلاً)
تقيم في الثغور أو العواصم على حدود الدولة وتبلغ عدة جند العرافة من عشرة
أنتشار إلى خمسة عشر نفراً، وقد أمر أبو جعفر المنصور على أثربناء ملطية ومسجدها
سنة ١٤٠ هـ الحسن بن قحطبة قائد جند خراسان أن يبني لكل عرافة بيتين .

سفلين وعلويان فوقهما واصطبل كما بنى لها المسالح ، وأسكن مطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لأنها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل رجل ومعونة مائة دينار وأقطع الجند المزارع (١٠٠) .
العشر :

ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم عليها أهلها كأرض العرب وما أسلم عليه أهله أو فتح عنوة وقسم بين الفاتحين (١٠١) وهو الصدقة ، ويؤخذ أيضاً من تجار الروم إذا دخلوا بلاد الإسلام ، وتعتبر ضريبة جمركية . ويدفع أيضاً في القطائع التي حيزت تملكاً .
العشران :

جمع عشير ، اسم أطلق على بدو الشام وأطلق أيضاً على الدروز (١٠٢) . وعشير الشام فرقان قيس ويمن ، لا يتفقان قط ، وفي كل قليل يثور بعضهم على بعض وفي سيرة محمد بن قلاوون : ومن جملة رعابا المملكة في الشام قوم جبيلية يقال لهم العشير (١٠٣) .
العشير :

اسم أطلق على بدو الشام وأطلق أيضاً على سائر الدروز فثلاث تارت العشران ونهبوا نابلس سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) في عهد قلاوون فقمهم الأمير أيدغش الصرغدي ، ورتب أميراً بالبلاد الساحلية والغزاوية ، لردع العشران ، وأدت هذه الكلمة كذلك معنى الزكاة المفروضة على قطعان العرب والتركمان نسبة للعشر ، وكذلك من معانيها عند الفرسان المقرر على المقطعين العرب فثلاث عن الأيوبيين . فثلاث أمر السلطان طومان باي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) بجمع عشرين ألف خيال من العشير من فرسان العرب (١٠٤) .
العياق :

لفظاً العوق : الحيس والتسيط ، والرجل العوق الذي لا خير فيه ، والجمع أعواق ومن يعوق الناس عن الخير ، واصطلاحاً بهذا المعنى كذلك ؛ وأطلقت في عصر المماليك على طائفة من ساقل الناس يعتنون على الخير

ويسرون بالمارة ويؤذونهم ، وبشبهون الزعر، ويحدث في بعض الأعياد العامة أن تنشط هذه الطائفة للسخرية والإيذاء كما يقع في عيد النيروز وما يعملونه من موكب يسمى (أمير النيروز) أعضاؤه من سافل الناس والعياق يقفون في الطرقات ويترشون بالماء القذر ويتصافعون بالأنطاع والأخفاف (١٠٥) .
الغيط :

دلت في مصطلح الإقطاع المملوكي على معنى الحديقة أو البستان ، مثلا سافر الأمير أزيك سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩٠ م) إلى شيرامنت بالجزيرة ، للإشراف على القناطر وإقامة بعض منها فأنشأ لنفسه غيطاً ومنظرة على بركة هناك ، ولما وقع غلاء بالشام سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) أشجع أن عسكر العمياتين ، حرب غيطان الشام ونهب الفواكه من فوق الأشجار ، وورعت خيولهم في الغيطان وأكلوا أوراق الشجر ، (١٠٦) .
القساتون :

بمعنى مساحة فثلا بلشاشة بالغربية قانونها ٥٣٣ فدناً وكذلك أقطع الناصر محمد زايد القانون سنة (١٠٧) .
القبق :

خشبة بأعلاها دائرة وترى الرماة بقسها داخل الدائرة وهم ركوب على ظهور خيولهم، لإصابة هدف تدريجاً على إحكام الرمي ويعرف هذا باللغة التركية باسم القبق، وهناك ميدان القبق خارج القاهرة، وقام السلاطين وأمراؤهم بهذه الرياضة (١٠٨).
القرانصة :

ذكر ابن شاهين أنهم طائفة من الأجناد في رتبة أمراء الخمساوات وهم القديمو الهجرة والمرشحون للإمرات، وظلوا بهذا الاسم طول العصر المملوكي والعماني حتى أن محمد بك أبا الذهب استأدهم مع من استأدى في خيانتهم لعل بك الكبير إذ جمع القرانصة والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يرسلوا على بك ، (١٠٩) .

قسائم :

يراد بها تعهدات ، فمثلا حدث في سنة ٨٨٩ هـ (١٤٨٤ م) أن ضرب السلطان محمد ابن قايتباي ناظر الأوقاف بالمقارع وكتب عليه « قسامة » بألا يعود قط يسعى في نظر الأوقاف ومتى سعى فيه كان دمه هدراً ، ثم صبه وكتب من هذه « القسامة » أربع نسخ بعث بنسخة إلى كل قاض ، وفي العهد العثماني أخذ المحتسب « قسائم » على التجار بألا يبيعوا ولا يشتروا إلا بالنزاع الاستانبولي (١١٠) قصة :

معنى الملتبس وهي كذلك من وثائق الإقطاع الأولى مثلا: شكت امرأة زوجها في « قصة » إلى السلطان قايتباي سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) ، وفي نفس السنة سقط تجار كان يعمل في طباق الممالك بالقلعة فوقف أولاده وعياله « بقصة » يلتمسون منه شيئا من الصدقة (١١١) .

قطار :

قطر الإبل يقطرها ، وقطرها قربها إلى بعضها على نسق ، وجاءت الإبل قطاراً ومعناه صفوفاً مقطورة وراء بعضها ، وكثيراً ما قلعت قطر الإبل ضمن التقدام السلطانية (١١٢) .

قسن :

القن بالكسر : العيد وجمعه أقنان وأقنة ، وكان الفلاح في عصر الممالك قد نزل إلى هذه الرتبة من الوجهة العملية ، فصارتنا لا يستطيع مفارقة الأرض هو المبرعته بالفلاح « القرارى » . يقول المقرئى عن فلاحى الإقطاعات : « هو عبد لمن أقطع تلك الناحية إلا أنه لا يرجو أن يباع ولا أن يعتق بل هو قن ومن ولد له كذلك » ومن هرب من الفلاحين يعاد ويلزم « بشد الفلاحة » وهذا شرع الديوان في عرف الممالك ، ويشبه هنا ما وقع في الإمبراطورية الرومانية حيث كان الفلاح مقيداً بالأرض ، فإذا هرب منها أعيد قسراً وسلسل كالعبد ، ويعاقب أشد العقوبة هو ومن سهل له القرار أو آواه . ومن القواعد التي قررها تيوسوس أحد أباطرة الدولة الرومانية

حين أدخل نظام المزارع الكبيرة في فلسطين هناك لا يستطيع المزارع أن ينتقل حسب رغبته ، سيكون الفلاح مرتبطاً بمالك الأرض ولن يتمكن أحد من إيوائه ، وقد ورث الإقطاع الأوربي هذا المظهر عن الرومان (١١٣) .

كتبوش :

كتبوش بالفتح ، والجمع كئابيش : خار لتغطية الوجه ، وهو من الخلع السلطانية وكتبوش هو البرذعة تجعل تحت السرج ، ومن معانيه أيضاً الغاشية وهي السرج والغطاء المزركش الذى يوضع على ظهر القرس (١١٤) .

لامة :

اللامة هم نواب الكشاف بالأقاليم ويقع كل كشاف سبعة لامة لمعاونتهم في إدارة كشوفياتهم (١١٥) .

لالا :

المرابي لولد السلطان وجمعه لالات ، وعادتهم ألا يظهر وا الأولاد للناس حتى يجاوز سنهم سبع سنوات ، فثلاثا توفى الأمير أرغون بن عبد الله سنة ٧٤٨ هـ في خلطة حاجي . وكان الناصر محمد قد جعله لالا لأولاده وخلع السلطان شعبان سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) على طيغا الصفوى واستقر به لالا أخوة السلطان (١١٦) .

ماء الخراج ، ماء العشر :

ماء الخراج من أنهار حفرها الناس كالأنهار التي حفرها الأعاجم . أما ماء العشر فن أنهار أجراها الله كدجلة والفرات (١١٧) . وكان لتويع الماء الذى يسقى به الأرض أثر في حكم التصرف فيها .

المتأثرة :

هى أن يقيم المقطع الحربى أو المقاتلة أو الحامية على الثغور لحفظها (١١٨) ، وقد كان أمراء بني العرب في بلاد الشوف بليتان من الأمراء المقطعين بشرط القيام بالمرك والمتأثرة (وربما كانوا لا يعرفون دركاً ولا متأثرة ولا عدة جند

ولم يجر عليهم عبدة إقطاع ولا غيره ، ثم في دولة الملك العادل نور الدين جعلوا لهم عدة جند . . . (١١٩) .

مثال :

يدل على معنى الأمر العادي أو القرار الذي يصدره السلطان لإنهاء أي خبر بالإضافة إلى دلالة على معنى الوثيقة الإقطاعية . فثلاً وصل في سنة ٥٧١٧ هـ (١٣١٧م) مثال السلطان بالبشارة بالنيل وأن الخليج كسر (١٢٠) .

المغابرة :

هي المزارعة والمقاسمة على نسبة معينة من المحصول (١٢١) .

مرسوم :

بمعنى الأمر السلطاني ، فثلاً ورد مرسوم من السلطان بيبرس بالقبض على بعض الأمراء ، وتدل على أوامر التعيين كما هو في المراسيم المختلفة لبعض طوائف الموظفين ، مثل مرسوم بطرخانية لبعض من أضي من وظائفه وإقطاعاته ، وبمعنى نشرة بأي خبر يريد السلطان لإنهاء كالمثال ، فثلاً لما شئ قابضاً من الكسر الذي ألم بساقه سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) جلس على الدكة وجهاز المراسيم إلى البلاد الحلبية بسلامته من هذا العارض (١٢٢) .

المسزر :

شراب مسكر من الشعير أو الليرة ، وكان معروفاً منذ القدم ؛ جاء رجل من اليمن إلى الرسول (ص) وسأله عن شراب يشربونه باليمن يقال له المززر ويتخلونه من الليرة فلما استوضحه الرسول (ص) : « أمسكر هو ؟ قال : نعم . قال الرسول (ص) : كل مسكر حرام » وكان من المسكرات المعروفة في عصر المماليك . وتعرض للإلغاء والإباحة في كثير من الأحيان (١٢٣) .

المساحة :

ويقصد بها تقدير الخراج بقدر مساحة الأرض كأن يقول : على كل جريب عامر وغامر فقير ودرهم وهكذا (١٢٤) .

المسالح :

المسلحة قوم في عدة بموضع رصد قد وكلوا به يلزاه ثغر، واحدهم مسلحى ، والجمع ، المسالح والمسلحة كالنفر ، والمرقب ، وفي الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب . ومسلحة الحند خطاطيف لم بين أيديهم ينفضون لم الطريق ويتجسسون خيراً لعدو ويعملون عنهم لتلايهم عليهم ، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين ، وإن جاء جيش أتلتروا المسلمين . والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسحوا مسلحة لأنهم يكتنون ذوى سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالنفر والمرقب (١٢٥).

المستغلات :

يقول ابن حوقل (ما يجي لبيت المال من أسواق ومنازل أو طواحين ابتناها الناس في أرض السلطان فيؤدى عنها أجرة (١٢٦)) ، وهذه عرفت بالأحكار في العصر الأيوبي والملوكي كالقياسر والطواحين وغيرها .

المستوفى :

وهو صاحب ديوان المجلس في العهد القاطمي والأيوبي ، ويطالب المستخدمين بما يجب عليهم دفعه من الحساب في أوقاته ، ويقوم الجرائد ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه ، وإن أهمل في هذا كله كان عليه درك ذلك جسيمة ، ولا يؤاخذ بشئ عمل من مجلس عدته ما لم يكن عليه خطه إما بالمقابلة وإما بالتاريخ (١٢٧) .

المسطور :

بمعنى إيصال أو مستند أو تعهد بدفع دين . اقترض السلطان برقوق سنة ٥٧٩٦ (١٣٩٣ م) مبلغاً من المال من بعض التجار وكتب لهم « مسطوراً » ضمنه فيه الأمير محمود الأستادار (١٢٨) .

المسوح :

أمر بالإعفاء من التزام أو دين أو مظلمة ، فمثلاً أمر يبرس بإبطال المظالم التي أحدثها قنطر ، وكتب بذلك « مسموحاً » قرىء على المنابر (١٢٩) .

المطالعة :

رقعة ترفع بطلب الإقطاع . شاع استخدام هذا اللفظ في العصر العباسي في الدولة القاطمية ، وتشبه ما عرف باسم (القصة) في العصر المملوكي ومعناها اللتمس بطلب أي شيء ، ولكنها أكثر ما استخدمت لطلب الإقطاع (١٣٠) .

المعاوضة :

معناها البيع (١٣١) .

المعين :

كاتب بين يدي المستوفى (صاحب ديوان المجلس) لمساعدته (١٣٢) .

مفاردة :

مفردها « مفردى » وهم أجناد الحلقة (١٣٣) .

المقسورة :

يقصد بها الأماكن والأراضي المتسعة التي لا نبات فيها (١٣٤) .

المكوس وأصلها والمال اللالئ وتطورها :

أصل ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم العشر ، فكتب إلى أبي موسى الأشعري ، وهو على البصرة أن يأخذ من كل تاجر يمر به من المسلمين من كل مائتي درهم : خمسة دراهم ، ومن تجار العهد (أهل النعمة) من كل عشرين درهماً : درهماً واحداً ، ومن تجار الحرب (لعله دار حرب أي دار الأعداء) من كل عشرة دراهم : درهماً واحداً .

وروى عن عمر كذلك أن ناساً من الشام جاءوا له وقالوا (أصبنا دواباً وأموالاً فخذ منها صدقة تطهرنا بها) فقال : (كيف أفضل ما لم يفعل من كان قبل . .) .

وشاور ، فقال على بن أبي طالبه : (لا بأس به إن لم يأخذه من بعدك) فأخذ عن العبد عشرة دراهم ، وعن القرس وعن الهجين ٨ دراهم ، وعن البرذون والبخل ٥ دراهم (١٣٥) .

ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب (ضحوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه التجس) (١٣٦) ، (إنه التجس الذي نهى الله عنه) ، وتلا قوله تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (١٣٧) .

عرفت هذه المكوس بالمال الهلالى ، وهى عدة أبواب تصرف فيها ولاية السوء شيئاً فشيئاً ، وأول من أحدث مالا فى مصر سوى مال الخراج ، هو أحمد بن محمد بن المدير لما ولى خراج مصر سنة ٢٢٥٠هـ (١٢٨) ، فإنه كان (من دهاة الناس وشياطين الكتاب) فابتدع فى مصر بدءاً صارت مستمرة من بعده لا تنقض ، فأحاط التطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحاً لجميع الناس ، وقرر على الكلا الذى ترعاه البهائم مالا سياه (المراعى) وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا سياه (المصايد) - يقول البلوى - (ابتدعه بمصر : التطرون وكان مباحاً لجميع الناس بمصر ، فصير لهم ديواناً مفرداً وعاملاً جلدأ ، يحظر على الناس أن يبيعوه أو يشتروه إلا من جهته ، والمراعى وهى الكلا المباح المطلق التى أنبأها الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم ، والمصايد وهى ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر ، فلما احتشم ابن مدير من ذكر المصايد وشناعة القول فيها ، أمر بأن يكتب فى الديوان (خراج مضارب الأوتار ومفارس الشباك وغير ذلك بمصر وله بالشامات أمثال هذا) (١٣٩) ، حيثئذ انقسم مال مصر إلى قسمين : خراجى وهلالى : فالخراجى ما يؤخذ مسانة من الأرض التى تزرع حبوباً ، ومن الخراج غير الأرض التى تزرع

حيوياً ونخلًا وعنباً وفاكهة ، ما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل النغم والدجاج ، والكشك وغيره من طرائف الريف ، وكثُر هذا في العهد المملوكي بصفة خاصة (١١٠) .

والهلال هو عدة أبواب مثل هذه التي قرر ابن المدبر وعرف في زمنه باسم (الرافق والمعاون) (١١١) وكلها أحدثها ولاية السوء شيئاً بعد شيء (١١٢) . ولما ولي ابن طولون مصر سنة ٢٥٤ هـ وأضاف إليه الخليفة المعتمد (٢٥٦ هـ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م) الخراج والتغور الشامية (رغب وتزده عن أذناس المعاون والرافق وكتب بإسقاطها في جميع أعماله ، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة (١١٣) . أعيدت الأموال الهلالية في عهد الفاطميين عندما ضعفت وصارت تعرف باسم المكوس (١١٤) .

ولما تمكن صلاح الدين من تدعيم ملكه في مصر والشام أمر بإسقاط المكوس في مصر والقاهرة ، فكتب عنه مرسوماً بذلك . وجملة في السنة : مائة ألف دينار وتفصيلها :

مكس البهار وعماله	٣٣٠٦٤	ديناراً
مكس البضائع والقوافل	٩٣٥٠	»
منقلت البضاعة عن مكس البز الوارد إليها والنحاس —	٥١٩٣	»
والتزدير والمرجان والفاضلات	٦٦٦٦	»
الصادر عن الصناعة بمصر	٣٠٠٠	»
ممسرة النحر	٨٥٦	»
التفندق بالمنية عن مكس البضائع	٣١٠٨	»
رسوم دار التقد	٦٧٦	»
رسوم الخشب الطويل والملح	١٠٠	»
رسوم العلب المنسوية إلى بليس والبورى	٢١٧	»
رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره		

سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمررة وعبور الأغنام

بالخيزرة ٣٣١١ ديناراً

عبور الأغنام والأبقار والكتان بباب القنطرة ١٢٠٠

واجب ما وارد من الكتان الحطوب إلى الصناعة .. ٢٠٠

رسوم واجبات الغلات كالحيوب الواردة إلى الصناعة والمقس والمنية والميسر والتبائن ومغالت جزيرة الذهب وطموه ومنبر الدرج - ٦٠٠٠ دينار.

العرصة والرسناوى بالخيزرة ومكس الأغنام ومكس الورق المحلوب للصناعة ورسم التفنيش والحصة بساحل الغلة والأقوات والرسائل ودار التفاح والرطب بمصر ، والمرمزة بالقاهرة ٢٠٠ دينار -

دار الحين ومشاركة الخزان ، واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى ، خاتم الشرب والديبى ، مكس الصوف ، الخلفاء الواردة من القبلة ، منفلت

العريف بالصناعة . وحملة البهار والبضائع الوقود والسرقي والطعم بدار التفاح ، رسوم دار السكتاب ، حماية غلات بالمقس . دار الحين . معدية المقياس ،

رسوم الحمام بساحل الغلة . واجب الحناء الواردة في البر . مسلحة شطانوف ، سوق السكرين . رسوم خيمة الحلى بالشارع ، وسوق وردان ، واجب القمح

الوارد إلى القاهرة ، معدية الحسر بالخيزرة . الخيمة بدار الدباغة ، سمرة الحيس الحيوشى . دكان الدهن ومعصرة السبرج والحل بالقاهرة ، الحل الحامض

وما معه ، بيوت الغزل والمصطبة ، ذبائح الأبقار ، سوق السمك بالقاهرة ومصر ، رسوم الدلالة ، رسوم حماية الصناعتين مربعة العمل : معادى جزيرة

الذهب ، خاتم الشمع بالقاهرة ، زريبة الذبيحة ، معدية المقياس وإنابة . حمولة السلجم ، دكة الدباغ ، سوق الرقيق - ٥٠٠ دينار .

معمل الطبرى ، ذبائح الضأن بالخيزرة . رسوم ساحل السنط ، تنور الشوى ١٠٠ دينار .

سوق الدواب ، والجمال ، منفلت الخاتم بالشاشين ، بيوت الفروج ٣٠ ديناراً .

رسوم الصبغ والحريز ، وزن الطفل ، معمل المزرو والقانور (١٤٥) .

على أن المكوس ظلت معروفة بهذا الاسم خلال عصر المماليك كما عرفت وتنوعت أبوابها، منها مكس البضائع، زكاة الدولة، وما كان يجبي إذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه وما يجبي من أهل الذمة غير الخالية وهو دينار يرسم نفقة الأجناد في كل ستة، ومقرر الدينار من التجار عند سفر العسكر وعند وفاة الثيل يرسم ما يعمل من حلوى، وضمان الترابيط من كل ما يباع من الأملاك بنسبة ٢٠ درهماً عن كل ألف درهم حتى ولو تكرر بيع العقار في الشهر الواحد، ولهذا المكس نظير في الإقطاع الغربي بنسبة ١/٣ من ثمن البيع، وهذه يدفعها للسيد، وما يؤخذ من أهل الشرقية من الخليل والحمال والبقر لن يسرح للصيد في العباسية، ومنها ما كان مقطوعاً للأمرء والأجناد، وتطور أمرها بين الإلغاء والإقرار، ونظر السلاطين إلى إلغائها كنوع من البر والتقرب إلى الله لمغفرة الذنوب، غير أن الإقرار والإكثار منها كان أقرب إلى الاستمرار (١١٦).

المشور :

دل المشور أحياناً في العهد السلجوقي على كتاب التعيين في المناصب، فثلاً في عصر السلطان سنجر السلجوقي سنة ٥١٢ هـ - ١١١٨ م كتب منشور للوزير كمال الملك بتقريره على الوزارة، ومنشور على بار بشمكته في الإمارة. ومنشور لأبي القاسم الدرگزيني بمنصب الطغراء والإنشاء (١١٧).

المهتار :

لقب أطلق على كبير المشرفين في كل بيت من البيوتات السلطانية ما عدا الشكارخاناه والإصطبلات، وهو مركب من لفظين فارسيين (مه بمعنى الكبير وتار بمعنى أفضل التفضيل)، فيكون المهتار بمعنى الأكبر (١١٨).

المهم والمهمات :

تدل على معنى الحفلات والولائم في المناسبات المختلفة كالزواج والختان ونحوهما. والمهمات الشريفة هي الحملات الحربية، كلما طرأت ضرورة

لحراسة ثغر من الثغور . فيتعين جماعة من الأمراء والجنود المنصور على الثغور (١٤٩) .

نظام الملك :

لقب للقائم بتدبير شؤون الملك إذا كان السلطان قاصراً وله التصرف التام في جميع شؤون الدولة ، وله أبهة تميزه عن غيره من الأمراء .. وربما ظل مستبداً بالشؤون حتى ولو بلغ السلطان سن الرشد، مثل يلغيا الخاصكي الذي لقب بهذا اللقب في سلطنة شعبان (١٥٠٠) .

٢ - بعض اصطلاحات ونظم في الإقطاع المملوكي

وما يقابلها في الإقطاع الغربي

- البذل المادى Scutage or Soutage (١٥١) .
التنازل عن الإقطاع Renunciation of Fiefs (١٥٢) .
أجناد الأبراء وأنباع الأتباع Vassagers or Subvassals (١٥٣) .
أصحاب الجوامك وأرباب الجوامك وأرباب النقود والمكيلات Sodegers (١٥٤) .
تعويض الخيول الناقفة Resror (١٥٥) .
تقديم الخيول أو ثمنها أو مقرر الفرسان Servicium de Equo (١٥٦) .
حامل الدرع والزرذكاش Squire (١٥٧) .
الجنائب Destrier (١٥٨) .
الخلوان أو رسم دخول الإقطاع (في المحلولات) Relivium (١٥٩) .
السخرة الإقطاعية Corve (١٦٠) .
القروسية بأنواعها المختلفة Chivalry (١٦١) .
الفلاحون القرارية Coloni (١٦٢) .
القسن Villanus or Villein (١٦٣) .
المصادرة وإيقاع الخوطة على الموجود Forfeiture (١٦٤) .
إقطاع الحلقة Feodum Loricae or fief de Hauberk (١٦٥) .
إقطاع المدن والثغور (لها مقابل الإقطاع الغربي) (١٦٦) .
عملية الروك (Domesday Survey Norm. Eng.) (١٦٧) .
مباشر الإقطاع أو كاتب الأمير أو صاحب ديوان الأمير Reeve or Steward (١٦٨) .
تففة التجريدة (لها مقابل في الإقطاع الغربي) (١٦٩) .

٣ - المقاييس والمكاييل والموازين

تختلف المقاييس والمكاييل والموازين عن بعضها البعض في جهات مصر المختلفة في العصور الوسطى ، وكذلك خارج مصر ، غير أن جميعها معترف به ، فكل إقليم يتعامل بما اصطلاح عليه منها . يقول ابن الأختوة ، من علماء القرن الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي : لم أسمع أن بلداً وافق رطلها البلد الآخر إلا نادراً ، أو قرية لقرية . . . ، ولكن الأوقية مثلاً ، في كل مكان ، تعتبر جزءاً من اثني عشر جزءاً من الرطل ، وإن اختلفت قيمتها من الدراهم .

وكذلك في المقاييس ، فقد عرف في مصر مثلاً ، أكثر من ذراع واحد ، فهناك ذراع اليد وذراع القماش ، وهكذا . . . ، ولم يوحد الذراع في مصر إلا في العصر العثماني حين تقرر في عام ١٧٢٨م - ١٥٢١ م ذراع واحد فرض على الناس استعماله .

وتصحح المكاييل والموازين على نماذج لها بدار العيار ، تحت إشراف المحتسب أو نائبه ، ويعتمد ما يصح منها ، والمعروف أن المكاييل والموازين لا تباع إلا بهذه الدار ، فيستدعى المحتسب من آن لآخر ، جميع الباعة إليها بصنجمهم وأكيالهم لضبط ما قد أصابه من خلل منها أو لإزامهم بشراء غيرها (١٧٠) .

المقاييس

السبريد :

يساوي أربعة فراسخ ، وطول الفرسخ ثلاثة أميال وطول الميل ٢٠٠٠ ذراع (١٧١) .

الجريب :

هو المساحة المصطلح عليها في قياس سواد العراق ، ومساحته ٦٠×٦٠ ذراعاً أي ٣٦٠٠ ذراع مربع (١٧٢) .

الذراع :

قدره الفقهاء في الإسلام عامة بـ ٢٤ إصباعاً ٦ شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، أو ست قبضات بقبضة رجل معتدل ، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبصير والوسطى والسبابة ، وكل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن ، وهذا هو المعروف بذراع اليد . ومن الأذرع المعروفة في الإسلام : الذراع العمرية ، وهي الذراع التي وضعها عمر بن الخطاب ، والتي مسح بها أرض السواد ، وقدرها عمر بأن جمع أطول الأذرع الموجودة مع أقصرها وأوسطها وأخذ الثلث وزاد عليه قبضة وإبهاماً قائماً ، ثم ختم طرفيها بالرصاص ، وبعث بها إلى حذيفة وعثمان بن حنيف ليمسحا بها أرض السواد . وهناك ذراع تعرف باسم ذراع العمل ، وضعت زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ولاية زياد بن أبي سفيان على العراق ، فلما أراد زياد قياس أرض السواد ،

جمع ثلاثة رجال (طويل - متوسط - قصير) وأخذ طول ذراع كل منهم وجمع ذلك ثم أخذ ثلثه وجعله لقياس الأرض ، ولذا تعرف هذه الذراع كذلك بالذراع الزيدية ، ظلت هذه الذراع تستعمل في قياس الأرض الزراعية حتى جاء العباسيون فاتخذوا ذراعاً أطول منها ، على أن العباسيين استخدموا أكثر من ذراع ، فهناك الذراع السوداء التي قررت زمن الرشيد ، وسميت كذلك لأنه قلرها بذراع خادم أسود كان على رأسه ، والذراع الميزانية التي وضعها الخليفة عبد الله المأمون للذراع البريدي أي المسافات والأنهار والأسواق ، وهناك أذرع نسبت إلى الفقهاء مثل اليوسفية نسبة إلى القاضي أبي يوسف ، أول من وضعها ، وهكذا (١٧٢) .

القدان :

هو وحدة المساحة في غير أرض السواد ، أي في مصر والشام ، ومساحته ٤٠٠ قصبة بالحاكية - نسبة إلى الحاكم الفاطمي - وطول هذه القصبة ٨ أذرع بذراع اليد (١٧٤) ، ، وبلغت مساحة القدان الجيوشي الإقطاعي زمن الأيوبيين والمماليك ٥٩٢٩ متراً مربعاً على حين أن مساحة القدان الحديث ٨٣٠٠٠٠٠٠ متراً مربعاً (١٧٥) .

القصبة :

هناك نوعان من القصبات عرفا في مصر في العصور الوسطى : القصبة الحاكية المذكورة ، والقصبة السنداوية نسبة إلى مدينة سندفا قرب المحلة الكبرى ، وهي أطول من الحاكية قليلا .

القفيز :

يساوى ١٠ قصبات مربعة (١٧٦) ، والملاحظ أن القفيز يعتبر كذلك

ضمن الأوزان ، ووزنه في هذه الحالة ٨ أرطال (١٧٧) ، واستخدم أيضاً
للدلالة على مكيال عرف في السواد قبل الإسلام باسم « الشارقان » ، يقول
البلاذري : « بلغني أن ذلك القفيز كان مكوكاً عندهم يدعى الشارقان . . »
وعندما مسح عمر السواد ، فرض على كل جريب قفيزاً ودرهماً (١٧٨) .

المسدى :

يستعمل في دمشق ومساحته ١٦٠٠ ذراع مربع بالقاسمي ، لعله نسبة
إلى الفقيه أبي القاسم الزجاجي .

المكاييل

الإردب :

يساوى ٩٦ قنحاً (١٧٩) .

الصاع :

يساوى ٤ أمداد ، ويرى ابن آدم أن الصاع يزن ٨ أرتال (١٨٠) .

الغرارة :

تستعمل في دمشق ، وسعتها ١٢ كيلة (١٨١) ، وقد فرض صلاح الدين على أخيه العادل عندما منحه الإقطاع في ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) بالشام ، أن يجعل إلى القدس في كل سنة عشرة آلاف غرارة (١٨٢) .

القلح :

قدر بالوزن من الحب المعتدل بـ ٢٣٢ درهماً ، وقدره الشيخ تقي الدين ابن رزين عند حديثه عن صاع القطرة بـ ٣٢٧٦٢ حبة (١٨٣) .

الكر العراقي :

يساوى ٦٠ قفيزاً وبالإردب ٤٠ إردباً وبالقنطار ١٧ قنطاراً بالدمشق وبالكارة ٣٤-كارة ، والكارة نساوى ٥٠ رطلاً بالدمشق (١٨٤) .

المسد :

يساوى رطلاً وثلاثاً بالبغدادى ورطلين بالمصرى ، ويعتبر أقل من الربع المصرى (١٨٥) ، وهو عبارة عن ملء كفى الإنسان المعتدل بالحبوب إذا مدهما ، ومن هنا جاءت تسميته « بالمد » وقد جرب الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ذلك فوجده صحيحاً .

المطر :

وجمعه أمطار ، وهو عيار للسوائل وله أصل إغريقي بوازيه ، وباللاتينية Metreus وتختلف سعته باختلاف السوائل ، فطر التبيد ٢٣ جالون ومطر الزيت ٥ جالونات (١٨٦) .

المكوك :

يستعمل في حمص وحمأة وحلب ويسع المكوك صاعاً ونصفاً (١٨٧) .

الوسق :

يساوى ٦٠ صاعاً (١٨٨) :

الويبة :

تساوى ١٦ قدحاً ، وتساوى ويبة عمر بن الخطاب ٦ أمداد ويلاحظ أن الإردب يساوى في اليوم ٦ وبيات وفي بعض جهات مصر الأخرى ٢١ ويبة فأكثر (١٨٩) .

الموازن

الأوقية :

تساوى ١٠ دراهم أو ١٢ درهماً (١٩٠) .

الرطل :

يساوى في مصر (القنطاط) والقاهرة ١٤٤ درهماً باعتبار الأوقية

١٢ درهماً .

ورطل الإسكندرية ٣١٢ درهماً ، ويساوى رطل دمياط رطلين وثلاثة

أرباع الرطل المصرى ، ورطل المحلة رطلاً وثلاثاً بالمصرى ، ورطل مهنود

رطلاً وسدس بالمصرى وبليس رطلاً وربيع بالمصرى وخارج مصر يختلف

الرطل من بلد إلى آخر .:

دمشق : رطلها - ٦٠٠ درهم والأوقية ٥٠ درهماً .

حلب : رطلها - ٧٢٠ درهماً .

حماء : رطلها - ٦٦٠ درهماً .

حمص : رطلها - ٧٩٤ درهماً .

غزة : رطلها - ٧٢٠ درهماً .

القدس والخليل ونابلس : رطلها - ٨٠٠ درهم .

الكرك : رطلها - ٩٠٠ درهم .

بغداد : رطلها - ١٣٠ درهماً .

الحجاز : رطلها - ١٢٠ درهماً .

القنطار : يساوى ١٠٠ رطل بالمصرى :

المن : يساوى ٢٦٠ درهماً وبالأوقية ٢٦ أوقية ، وأوقيته تساوى

١٠٠ درهم ، ويستخدم المن لوزن الطيب :

النقود الإسلامية

في الجاهلية :

استخدم العرب في الجاهلية نقود البلاد المجاورة وهي الفرس والروم واستخدموا الدرهم والدينار ، والوحدة في الوزن هي المئقال . فإذا كان مصنوعاً من فضة سمي درهماً ، وإذا كان مصنوعاً من الذهب عرف بالدينار ، ولكن أهل مكة بالذات لم يستعملوا هذه العملة وإن استعملها غيرهم من جهات بلاد العرب الأخرى ، وإنما تعامل أهل مكة فيما بينهم بأوزان اصطلمحوا عليها فيما بينهم وهو الرطل وزنته ١٢ أوقية وزنة الأوقية ٤٠ درهماً ، وعرف نصف الأوقية باسم (النص) ثم حرف إلى (نش) وأقل وحدة في هذا الوزن هي : (النواة) ووزنها ٥ دراهم (١٩١) .

المئقال والقبراط :

ويهما هنا المئقال فيقال إن وزنه قد بلغ كل ٦ مثاقيل عشرة دراهم (١٩٢) ، وفي رواية القلقشندي : كل ٧ مثاقيل عشرة دراهم (١٩٣) ، وكلاهما صحيح ، أما زنة المئقال بالحبة فتساوى ٧٢ حبة شعير ويساوى ٢٢ قبراطاً إلا حبة ، ولم يتغير المئقال أو يختلف في جاهلية ولا في الإسلام (١٩٤) .

في الإسلام :

ولما بعث الرسول (ص) أقر أهل مكة على ذلك وقال : (الميزان ميزان أهل مكة) - وفي رواية ميزان المدينة - وفرض الرسول (ص) من زكاة الأموال فجعل في كل خمس أوقى من الفضة الخالصة التي لم تنفش خمسة دراهم وهي النواة ، وفرض في كل ٢٠ ديناراً نصف دينار (١٩٥) .

وفي خلافة عمر بن الخطاب ضرب الدرهم سنة ١٨ هـ على نقش الكسروية وزاد فيها (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي البعض الآخر (لا إله إلا الله وحده) وفي أواخر عهد عمر كان وزن كل ١٠ دراهم ٦ مثاقيل .

ولما جاء عثمان ضرب في خلافته دراهم ونقشها (الله أكبر) (١٩٧) .

الدراهم السود :

وفي خلافة معاوية قال له زياد : (إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه صغر الدرهم وكبر القفيز وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الحند ، وترزق عليه الذرية طلباً للإحسان إلى الرعية ، فلو جعلت أنت عياراً دون ذلك العيار ازدادت الرعية به مرفقاً ومضت لك به السنة الصالحة) فضرب معاوية الدراهم السود الناقصة ووزنها ٦ دوانيق ، وضرب زياد وجعل كل ١٠ دراهم ٧ مثاقيل وكتب عليها ، فكانت تجرى مجرى الدراهم ، وضرب معاوية كذلك الدنانير ونقش على الدينار تمثالا متقلداً سيقاً (١٩٧) .

الدراهم المستديرة :

وضرب عبد الله بن الزبير بمكة دراهم مدورة ويعتبر أول من ضرب (الدراهم المستديرة) ونقش على أحد وجهي الدرهم (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل) وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق وجعل كل عشرة منها ٧ مثاقيل - مثل زياد - وأعطاهم الناس في العطاء ، حتى قدم الحجاج العراق من قبل عبد الملك بن مروان فقال : (ما بقى من سنة الفاسق والمنافق شيئاً غيرها) (١٩٨) .

ولما استقر الأمر لعبد الملك بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير فحص عن النقود والأوزان والمكاييل وضرب الدنانير والدراهم سنة ٧٦ هـ وجعل وزن الدينار ٢٣ قيراطاً إلا حبة ووزن الدرهم ١٥ قيراطاً والقيراط أربع حبات وجعل الدنانق ٢١ قيراط ، وكتب إلى الحجاج بالعراق أن اضربها قبلك فضربها ، ولم ينكر بقايا الصحابة بالمدينة منها سوى نقشها فلإن

فيها صورة (١٩٩) ونقش على أحد وجهي الدرهم (قل هو الله أحد) وعلى الوجه الآخر (لا إله إلا هو) وطوق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب في الطوقين (ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا) وفي الطوق الآخر (محمد رسول الله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢٠٠).
وضرب عمر بن هبيرة في العراق الدراهم الهبيرية، وكانت الهبيرية تساوي ٦ دوانيق .

الحالدية :

وفي عصر هشام بن عبد الملك أمر الخليفة في ١٠٦ هـ خالد بن عبد الله القسري ، فضرب (الحالدية) وجعل زنتها ٧ دوانيق ، وبعد عزل خالد القسري سنة ١٢٦ هـ عاد وزن الدرهم إلى ٦ دوانيق في عهد يوسف بن عمر التقي .

وبعد مقتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموي سنة ١٢٦ هـ ضرب مروان المعدى سكة جديدة (٢٠١) .

السكة العباسية :

وفي العهد العباسي ضرب السفاح بالأبواب وكتب عليها (السكة العباسية) .
العباسية :

بنفس الوزن وأتقصها المنصور ثلاث حبات وسماها (الدرهم) (٢٠٢) .
أخذت الدراهم تزيد وتنقص في العهود المختلفة ودخلها الغش أحياناً ، وأول من غش الدراهم وضربها زيوفاً عبيد الله بن زياد حين فر من البصرة سنة ٨٦٤ هـ ثم فشت في الأمصار أيام دولة العجم من بني بويه وبني سلجوق (٢٠٣)



٥ - النقود في مصر الإسلامية

عن الرسول (ص) : « منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدعها ودينارها ومنعت مصر إردبها ودينارها » ، ولما فتحت مصر سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) فرض عمرو بن العاص على القبط من الرجال دينارين عن كل رأس

فجى أول عام ١٢٠٠٠٠٠٠٠ إثناعشر مليون دينار وقيل ١٦٠٠٠٠٠٠٠٠
سنة عشر مليون دينار (٢٠٤) ، وسارت في مصرسكة بنى أمية والعباسين
حتى جاء أحمد بن طولون فضرب دنانير عرفت باسم الأحمدية نسبة إليه (٢٠٥).
دينار المعز :

وفي العهد الفاطمي ضرب جوهر الصقل (الدينار المعزى) ونقش
في أحد وجهيه ثلاثة أسطر : دعا في إحداها الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد
وفي السطر الثاني كتب فيه : ضرب هذا الدينار بمصر سنة ٣٥٨ هـ ، وفي الوجه
الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون ، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين (٢٠٦)
وزنة الدينار المعزى ١٥ درهماً وزاد الحاكم في الوزن سنة ٣٣٩ هـ فبلغ
الدينار ٣٤ درهماً ، وفي سنة ٥٦٩ هـ ضربت السكة باسم (المرتضى بأمر الله والملك
العادل نور الدين محمود ، فرسم اسم كل منهما على وجهه) (٢٠٧) .
الأيوبيون - الناصري :

وبعد موت نور الدين ، ضرب صلاح الدين في سنة ٥٨٣ هـ الدينار ذهباً
مصرياً ، وضرب الدرهم الناصري من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوية
وظل الأمر على ذلك في مصر والشام حتى عصر الملك العادل أبي بكر فأبطل
الناصرى سنة ٦٢٢ هـ وضرب دراهم مستديرة ثلثها من فضة والثلث من
نحاس ، واستمر حتى آخر العهد الأيوبي (٢٠٨) .

وقد ورثت الدولة المملوكية التقود الإسلامية من درهم ودينار ومقال
غير أن النظام الإقطاعي الذي عم منذ عهد أساتذة المماليك وهم الأيوبيون ،
قضى بالترقة بين طوائف المقطعين فيما يتعلق بقيمة الدينار الذي يحاسبون
على أساسه في عبر إقطاعاتهم ، فاختلف سعر الدرهم تبعاً لجنسيات المقطعين
ومراتبهم في المدرج الإقطاعي (٢٠٩) .

هذا وتعرضت التقود المستعملة في عصر سلاطين المماليك إلى كثير من
التعديلات في أوزانها وقيمتها مما أضر بعموم الناس في أكثر الأحيان ، بل كان

من أسباب الغلاء حتى أن السلطان قايتباي تحاشى الطريق الذى اعتاد أن يسلكه وسط القاهرة سنة ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) فكان يدخل إلى القلعة من بين التراب حتى لا يشكو الناس له « بسبب الفلوس الجدد » (٢١٠) ، وفضلاً عن هذا التعديل الرسمى، تعرضت النقود كذلك إلى الغش والزيف فنشطت طوائف « الزغلية » تضرب « الزغل » من النقود (٢١١) . والمهم فى هذا الزيف مسئولية بعض السلاطين والأمراء فقد من مساوىء السلطان الغورى « معاملة فى الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها » زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا شراء ولا معاملة فى ملة من الملال فقد قرر على دار الضرب مالا . . فى كل شهر فكانوا يضيفون فى الذهب والفضة والنحاس والرصاص جهاراً فكان الأشرقى - أى الدينار - إذا صن فى ذهب يساوى ١٢ نصفاً (٢١٢) ، بمعنى آخر يساوى نصف دينار تقريباً ، إذ الأشرقى الصحيح يساوى ٢٥ نصفاً من الفضة (٢١٣) .

ويلاحظ أن الفلوس التى استعملت وقتئذ كانت بالعدد ثم تطور أمرها حتى قومت بالوزن، فكان كل ٤٨ فلماً عدنا تقدر قيمتها بلهم نقرة ، فلما جاء السلطان كتبغا، قرر سنة ٨٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) أن يكون الرطل منها وزناً بلهمين نقرة (٢١٤) .

واحتوى الرطل على عدد من الفلوس تراوح بين ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ فلماً تبعاً لوزن الفلوس زيادة ونقصاناً. والعادة أن يكون وزن الفلوس مثقالاً (٢١٥) لكنه لم يكن بهذا الوزن دائماً. بل تناقص وزنه فى أواخر عصر المماليك حتى قدر كل ١١٨ رطلا من الفلوس بمبلغ ٥٠٠ درهم (٢١٦) نقرة أى أنقص وزن الفلوس إلى مثقال تقريباً .

ومن الفلوس ما وصف بكلمة « العتق » وهى غير المطبوعة بالسكة السلطانية (٢١٧) ، على خلاف الفلوس « الجدد » المطبوعة بالسكة (٢١٨) . ومن أمثلة الجدد ما ضربه الناصر محمد فى ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ - ١٣٢٤ م)

وما ضربه الناصر حسن ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) وجمال الدين عمود الأستادار في عهد السلطان فرج وكذلك قايتباي سنة ٨٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) وغيرهم (٢١٧) .
القرطاس :

وهناك نوع من العملة التي استعملت في عصر سلاطين المماليك تسمى بالقرطاس، ويساوي القرطاس منها ٦ فلوس، وكان هذا سائراً في دمشق إلا أن الناصر محمد أبطلها في سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) حين ضرب فلوسه الخدد في مصر، وجعل التعامل في دمشق على أساس ما ضربه من الفلوس الخدد في مصر، وهذه هي العملة النحاسية (٢٢٠) .
الدرهم النقرة والأبيض :

أما الدرهم فوجد منها أربعة أنواع : أجودها وأعلها قيمة ما عرف باسم النقرة ويتكون من فضة ونحاس ووزنه ١٦ قيراطاً أي ينقص عن المثلث . وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزناً وقيمة هذا الدرهم ٢٤ فلماً ، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية ، ويكون فيها دراهم صحاح وقراضيات مكسرة ، وقدر وزن الدرهم النقرة بست عشرة حبة خروب، فتكون معاً خروبتين ثم درهم ، والحروبة ثلاث حبسات من حب البر المحتدل (٢٢١) .

الأسود والبندق :

والنوع الثاني من الدراهم ما عرف باسم « الدراهم السود » ويقسّر الواحد منها بثلاث دراهم نقرة وهو قليل الاستعمال ، ورجح أن نعتها بالسود جاء لتغير لونها لطول الزمن ولذا ميزت الدراهم الحديدية في بعض الأحيان باسم الدرهم الأبيض (٢٢٢) ، ومن هذه الدراهم الحديدية أو الأبيض وكذلك النقرة ما ضربه السلاطين في العهود المختلفة، على أن الدراهم الحديدية تقل عن الدرهم النقرة ، فثلاث قدر الدرهم المؤيدي بثلاثة أرباع درهم النقرة (٢٢٣) وعرفت الدراهم السود كذلك باسم « البغلية » نسبة إلى رجل يهودي كان

يضر بها في فارس يسمى «بغل» وهي على أية حال دراهم أجنبية (٢٢٤). ومن الدراهم الأجنبية الدرهم «البنديق» جاء عن طريق التبادل التجاري مع البنديقية وأحضرته السلطان المؤيد شيخ ورجاله كية كبيرة في عودته من الشام ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) وهذه هي العملة الفضية (٢٢٥).

الدينار :

وفيما يتعلق بالدينار وهو العملة الذهبية. تعرض كثيره من أنواع العملة إلى التعديل في وزنه والعادة أن يكون مثقالاً. لكن وجد من السلاطين من ضرب دنانير تقل عن المثقال أو تزيد. مثل السلطان فرج بن برقوق إذ تراوحت أوزان الدنانير التي ضربها بين مثقالين ومثقال ونصف مثقال وربع مثقال (٢٢٦) ، وتبعاً لاختلاف الأوزان ونسبة ما فيها من معادن أخرى غير الذهب اختلفت قيم الدينار من الدراهم التي يقدر بها، فمثلاً قدر دينار بيارس بـ ٢٨ درهماً ودينار الناصر بـ ٢٥ درهماً من الدراهم الحديدية أو البيض غير النقرة وهكذا (٢٢٧).

أما ما عبر عنه باسم «الدينار الجيشي» فهذه لاحقيقة لها، بل كلمة «جيشي» اصطلاح تعارف على استعماله ديوان الجيش أو ديوان الإقطاعات في إطلاقه على عبئة الإقطاعات وهي لا تعلق أن تكون دنانير عادية ، وإن اختلفت أسعارها من الدراهم باختلاف جنسية المقطع ووضع في المدرج الإقطاعي، والعادة أن يكون سعر هذا الدينار من الدراهم النقرة ١٣ درهماً ونصف ومن الدراهم السود ٤٠ درهماً (٢٢٨) ، فن المقطعين ولعلمهم كبار الأمراء من حوسب باعتبار الدينار كاملاً ، أي بالسعر المقرر كيفما كان من الدراهم ومنهم من كانت قيمة ديناره نصف دينار ، وقدر سعر دينار أجناد الحلقة والممالك السلطانية بعشرة دراهم (٢٢٩) وغلب في عبئة إقطاعات العربان أن يكون دينارهم بقدر $\frac{1}{2}$ دينار (٢٣٠).

الأشرفي :

ومن أسماء الدنانير كذلك « الأشرفيات » أشهرها وأجودها الأشرف البرسبهي نسبة إلى السلطان برسبای تمیزاً له عن الأشرفيات المنسوبة لغيره من السلاطين مثل الأشرفي القايتباهي والأشرفي الغوري والأشرفي العثماني (٢٢١) .

الإفرتني :

كذلك استعمل في عصر الماليك الدنانير الأجنبية المعبر عنها بالإفرتنية عن طريق التبادل التجاري على وجه العموم ، ويقدر الدينار منها بسبعة عشر درهماً من الدراهم الحديديّة أو البيض، وتختلف عنها في أن صور ملوكها متقوשה على وجوهها، ولذا تعرف أحياناً بالدنانير الصورية .

الدوكات :

أو المشخصة، وإذا كان ضربها في البندقية عرفت باسم « الدوكات » (٢٢٢) والسكة السلطانية الإسلامية عامة والمملوكية على وجه الخصوص عبارة عن اسم السلطان ولقبه على أحد وجهي العملة وعلى الوجه الآخر مكان الضرب وتاريخه (٢٢٣) .

وجرت العادة في عصر الماليك أن يكون على أحد وجهي العملة عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . وهذه العبارة واضحة في جميع القطع المعروضة وأضيفت عبارات أخرى إلى هذه العبارة مثل « أرسله بالهدى ودين الحق » (٢٢٤) أو « وما النصر إلا من عند الله » (٢٢٥) وربما أضيفت إلى اسم السلطان ولقبه عبارة « قسم أمير المؤمنين » أو اسم الخليفة نفسه (٢٢٦) . ومن السلاطين من وضع رنكه على عملته مثل بيبرس الذي وضع صورة السبع (٢٢٧) .

ووضع اسم السلطان داخل دائرة أو ما يشبهها على أحد وجهي العملة، أمر تطير له بعض السلاطين والأمراء والناس ، وذلك من حيث ضيق الدائرة أو اتساعها أو مجرد شكلها، والتفاؤل والتشاؤم من طبيعة المجتمع المملوكي ، ومن أمثلة ذلك تطير الناس بفيلوس السلطان بقوق التي ضربت ٧٨٩ هـ

(١٣٨٧م) ووضع اسمه عليها داخل دائرة فقال الناس «تدور عليه الدائرة» (٢٣٨) وتطير يوسف ناظر الخالص بدنانير عثمان بن جقمق المعروفة باسم «المناصرة» وقال لعلم دار الضرب «قد ضيقت على عثمان قوى» ويعلق ابن لياس «فكان الأمر كذلك» (٢٣٩). كذلك تطير السلطان أحمد بن إينال بديناره الفضة حين وضع اسمه في دائرة: فأمر معلم دار الضرب بتغيير الشكل وهكذا . . (٢٤٠).

وهذه بعض أنواع العملة المنتخبة من العصر المملوكي في عهود مختلفة وملحق بها جدول لشرح كل قطعة على حدة وهي محفوظة بالمتحف الإسلامي بالقاهرة .



٢ - درهم فضة (بيرس)



١ - دينار ذهب (بيرس)



٤ - درهم فضة (قلاوون)



٣ - دينار ذهب (قلاوون)



٦ - درهم فضة (الناصر محمد)



٥ - دينار ذهب (الناصر محمد)

(من متحف آتقن الإسلامى بالقاهرة)



٧ - دينار ذهب (برقوق)



٨ - درهم فضة (برقوق)



٩ - نيسان نحاس (من عملة برقوق)

(من متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

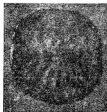


١٠ - دينار ذهب (بوسيدى)



١١ - دينار ذهب (فراج)

(عن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة)



١٢ - درهم فضة (إيتال)



١٣ - دينار ذهب (إيتال)



١٤ - دينار ذهب (عشقدم)

(من متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)



١٦ - درهم فضة (قائمتاي) ١٥ - دينار ذهب (قائمتاي)



١٧ - دينار ذهب (النوري)



١٨ - فلس (من عملة النوري)

(عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة)

جدول لشرح قطع النقود

السكة السلطانية		ظاهرها	وجه القطعة	صاحبها	نوعها	رقم القطعة
عاش القطعة						
عاش الوجه	عاش الظهر					
(وغيره) (كاتبه)	عاش الوجه	شرب بالسكندرية لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	الصالحى السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين قسح أمير المؤمنين (ونك السبع)	بيرس	دينار ذهب	١
-	القاهرة	الإمام المنصور أبو القاسم أحمد بن الإمام الظاهر	الظاهر ركن الدنيا والدين أمير المؤمنين (ونك السبع)	بيرس	درهم فضة	٢
عاش الوجه	عاش الظهر	شرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	المؤمنين السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسح أمير	قلاوون	دينار ذهب	٣
-	-	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى	السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى	قلاوون	درهم فضة	٤
-	-	الله وما النصر إلا من الله لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	(الله) وما النصر إلا من الله السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن الملك المنصور	الناصر محمد	دينار ذهب	٥

تابع جدول لشرح قطع النقود

رقم القطعة	نوعها	صاحبها	السكة السلطانية		
			وجه القطعة	ظاهرها	
		هاش القطعة		هاش الوجه	
٦	درهم فضة	الناصر محمد	السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن الملك المنصور	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى	-
٧	دينار ذهب	برقوق	(ضرب) بمسقط السلطان الملك (الظاهر) سيف الدنيا والدين برفوق عز الله أنصاره	وما النصر إلا من عند الله لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق (ل) ظهوره على الدين كله	-
٨	درهم فضة	برقوق	(السلطان الملك) الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برفوق	لا إله إلا الله (محمد) رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	-
٩	قلس نحاس	برقوق	برقوق	الملك (الظاهر) أبو سعيد	ضرب بمسقط
١٠	دينار ذهب	فرج	ضرب بالقاهرة سنة ست السلطان الملك الناصر أبو السادات فرج بن الشهيد الملك الظاهر أبو سعيد (برقوق)	لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله	-
١١	دينار ذهب	برسبای	لا إله إلا الله محمد رسول الله	بالقاهرة السلطان الملك الأشرف الناصر برسبای عز نصره	-
١٢	درهم فضة	زینال	السلطان الملك الأشرف زینال (داخل دائرة)	(كتابة غير واضحة)	-

تابع جدول لشرح قطع النقود

رقم القطعة	نوعها	صاحبها	السكة السلطانية		
			وجه القطعة	ظاهرها	
					عاش القطعة
			عاش الوجه	عاش الظهر	
١٣	دينار ذهب	إينال	السلطان الملك أبو النصر إينال	لا إله إلا الله محمد رسول الله	-
١٤	دينار ذهب	عشقدم	السلطان الملك الطاهر أبو سعيد عشقدم	عرب بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله	-
١٥	دينار ذهب	قايتهاي	السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتهاي	لا إله إلا الله محمد رسول الله	-
١٦	درهم فضة	قايتهاي	قايتهاي (ق دائرة)	عرب بالقاهرة (ق دائرة)	-
١٧	دينار ذهب	النورى	السلطان الملك الأشرف قانصوه النورى	بالقاهرة لا إله إلا الله محمد رسول الله	-
١٨	فلس	النورى	قانصوه (د داخل زعرفة هتسية)	بالقاهرة	-

هوامش الملاحق - القسم الثاني

- (١) السلوك ج١ ص ٤٥ حاشية : ٣ .
- (٢) التنويري ج٨ ص ٢٧٨ - ٢٨٢ .
- (٣) ذيل تجارب الأمم ص ١٧٣ و ١٧٤ .
- (٤) اللؤلؤي ص ١٨٣ .
- (٥) التنويري ج٨ ص ٢٨٥ و ٢٩٢ .
- (٦) غصوه الساري ورقة ١٧٤ .
- (٧) يحيى بن آدم ج٢ ص ٦١ - ٧٤ .
- (٨) أقرب الموارد ، السلوك مخطوط ج٣ ص ٤٠٩ ، صبح الأمشى ج٥ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ وزبدة كشف المالك ص ١٠٦ و ١٠٧ و مخطوط ج٢ ص ٢٢٢ ونهاية الأرب ج٨ ص ٢٢١ - ٢٢٨ - أنباء الفرس ج٢ ص ١٤ وحوادث النعمور ج٢ ورقة ٣١٠ وميدان التتم ص ٣٥ .
- (٩) صبح الأمشى ج٢ ص ٤٩٣ .
- (١٠) ابن تيمية ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .
- (١١) القمخري ص ٢٤٤ - ٢٤٦ والنجوم ج٣ ص ٢٤٦ والسلوك ج١ ص ٢٦ - ٢٧ .
- (١٢) السلوك ج١ ص ٧٥ - ٧٦ .
- (١٣) لقولة السلجوقية ص ٢٦٧ وابن مسكويه ج٦ ص ٩٦ .
- (١٤) الصافي ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .
- (١٥) صبح الأمشى ج٥ ص ٤٥٤ .
- (١٦) القاموس المحيط ، وانظر البلاذري ص ١٥١ - ١٥٢ .
- (١٧) صبح الأمشى ج٥ ص ٤٧٠ ، ميدان التتم ص ١٧٥ القاموس .
- (١٨) النجوم الزاهرة ج٨ ص ٨٧ وحاشية - ١ ، بدائع الزهور ج٣ ص ١٥١ .
- (١٩) صبح الأمشى ج٥ ص ٤٥٩ .
- (٢٠) سلوك ج١ ص ٧٣ وحاشية - ٤ .
- (٢١) المنيل الصافي ج٢ ورقة ٣٠٤ و ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ج١٠ ص ٣١٧ - ٣١٨ السلوك ج٢ ص ٤٨٢ حاشية - ١ .
- (٢٢) زبدة كشف المالك ص ١٢٢ ، القاموس المحيط .

(٢٣) التيسير والاعتبار ورقة ١٦ ، السلوك ج١ ص١٠٥ حاشية - ١ ، انظر نسخة
التذكرة ، باللائق .

(٢٤) ابن مسكويه ج٦ ص٩٧ ذيل تجارب الأمم ص٤٩ - ٥٠ .

(٢٥) زبدة كشف المالك ص١٣٦ .

(٢٦) الماوردي ص١٨٧ ، الصابي ص١٤ .

(٢٧) الصابي ص١٣ - ١٤ .

(٢٨) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص٩٢ .

(٢٩) الماوردي ص١٨٣ .

(٣٠) الماوردي ص١٦٨ .

(٣١) ضوء السارى ورقة ١٧٣ .

(٣٢) التبريد بالمصطلح الشريف ٨٤ - ٨٧ .

(٣٣) صحح الأعشى ج٥ ص٤٦٠ .

(٣٤) بدائع الزهور ج١ ص٩٦ و ج٣ ص٢٤ ، السلوك ج١ ص٤٤٣ حاشية - ١
و ٦٩٢ حاشية - ٤ .

(٣٥) السلوك ج١ ص٥٢ حاشية - ٢ ، النجوم ج٨ ص٥٠ حاشية - ٢ .

(٣٦) التبريد ص٩٩ ، السلوك ج١ ص٤٩٠ حاشية - ٢ و ٩٠٩ حاشية - ١ .

النجوم الزاهرة ج٩ ص١٦٨ وحاشية ١ و ٢ .

(٣٧) الماوردي ص١٨٧ .

(٣٨) تاريخ أبي الفداء ج٤ ص٩٢ .

(٣٩) معية الترمذ ص٦٦ ، خطط ج٢ ص٩٨ .

(٤٠) آثار الأول ج١ ص١٧٧ ، السلوك ج١ ص٥٦٣ و ٨٩٧ .

(٤١) زبدة كشف المالك ص١٢٥ ، القاموس المحيط .

(٤٢) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٧٥ حاشية - ١ ، السلوك ج١ ص٣٠٦ حاشية - ٣ .

(٤٣) حاشية الشرقاوي على شرح التحرير لشيخ زكريا الأنصاري ج٢ ص٤٩٨ - ٤٩٩

شرح الخطيب ج٢ ص٢٢٩ - ٢٣٠ ، بدائع الزهور ج٢ ص١٠٣ ، دول الإسلام ص٢٨ - ٢٩

تاريخ بعلبك ص٣٢ ، Supplement aux Dictionnaires Arabes .

(٤٤) التحفة السنية ص٤٧ و ٥١ ، السلوك ج١ ص٣٨٤ ، بدائع الزهور ص٦٠

(٤٥) راجع الفصل السادس .

(٤٦) السلوك ج١ ص٥٤٩ ، صحح الأعشى ج٤ ص١٥ - ١٦ ، القاموس المحيط .

(٤٧) السلوك ج١ ص٧١ .

- (٤٨) السلوك ج١ ص ٨٧٥ وحاشية ١ ، النسخة المطبوعة ج٢ ص ٧٥٤ ، التصحيح والإختصار ورقة ٥٢ - ٥٣ ، وأنباء الفرس ج١ ص ١٤٩ ، غلط ج١ ص ١٧٩ ، زبدة الممالك كشف ص ١٢٠ .
- (٤٩) السلوك ج١ ص ٦٥ و ١٣٤ ، صبح الأعشى ج٢ ص ١٥٣ .
- (٥٠) ومنه قوله الخراج بالفيضان وأرض الخراج تتميز عن أرض النهر في الملك والحكم (المالدي ص ١٤٠) .
- (٥١) الأوائل ورقة ٢٣١ ، البلاذري ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- (٥٢) السلوك ج١ ص ٣٨٨ حاشية ١ - ٤٣٣ حاشية ٣ و ٥١٢ .
- (٥٣) ابن عبد الحكم ميرة عمر بن عبد العزيز ص ٩٩ .
- (٥٤) ابن عمالي ص ٣٢٦ .
- (٥٥) صبح الأعشى غلط ج٣ ورقة ١٢٥ .
- (٥٦) غلط ج٢ ص ٤١٤ - ٤٢٦ ، صبح الأعشى ١١ ص ٣٧٢ - ٣٧٦ .
- (٥٧) السلوك ج١ ص ٢٢٤ حاشية ٢ و ٣٩٠ حاشية ١ ، القاموس الفارسي .
- (٥٨) صبح الأعشى ج٢ ص ١٣٦ ، السلوك ج١ ص ٨٤٤ حاشية ٧ .
- (٥٩) تاريخ الأعيان ص ٢٣١ و ٢٣٧ ، زبدة كشف الممالك ص ١٣٠ ، السلوك ص ٤٦٥ حاشية ١ .
- (٦٠) زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- (٦١) سلوك ج١ ص ٤٠ حاشية ٥ ، النجوم الزاهرة ج٥ ص ٧٣ حاشية ١ ج٦ ص ٤ - ٥ .
- (٦٢) تاريخ أبي الفداء ج٢ ص ١٦ .
- (٦٣) غلط ج٢ ص ١٠٥ ، بدائع الزهور ج٢ ص ١٥٤ .
- (٦٤) غلط ج٢ ص ٤٢٧ ، الانتصار ج٤ ص ١٠٢ ، و القاموس المحيط ، ذيل أقربه الموارد .
- (٦٥) الانتصار ج٤ ، غلط ج٢ ص ٨٦ - ٩٤ - ٩٧ - ٩٨ و ١٠٤ و ١٠٧ .
- (٦٦) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٥٣ - ٥٤ الأحكام المرعية ص ٤٨ .
- (٦٧) التحفة السنية ص ١٧ - ١٨ .
- (٦٨) التحفة السنية ص ٨٥ .
- (٦٩) التحفة السنية ص ١١٦ .
- (٧٠) يلاحظ أن أكبر مساحة خصصت للرزق هي : ألفت بالهندساقية فمناحيا ٢٣٧٦ فدانا وكلها رزقة أولاد لاجين الظاهري ومالكه ، وأقل مساحة للرزق هي فدان واحد في جهة البختاس بالفرية ، إذ تبلغ مساحتها ٢٠٤ فدانا ، مخصصة للمقطنين والعربان منها فدان واحد رزق. (التحفة السنية ص ١٦١ - ١٦٢ و ٦٥) .
- (٧١) عرف الوقت منذ العهد النبوي فملا جاء عمر بن الخطاب يوما إلى النبي (ص) يستأمره

في أرض أصابها بغيره وقال : يا رسول الله ، إن أصبت أرضاً بغير لم أصب مالا قط هو أنفس
عنى منه ، قال الرسول (ص) : إن شئت حبست أصلها وتصدقت منها فتصدق بها امر بمنى
أنه لا تباع رقبها ولا تودث ولا توهب .

نص كتاب وقف عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إن حدث به
حدث ، أن تمنا وصرة بين الأكوخ والبيد الذي فيه والمائة سهم التي بغيره ورقبه التي فيه والمائة
التي أطعم محمد (ص) بالواصي : تليه خصمة ما عالت ثم يليه ذوق الرأى من أهلها ، لا يباع
ولا يشتري ، ينفقه حيث رأى من السائل والمحرور وذوى القربى ، ولا حرج على من وليه من أكل
أو ياكل أو اشترى رقبها منه . (ملحق الأبحر ص ١٨٨ ، درد الأحكام ورقة ٣٠٥ ، بلوغ
المرام ص ١٩٦ حاشية - ١) .

(٧٢) التنجيم الزاهرة ج٦ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧٣) غلط ج٢ ص ٢٩٥ ، التنجيم الزاهرة ج٦ ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧٤) صحح الأضنى ج٦ ص ٣٨ .

(٧٥) توفى الإمام الليث سنة ١٧٥ هـ (٧٩١ م) (بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ،

الأعلام) .

(٧٦) انظر الفصل الثاني .

(٧٧) عطية الرحمن في صفة أرساد الجوامك والأطيان ، عبارة عن بحث في شئون الرزق
الأحسابية وتاريخها ، وهي الإجابة على الاستفتاء الذي وضعه الشيخ عيسى الصفى مؤلف عطية الرحمن
(ص ٢٢ - ٢٣) ومن المراجع الأخرى التي تعرضت لهذا البحث ، السلوك (مخطوط ج٣ ص ١٥) ،
رسالة في بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها ص ٢٣٩ (مخطوط رقم ٣٣ بجايح دار الكتب) ،
بدائع الزهور ج٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، غلط ج٢ ص ٢٦٦ ص ٢٩٦ .

Mayer: Sarmenic heraldry pp. 4, 15, Artin, Contributions (٧٨)

المواري ص ١٠ - ١١ . A L'Érudic du Blason en Orient, p. 280.

(٧٩) لم يقتصر استعمال البيجة على كونها رمزاً الجمالية وإنما استعملت كذلك في دار
الضرب لطبعها على الفلوس بعبارة الضرورية تمييزاً لها عن الفلوس المزيفة حين انتشر ضرب الرطل
من النقود ، ومع ذلك قلل المزيفون البيجة وصوروها على فلوسهم المنقوشة (السلوك ج٢ ص ٢٠٦ -
وحاشية ١) .

(٨٠) لكأس أشكال مختلفة ، انظر كتاب : Mayer, Op Cit, p. 31

(٨١) السلوك ج١ ص ٦٧٢ حاشية ج٢ ص ٢١٥ أعيان النصر ج٢ غير مرقم بدائع

الزهور ج٢ ص ١٧٤ صحح الأضنى ج٢ ص ٦١ - ٦٢ .

- (٨٢) غلط ج ٢ ص ١١٦ ، القاموس المحيط .
- (٨٣) زبدة كشف الممالك ص ١٢٦ ، صبح الأمتى ج ٥ ص ٤٦٠ .
- (٨٤) شرح الخطيب ج ٢ ص ٢٢٩ .
- (٨٥) بدائع الزهور ج ١ ص ١٥٥ .
- (٨٦) السلوك ج ١ ص ٣٥ حاشية ١ ص ٤٠ حاشية ٥ ص ٩٧٩ حاشية ٣ .
- (٨٧) نجوم ج ٥ ص ٧٢ حاشية ١ ج ٦ ص ٤ .
- (٨٨) غلط ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩ .
- (٨٩) تاريخ بيروت ص ٥٧ - ٥٨ و ٢٤٢ .
- (٩٠) البلاذري ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، وقاه الوفا ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ و ١٥٦ .
- (٩١) التنحفة السلية ص ١٤٠ - ١٤١ و ١٤٤ .
- (٩٢) الماوردي ص ١٨٤ - ١٨٥ .
- (٩٣) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٠٣ ، غلط ج ٢ ص ٤١٤ و ٤١٦ و ٤١٧ ، معيد التتم ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٤ - ١٦٥ ، السلوك غلط ج ٢ ص ٢٦٨ .
- (٩٤) النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٣١٠ - ٣١١ ، القاموس المحيط ، القاموس التركي .
- (٩٥) الصافي ص ٣٥٨ .
- (٩٦) القاموس المحيط .
- (٩٧) تاريخ بيروت ص ٢٥ ، صبح الأمتى ج ٢ ص ٥٨ و ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ ، التبريف بالمصطلح الشريف ص ٨٣ - ٨٤ .
- (٩٨) التنحفة السلية ص ٣٨ .
- (٩٩) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٥٩ و ج ٢ ص ٢٩٠ .
- (١٠٠) البلاذري ص ١٩١ .
- (١٠١) كرد علي ج ٢ ص ٩٥ ، يحيى بن آدم ج ٢ ص ٧٨ - ٨٩ ، ملحق الأبحر ص ٥٥ .
- (١٠٢) انظر ماسبق والسلوك ج ١ ص ٦٨٩ حاشية ٣ و ٧٠٠ و ٩٠٢ .
- (١٠٣) تاريخ بيروت ص ٣٥ - ٣٦ حاشية - ٩ .
- (١٠٤) السلوك ج ١ ص ٦٨٩ حاشية ٣ و ٦٩٩ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ١٥ و ٩٠ ، تاريخ القديم وبلاده ص ١٧٧ - ١٧٨ .
- (١٠٥) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٣ ، القاموس المحيط ، تاج العروس .
- (١٠٦) بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٤٤ و ٢٦٧ ج ٢ ص ١٤٤ .
- (١٠٧) التنحفة السلية ص ٢٧ و ٣٤ و ٧١ و ١٤٧ ، السلوك ج ٢ ص ٢٣١ .
- (١٠٨) غلط ج ٢ ص ١١١ ، الفروسية غير مرقم انظر صورة الفبق .

- (١٠٩) تاريخ الجبرتي ج١ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
- (١١٠) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٢ - ١٢٤ ج٣ ص ٢٧١ .
- (١١١) بدائع الزهور ج٢ ص ١٣٣ ، ١٣٤ صرح الأعمى ج٣ ص ١٥٤ .
- (١١٢) القاموس المحيط .
- (١١٣) معيد النعم ص ٤٤ ، غنط ج١ ص ١٣٨ .
- (١١٤) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٧٦ وحاشية ، السلوك ج١ ص ٤٥٢ وحاشية ، ص ٢١٤ حاشية ، صبح الأعمى ج٤ ص ٧ .
- (١١٥) زبدة كشف الممالك ص ١٢٩ - ١٣٠ .
- (١١٦) السلوك مخطوط ج٣ ص ٢٦١ ، زبدة كشف الممالك ص ١١١ ، النجوم الزاهرة ج١ ص ٨٥ .
- (١١٧) الماوردي ص ١٧٠ - ١٧١ .
- (١١٨) يحيى بن آدم ج٣ ص ٥٧ ، البلاذري ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .
- (١١٩) تاريخ بيروت ص ٩٦ .
- (١٢٠) تاريخ أبي القداء ج٤ ص ٨٥ .
- (١٢١) الماوردي ص ١٨٤ ، الاستخراج ورقة ٧ - ١٠ ، كتاب المنية في الفقه في الفتاوى مخطوط ليس مرقم الصفحات .
- (١٢٢) بدائع الزهور ج٢ ص ١٢٨ تاريخ أبي القداء ج٤ ص ٣١٩ .
- (١٢٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ص ١٧٥ - ١٧٦ .
- (١٢٤) الماوردي ص ١٨٦ .
- (١٢٥) لسان العرب .
- (١٢٦) سيد أمير علي ص ١٦٦ .
- (١٢٧) ابن عثاق ص ٣٠١ ، صبح الأعمى ج٤ ص ٤٩٣ .
- (١٢٨) أنباه القصر ج١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- (١٢٩) دول الإسلام ص ٢٧ .
- (١٣٠) تاريخ بيروت ص ٩١ ، صبح الأعمى ج٣ ص ١٥٤ .
- (١٣١) الماوردي ص ١٨٤ - ١٨٥ .
- (١٣٢) ابن عثاق ص ٣٠١ ، صبح الأعمى ج٤ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .
- (١٣٣) غنط ج٢ ص ١١١ .
- (١٣٤) مادة (ثور) محيط المحيط .
- (١٣٥) يتكرب عبد الله بن عمر هذا عن أبيه فقد قيل له : كان عمر يأخذ من المسلمين النثر ، قال : لا (المخطوط ج١ ص ٨٦٦ - ٨٦٧) .
- (١٣٦) المرجع السابق .

(١٣٧) من رسالة كتبها عمر بن عبد العزيز (انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص٩٦ - ٩٩) .

(١٣٨) ول ابن اللبدي خراج مصر خلال ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر ، ولاية وإقطاعا من قبل الخليفة المستعين بالله ، وقد قبض عليه ابن طولون سنة ٥٢٦٧هـ وحبيسه وأخذ أمواله ثم صالحه على سبائة ألف دينار ، ثم أسقط هذه المكوس (النجوم ج٢ ص٤٣ ، القلوبي سيرة أحمد ابن طولون ص٤٣ - ٤٦ و ٧٤ - ٧٩ ، ١٧٥ - ١٧٧) .

(١٣٩) القلوبي ص٤٣ ، غلط ج١ ص١٦٧ .

(١٤٠) غلط ج١ ص١٦٧ .

(١٤١) غلط ج١ ص١٦٧ .

(١٤٢) غلط ج١ ص١٦٧ .

(١٤٣) غلط ج١ ص١٦٧-١٦٨ .

(١٤٤) غلط ج١ ص١٦٨ .

(١٤٥) غلط ج١ ص١٦٨ - ١٦٩ .

(١٤٦) غلط ج١ ص١٤٢ - ١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، النجوم الزاهرة ج٣ ص٤٢ ،

سيرة أحمد بن طولون ص٤٣ - ٤٦ و ٧٤ و ٧٩ و ١٧٥ - ١٧٧ ، دول الإسلام ص٢١ ،

صحيح الأعمى ج٣ ص٤٦٨ و ٤٧١ ، الجواهر الثمين ج٣ ورقة ١٠٨ - ١٢١ ، السلوك

مخطوط ج٣ ص١٢٧ و ٧٢ و ٥٢٣ - ٥٢٤ و ٥٣٠ ، بدائع الزهور ج١ ص٢٣٠ و ٣١٦

ج٣ ص ١٠ و ٢٩ ، القول للستطرف ص٨ ، عيون الأعيان غير مرقم ، فتوح النصر ج١

ورقة ١٣٨ و ج٢ ورقة ١٠٨ ، أنباء القدر ص ٧١ ، الأوس الجليل ص١٣٩ و١٤٠ ، مبدائهم

ص١٧٤ - ١٨١ ، Evans: Life in Med. France, p: 53

(١٤٧) دولة آل سلجوق ص١١٨ ، انظر أيضا معاني السجل فيما سبق وفي الصيرفي قاتون

ديوان الرسائل (نشرة على هجرت ص٨) وأصلها من نسخ لسجلات مختلفة ص١٨ و ٢٣ و ٣٦

و ٤٠) .

(١٤٨) صحيح الأعمى ج٥ ص٤٧٠ .

(١٤٩) زبدة كشف المالك ص١٣٦ - ١٣٧ .

(١٥٠) شلوات اللعب ج٦ ص٢١٢ .

(١٥١) Ganshoff: pp., 83 - 83

Ibid., G. 124 (١٥٢)

Ibid., G. 106 (١٥٣)

Ibid., G. 100 (١٥٤)

La Monte, p. 152	(100)
Ganshoff, p. 82	(106)
Stephenson, p. 239	(107)
Ibid., G 241	(108)
Davies, p. 40	(109)
Stephenson, p. 260	(110)
Evans, p. 38	(111)
Loe, p. 110	(112)
Steph., 220	(113)
La Monet, n. 125 ; Davies, p. 714	(114)
Ganshoff, p. 105	(115)
La Monte, p. 150	(116)
Davies, p. 2	(117)
Steph., p. 259	(118)
La Monte, p. 143	(119)

- (170) معالم القربة في أحكام الحسبة (الباب التاسع) مخطوط غير مرقم الصفحات ،
مسالك الأيصار ج٢ ورقة ٣٨٦ ، صبح الأمشى ج٣ ص ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، نهاية الأرب ج٤
ص ٣٦٩ ، مخط ج٣ ص ٣٤٣ ، بدائع الزهور ج٣ ص ٢٧٠ .
- (171) مخط ج١ ص ١١٩ ، ابن تيمى ص ١٢٥ ، وقاه الورقا ج١ ص ١٨٩ .
- (172) للوردى ص ١٤٦ .
- (173) للوردى ص ١٤٦ - ١٤٧ ، صبح الأمشى ج٣ ص ٤٤٧ ، ملحق الأبحر
ص ١٧٥ .

- (174) ابن تيمى ص ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، صبح الأمشى ج٣ ص ٤٤٦ .
- (175) ابن عبد الحكم ص ١٣٧ - ١٣٨ ، ابن تيمى ص ٣٣٨ .
- (176) للوردى ص ١٤٦ .
- (177) للوردى ص ١٤١ .
- (178) فتوح البلدان ص ١٦٨ .
- (179) صبح الأمشى ج٣ ص ٤٤٥ .

- (١٨٠) الخراج ج٣ ص٧٩ .
- (١٨١) تاريخ بيروت ص٨٠ .
- (١٨٢) السلوك ج١ ص١٩٦ .
- (١٨٣) صحح الأمشى ج٣ ص٤٤٠ .
- (١٨٤) صحح الأمشى ج٣ ص٤٤٥ ، النجوم الزاهرة ج٣ ص٤٩ ، ٢٦٨ .
- (١٨٥) ابن عماد ص٢٤١ .
- (١٨٦) ابن عماد ص٢٤١ .
- (١٨٧) مسالك الأبحار ج٢ ق ٣ ورقة ٣٧٦ - ٣٧٧ ، السلوك ج١ ص٤٠٩ حاشية - ٢ ، تاريخ أبي القداء ج٤ ص٩٥ ، مخطوط ج١ ص١٦٢ .
- (١٨٨) ابن عماد ص٣٠٨ .
- (١٨٩) صحح الأمشى ج٣ ص٤٤٥ ، مخطوط ج١ ص١٢٢ .
- (١٩٠) صحح الأمشى ج٣ ص٤٤٥ .
- (١٩١) المقرئى : النقود الإسلامية ص٣ (ذكر المقرئى أنواعا من الدرهم وزنة كل نوع منها: الدرهم الطبرى = ٨ دوانيق والدرهم البطل = ٤ دوانيق ونصف . الدنانير = $\frac{8}{3}$ حبة شعير متوسط لم يقشر بحيث يقطع من طرفها ما امتد (انظر أيضا الماورى ص١٤٧) .
- (١٩٢) النقود الإسلامية ص٣ .
- (١٩٣) صحح الأمشى ج٣ ص٤٤١ .
- (١٩٤) النقود الإسلامية ص٤٣ ، الفلقشتى ج٣ ص٤٤٠ .
- (١٩٥) النقود الإسلامية ص٤ .
- (١٩٦) النقود الإسلامية ص٥ .
- (١٩٧) يقال إنه وقع دينار ردىء من هذا النوع في يد شيخ من الهند ، فجهه به إلى معاوية (النقود الإسلامية ص٥) .
- (١٩٨) نفس المصدر ص٦ .
- (١٩٩) نفس المصدر ص٦ .
- (٢٠٠) ذكر الماورى أن الحجاج كتب عليها (الله أحد الله الصمد) - انظر الأحكام السلطانية ص١٤٨ ، النقود الإسلامية ص٧ - ٨ .
- (٢٠١) النقود الإسلامية ص٩ ، الماورى ص١٤٨ .
- (٢٠٢) النقود الإسلامية ص٩ .
- (٢٠٣) النقود الإسلامية ص١٠ - ١١ .
- (٢٠٤) النقود الإسلامية ص ١٢ .

- (٢٠٥) النقود الإسلامية ص ١٢ .
 (٢٠٦) النقود الإسلامية ص ١٣ .
 (٢٠٧) النقود الإسلامية ص ١٤ .
 (٢٠٨) صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٤ ، النقود الإسلامية ص ١٥ ، ابن عثیم -
 ص ٣٢٨ - ٣٦٩ .
 (٢٠٩) انظر الفصل التاسع .
 (٢١٠) بدائع الزهور ج ٢ ص ١٦٧ ، أنباه القصر ج ١ ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .
 (٢١١) انظر الفصل الثالث عشر .
 (٢١٢) بدائع الزهور ج ٣ ص ٥٩ .
 (٢١٣) سلاطين أماليك ص ٦١ .
 (٢١٤) إغارة الأمة ص ٧٠ ، Description de L' Egypte, T. XVI P. ٥٩٥ .
 (٢١٥) وزن المنقال ٢٤ حبة غروب أو ٢٤ قيراطاً أو من ٧٢ - ٨٤ حبة شمير .
 (٢١٦) الكرميل ص ٧٦ - ٧٧ و ١٥٦ و ١٦١ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٧٦ ،
 صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٧ - ٧٨ ، أنباه القصر ج ١
 ص ٦٦٥ - ٦٦٦ .
 (٢١٧) أبطل السلطان سليم الفارس المتق ٥٩٢٣ - ١٥١٧ م ، وطومان یلی لما يزالانته
 بحالده بالصعيد ، و ضرب قلوباً جندا مطبوعة باسمه ، كل فلسین بدرهم (بدائع الزهور ج ٣ ص ١١٣)
 (٢١٨) صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٤ ، الكرميل ص ١٦٨ .
 (٢١٩) السلوك ج ٢ ص ٢٠٦ ، صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .
 (٢٢٠) السلوك ج ٢ ص ٢٠٥ .
 (٢٢١) السلوك ج ١ ص ٤٥ ، مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٤٧ ، ٣٧٦ ، الكرميل
 ص ١١٨/١١٧ ، صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .
 (٢٢٢) المراجع السابقة . Description p. ٥٩٦
 (٢٢٣) الكرميل ص ٧٢ .
 (٢٢٤) الكرميل ص ٢٢ .
 (٢٢٥) الكرميل ص ٦٢ .
 (٢٢٦) صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .
 (٢٢٧) السلوك ج ٢ ص ٢٢٠ ، صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٢ .
 (٢٢٨) مسالك الأبصار ج ٢ ورقة ٣٧٦ .
 (٢٢٩) انظر الفصل التاسع .
 (٢٣٠) صحیح الأمتی ج ٣ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

- (٢٣١) سلاطين المالِك من ٦١ ، بدائع الزهور ج ٢ ص ٢١٥ .
- (٢٣٢) الملوك ج ١ ص ٦٨ وحاشية - ٥ ، صبح الأمشي ج ٢ ص ٤٤١ .
- (٢٣٣) الكرمل ص ١١٨ ، صبح الأمشي ج ٢ ص ٤٤٤ .
- (٢٣٤) انظر رقم - ١ من التفود .
- (٢٣٥) انظر رقم - ٥ .
- (٢٣٦) انظر رقم ١ و ٢ .
- (٢٣٧) انظر رقم ١ و ٢ من التفود .
- (٢٣٨) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٦ .
- (٢٣٩) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٦ ج ٢ ص ٣٧ .
- (٢٤٠) بدائع الزهور ج ١ ص ٢٦٦ .



المراجع

القسم الأول

كتب الفقه والعلوم الدينية

١ - المخطوطات

- ١ - ابن رجب : (أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبي العباس أحمد الحنبل) .
كتاب الاستخراج لأحكام الخراج :
(تصوير شمسي رقم ٦٦ بدار الكتب المصرية) .
- ٢ - ابن عبد الغني : (عبد الله الحنفي ، من علماء القرن الثالث عشر الهجري) .
النور البادي في أحكام الأراضي .
(فقه حنفي - مخطوط في مجلدين رقم ٥٦٣ بدار الكتب المصرية) :
- ٣ - ابن علي : (محمد الحنفري الحنفي)
جواب علي سؤال في الأرض التي أقطعها السلطان أو أرض غيرها ،
إذا زرعها فلاح بطريق شرعي ، مقاسمة بالثلث أو الربع ، فهل يجوز
ذلك ؟ . (فقه حنفي - رقم ٤٨٤ مجاميع بدار الكتب) :
- ٤ - ابن نجيم : (زين الدين بن إبراهيم بن نجيم الحنفي المصري ت ٨٩٧٠ /
١٥٦٣ م)
١ - رسالة التحفة المرضية في الأراضي المصرية (رقم ٤٧٩ ، ٣٣ :
مجاميع بدار الكتب) :

- ب - رسالة تتعلق بأحكام السياحة الشرعية (رقم ١١٦٠ بالدار .
ج - رسالة في بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها (رقم ٣٣ مجاميع بالدار) .

٥ - السجستاني : (يوسف) :

- كتاب المنية في الفقه والفتاوى (رقم ٤٤١ بالدار - غير مرقم الصفحات)
٦ - الرازي : (زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي الحنفي) :
منحة السلوك في شرح تحفة الملوك (مؤلف التحفة هو أبو بكر محمد
عسود البجلي الحنفي) . (رقم ٧٢٤ بالدار) .
٧ - ملا خسرو : درر الحكماء في شرح عزز الأحكام :
(فقه حنفي رقم ١٨٩ بمكتبة الحرم المكي الشريف) .
(المراجع الآتية مرتبة بحسب عناوينها لعدم وضوح أسماء مؤلفيها) :
٨ - التذكرة : (لأحد فقهاء الحنفية) :

« في تصرف السلطان في الأراضي والبلاد وغير ذلك .. » كتبت
في سنة ٨٦٦ هـ (١٤٦١ م) ورفعت إلى السلطان خشقدم الرومي ..
(رقم ٣٩١ مجاميع بالدار) .

٩ - « رسالة شريفة متعلقة بالخرابيات والأطيان المرصدة من بيت المال ،
وعليها أجوبة أرباب المذاهب الأربعة ، ومتعلقة بطين الفلاحة والرزق
أيضاً » :

(رقم ٥٣٠ مجاميع بالدار - وقد عثرت على هذه الرسالة مطبوعة في
كتيب بعنوانها الصحيح ، بمكتبة الحرم المكي الشريف ، ونقلتها وأشرت
إليها في بحث عن التعريف ببعض مخطوطات مكتبة الحرم المكي -
نشر في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة في عدد رجب ١٣٧٣ هـ
مارس ١٩٥٤ م - انظر رقم ٤ بالمطبوعات) .

١٠ - شرح فرائض التاج : (فقه حنفي - رقم ٤٨٤ مجاميع بالدار) .

ب - المطبوعات

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - تفسير الجلالين (مصر ١٣٢١ هـ) .
- ٣ - ابن آدم : (يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م)
كتاب الخراج . (ليدن ١٨٩٥ م) .
- ٤ - ابن الصفي : (الشيخ عيسى) :
عظية الرحمن في صحة أرساد الخوامك والأطيان . (في مجلد طبع مصر
١٣١٤ هـ رقم ٣٥٦ بمكتبة الحرم المكي) .
- ٥ - ابن تاج الشريعة : (عبيد الله بن مسعود) :
كتاب مختصر الوقاية في مسالك الهداية (بربورغ ١٨٩٥ م) .
- ٦ - ابن تيمية : (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ت ٧٢٨ هـ /
١٣٢٧ م) :
السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية . (مصر ١٣٢٢ هـ -
رقم ١١٠ بمكتبة الحرم المكي) .
- ٧ - ابن حجر : (المحافظ شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٨٥٢ / ١٤٤٧ م) :
بلوغ المرام من أدلة الأحكام .
- ٨ - أبو السعود : (السيد محمد) :
شافية أبو السعود المسألة : فتح الله المين على شرح الكنز للعلامة ميين
الدين محمد المروى المعروف بملا مسكين (مصر ١٢٨٧ م) .
- ٩ - أبو يوسف : (يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي ت ١٨٢ هـ /
٧٩٨ م) :
كتاب الخراج (مصر ١٢٨٧ هـ رقم ١٥٢ بمكتبة الحرم المكي) .
- ١٠ - البيجوري : (الشيخ إبراهيم) :

حاشية اليبجورى على شرح العلامة ابن قاسم الغزى على متن أبي شجاع
في ملهب الشافعى (جزمان - مصر ١٣٢٨ هـ) .

١١- الجردانى : (محمد بن عبد الله) :

المواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية (مصر ١٣٣٠ هـ) .

١٢- الحصفكى : (محمد علاء الدين ت ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م) :

كتاب شرح الدر المختار ؛

١٣- الحلبي : (إبراهيم بن محمد ت ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م) .:

ملتى الأبحر (فرغ من تبييضه عام ٩٢٣ هـ) - (فقه حنفى - مصر

١٢٦٣ هـ) :

١٤- الحازن : (علاء الدين على بن محمد ، من علماء القرن الثامن الهجرى)

لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير في أربعة مجلدات - فرغ من

تأليفه ٧٢٥ هـ) ، (مصر ١٣٤٩ هـ) :

١٥- الخطيب : (شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني ت ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م)

شرح الخطيب المسمى : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (فقه شافعى -

جزمان - مصر ١٣٤٤ هـ) :

١٦- السيوطى : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٥٥ م) :

الآلية المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (مصر ١٣١٧ هـ) :

١٧- الشرقاوى : (الشيخ عبد الله بن حجازى المشهور بالشرقاوى) :

حاشية الشرقاوى على شرح التحرير للشيخ زكريا الأنصارى (فقه

شافعى في مجلدين - طبع مصر ١٣٠٥ هـ) :

١٨- الشمرانى : (أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن على ت ٩٧٣ هـ /

١٥٦٥ م) .:

الميزان (فقه شافعى في مجلدين ط مصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م)

١٩- الطورى : (محمد بن حسين بن على) :

تكلمة البحر الرائق على كنز الدقائق (الجزء الثامن - مصر ١٣١١ هـ
١٨٩٣ م) .

(انظر رقم ٢٣ فيما يلي ...)

٢٠- العزيزي : (الشيخ علي بن أحمد بن نور الدين) :
السراج المنير بشرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (مصر
١٣١٢ هـ) .

٢١- النزالي : (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد النزالي ت ٥٠٥ هـ /
١١١٠ م) .

كتاب إحياء علوم الدين (في مجلدين - مصر ٢٨٩ هـ و ١٣٤٨ هـ) :

٢٢- الكردي :

تنوير القلوب (فقه شافعي في مجلد) .

٢٣- النسق : (حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسق
ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) .

كنز الدقائق (في فروع الحنفية - طبع حجر بالهند رقم ٦٥ بمكتبة
الحرم الملكي) :

٢٤- النووي : (محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦ هـ /

١٢٧٧ م) :

أ - متن الأربعين حديثاً النووي (كتيب في ٣٢ صحيفة حديث
الطبع من غير تاريخ) .

ب - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (فرغ من تأليفه عام
٦٧٠ هـ) - (مصر ١٣٢٥ هـ) :

٢٥- بيرس : (الشيخ رضوان العدل) :

روضة المحتاجين لمعرفة قواعد الدين (مصر ١٣٢٣ هـ) •

- ٢٦- علي محفوظ : (الشيخ) :
الإبداع في مضار الابتداع (مصر ١٣٤١ هـ) .
- ٢٧- هيكل : (الشيخ منصور محمد هيكل الشرقاوى الشافعى) :
الكوكب الدرى الرفيع في حل ألفاظه صلى الله عليه وسلم المسماة :
الجمال البديع على ساكن البقيع (مصر ١٣٤٣ هـ) .
- ٢٨- (وزارة الأوقاف - قسم المساجد) :
كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (في أربعة مجلدات - الجزء الثالث
قسم المعاملات - مصر ١٩٣٥ م) .

القسم الثاني

الكتب التاريخية والجغرافية ١ - المخطوطات

- ١ - ابراهيم الحنبلي^(١) :
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب (رقم ٢٤٠٣١ بمكتبة جامعة القاهرة).
- ٢ - ابن أبي السرر (السيد محمدت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) :
عيون الأخبار ونزعة الأبصار (في مجلد رقم ٧٢ بدار الكتب) .
- ٣ - ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمدت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) :
معالم القرية في أحكام الحسبة (مصور رقم ٢٤٠٥٢ مكتبة جامعة القاهرة) .
- ٤ - ابن الإمام (أبو العباس أحمد بن محمد البصراوي من علماء القرن الحادى عشر الهجرى) :
تحفة الأتام في فضائل الشام (كتبه عام ١٠٠٣ هـ - رقم ١٦٤٣ بدار الكتب وغير مرقم الصفحات) .
- ٥ - ابن الفرات (ناصر الدين محمدت ٥٨٠٧ - ١٤٠٤ م) :
تاريخ الدول والملوك (في ١٨ مجلداً رقم ٣١٩٧ بدار الكتب) .
- ٦ - ابن الشحنة (مجد الدين أبو الفضائل محمد الحنفىت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م) :
أ - روض المناظر في علم الأوائل والأواخر (ألفه في عهد السلطان المؤيد شيخ ، للأمر محمد بن موسى نائب السلطنة بقلعة حلب) ،
(مجلد رقم ٤٥ بدار الكتب - غير مرقم الصفحات) .
ب - عهد للسلطان المؤيد بن إرنال (في مجلد رقم ٥٩ مجاميع بدار الكتب) .

٧ - ابن الشباع (زين الدين عمر بن أحمد الحلبي ت ١٥٢٩/٨٩٣٦ م) :
عيون الأخبار فيما وقع بلخامه في الإقامة والأسفار (في مجلدين رقم
٥٧٠٥ بدار الكتب) .

٨ - ابن العميد (المكي جرجس أبو العباس بن العميد ت ١٢٧٣/٨٦٧٢ م) :
تاريخ المسلمين (١٤٥٥) (في مجلد مصور رقم ٥٠١ بدار الكتب (٢) :

٩ - ابن لياس (أبو البركات محمد بن أحمد ت ١٥٢٤/٨٩٣٠ م) : أ
نزهة الأعم في المعائب والحكم (في مجلدين رقم ٢٢٩٦٣ بمكتبة جامعة
القاهرة) .

١٠ - ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد ت ١٤٧٢/٨٨٧٧ م) :
فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر (جزمان مصور رقم ٢٦١٦٦ بمكتبة
جامعة القاهرة) .

١١ - ابن حبيب (الإمام الحسن بن عمر ت ١٣٧٧/٨٧٧٩ م) :
أ - جبهة الأخبار في أساء الخلفاء وملوك الأمصار : (رقم ٦١٠
بدار الكتب (٢) .

ب - حرة الأسلاك في دولة الأتراك (١٤٥٦) - (في ثلاثة مجلدات
مصورة رقم ٢٢٩٦١ بمكتبة جامعة القاهرة ورقم ٦١٧٠ بدار الكتب) :

١٢ - ابن حجر (المحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢/٨
١٤٤٨ م) :

أ - أنباء الغمر بأبناء العمر (في مجلدين رقم ٤٢٧٦ بدار الكتب) :
ب - رفع الإصر عن قضاة مصر (في مجلد رقم ١٠٥ بدار الكتب) ؛

١٣ - (أحد تلامذة ابن حجر) :

تاريخ الأمير يشبك الظاهري ورحلته في آسيا الصغرى (اصطحب
المؤلف الأمير في رحلته زمن السلطان قايتباي) ، (مجلد مصور رقم
٢٥٩٢ بدار الكتب) :

- ١٤- ابن حجر (أحمد بن حجر الهيتمي) :
 كتاب إخوان الصفا (في مجلد رقم ٢٧٦ بدار الكتب) .
- ١٥- ابن دقماق (غرس الدين إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
 أ - نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (في مجلدين رقم ١٧٤٠ بدار الكتب)
 ب - الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (في مجلدين رقم ١٥٨٧ بدار الكتب) :
- ١٦- ابن سيد الناس (الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد ت ٨٧٣ هـ / ١٣٣٣ م)
 عيون الأثر في فنون المغازي والشهايل والأثر (رقم ١٧٥ بدار الكتب) .
- ١٧- ابن شاکر (محمد بن شاکر الکلبی ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :
 عيون التواريخ (في مجلد مصور رقم ٩٤٩ بدار الكتب) :
- ١٨- ابن ظافر (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) :
 أخبار الدول المنقطعة (رقم ٨٩٠ بدار الكتب) .
- ١٩- ابن قاضي شبة (١٤٥٧) (عبد الوهاب بن محمد ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م)
 الإعلام بتاريخ أهل الإسلام (في مجلدين مصور رقم ٣٩٢ بدار الكتب)^(١)
- ٢٠- ابن منکلی (محمد بن منکلی الداعی من رجال القرن التاسع الهجري) :
 التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية (ألفه للسلطان قايتباي سنة ٨٩٥ هـ) ، (في مجلد رقم ٣٦٣٧ بمكتبة جامعة القاهرة) .
- ٢١- أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردی بن عبد الله الظاهري ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :
 أ - حوادث الدهور في منى الأيام والشهور (في مجلدين رقم ٢٣٩٧ بدار الكتب وقد ذيل فيه على السلوك من ٨٤٠ هـ) .
 ب - البحر الزاخر في علم الأوائل والأواخر (في مجلد رقم ٩٣٨ بدار الكتب) .
 ج - المهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (١٤٥٨) :
 (في ثلاثة مجلدات رقم ١١١٣ ، ٢٣٥٥ بدار الكتب)^(٥) :

٢٢ - أبو محمد (مصطفى بن حسن بن سنان بن أحمد الحسيني الهاشمي القرشي
ت ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م) :

البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر (في مجلدين رقم ٢ بمكتبة
الحرم المكي^(١) .

٢٣ - الأسدى (محمد بن محمد ت ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م) :

كتاب التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار (في مجلد رقم ٥٤٨٦ بدار
الكتب) .

٢٤ - الجزرى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدين المعروف بالجزرى
الدمشقى ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) :

تاريخ الجزرى (في ثلاثة مجلدات مصور رقم ٩٩٥ بدار الكتب) .

٢٥ - الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :

أ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (وصل فيه إلى سنة
٧٠٠ هـ في ٣٤ مجلداً منها ٢٠ مجلداً مصورة رقم ٤٢ بدار الكتب) .

ب - ذيل تاريخ الإسلام (في خمسة مجلدات مصورة رقم ٣٩٢ بدار
الكتب) .

٢٦ - الرماح (بدر الدين بكتوت الرماح الظاهري - أحد رجال الحلقة
المنصورة) :

علم الفروسية وعلاج الدابة (في مجلد مصور رقم ٢٦٣٣٩ بمكتبة
جامعة القاهرة) .

٢٧ - الرماح (نجم الدين حسن) :

الفروسية والمناصب الحربية (في مجلد مخطوط رقم ٥٠ بمكتبة الحرم
المكي ، وقد قمت بنسخه وتصويره وترقيمه عام ١٩٥٤ م) .

٢٨ - الزكي المغربي الحنبلي من علماء القرن التاسع الهجري) :

سبك النظائر وكسب المقامروثر الدرر ونظم الجواهر : من سير قباى (٧)
الأسدى الظافر (١٤٦٠) .

(مجلد مصور رقم ٢٥٩٤ بدار الكتب) .

٢٩- محمد بطى : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ / ١٥٠٥ م) :
تأريخ الملك الأشرف قايتباى المحمودى الظاهرى (مجلد رقم ١٥٥٩
بدار الكتب - غير مرقم الصفحات) .

٣٠- الصفدى (أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٦٤ / ١٣٦٣ م) :
أعيان مصر وأعيان النصر (مجلدان رقم ٢٠٢ بمكتبة الحرم المكى -
غير مرقم الصفحات) .

٣١- العسكري (أبو هلال الحسين على ت ٣٩٥ / ١٠٠٤ م) :
الأوائل (فرغ من تأليفه عام ٣٨٩ هـ - رقم ٢٧٥٠ بمكتبة جامعة
القاهرة) .

٣٢- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ / ١٣٤٨ م)
مسالك الأبصار (فى ستة أجزاء مصورة رقم ٥٥٩ بدار الكتب) .

٣٣- العيى (الشيخ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيى ت ٨٥٥ هـ /
١٤٥١ م - ١٤٦١ (٨)) :

السيف المهند فى تاريخ الملك المؤيد (مجلد مصور رقم ١٥٨٥ بدار
الكتب) .

٣٤- القدسى (محمد أبو إسحاق الشافعى من علماء القرن التاسع الهجرى) :
دول الإسلام الشريفة البية وذكر ما ظهر لى من حكم الله الخفية
فى جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية (فرغ من تأليفه ٨٨١ هـ
ورفعه إلى الأمير يشبك الدوادار زمن السلطان قايتباى (فى مجلد رقم
١٠٣٣ بدار الكتب) .

٣٥- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد ت ٨٢١ - ١٤١٨ م) :

- ٢٨- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القسبي
ت ١٣٧٤هـ / ١٣٧٢ م) :
- أ - البداية والنهاية (في ١٣ جزءاً - مصر ١٣٤٨هـ) .
ب- الاجتهاد في طلب الجهاد (ألفه الأمير منجك اليوسفي نائب
السلطنة بالشام - نشرته جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٤٧هـ) .
- ٢٩- ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد ت ٤٢٠هـ / ١٠٣٠ م) :
كتاب تجارب الأمم (ذيله الوزير أبو شجاع محمد بن الحسن الملقب
بظهر الدين الروذاوردي والمتوفى سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م إذ أضاف إليه
حوادث الفترة ٣٦٩ إلى ٣٨٩هـ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصائغ
إلى ٣٩٣هـ - مصر ١٣٣٤ م) .
- ٣٠- ابن ممانى (القاضي الوزير شرف الدين أبو المسكارم بن أبي سعيد
ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ م) :
كتاب قوانين الدواوين (نشره الدكتور عطية سوريال - مصر ١٢٩٩م)
- ٣١- ابن هارون (الحسن بن عبدال بن محمد بن عمر بن هرون العباسي
من علماء القرن الثامن الهجري) :
آثار الأول في ترتيب الدول (في مجلد - طبع مصر ١٢٩٥هـ -
ويوجد كذلك هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي المطبوع في مصر ١٣٠٥هـ
وقد رفعه مؤلفه إلى السلطان بيبرس الجاشنكير) .
- ٣٢- ابن هشام (أبو عبد الله محمد عبد الملك ت ٢١٨هـ / ٨٣٣ م) :
كتاب سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (القاهرة ١٣٣٢م) .
- ٣٣- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ) :
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (جزءان - نشر الشيال - مصر
١٩٥٣ ، ١٩٥٧ م) .
- ٣٤- ابن يحيى (الأمير صالح بن يحيى بن الحسين أمير الغرب - من علماء
القرن التاسع الهجري) :

- تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين (نشره الأب لويس شيخو
اليسوعي - بيروت ١٩٢٧ م) :
- ٣٥- أبو الفداء (إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن
أيوب الملك المؤيدت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :
- أ - المختصر في أخبار البشر ، ويعرف بتاريخ أبي الفداء (في أربعة
مجلدات القسطنطينية ١٢٨٦ هـ) وفي مجموعة .
- ب - تقويم البلدان (درسدن ١٨٤٠ م) .
- ٣٦- أبو المحاسن (خمال الدين يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهري
١٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب - وصلت
إلى الجزء الثاني عشر ١٩٥٦ م) وتقوم الآن لجنة بنشر الأجزاء الباقية
بتكليف من وزارة الثقافة ، اشترك المؤلف فيها وأتم تحقيق الجزء
الخامس عشر سنة ١٩٦٣ .
- ٣٧- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٧ م) :
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (مصر ١٢٨٧ م) .
- (يقوم بنشره الآن الدكتور حلمى بدار العلوم) .
- ٣٨- أرتين (يعقوب باشا) :
- الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية (مصر ١٣٠٦ هـ) .
- ٣٩- الأصفهاني (الفتح بن علي البنداري من علماء القرن التاسع الهجري) :
- دولة آل سلجوق (مصر ١٣١٨ هـ) .
- ٤٠- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :
- فتوح البلدان (مصر ١٣٥٠ هـ) .
- (طبعة حديثة صدرت لهذا الكتاب للدكتور المنجد بالجامعة العربية
في ثلاثة أقسام بدأها عام ١٩٥٦ م) .
- ٤١- البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد الزينى) :
- سيرة أحمد بن طولون (نشره كرد علي - دمشق ١٣٥٨ هـ) .

- ٤٢- الجبوقى (عبد الرحمن) :
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (مصر ١٣٢٢ هـ)
- ٤٣- الحريرى (سيد على الحريرى) :
الأخبار السنوية فى الحروب الصليبية (مصر ١٩١١ م) .
- ٤٤- الحلبي (على بن برهان الدين ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م) :
إنسان العميون فى سيرة الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام :
(ويعرف بالسيرة الحلبية - مصر ١٢٩٢ هـ) .
- ٤٥- الحمزاوى (الشيخ حسن العلوى) :
مشارك الأنوار فى فوز أهل الاعتبار (وهامشه رسالة الصبان المعروفة
باسم : إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وقضائل بيته الطاهرين) -
مصر ١٣٠٣ هـ) .
- ٤٦- الخطيب (المحافظ أبو بكر أحمد على الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ /
١٠٧٠ م) :
تاريخ بغداد أو مدينة السلام (مصر ١٣٤٩ هـ) .
- ٤٧- الدينورى (أحمد بن داود أبو حنيفة ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :
الأخبار الطوال (مصر) .
- ٤٨- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) :
معيد النعم ومبيد النعم (مصر ١٣١٧ هـ) .
- ٤٩- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢ هـ /
١٤٩٦ م) :
أ - الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع (فى ١٢ جزءاً - مصر
١٣٥٤ هـ (١)) .
- ب- التبر المسبوك فى ذيل السلوك (فى مجلد - بولاق ١٨٩٦ م) .
- ٥٠- السهردى (جمال الدين أبو المحاسن عبد الله ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (مصر ١٣٢٦ هـ) .

- ٥١- السبيل (أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد ت ٥٨١ / ١١٨٥ م) :
الروض الأنف والمشروع الروى في تفسير ما اشتمل عليه حديث
السيرة واحتوى (مصر ١٣٣٢ هـ) :
- ٥٢- السبوطى (عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين ت ٩١١/١٥٠٥م) :
أ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (مصر ١٣٢٧ هـ) :
ب- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله (مصر ١٣٥١ هـ) :
(له ترجمة إنجليزية) :
- ٥٣- الصائغ (هلال أبو الحسن ت ٤٤٨ / ١٠٥٦ م) :
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (بيروت ١٩٠٤ م) :
- ٥٤- الصفدى (فخر الدين أبو عثمان النابلسى الصفدى كان يعيش في القرن
السابع الهجرى) :
تاريخ الفيوم وبلاده (مصر ١٣٠٦ هـ) .
- ٥٥- الصيرفى (تاج الرياسة أبو القاسم على بن منجب ت ٥٤٢/١١٤٧م) :
قانون ديوان الرسائل (نشره على بهجت - مصر ١٩٠٥ م) .
- ٥٦- الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ / ٩٢٢ م) :
تاريخ الأمم والملوك (طبعة دى غويه - ليدن ١٨٨١ م) .
- ٥٧- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٥٧٤٩/١٣٤٨م)
أ - التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢ هـ) .
ب- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الجزء الأول - تحقيق أحمد
زكى باشا - مصر ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م) .
- ٥٨- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١/١٤١٨م) :
صبح الأعشى في صناعة الإنشا (في ١٤ مجلداً - طبع دار الكتب) :
٥٩- الكرملى (الأب أنتناس) ناشر :
النقود العربية وعلم النميات (مصر ١٩٣٩ م) :
- ٦٠- الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ / ٩٦١ م) :
كتاب الولاية والقضاة (مصر) .

- ٦١- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٧ م) :
الأحكام السلطانية (مصر ٢٩٨ هـ) :
- ٦٢- المقدسي (القاضي عمير الدين أبو اليمن عبد الرحمن العليمي ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١ م) :
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (مصر ١٢٨٣ هـ) :
- ٦٣- المراكشي (عمي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي) من علماء
القرن السابع الهجري :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب (فرغ من إملائه ٦٢١هـ - مصر
١٣٣٢ هـ) .
- ٦٤- المقري (أحمد بن محمد ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م) :
فتح الطيب غصن الأندلس الرطيب (مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) :
- ٦٥- المقرئ (تقى الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
١ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر وتحقيق الدكتور زيادة -
مصر ١٩٣٦ م وما بعدها :
ب- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار (طبعة النيل في ٤
مجلدات ١٣٢٤ هـ - طبعة بولاق في مجلدين ١٢٧٠ هـ ونشر جاستون
فيت G. Wiet ضمن مجموعة *Memoirs* وفي مجلدين ترجمة كاترمير
Quatrimere
ج- البيان والإعراب عن أرض مصر من الأعراب (جوتنجن)
د - إغالة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال - مصر ١٣٥٩ هـ /
١٩٤٠ م) :
هـ - رسالة في التقود الإسلامية (القسطنطينية ١٢٩٨ هـ) :
و- كتاب الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك (نشر
الشيال - مصر ١٩٥٥) :

٦٦- النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) :
نهاية الأرب في فنون الأدب (نشر دار الكتب المصرية - وصلت إلى
الجزء الثامن عشر) .

٦٧- الموارى (حسن محمد) :

رسالة في وصف محتويات دار الآثار العربية (مصر) .

٦٨- حسن إبراهيم (الدكتور) :

تاريخ الإسلام السياسى (ج ٢ - مصر ١٩٤٥) .

٦٩- دحلان (أحمد بن زبى دحلان ت ٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م) :

خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام (مصر - مكتبة الحرم المكى) :

٧٠- زامبور (المستشرق) :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى (ترجمة المرحوم

الدكتور زكى حسن وآخرين - في مجلدين - مصر ١٩٥١ م) .

٧١- زيادة (الدكتور محمد مصطفى) :

أ - بعض ملاحظات جديدة في تاريخ الماليك (مجلة كلية الآداب

م ٤ ح ١ مايو ١٩٣٦ م - ص ٧٩ - ٧٤) .

ب- المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى (مصر

١٩٤٩ م) .

ج- حملة لويس التاسع على مصر في المنصورة (مصر ١٩٦١ م) .

٧٢- زينب العاملى (السيدة زينب بنت على بن حسين عبد الله العاملى السورية)

الدر المشرفى طبقات ربات الخلدور (بولاق ١٣١ - م) .

٧٣- سيد أمير على :

مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى (ترجمة رياض رأفت - مصر

١٩٣٨ م) .

٧٤- طرخان (الدكتور إبراهيم على) :

١ - مصر في عصر دولة الماليك الحراكمة - مصر ١٩٦٠

س- المسلمون في فرنسا وإيطاليا (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة
١٩٦٤ م) .

٧٥- طه حسين :

الفتنة الكبرى - عثمان ج ١ (مصر ١٩٤٧ م) .

٧٦- طوسون (الأمير عمر) :

سالية مصر من عهد الفرعنة إلى الآن (مصر ١٩٣١ م) .

٧٧- عبد الرازق الظاهر : الإقنطاع والديوان في العراق (مصر ١٩٤٦ م)

٧٨- غربال (الأستاذ محمد شفيق) :

مذكرات في تاريخ التحرير الاقتصادي في أوروبا (معهد الدراسات

العليا ١٩٤٧ م) :

٧٩- فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (ترجمة زيادة والعدوى

(مصر ١٩٤٢) .

٨٠- كرد على (محمد) :

الإسلام والحضارة العربية (مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٣٦ م) .

٨١- كويلاند (جورج) :

الإقنطاع والعصور الوسطى بفرب أوروبا (ترجمة الدكتور زيادة -

مصر ١٩٤٦ م) .

٨٢- كويلاند و فينو جرادوف :

الإقنطاع والعصور الوسطى بفرب أوروبا (ترجمة الدكتور زيادة -

مصر ١٩٥٨ م) :

٨٣- مشرفة (الدكتور عطية مصطفى) :

نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (مصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م) :

٨٤- مكسيموس :

تاريخ الحروب المقلّمة المدعوة حرب الصليب (ترجمه عن الفرنسية
كبريو كبريو مكسيموس مظلوم - أورشليم ١٨٦٥ م :

٨٥- هيكل (الدكتور محمد حسين) :

حياة محمد (مصر ١٩٤٧ م) :

٨٦- ولفسون (أبو فؤيد) :

تاريخ اليهود في بلاد العرب (مصر ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م) :

القسم الثالث

المعاجم والمجلات

أ- المعاجم :

- ١ - أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد .
- ٢ - الأعلام للزركلي :
- ٣ - الدليل الجغرافي (مصلحة المساحة) .
- ٤ - النزيل على المعاجم العربية للموزى .
- ٥ - أساس البلاغة للزحشرى :
- ٦ - القاموس التركي .
- ٧ - القاموس الجغرافي لمؤلفه محمد رمزي (طبع دار الكتب من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ م) :
- ٨ - القاموس الفارسي .
- ٩ - القاموس المحيط للشيرازي :
- ١٠ - القاموس المحيط للفيروز ابادي :
- ١١ - تاج العروس من جواهر القاموس :
- ١٢ - تاج اللغة للهوريني :
- ١٣ - دائرة المعارف الإسلامية .
- ١٤ - دائرة المعارف للبيستاني :
- ١٥ - قاموس جغرافي للقطر المصري لإدارة التعداد بنظارة المالية (١٨٩٩م)،
- ١٦ - كتاب البحال والأمكنة والمياه للزحشرى :
- ١٧ - لسان العرب لابن منظور :

- ١٨- محيط المحيط .
١٩- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لياقوت، وهو عبارة
عن تلخيص لمعجم البلاد .
٢٠- معجم البلدان لياقوت :

ب - المجلات :

- ٢١- مجلة التمدن الإسلامي (م ١٢ الجزءان ٣٦ ، ٣٧ - صفر ١٣٦٦ هـ) :
(عدد خاص بالاشتراكية الإسلامية)
٢٢- مجلة الرسالة العدد الممتاز رقم ٣٠٠ في ٣ مارس ١٩٤١ م .
بحث عن الرنوك للدكتور محمد مصطفى ص ٢٦٨ - ٢٧١ .
٢٣- مجلة المستمع العربي (مقال عن الإقطاع في الشرق) .
٢٤- مجلة كلية الآداب (مايو ١٩٣٦ م) .

هوامش المراجع العربية

- (١) تحقيق اسم المؤلف لـ دكتور محمد مصطفى زيادة [مجلة المجمع العلمي بدمشق ج ١٣ ج ٤٦ في مقال عنوانه : الشاميون والتاريخ - أبريل ١٩٤٣ م] .
- (٢) انظر رقم ٢ في المطبوعات فيما يلي .
- (٣) ورد عنوان هذا الكتاب أحياناً باسم « درة الأسلاك في ملك الأتراك » ، « الأعلام » .
- (٤) ابن قاضي شبيه نسبة إلى شبيهة والسويداء بالشام (عن الصفدي) .
- (٥) تقوم دار الكتب الآن بنشره ، وقد نشرت الجزء الأول منه .
- (٦) ورد اسم هذا الكتاب « العيلم الزاهر في الأوائل والأواخر » (الأعلام) .
- (٧) أقبلي هذا هو ابن عبد الله الطويل والى غزة والأعمال الساحلية على عهد قابشباي .
- (٨) المسمى أصله من حلب ومولده في عينتاب ، فنسب إليها ، ول الحسبة في مصر بعد القرظي وصار مقرباً من المؤيد (الأعلام) .
- (٩) انظر رقم : ٥٨ من المطبوعات .
- (١٠) توجد نسخ مطبوعة لهذا الكتاب في نسخة في مجلدين تحت أرقام ١٠ ، ١١ ، ٨٣٩ ، ٨٦٣ بدار الكتب وتحت رقم ١٢٢ بمكتبة الحرم المكي .^٩
- (١١) القسم الثاني من مخطوطة السلوك يوجد بمكتبة الحرم المكي ويبدأ من سنة ٥٧٦٢ ويتهي سنة ٥٨٤٤ أي قبل وفاة المؤلف بسنة وهو مخط نسخ جميل عليه آثار القدم (انظر المطبوعات) .
- (١٢) المنتصوري نسبة لسلطان المنتصور قلاوون ، وقد شغل المؤلف وظيفة نيابة السلطنة زمن الناصر محمد بن قلاوون.^{١٠}
- (١٣) ابن شامين أمير مصري من أولاد الناس ولى حكم الإسكندرية فترة ، وتولى إمارة الحج سنة ٥٨٤٥ - ١٤٧٦ م زمن الملك برسباي ، كما تولى إمارة الكرك وصفد وغيرها .
- (١٤) لهذا الكتاب مختصر يسمى : البدر الطالع مختصر القوه اللاحق مؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد اللطوف المتوفى ٥٩٣١ (الأعلام) .

القسم الرابع

المراجع الأجنبية

- 1.—Abel, Le R.P.P. : Géographie de la Palestine, 2 Vol., Paris, 1936-1938.
- 2.—Abody, J.T. : Feudalism, Its Rise, Progress and Consequence. Lond., 1890.
- 3.—Albon, Marquis d' : Cartulaire Général de l'Ordre du Temple, 1119-1150, Paris, 1913-1922.
- 4.—Barker, E. : The Crusades, Lon., 1929.
- 5.—Boissonnade, P. : Du Nouveau sur La Chanson de Roland, Paris, 1923.
- 6.—Boutaric, E. : Le Régime Féodal, Son Origine et son Etablissement et particulièrement de l'immunité (R. Q. H. T. XVIII, 1875).
- 7.—Bréhier, L. : L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, Paris, 1921.
- 8.—Brooke, Z.N. : A History of Europe, 911-1198, Lond., 1928.
- 9.—Cahen, cl. : La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris, 1940.
- 10.—Calmette, J. : La Société Féodale, Paris, 1927.
- 11.—Cartellieri, O. : The Count of Burgundy (Studies in History of Civilization), Lond., 1929.
- 12.—Chalandon, F. : Histoire de la Première Croisade, Paris, 1925. }
13.—Chew, H.M. and Latham, L.C. : Europe in the Middle Ages, 814-1494, Lond., 1930.
- 14.—Conder, C.R. : The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291, A.D., Lond., 1897.
- 15.—Davies, R.H.C. : A History of Medieval Europe, Lond., 1958.

- 16.—Davies, R.T. : Documents Illustrating the History of Civilization in Medieval England, 1066-1500, Lond., 1936.
- 17.—Deanesly, M. : A History of Early Medieval Europe, 476-911, Lond., 1956.
- 18.—Delaville Le Roulx, (J.) : 1 - Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre, Paris, 1904. 2 - Cartulaire Général de l'Ordre des Hospitaliers de Saint-Jean de Jerusalem, Paris, 1894-1906, 4 vol.
- 19.—Deschamps, P. : Les Chateaux des Croisés en Terre-Sainte, Paris, 1934.
- 20.—Dodu, G. : Histoire des Institutions monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem, Paris, 1894.
- 21.—Dow, E.W. : Feudal Regime, N.Y., 1902.
- 22.—Dozy, R.P.A. : Histoire des Musulmans d'Espagne, Leiden, 1932.
- 23.—Dussaud, R. et (autres) : La Syrie Antique, Médiévale Illustrée, Paris, 1931.
- 24.—Dutaillis, C.P. : The Feudal Monarchy in France and England in the 10th to the 11th Century, Lond., 1936.
- 25.—Evans, J. : Life in Medieval France, Oxf. 1929.
- 26.—Eyre, E. (Edit.) : European Civilization, Its Origins and Development, Oxf., 1935.
- 27.—Fisher, H.A.L. : A History of Europe, Lond., 1930.
(انظر رقم ٧٨ بالمراجع العربية)
- 28.—Ganshoff, F. L. : Feudalism, Lond., 1950.
(ترجم الدكتور حسن حيشي هذا الكتاب حديثا)
- 29.—Goubert, P. : Byzance avant l'Islam, Paris, 1951.
- 30.—Grousset, R. : Histoire des Croisades et du royaume France de Jerusalem, Paris, 1931-1936.
- 31.—Guilhiermoz, P. : Essai sur l'origine de la Noblesse en France au Moyen Age, Paris, 1902.
- 32.—Hagenmeyer : Chronologie de la Première Croisade, Paris, 1902.

- 33.—Helen, G. : Rural Conditions in the Kingdom of Jerusalem during the 12th and 13th Centuries, Philadelphia, 1903.
- 34.—Huart, C. : Histoire des Arabes, Paris, 1912.
- 35.—Jarret, Major H. S., (Translator) : History of the Caliphs by Siouty, Calcutta, 1891.
- 36.—La Monte, J.L. : (1) Chronologie de l'Orient Latin, Paris, 1906, 2 Vol. (2) Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291, Cambr. Mass., 1932.
- 37.—Lane-Poole, St. : The Muhammadan Dynasties, Paris, 1925.
- 38.—Lot, F. : (1) The End of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, Lond., 1931. (2) Les Invasions Germaniques, Paris, 1935.
- 39.—Malcolm, J. : History of Persia, Lond., 1829.
- 40.—Mayer, L. A. : (1) Mamluke Costume, Geneve, 1932. (2) Saracenic Heraldry, Lond., 1933.
- 41.—Muir, W. : The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt, 1250-1517, Lond., 1896.
- 42.—Munro, D.C. : The Kingdom of the Crusaders, N.Y., 1936.
- 43.—Nizam Al Mulk : Siasset Nameh. (Trad. Ch. Schefer, Paris, 1891-1893).
- 44.—Orton, P. : (1) Outline of Med. History, Cambr., 1942. (2) A Hist. of Europe from 1198 to 1378, Lond., 1951.
- 45.—Painter, S. : A History of the Middle Ages, N.Y., 1954.
- 46.—Poliak, A. N. : (1) Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon, 1250-1900, Lond., 1939. (2) The Ayyubid Feudalism (J.R.A.S., 1939). ~~...~~
(J.R.A.S., 1939). (3) Les Revoltes Populaires en Egypte à l'Epoque des Mamlukes et leur causes Economiques (Extrait de la revue des Etudes Islamiques, 1934)
- 47.—Quatrimère, M., (Traducteur) : Hist. des Sultans Mamluks par Makrizi, Paris, 1837.
- 48.—Reid, J. S. : The Municipalities of the Roman Empire, Cambr., 1918.

- 49.—Rey, E.G. : *Les Colonies Franques en Syrie aux XIIe et XIIIe siècles*, Paris, 1833.
- 50.—Richard, J. : (1) *Le Comité de Tripoli sous la dynastie Toulousaine*, Paris, 1945. (2) *Le Royaume Latin de Jerusalem* Paris, 1953.
- 51.—Risler, J.C. : *La Civilization Arabe*, Paris, 1955.
- 52.—Runciman, S. : (1) *Byzantine Civilization*, Lond., 1948. (2) *A History of the Crusades*, 3 Vol., Lond., 1954.
- 53.—Sanaullah, M. Fadil : *The Decline of the Seljuqid Empire*, Calcutta, 1936.
- 54.—Schlumberge, G. : *Renaud de Châtillon, Prince d'Antioch, Seigneur de la Terre d'Outre Jourdain*, Paris, 1933.
- 55.—Sée, H. : *Les Classe rurales et le régime dominal en France au Moyen Age*, Paris, 1901.
- 56.—Seignobos, M.C. : *L'Europe Féodale (H.G.T. II)*, Paris, 1893.
- 57.—Setton, K.M. (Editor-in-Chief) : *A History of The Crusades*
 Vol. I : *The First Hundred Years*, edited by Marshall W. Baldwin, Philadelphia, 1955.
 Vol II : *The Later Crusades, 1189-1311*, edited by Robert Lee Wolf.
 Vol. III : *The Fourteenth and Fifteenth Centuries*, edited by Harry W. Hazard.
 Vol. IV : *Civilization and Institutions*, edited by Jeremiah O'Sullivan.
 Vol. V : *Influence and Consequences, with Genealogies and Bibliography*, edited by Gray C. Boyce.
- 58.—Sobernheim, M. : *Ikt'a (Enc. of Islam, Vol. II)*, Leyden, 1927.
- 59.—Stenton, F.M. : *The Firs Century of English Feudalism, 1066-1166*, Oxf., 1932.
- 60.—Stephenson, C. : *Medieval Feudalism*, N. Y., 1942.
- 61.—Stevenson, W.B. : *The Crusaders in the East*, Cambr., 1907

- 62.—Stuart, D. M. : Chivalry and Social Life in the Middle Ages, Lond., 1927.
- 63.—Stubbs, W. : Select Charters, Oxf., 1921.
- 64.—Tousson, O. : La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Arabe, Le Caire, 1928.
- 65.—Vinogradoff, P. : (1) Feudalism (C. Med. H. Vol. III).
 (2) Villainage in England, Oxf., 1892. (3) English Society in the 11th Century, Oxf., 1908. (4) The Growth of the Manor, Lond., 1911.
- 66.—Wiart, R. : Essai Sur la Precaria, Paris, 1894.
- 67.—Wiet, G. : (1) Catalogue du Musée Arabe, "Lampes et Bouteilles verre Emeillé", Le Caire, 1929.
 (2) L'Egypte Arabe (Hist. de la Nation Egyptienne, T. I), Paris, 1937.
- 68.—Ya'coub Artin : Contribution à l'Etude du Blason en Orient, Lond., 1902.

المحتوى

صفحة

٦-٥	زيادة	مصطفى	محمد	عبد	الدكتور	نيل	استاذ	عديم	:
١٥-٧	مدى

الفصل الأول

الإقطاع في بلاد الشرق الأوسط

الدولة البويبية والإقطاع الحربى - السلاجقة والإقطاع الحربى -
مقارنة بين نظام الملك والملك وليام الفاتح - التوزيع الإقطاعى
الحربى بين أمراء الجيش السلجوقى - إقطاع قسم الدولة آق
سقر - التوزيع الإقطاعى بين أبناء الأسرة السلجوقية المالكة -
الدولة الزنكية والإقطاع الحربى - إقطاعات نجم الدين
وأسد الدين فى الدولة الزنكية - الدولة الأيوبية والإقطاع
الحربى - توزيع أراضى مصر لأول مرة إقطاعات بين السلطان
وأمرائه وأجناده - بعض إقطاعات أمراء البيت الأيوبى -
بعض إقطاعات الأمراء والأجناد - خلفاء صلاح الدين
والتوزيع الإقطاعى الحربى - الصالح نجم الدين أيوب وإنشاء
فرقة المعاليك البحرية الصالحية - الدويلات الصليبية بالشام
والإقطاع الأوروبى - مدى سريان الإقطاع فى بلاد الشرق
الأوسط ١٧-٥٨

الفصل الثاني

السلطين الممالك والإقطاع

الأرض للسلطان وجنوده - أقسام الأراضي - القاعدة العامة في التوزيع الإقطاعي - الأسباب العامة في التوزيع الإقطاعي : تغير السلطان - عرض الجيش - الحاجة إلى المال وحل بعض الأوقاف الإسلامية والذمية وإقطاعها - اتساع رقعة الأرض - إقطاع التملك . الأسباب الثانوية في التوزيع الإقطاعي - قدم لاجئ سياسي - هوية السلطان وشرهه - المراعى والمعادن وإقطاعها - إقطاع المكوس - إقطاع الهدية والضيافة والزكاة - الجزية وإقطاعها ٩٠-٥٩

الفصل الثالث

البروك

إعادة التوزيع الإقطاعي العام وعوامله : العامل المالى والاجتماعي - العامل الاقتصادي - العامل السياسي - أشباهه في الغرب الإقطاعي - عملية البروك : الفحص النظرى والقياس - تفصيل أنواع الأراضي - القائمون بهذه العملية في عصر الممالك - التعديلات المختلفة بمقتضى البروك : في قاعدة التوزيع الإقطاعي العامة - في البرة - في نوع الإقطاع وأماكنه - النظائر في الغرب - تحويل السنة الحراجية .. ١١٤-٩١

الفصل الرابع

الأوراق التي تصدر بصدد التوزيع الإقطاعي

الإدارة الإقطاعية : ديوان الجيش وتسجيل البيانات - الأوراق التي يصدرها ديوان الجيش : المثال - المربعة . ديوان

الإشياء والأوراق التي تصدر عنه : المنشور الإقطاعي وكيفية
صدوره - رتب المناشير - المناشير الطارئة - طريقة كتابة
المنشور - توقيع السلطان بعلامته - الطغرى السلطانية وموضعها
من المنشور - تحليل المناشير - حفل توزيع البرامات الإقطاعية
في مصر وخارجها - الجريدة الإقطاعية - الإفراج عن
الإقطاعات ١١٦-١٤٠

الفصل الخامس

أرباب الإقطاع

رجال السيف : السلطان وأبناؤه وإقطاعاتهم - الجيش
المملوكي وأقسامه : الخلفة وإقطاعاتها - الممالك السلطانية
وجوامكهم والجهات المختصة لها - نظائر هذه الطائفة في
الإقطاع الغربي - ممالك الأمراء وإقطاعاتهم - العربان
وإقطاعاتهم - التركمان والأكراد وإقطاعاتهم - رتب الجيش
المملوكي وعبرة إقطاع كل رتبة أو إمرة - نظام الرقبة -
أرباب الإقطاع من غير رجال السيف : بعض رجال القلم -
أرباب الحرف ١٤١-١٨٤

الفصل السادس

الواجبات والحقوق الإقطاعية

دراسة الواجبات والحقوق الإقطاعية من الجانبين الأدبي
والمادى - يمين الولاء للسلطان القائم والزيادات المناسبة فيه -
الوصايا - مدى الوفاء وحوادث الخنث ونظائرها في الغرب .
أعمال الترك ومهمة العربان والتركمان - خيول البريد -
الالتزام المالى - مساهمة المقطعين في الأعمال العامة - التضادم

العامة والطارئة - حقوق صاحب الإقطاع : الألقاب والمكاتب
 التكرمية وشارات التشريف والبطول التي تدق بباب كل أمير
 بحسب مرتبته - الوظائف التي تؤهل لها إمرات أصحاب الإقطاع -
 الإطلاقات والتفصيصات - نفقات سلطانية أخرى لحائري
 الإقطاعات - المساحات ٢٢٨-١٨٥

الفصل السابع

الإدارة المحلية للإقطاعات

خصائص الإدارة المحلية وما يميزها عن قرينتها في الإقطاع
 الغربي - إجراءات التسليم للإقطاع - محضر التسليم ومحتوياته -
 فحص أراضي الإقطاعات - توزيع البنود على الفلاحين -
 قوانين الفلاحة - المقاسمة والإيجار - البحوث الفقهية حولها -
 اختلاف قيمة الإيجار - الأراضي المضمنة والفصول في
 الإقطاع بين الشرق والغرب - طرق الزراعة ونظام الحقلين -
 الري وتنظيمه والحسور السلطانية والبلدية والترع - ربط
 الحراج ونوعه - أنصبة الفلاحين - نظام استغلال الفلاحين
 للمراعي المقطعة - تخزين المحاصيل في الشون والأهراء -
 الفلاح والتقن في الشرق والغرب... .. ٢٦٠-٢٢٩

الفصل الثامن

المناقلات الإقطاعية

الخصائص الجوهرية في مناقلات الإقطاع وسلطة ولي الأمر ،
 بين الشرق والغرب - الصور المختلفة لانقالات الإقطاع : انتقال
 إقطاع السلطنة أو الخاص الشريف لكل سلطان جديد -
 مناقلات عامة يجرها السلطان لعوامل سياسية - مناقلات

خاصة تم بين المقطعين أنفسهم بالمقايضات أو التنازل أو البيع
 نظير مبالغ من المال - ديوان البدل ومهمته في هذا الصدد -
 المهيسون - الأوراق التي تكتب بصدد المناقشات الإقطاعية -
 تغير حالة الإقطاع نفسه - زيادة الإقطاع أو انتقاصه -
 الطرغانيات وصورها - العزل عن الإقطاع - البطالون -
 الانتقال بعد الوفاة ونظام الوراثة في الشرق والغرب -
 المحلولات من الإقطاعات وإقطاعها - المحاسبات عند الإقطاع -
 الحلوان في الإقطاع المملوكي ونظيره في الغرب ٢٦١-٢٩٤

الفصل التاسع

المجتمع الإقطاعي

خصائص المجتمع الإقطاعي - طبقاته - وصف الحياة الخاصة
 للطبقة الأولى : السلطان في آدرة الشريفة - حريم السلطان
 وأبنائه - من صور البذخ الإقطاعي - ملحقات القصر
 السلطاني وهي البيوتات ، من شرايعانه وطشخاناه ونحوهما -
 الأمراء في قصورهم وروعة مجالسهم ومواكبهم - الطبقة
 الثانية وهي طبقة رجال القلم ومنزلهم - نظرة التبرك بهم
 وتمييز الأشراف بزي معين - استشارة السلاطين لهم . أرباب
 الحرف وطوائفهم المختلفة من بياض العامة إلى الخرافيش
 أو الزعر أو العياق - استثناء أولى الأمر لهم في القتن -
 الثورات الشعبية - الأزياء المميزة لكل طبقة - أزياء أهل
 الذمة - أزياء النساء - وسائل التسلية - الأعياد والحفلات
 العامة والخاصة - التعليم ونظرة المالك له - أحداث
 الأغنية والأوبئة ووسائل علاجها - جرائم المجتمع الإقطاعي

- المملوكي . وسائل العقاب من تعذيب وتجريس وتوسيط -
 مظاهر الكراهة بين العرب والممالك وأثرها - بعض جرائم
 أخرى - نظام القضاء ٢٩٥-٣٨١

الملاحق

القسم الأول

- ١ - بعض ما كان يكتب في أوراق التوزيع الإقطاعي
 أولاً : - الدولة التورية :
- ١ - منشور نور الدين محمود الملك العادل لكرامة بن بختر ٣٨٥
 ثانياً : - الدولة الأيوبية :
- ١ - منشور صلاح الدين لجمال الدين بن حجي بن
 كرامة بن بختر ٣٨٦
- ٢ - نسخة توقيع بإقطاع العادل أبي بكر كتبها له صلاح
 الدين الأيوبي سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ٣٨٦-٣٨٩
- ٣ - نسخة توقيع بإقطاع كتب بها الأمير طراً على الدولة
 الأيوبية ، ودخل في خدمتها ٣٩٠-٣٩١
- ٤ - نسخة توقيع بإقطاع في العهد الأيوبي لأحد الأمراء
 الصغار ، وهي أقل مرتبة من النوعين السابقين ٣٩١-٣٩٣
- ٥ - منشور من الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز سلطان
 دمشق ، لجمال الدين حجي بن نجم الدين محمد بن
 حجي أحد أمراء الغرب في ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م ٣٩٣
- ثالثاً : - المفسول :
- ١ - منشور هولاءكو إلى جمال الدين حجي المذكور
 سابقاً في ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ٣٩٤

- رابعاً : - عصر الماليك :
- أ - الإيمان :
- ١ - نسخة يمين شريف يستحلف بها للمبايعة العامة وتتضمن الولاء للسلطان والطاعة وأداء الالتزامات الواجبة... .. ٣٩٥-٣٩٦
- ٢ - الزيادات التي تضاف إلى هذه اليمين :
- نواب القلاع ٣٩٦-
- الدوادرية وكتاب السر ٣٩٧-٣٩٨
- النواب... .. ٣٩٨
- ب - الوصايا :
- وصية نائب السلطنة ٣٩٩
- و أستاذ النار أو الأستاذار ٣٩٩
- و مقدم الماليك ٤٠١
- و أمير آخور ٤٠٢
- و أمير عرب ٤٠٤
- و مقدم الأكراد ٤٠٥
- و مقدم التركمان ٤٠٦
- و إلى حرب ٤٠٧
- و أتائبك المجاهدين وهو رئيس طائفة الإسماعيلية... ٤٠٨
- ج - القصص :
- قصة نظم بسبب الإقطاع ٤١٠
- د - المناشير الإقطاعية

النوع الأول من المناشير:

أ - مناشير أولاد الملوك

١ - نسخة منشور كتب بها عن الملك المنصور قلاوون

٤١١ إلى ابنه الناصر محمد... .. : : : :

ب - مناشير الأمراء مقدمى الألوفا:

١ - نسخة منشور للأمير بيدرا أستاذ الملك المنصور قلاوون ٤١٢

٢ - نسخة منشور للأمير سعد الدين بن الخطيرى ... ٤١٣

٣ - نسخة منشور لعلاء الدين أيدنمخش أمير آخور الناصر

محمد ٤١٤

٤ - نسخة منشور للأمير شمس الدين سنقر ٤١٦

٥ - خاص ترك ٤١٧

٦ - جمال الدين آقوش ٤١٨

تماذج مناشير أصحاب الألقاب المختلفة من مقدمى الألوفا:

٧ - نسخة منشور لمن لقبه سيف الدين... .. ٤٢٠

٨ - نسخة منشور لمن لقبه شمس الدين... .. ٤٢١

٩ - نسخة منشور لمن لقبه صلاح الدين ٤٢٣

مناشير أمراء الطبلخاناة:

١ - نسخة منشور كتب بها لبعض الأمراء ٤٢٤

٢ - نسخة منشور لمن لقبه زين الدين ٤٢٥

٣ - نسخة منشور لمن مات أبوه... .. ٤٢٦

النوع الثانى من المناشير:

أ - مناشير أمراء العشرات

١ - نسخة منشور لأمير عشرة ٤٢٧

٢ - : : : : ٤٢٨-٤٢٧

ب - مناشير أبناء الأمراء الذين أمروا في حياة آبائهم :

ثلاث نسخ لمناسير من هذا النوع ٤٢٨-٤٣١
النوع الثالث من المناشير :

١ - منشور لأمير عرب ٤٣٢
٢ - مناشير آل تنوخ ٤٣٣-٤٣٧
ج - من كتب إقطاع التملك :

١ - مكبوب جامع بالتمليك لبعض أمراء الظاهر بيبرس ٤٣٨-٤٤١
٢ - ملخص تقليد بتمليك قلعة الصبية للأمير بدر الدين
بيدرا زمن السلطان خليل بن قلاوون ٤٤١-٤٤٢
د - بعض أوراق التنظيم الإقطاعي :

١ - خلاصة مرسوم شريف بإخراج المعرفة وضواحيها عن
حماء وإضافتها إلى حلب ٤٤٣
٢ - ملخص نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية
أو السنة الخراجية إلى الملالية ، زمن السلطان حسن ٤٤٤-٤٤٥
٣ - ملخص نسخة تذكرة سلطانية تكتب ل نائب السلطنة
عند سفر السلطان إلى خارج البلاد ٤٤٦-٤٥٠
هـ - المسامحات :

١ - ملخص نسخة مرسوم شريف بالمسامحة بالبقاق في ذم
الجند والرعايا بالشام زمن الناصر محمد ٤٥١
٢ - نسخة مسموح عن الناصر محمد للأمير بكتاش الصخري^٤ ٤٥٢
٣ - ملخص نسخة مسامحة بمكوس على جهات مستقبحة
بالمملكة الطرابلسية - زمن الناصر محمد ٤٥٢

و - من كتب المناقلات الإقطاعية :

« طرخانيات أرباب السيوف »

١ - نسخة مرسوم شريف بطرخانية لأمير من المرتبة الأولى ٤٥٥

٢ - نسخة مرسوم طرخانية من المرتبة الثانية ... ٤٥٧

« طرخانيات أرباب الأقلام »

٣ - نسخة طرخانية عن الناصر محمد لقاضي قطب الدين

ابن المكرم أحد كتاب الدرج ... ٤٥٨

ز - كتب مختلفة :

١ - ملخص تقليد من الناصر محمد بتولية المؤيد اسماعيل

أبي الفداء نيابة السلطنة بحماه ... ٤٦٠

٢ - ملخص مرسوم بعض الملوك الصلاحية في إلزام أهل

الذمة بالشروط الشرعية التي حددها أمير المؤمنين

سيدنا عمر بن الخطاب ... ٤٦١

٣ - نسخة طغرى السلطان المملوكي التي تصدر بها

المكاتبات للملوك الكفار ... ٤٦٣

القسم الثاني

١ - قاموس الألفاظ الاصطلاحية ... ٤٧٠

٢ - بعض اصطلاحات ونظم في الإقطاع المملوكي وما يقابلها

في الإقطاع الغربي ... ٥١١

٣ - المقاييس والمكاييل والموازين ... ٥١٢

٤ - التقود الإسلامية ... ٥١٩

٥ - التقود في مصر الإسلامية .. ٥٢١

الخرائط

- خريطة أسفل الأرض (الوجه البحرى) بما استقر عليه التقسيم
فى الروك الناصرى إلى عهد السلطان شعبان بن حسين ... ١٠٩ ...

الصور

- ١ - علامة السلطان الناصر محمد على المناشير الإقطاعية ... ١٢٦ ...
٢ - طغرى بألقاب السلطان الناصر محمد ١٢٨ ...
٣ - شعبان بن حسين ١٢٨ ...
٤ - صورة القبقق والرماح ٣١٨ ...
٥ - صورة السلطان قايتباى ٣٤٧ ...
٦ - صورة السلطان الغورى ٣٤٩ ...
٧ - صورة السلطان طومان باى ٣٥١ ...
٨ - بعض رنوك المماليك ٤٨٦ ...
٩ - بعض النقود من عصر المماليك ٥٢٨-٥٣٢ ...

الجداول

- ١ - جدول بالعبرة الإقطاعية للديار المصرية زمن الناصر أبى
المظفر صلاح الدين الأيوبى ٣٤ - ٣٥ ...
٢ - جدول بما استقر عليه التقسيم الإدارى والتوزيع الإقطاعى
بمقتضى الروك الناصرى ١٠٧-١٠٨ ...
٣ - جدول ببعض الإقطاعات ومساحتها وعبراتها وأسماء
مقطعها ١٦٧-١٦٨ ...
٤ - جدول ببيان رتب الأمراء والوظائف التى تؤهل لها إمرة
الأمير واختصاصاتها ٢١٠-٢١٣ ...

- ٥ - جدول بأسماء من توفى من سلاطين المماليك على
 عروشهم ، ومن خلع أو سجن أو استغنى ومن قتل ... ٣٥٦-٣٥٣
- ٦ - جدول بأسماء سلاطين المماليك في الدولتين : الأولى
 والثانية ٣٥٩-٣٥٧
- ٧ - جدول بأسماء خلفاء بني العباس في مصر.. ... ٣٦٢-٣٦٠
- ٨ - جدول بشرح قطع النقود الواردة.. ... ٥٣٦-٥٣٤

المراجع

- ١ - القسم الأول : كتب الفقه والعلوم الدينية
- أ - المخطوطات ٥٤٧
- ب- المطبوعات ٥٤٩
- القسم الثاني : الكتب التاريخية والجغرافية :
- أ - المخطوطات ٥٥٣
- ب- المطبوعات ٥٥٩
- القسم الثالث : المعاجم والمجلات.. ... ٥٧١
- القسم الرابع : المراجع الأجنبية ٥٧٤
- المختص : ٥٧٩

جمهورية الكويت المتحدة

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ٩٢ —

التأليف (٦٦)

التاريخ [٨]

القاهرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة

المكتبة العربية

— ٨٨ —

التأليف (٦٢)

الأدب [٥٢]

القاهرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

دارالكتاب العربي للطباعة والنشر

فرع مصر - ١٩٦٨

المكتبة العربية

تصدُرنا

وَرَأَى النَّاسَ كَأَنَّهَا

الوقت: البصرة العاشرة والثمانون والنشر

بالاشتراك بيننا

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية